

sharif mahmoud

دكتور

جبريل الشنقرى والشيخ السونى الحنبلى

مِصْرِيَّ

فى التاريخ الحديث والمعاصر

١٧٩٨ - ١٩٧٣

مع مجموعة بحوث ودراسات



تاريخ مصر خط متصل قد  
يصعد أو يهبط وقد يدور  
حول نفسه أو ينحنى ولكنه  
أبداً .. لا ينقطع

# مِصْرٌ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ وَالْمُعَاصِرِ

١٩٧٣ — ١٧٩٨

مع مجموعة بحوث ودراسات

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٩٩٢

تاريخ مصر خط متصل قد  
يصعد أو يهبط وقد يدور  
حول نفسه أو ينحني ولكنه  
أبداً .. لا ينقطع

*sharif mahmoud*



*mohamed khatab*

*sharif mahmoud*







## مقدمة

مصر امة عريقة يمتد تاريخها الى ماضى موغل فى القدم وقد مر بها على مسار ذلك الماضى الطويل عصور ازدهار وانحطاط فمن تقدم حثيث فى مجال الفكر والحضارة حينما الى جثوم جحافل الطامعين والغزاة على ارضها حينما آخر ، وهى فى كلتا الحالتين كانت مصدرا للحياة الفكرية والحضارية . وظلت اوربا حتى !واخر القرن الثامن عشر تحفظ لمصر الكثير من الاحترام حتى تأمل نفر من السائحين الاوربيين احوالها ، وتعرفوا على ما تملكها من ضعف فى ظل الحكم العثمانى وكتبوا عن ذلك مما دفع بعض دول اوربا بخاصة فرنسا الى التفكير فى غزوها

وعلى الرغم من أن الحملة الفرنسية على مصر لم تستمر سوى ثلاث سنوات تقريبا ، فقد كانت لها نتائج مهمة جعلت بعض المؤرخين يعدها البداية الحقيقية لتاريخ مصر الحديث <sup>(١)</sup> ويستندون فى ذلك الى انها انتهت العزلة القائمة التى عاشتها مصر ، واطهرت اهميتها كمطلقة استراتيجية هامة بالنسبة للقوى المتصارعة حتى أن بريطانيا اخفت تحين كل الفرص المواتية للاستيلاء على مصر ، هذا الى جانب انها كانت نقطة التحول الواضحة بين مصر العصور الوسطى ومصر الحديثة . وعلى الرغم من فشل حملة فريزر ، ومحاولات محمد على ابعاد مصر عن طلبة الصراع الاوربى ، وجعلها ركيزة لدولة قوية خاضعة له فقد وقفت له بريطانيا بالمرصاد وعرقلت مشروعاته ،

---

(١) بداية العصور التاريخية ليست واحدة فى كل مكان ، وانما سبقت بعض الاقطار غيرها وتاخر بعضها الآخر ، وان كان البعض يعد الفتح العثمانى هو بداية تاريخ العالم العربى الحديث .

وأجبرته في النهاية على قبول معاهدة لندن ١٨٤٠ ، ثم أخذت تتحين الفرص في عهد خلفائه للسيطرة على مصر حتى تحقق لها ذلك ، وتمكنت من احتلالها في عام ١٨٨٢ ، كما انتهزت فرصة قيام الحرب العالمية الاولى وانضمام تركيا الى جانب ألمانيا ، وأعلنت حمايتها على مصر .

وللشعب المصري كساح طويل ضد الاستعمار البريطاني رغم أساليب القمع والعنف ومناورات السياسة البريطانية ابتداء من تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الى معاهدة ١٩٣٦ وكانت نظريته منذ ظهور حركة مصطفى كامل ومحمد فريد واشتعال ثورة ١٩١٩ ان عماد الاستعمار في مصر هو الاحتلال الجاثم على صدر البلاد وأن محور الحل هو الجلاء .

وخلال الحرب العالمية الثانية ازداد التدخل البريطاني في شؤون مصر الداخلية لضمان سياستها الموالية له ، وأبرز الأمثلة على هذا التدخل السفار كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذي حاصرت فيه القوات البريطانية قصر عابدين وارغمت الملك على تكليف النحاس بتأليف الوزارة .

وفي أعقاب الحرب وانتصار الحلفاء شهدت مصر العديد من القلاقل السياسية ، وزاد الطين بلة ما حدث للجيش المصري خلال حرب فلسطين ١٩٤٨ وتطورت الأمور بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانتهاء الملكية وقيام الجمهورية ودخول مصر في مرحلة جديدة من تاريخها ، وحلها لواء الدفاع عن قضايا العرب التاريخية وبسبب اتساع هذه الموضوعات وتشعبها وتشابكها فان عمل دراسة متكاملة عنها في مجلد واحد ليست من الأمور الهينة ولذا اضطررنا الى الاقتضاب في معالجة بعض نواحيها حتى لا يخرج الكتاب عن الحجم المعقول ، وعذرنا في ذلك ان كل فصل من فصول الكتاب كان من الجائز أن يكون مجلدا قائما بذاته .

يضاف الى ذلك اننا رأينا من المفيد اعادة طبع بعض البحوث والدراسات الخاصة بتاريخ مصر الحديث والتي كانت قد نشرت في بعض الدوريات العلمية بعد أن تم الاشتراك بها في ندوات علمية خشية ضياعها في زحمة التأليف والتواليف التي يزخر بها سوق النشر فافردنا لها فصلا خاصا ، كما افردنا فصلا لبعض رجالات النهضة المصرية في العصر الحديث ولنا عظيم الرجاء في أن نكون قد وفينا تاريخ مصر الحديث والمعاصر بعض حقه .

**والله ولى التوفيق**

**د. عبد التعم الجيمى**

القاهرة — المهندسين أغسطس ١٩٩٢



## الفصل الأول

### الحملة الفرنسية على مصر والشام

أسبابها — وقائعها — سياسة بوناپرت الإسلامية — ثورة  
القاهرة الأولى — حملة بوناپرت على بلاد الشام — الجنرال  
كليب يتولى قيادة الحملة بعد نابليون — مينو وقيادته الحملة  
نتائج الحملة :

- الآثار والنتائج السياسية
- الآثار والنتائج العلمية .
- الآثار والنتائج الاجتماعية .
- الآثار والنتائج الصحية .
- الآثار الادارية للحملة .



## أولا : اسباب الحملة :

تختلف آراء المؤرخين حول أسباب الحملة الفرنسية على مصر  
وفيما يلي نعرض لوجهات نظرهم :

١ - رغبة حكومة الادارة في فرنسا في التخلص من بونابرت بعد انتصاراته الباهرة في ايطاليا ، وذلك عن طريق ارساله في حملة جديدة تبعده عن باريس حتى ينساه الشعب الفرنسي ، وقد وجدت في تعيينه لقيادة الحملة على مصر فرصة مواتية لتحقيق رغبتها .

٢ - رغبة الفرنسيين الملحة في انشاء مستعمرة لهم في الشرق تعوضهم عن ضياع مستعمراتهم في أمريكا وكندا والهند وعلى الخصوص انه كان من المتعذر عليهم أن يبنذوا فكرة انشاء امبراطورية استعمارية لهم ، وتشجيع دى شوازيل Choiseul أحد وزراء خارجية فرنسا ، وتاليران Talleyrand عضو المجمع الفرنسي على ذلك .

٣ - معاقبة البكوات الماليك المسيطرين على زمام الأمور في مصر والذين اقاموا الصلات الودية الوثيقة مع الانجليز ، واساءوا معاملته التجار الفرنسيين ونهبوهم<sup>(١)</sup> ، وتشجيع القنصل الفرنسي شارل ميجالون Magallon على ذلك<sup>(٢)</sup> .

٤ - القضاء على سيطرة الانجليز على البحر الاحمر والهند ، والقيام بشق برزخ السويس واتخاذ الوسائل اللازمة لضمان استيلاء فرنسا كلياً على البحر الاحمر وامتلاكه .

٥ - المنافسة القديمة بين فرنسا وبريطانيا على التجارة الشرقية ، ومحاولة فرنسا الاقترص من الانجليز الذين يناصبونها العداء بتقويض نفوذهم في ممتلكاتهم بالهند ، واجبارهم على عقد الصلح معهم بعد احتلالهم لمصر .



٦ - توقع انهيار الدولة العثمانية وتقسيم أملاكها بين الدول الكبرى وخشية الفرنسيين من أن تسبقهم إحدى الدول الكبرى في الاستيلاء على مصر التي يرغبون أن تكون من أملاكهم لما تربطهم بها من صلات تجارية قديمة (\*) .

٧ - رغبة بونايرت في كسب أكايل جديدة من الشهرة والمجد والتشبه بالباطرة والقيصرة القدامى أمثال الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر وغيرهما وذلك بتشديد امبراطورية في الشرق (٣) .

٨ - تنمية علاقات فرنسا التجارية مع الشرق ، وذلك عن طريق ارسال حملة للاستيلاء على مصر كي تتمكن من المحافظة على تجارتهم بها وصيانتها وتنميتها وبخاصة وأن بريطانيا كانت منافسا خطيرا لهم في مصر ، وأن هذه التجارة كانت تدر عليهم الأرباح الوفيرة نظرا لانها كانت تنقل البهارات والتوابل من الهند الى أوروبا (٤) وقد أكد ذلك « تاليران » في خطابه الموجه الى بونايرت في سبتمبر ١٧٩٧م بقوله « ان مصر كطريق تجارى ستعطينا تجارة الهند ، لأن المعول في التجارة على الوقت ، وبلاستيلاء على مصر نستطيع أن نقوم بخمس رحلات مقابل ثلاث بالطريق المعتاد حول رأس الرجاء الصالح » .

٩ - التقارير المشجعة للقناصل والرحالة الفرنسيين وخاصة بعد أن كشفت تقارير هؤلاء القناصل سواء في مصر أو استنبول حقيقة الأوضاع التي تعاني منها الدولة العثمانية كما أكد ذلك كتابات الرحالة الفرنسيين مثل « سفارى » و « غولى » و « توت » الذين أكدوا قرب انهيار الدولة العثمانية ، وأن اسراع فرنسا في الاستيلاء على مصر يخدم المصالح الفرنسية ، ويحد من طغيان المالك بها .

### ثانيا : وقائع الحملة :

ونتيجة لمجمل هذه الاسباب أصدرت حكومة الادارة في ١٢ من أبريل ١٧٩٨م قرارها بوضع جيش الشرق تحت قيادة بونايرت للاستيلاء على مصر . وتحت ستر من الكتان غادر بونايرت باريس في صباح اليوم الرابع من مايو عام ١٧٩٨ متوجها الى ميناء «طولون»

حيث قام بانتقاء القادة والضباط والعلماء والجغرافيين والمهندسين الذين سيصبحونه في حملته كما اظهر مهارة فائقة في تجهيز الحملة بكافة المعدات والأدوات العلمية ، وجلب من روما المطبعة العربية واليونانية واحضر معها مجموعة من المتخصصين بصف الحروف العربية وطباعتها ، وإلى جانب ذلك احضر معه العديد من الكتب الخاصة بمصر وبلاد الشرق للاستفادة منها خلال رحلته<sup>(٥)</sup> . وقد خرجت الحملة من ميناء طولون متوجهة الى مالطة في عام ١٢١٣ هـ الموافق التاسع من يونيو ١٨٩٨م واستطاع بونايرت الاستيلاء عليها وتاديب فرسانها بحجة انهم لا يقيمون وزنا لأوامر الجمهورية الفرنسية ، وفي صبيحة التاسع عشر من يونيو تحركت الحملة من مالطة الى الاسكندرية ولم تتبع الحملة — خلال ذلك — في سيرها طريقا مستقيما بل حولت اتجاهها خشية ان يغارتها الأسطول الانجليزي في عرض البحر المتوسط فاجرت صوب جزيرة كريت<sup>(٦)</sup> وهناك علم بونايرت ان الأسطول الانجليزي بقيادة الاميرال « نلسن » Nelson يجد في البحث عنه ، ونتيجة لذلك بدأت الحملة تأخذ اتجاهها الى الجنوب الشرقى قاصدة الاسكندرية رأسا، وبعد ان بلغت علم بونايرت ان الأسطول الانجليزي الذي سبقه الى الاسكندرية بثلاثة ايام فقط قد غادرها للبحث عن حملته في مياه ازمير التركية . ونتيجة لذلك قرر بونايرت انزال جنده في الحال الى البر خشية ظهور الأسطول الانجليزي مرة ثانية ، وكانت خطته تتركز على توزيع قواته في عدة مواقع والاستيلاء على الاسكندرية ودمياط في وقت واحد ثم التوغل من هذين المركزين الى الدلتا ، والوصول الى القاهرة باقصى سرعة ولكنه سرعان ما عدل عن هذه الخطة بعد ان وصلت له الأخبار عن اقتراب الأسطول الانجليزي من الاسكندرية فأمر بانزال جنوده وبمهماته بسرعة والزحف على الاسكندرية واحتلالها . وكانت توصيات بونايرت الى قواته تنحصر في قوله لهم « ايها الجنود انكم تواجهون الآن ضربة مؤلة الى بريطانيا واني لمؤمن بالنجاح فيما شرعنا به وستفنى الممالك الذين اهانوا فرنسا بعد بضعة ايام واعلموا ان الرغبة الأولى للشعب الذي ستعيشون بينه هي « لا اله الا الله محمد رسول الله » فلا تعاكسوهم في معتقدهم واعلموا ان النهب يحقر الجيش، وان المدينة التي هي الآن امامكم وغدا ستحتلونها قد بناها الاسكندر<sup>(٧)</sup> ».

وقد قاوم أهل الاسكندرية بقيادة حاكم مدينتهم « محمد كريم » الجيش الفرنسى ودافعوا عن أسوار مدينتهم غير أن هذه المقاومة لم تستمر سوى ساعات قليلة نزلت بعدها القوات الفرنسية الى الاسكندرية فى الثالث من يوليو ١٧٩٨م وكانت الخطوة التالية لهم هى الزحف على القاهرة فأرسل بوناپرت حملة للاستيلاء على رشيد ، كما أرسل بعض ضباطه البحريين بأسطول صغير من المراكب الخفيفة الى مصب النيل أما باقى الجيش فقد زحف على القاهرة بالطريق الصحراوى ، ولم يكن هذا الزحف نزهة عسكرية بل لقى الفرنسيون فى اثناة الشدائد والأهوال<sup>(٨)</sup> وقبل نزول الحملة الى القاهرة وعبد بوناپرت وهو على ظهر السفينة « أوريان » فى ١٨ من محرم ١٢١٣ الموافق الثانى من يوليو ١٧٩٨م بتأمين الأهالى على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وشعائرهم الدينية ، كما وعد باحترام شعور أهالى البلاد وعاداتهم ، وأكد على احترام الاسلام والمسلمين ، ومصادقة الدولة العثمانية ، وأن الفرنسيين ما جاءوا الى مصر الا للاقتصاص من الممالك الخارجين عن طاعة السلطان ، والذين يعذبون الأهالى ويستولون على أرزاقهم .

وقد حدث أول اشتباك كبير بين الممالك والجيش الفرنسى فى « شبراخيت » فى ١٤ من يوليو ، ومع أن الممالك كانوا قد اتخذوا العدة لمقاولة الفرنسيين ، وضموا على مفاجأتهم قبيل الوصول الى القاهرة فوزعوا الى قسمين الأول برئاسة « ابراهيم بك » وقد ظل مرابطا على الضفة اليمنى للنيل فى بولاق أما القسم الآخر فكان بقيادة مراد بك على الضفة اليسرى وسرعان ما لاحظ « بوناپرت » ضعف ترتيبات أعدائه فاعتمد على الحركة السريعة فى مناوئاته العسكرية معهم ، ونجح فى اختراق صفوف الممالك حتى ولوا منزعين ، ولم يستطع مراد بك السيطرة على زمام الامور فتقهتر بقواته الى القاهرة<sup>(٩)</sup> ودخل بوناپرت الجيزة ، وحينما رأى أهاليها قات لقواته مثمرا بأصبعه الى قمم الأهرام « ان اربعين قرنا من الزمان تنظر اليكم » .

وفى ٢٤ من يوليو دخل الفرنسيون القاهرة ، واتخذ بوناپرت مقر قيادته العامة فى سراى الالفى بميدان الأزبكية وأخذ فى تنظيم شئون الحكم فى مصر<sup>(١٠)</sup> .

أما عن غلول الممالك فقد انسحبت الى الصعيد حاملة معها نفائسها وأموالها وحريها ، وحذا حذوهم عديدون من كبار المصريين الذين كانوا على سعة من العيش تمكنهم من استئجار الدواب لنقل متاعهم وثرواتهم .

ولكى يقرب بونا برت المصريين منه أعرب عن حسن نواياه تجاههم وتجاه السلطان العثماني بصفته خليفة للمسلمين ، وبدأ في استمالتهم وتحريضهم ضد الممالك فعلق منشورا لأهالي القاهرة جاء فيه « اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين واننى أكثر من الممالك أعبد الله سبحانه واحترم نبيه والقرآن العظيم » .

كما تظاهر بالاسلام بقوله « ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون .. والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك وعليهم أن يقولوا بصوت عال أدام الله أجلال السلطان العثماني أدام الله أجلال العسكر الفرنساوى ، لعن الله الممالك وأصلح حال الأمة المصرية » (١١) يضاف الى ذلك أن بونا برت صار ينشر المنشورات التى يطن فيها على ديانة النصرارى ويبدح الاسلام ، واشرك المصريين اشراكا محدودا فى الحكم فالف مجلسا فيسابيا كان يحوى عددا كبيرا من رجال الأزهر ، كما شرع فى تنظيم الإدارة الأهلية فشككت الدواوين لمعاونة الحاكم الفرنسى على إدارة شئون البلاد واستتباب الأمور فيها ، ولم تمض أيام قليلة على ذلك حتى وصلت الأخبار الى بونا برت بوقوع كارثة « أبى قير » البحرية وهزيمة الأسطول الفرنسى هناك ، مما كان له أكبر الأثر على أضعاف مركز الحملة فى مصر ، والقضاء على هيبة الفرنسيين فى نفوس الأهالي ، ثم القضاء فى نهاية الأمر على مشروع إرسال الحملة المرتقبة الى الهند يضاف الى ذلك أن تحطيم الأسطول الفرنسى فى « أبى قير » أدى الى قطع المواصلات بين فرنسا وحماتها فى مصر ، وأضعاف الروح المعنوية لدى القوات الفرنسية كما أدى الى التجاء الفرنسيين للاعتماد على موارد مصر الداخلية اعتمادا كلياً مما ساعد على إثارة الاضطرابات فى الأقاليم وتحريك الثورة فى القاهرة (١٢) وإلى جانب ذلك فقد تشجعت

الدولة العثمانية على الانضمام الى بريطانيا والروسيا في تحالف ضد فرنسا في يناير من عام ١٧٩٩<sup>(١٣)</sup> كما أعلن السلطان سليم الثالث الجهاد الدينى ضد الفرنسيين في مصر ، وشارك العثمانيون في الحملات التى أرسلت لطرد الفرنسيين من مصر ، وقاموا بقطع العلاقات مع فرنسا ، والى جانب ذلك فقد ضمنت انجلترا سيادتها على البحار ، وعقدت تحالفات عديدة ضد فرنسا مما أدى الى تخرج موقفها .

### ثالثا : سياسة بوناپرت الاسلامية :

بعد تحطيم الأسطول الفرنسى في أبى قمر اختط بوناپرت في سياسته الداخلية لمصر خطة كانت لحيثها وسداها احترام شعائر أهل البلاد وتقاليدهم قولاً ونعلاً ثم الاعتماد في حكمته على جماعة المشايخ والعلماء وهم العنصر الدينى صاحب النفوذ بين طبقات الشعب حتى يتمكن من تسكين الاهالى<sup>(١٤)</sup> ومن هنا تشعبت جهود بوناپرت الاسلامية الى طرق متعددة نذكر منها .

١ — ان الأوامر والمنشورات التى أصدرها بوناپرت لجنده ولاهل البلاد تتضمن احترامه العميق للإسلام ولعلماء وائمة المسلمين .

٢ — اشترك بوناپرت في الاحتفالات الدينية والوطنية فاحتفل في العشرين من أغسطس عام ١٧٩٨م بالمولد النبوى الشريف ارضاء للمسلمين واستجلابا لمساعدتهم وعن ذكر يذكر الجبرتى في حوادث الخامس من ربيع الأول ١٢١٣هـ فيقول « سأل هارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا لم يعملوه كمعادتهم فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الامور وتوقف الاحوال ، فلم يتقبل وقال لابد من ذلك ، واعطى له ثلاثمائة ريال فرنسى معاونة ، وأمر بتعليق تماثيل واحبال وقناديل ، واجتمع الفرنسية يوم المولد ولعبوا في ميادينهم وضربوا طبولهم »<sup>(١٥)</sup> .

وفى أول سبتمبر ١٧٩٨م احتفل بوناپرت بتعيين أمير الحج<sup>(١٦)</sup> ، كما أخذ الفرنسيون اهبتهم للاحتفال بموكب كسوة الكعبة المشرفة ، وفى العاشر من فبراير ١٧٩٩م احتفل الفرنسيون بطول شهر رمضان المبارك احتفالا ضخما ، وصاروا يترددون على كبراء المصريين ومشايخهم « ويأكلون

معهم في وقت الانطار ويشاهدون نظامهم وترتيبهم ، ويحذون حذوهم» (١٧)  
كل ذلك في محاولة لجذب قلوب المصريين اليهم باستمالتهم والتقرب منهم  
حتى يطمئن الاهالى اليهم .

والى جانب ذلك فقد احتفل الفرنسيون بعيد الاضحى في ذى الحجة  
١٢١٣ هـ ف ضربوا مدافع من القلعة عند الشروق وذلك اعلاما بالعيد .

٣ — وفي محاولة من بونايرت لاضعاف مركز الدولة العثمانية في  
مصر واحياء مركز القاهرة الدينى عمل على اظهار السلطان العثمانى  
بمظهر غير المهتم بالمصلحة الدينية الاسلامية ، والعاجز عن الاضطلاع  
بأعباء مهام مناصبه الدينية ، كما قام بعزل القاضى العثمانى في مصر  
في يونيو من عام ١٧٩٩م وطالب المشايخ باختيار أحد المصريين في هذا  
المنصب ، ولما اجتمعت كلمة العلماء على اختيار الشيخ «أحمد العريشى»  
الحنفى لتولى القضاء البسه بونايرت ثروة ثمينة ، كما اصدر منشورا  
بذلك طبع منه عدة نسخ ألصقت بالأسواق (١٨) .

٤ — المكاتبات التى ارسلها بونايرت الى الامراء المسلمين في الحجاز  
والشام والعلاقات التى حاول تكوينها معهم تدل على محاولته  
اكتساب مودتهم وعلى سبيل المثال فقد عرض بونايرت على الشريف  
غالب في مكة بعض الاتفاقات التجارية كما ارسل عدة رسائل  
الى بعض امراء العرب في مسقط وغيرها يخطب فيها ودهم (١٩) .

٥ — اهتمام بونايرت باقناع المسلمين في مصر ان الفرنسيين يعتنقون  
الاسلام حقيقة .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد اساء المصريون الظن بالفرنسيين  
وشككوا في نياتهم خصوصا وانهم ظلوا يشربون الخمر الذى حرم الاسلام  
شربه ، كما انهم لم يهتموا وقد أكد الجبرتي هذه الشكوك في نوايا  
الفرنسيين بقوله ان الله أعلم بنواياهم الحقيقية ومقاصدهم من تلك  
المجاملات .

ونتيجة لذلك تدهورت العلاقات بينها خصوصا بعد رفض العلماء  
تطبيق شارة الثورة الفرنسية — ذات الالوان الثلاثة — على صدورهم

بناء على أوامر بونايرت ، ثم حدثت بعد ذلك ثورة القاهرة الأولى ، ولم يبال المشايخ بأخمادها مما جعل أسلوب بونايرت في التعامل معهم يزداد سوءا .

#### رابعا : ثورة القاهرة الأولى :

وعلى الرغم من محاولات بونايرت المتعددة لاستمالة المصريين فقد ظل الأهالي على اعتقادهم بأن الفرنسيين إنما هم أعداء الدين الاسلامي ، وإلى جانب هذا النفور والعداوة الدينية كانت هناك العديد من الأسباب نذكر منها :

١ - خروج الفرنسيين ومعهم النساء والبنات الفرنسيات مكشوفات الوجوه في الطرقات ، وشربهم الخمر ، وإقامتهم حفلات الرقص علانية وعدم تقيدهم بتعاليم الدين الاسلامي وآدابه .

٢ - هدم بعض الجوامع والمنارات في بركة الازيكية لأجل توسيع الطرقات ، وإقاموا الحصون مما أثار مشاعر المصريين .

٣ - سوء الاحوال الاقتصادية وتدمير المصريين من ترتيبات الفرنسيين الاقتصادية وتنظيماتهم المالية ، وبخاصة بعد اعتماد الفرنسيين على موارد البلاد في تمويل جيشهم نظرا لتدمير الاسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية (٢٠) .

٤ - كتابات أحمد باشا الجزار الى المصريين واستنهابهم ضد الفرنسيين ، وحثهم على الثورة .

٥ - فرض بونايرت لضرائب والغرامات على التجار ، وانقضاء كواهلهم بمطالبه ، وتذرعه بشتى الوسائل لجمع الاموال منهم .

ونتيجة لذلك تألفت في الأزهر لجنة جمعت حولها النشطاء على الحكم الفرنسي والكارهين له ، وقد أذاعت هذه اللجنة أن بونايرت إنما يريد إرغام المسلمين على اعتناق المسيحية كما أعلنت أن جيشا من المماليك والعثمانيين سوف يحضر قريبا الى الشواطئ المصرية لطرد

الفرنسيين ، وقد اشترك في التحريض على الثورة الائمة والمؤذنون وغيرهم من رجال اندين حتى انفجر بركانها فهاجم المصريون القوات الفرنسية وقاموا بعمل المتاريس وقتلوا الكثير من الجند الفرنسيين .

وقد اتخذ بونايرت كافة الاجراءات العسكرية للقضاء على الثورة فوزع قواته لاحتلال الازبكية ، كما احتل جزءا من جيشه المرتفعات بين القاهرة والقبة ، واصدر اوامره الى قواته بمهاجمة الأزهر ، واطلاق المدافع عليه اذا اقتضى الامر ما جعل الناس ينادون « ياسلام من هذه الآلام ياخذى الأنطاف نجنا مما نخاف » (٢١) . وقد استطاع بونايرت اخساد الثورة بعد أن فقد حوالى الخمسين من جنوده بينما فقد الثوار ما يزيد على الالفين وخمسمائة ، وبعدها أرسل عددا من فرسانه بجيادهم فدخلوا الأزهر وحطموا قناديله ونهبوه ، وارتكبوا فيه المعاصي، وانتهكوا حرمة وجعلوه اصطبلا لخيولهم .

وبعد أن التمس العلماء من بونايرت اخراج خيوله من الأزهر ، والتوقف عن الضرب أجاب ملتسهم بعد أن أخذ منهم الموائيق على عدم تنشيط حركة الثورة بين الأهالى ضد الفرنسيين ، واتهامه لهم بالتقصير فى معالجة الأمور .

وعن نتائج هذه الثورة فقد كانت جد خطيرة وفيما يلى نعرض لها .

١ - غيرت هذه الثورة من سياسة التودد الى الأهالى التى كان يتبعها بونايرت الى سياسة الشدة والصرامة مع المصريين ، فعطل الديوان لمدة شهرين ، كما شدد فى معاقبة المحرضين على الثورة لدرجة وصلت الى حد الاعدام ومصادرة الممتلكات .

٢ - امتداد الاضطرابات الى بقية انحاء القطر المصرى فى الوجهين البحرى والقبلى .

٣ - انتهاز النصارى والأروام الفرصة ، ومحاولاتهم الايقاع بالمسلمين .

٤ - سجن الفرنسيين لبعض المشايخ ، وقيام الشيخ السادات بالتشفع لهم .



### خامسا : حملة بونابرت على بلاد الشام ١٧٩٩م :

على الرغم من حرص بونابرت عند خروجه للحملة على مصر بالاحتفاظ بعلاقات ودية مع الدولة العثمانية فان هزيمة اسطوله في ابي قير قد شجع السلطان العثماني على اعلان الحرب عليه وقطع العلاقات مع فرنسا مما ادى الى تازم العلاقات بين الطرفين . وقد حاول بونابرت استمالة بعض اصحاب النفوذ في البلدان التي توقع ان تغزوه منها الجيوش العثمانية فكتب الى عبد الله باشا العظم والى دمشق ، وكتب الى احمد باشا الجزائر رسائل يؤكد فيها انه لم يكن يوما ما عدوا للمسلمين ، وانه انما حضر الى مصر للانتقام من المالك وليس لقتال المسلمين ونفى الشائعات التي تقول انه يريد الاستيلاء على بيت المقدس وتهديم الدين المحمدي (٢٢) . غير ان كافة هذه المساعي كان نصيبها الفشل التام خصوصا بعد ان اعلنت الدولة العثمانية الجهاد الديني ضد فرنسا .

ونتيجة لذلك وخشية من مهاجمة العثمانيين وحلفائهم للقوات الفرنسية في مصر ، قرر بونابرت مبادرة اعدائه بالهجوم والزحف على بلاد الشام ، وفي السادس من فبراير ١٧٩٩م بدأت مقدمة الجيش الفرنسي بالتقدم الى العريش ثم الى غزة ، وبعدها استولى بونابرت على الزملة ، وضرب نطاق الحصار حول يافا ، وبعد ان استسلمت حامية يافا وقع في يده اربعة آلاف اسير فامر بقتلهم بالرصاص ، وبعدها اباح لجندة تلك المدينة يومين يفعلون فيها وباهلها ما يشاؤون .

وفي الثامن عشر من مارس ١٧٩٩م بدأ بونابرت في حصار عكا وكان حصارا طويلا شاقا استمر ثلاثة شهور ، وقد صمدت عكا امام الفرنسيين نتيجة للأسباب الآتية :

- ١ — مناعة حصون عكا وصمودها امام قصف المدفعية الفرنسية .
- ٢ — استيصال احمد باشا الجزائر ورجاله في مقاومة الفرنسيين .
- ٣ — مساعدة الاسطول الانجليزي بقيادة « سدن سميث » من البحر لاهالي عكا ، واعدادهم بالسلاح والمؤونة .

#### ٤ - انتشار وباء الطاعون بين أفراد الجيش الفرنسى .

ونتيجة لذلك أخفق بونابرت مع عكا على الرغم من الجهود التى بذلها وقد يرجع ذلك الى قلة معدات الحصار التى كان يمتلكها . ولما بنس بونابرت من ذلك قام برفع الحصار عنها والعودة الى مصر فى الخامس عشر من يونيو بعد أن تكبدت قواته خسائر كبيرة . ولكى يخفى بونابرت ما حدث له فى عكا دخل القاهرة فى موكب كبير بسط فيه انتصاراته فى يافا كبا أوضح أن سبب رجوعه الى مصر هو ما بلغه من قيام بعض المفسدين بتحريك الفتن والشروع فى غيابه . على أن المقام لم يطل ببونابرت طويلا فى القاهرة حيث جاءت الأخبار عن وصول حملة عثمانية الى مصر ، ونزول الأتراك الى شاطئ أبى قير فى ١٤ يوليو فانتقل بونابرت الى الرحمانية ، واتخذ مقر قيادته بالاسكندرية ، وهناك انتقض على القوات العثمانية فى معركة حامية استطاع خلالها هزيمة العثمانيين فى معركة أبى قير واصابة قائدهم بجروح خطيرة<sup>(٣٣)</sup> ثم عاد بعدها الى القاهرة وهناك علم من الصحف أن فرنسا أصبحت على حافة الهاوية نتيجة لانتصار الدول الأوروبية عليها وان واجبه يدعو الى العودة الى الوطن لانقاذ من أعدائه . ومن هنا قرر العودة السريعة الى فرنسا<sup>(٣٤)</sup> .

وقبل ان يغادر بونابرت مصر اختار الجنرال كليبر Klebere للقيادة حيث كان يرى أنه أكفأ القواد الموجودين مع الحملة فى مصر وأنه يستطيع أن يحفظ هذه المستعمرة من الضياع حتى تعقد فرنسا صلحا مشرفا مع أعدائها .

#### سادسا : الجنرال كليبر يتولى قيادة الحملة بعد نابليون :

غادر بونابرت مصر فى التاسع عشر من أغسطس ، وهو يحس فى أعماقه أن مصر الحملة آيلا للزوال ، لذلك خير كليبر بين أمرين هما :

١ - إبرام الصلح مع العثمانيين حتى ولو كان الجلاء عن مصر واعادتها الى السلطنة العثمانية من شروط الصلح الاساسية .

٢ - أرجاء الخروج من مصر ، او اخلائها اكبر مدة ممكنة الى ان يتم نهائيا عقد الصلح العام مع أعداء فرنسا<sup>(٣٥)</sup> .

وقد أقبل كليبر على مهمته الجديدة بكل نشاط ، كما أصدر في الثلاثين من أغسطس منشورا خاطب فيه أنجند فأعلن عليهم الأسباب القهرية التي حملت بونابرت على تقرير الرحيل الى فرنسا ، ومناهم بوصول نجدة قوية لهم من فرنسا عن قريب ، أو صلح مغلر يفسح لهم الطريق للعودة الى بلادهم . ولما أحس كليبر بخرج موقفه ، وثقل التبعة التي القيت على عاتقه خصوصا وأنه لا يمكنه البقاء في مصر طويلا بل يجب اخلائها ، والعودة بجنوده الى فرنسا فقد وطد عزمه على المفاوضة من أجل الجلاء عنها ، وأراد أن يستند في عزمه هذا على أن حالة الجيش والادارة قد بلغت درجة من السوء والارتباك تقضى على كل أمل في البقاء بمصر ، وأن أحوال الحملة في مصر تزداد سوءا يوما بعد يوم .

ونتيجة لذلك قرر كليبر فتح باب المفاوضات مع الصدر الاعظم العثماني « يوسف ضيا باشا » في السابع عشر من سبتمبر ١٧٩٩م بغرض الوصول الى صلح مع الدولة العثمانية . وقد تمسك ضيا باشا بعدم رغبته في الدخول في أية مفاوضة الا على اساس اجلاء الفرنسيين عن مصر من غير قيد أو شرط وقد كتب اليه كليبر يقول ان « الصلح اعظم خدمة يمكن أن تؤديها لوطنك ، والفرنسيون لا يخشون اعداءهم . . ولكنهم يعتبرون الحرب انقائمة بينهم وبين الباب العالي صديقتهم التقليدية حربا ضد انفسهم . . ومصر كانت لكم وستبقى لكم بل هي لكم اليوم أكثر منها بالأمس لأن المالك قد اقصوا عن حكمها ولن يحكموها بعد الآن » .

وقد رد الصدر الاعظم على رسالة كليبر بقوله « ان الفرنسيين اعتدوا على مصر دون سابق انذار ، واحتلوا هذا البلد التابع مباشرة للباب العالي . . أما وقد بدأ من جانب فرنسا ميل صحيح الى الصداقة القديمة مع الباب العالي فان الصدر الاعظم يقبل أن يعفو عنها ، ويعيد جميع الفرنسيين الموجودين في مصر الى بلادهم آمنين سالين » (٢٦) .

وعندما علم سددنى سميث بأمر هذه الاتصالات قرر مباشرة التدخل في المفاوضات ، وأعلن أنه من المتعذر انسحاب الفرنسيين من مصر ، وعودتهم الى وطنهم من غير موافقة بريطانيا فهي صاحبة السبطرة البحرية والكلمة العليا ، وان الموقف السياسي في اوربا لا يدعوه الى

الرغبة في السلام مع الفرنسيين . ونتيجة لذلك أرسل كليبر الى مفاوضيه بمقترحات جديدة تنازل فيها عن أكثر الشروط المقيدة للجلاء عن مصر ، ورحب بتدخل « سيدنى سميث » في المسألة لاقتناعه بأن المفاوضات من المحتمل أن تصبح مقدمة لعقد السلام العام كما أعلن أن تركيا ستستعيد مصر بمجرد عقد الصلح بين فرنسا وبريطانيا والباب العالي ولكن سميث تشدد في موقفه خصوصا وأنه رأى خطورة السماح للجيش الفرنسي بالعودة الى بلاده بسلحاه ومهمات في وقت تحارب فيه بلاده فرنسا ، أن هذا الجيش بوجوده في مصر يكون أقل ضررا من وجوده في فرنسا خصوصا وأن كليبر كان يرى أهمية خروج جيشه من مصر بسلحاه وذخائره وامتنعته مع حقه في العمل العسكرى في أى مكان بعد عودته الى فرنسا وخلال هذه الآونة سقطت قلعة العريش في أيدي العثمانيين ، مما كان له أكبر الأثر في ازدياد رغبة كليبر في إبرام الصلح بكل سرعة ممكنة<sup>(٢٨)</sup> ، ولهذا طلب من مفاوضيه التساهل في الأمر وضرورة الاهتمام بالمسائل التالية :

١ — ألا تدخل الجيوش العثمانية أو الانجليزية مصر الا عند وصول سفن النقل الى الموانئ المصرية التى ترحل منها الحملة وهى السفن التى ينبغى على المصدر الاغظم اعدادها وتجهيزها بالمئون .

٢ — يجب اعطاء التعهدات اللازمة لضمان ملاحظة تنفيذ المعاهدة والهدنة التى تتبعها ملاحظة دقيقة .

٣ — لا ينبغى أن يقيد حق جيش الحملة عند عودته الى فرنسا في العمل ضد كافة الأعداء .

ومعنى ذلك أن كل هجوم كليبر قد انحصرت في مجرد الجلاء دون قيد أو شرط سوى اعطاء الجيش العائد الى وطنه حرية العمل في الميدان الأوربي ، ثم نقل جيشه على سفن العدو الى بلاده .

وفي هذه الانثناء انتقل كليبر من القاهرة الى الصالحية ، ثم جمع قواته على الحدود ، وكان غرضه تأييد المفاوضات من جهة ثم الاستعداد لمواجهة الطوارئ من جهة أخرى .

وفي ٢٤ من يناير ١٨٠٠م تم توقيع اتفاقية العريش وهي تتألف من مقدمة ، و ٢٢ بندا تبين كيفية انسحاب الجيش الفرنسي من مصر بسلاحه وعتاده في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ الاتفاق فتضمن البند الأول « ان الجيش الفرنسي سواي يلزمه ان يتنحى بالأسلحة والعزال بالامتعة الى الاسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل ان يتوجه ، وينتقل بالمرائب الى فرنسا ان كان ذلك في مراكبهم الخاصة بهم ، أم في تلك التي يقتضى الباب العالى أن يقدمها لهم » (٢٨) .

أما باقى البنود فقد كان أهمها :

١ — تتوقف العمليات الحربية في مصر لمدة ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاق يقوم الباب العالى خلالهما باستحضار السفن اللازمة لنقل الفرنسيين الى بلادهم .

٢ — الاتفاق على مواعيد اخلاء المدن والأقاليم المصرية من الجيوش الفرنسية .

٣ — عدم التعرض للقوات الفرنسية في اثناء انسحابها ، ووجوب وسائط بين الطرفين ، واخذ الضمانات اللازمة بذلك .

٤ — الافراج عن المسجونين والمجوزين من كلا الطرفين ، ورد الاموال والممتلكات العامة لأصحابها .

٥ — عدم التعرض للنصارى الذين ساندوا الفرنسيين .

٦ — تقديم ما يلزم الجيش الفرنسي من الطعام والغذاء خلال فترة الانسحاب (٢٩) .

وهكذا غرض الفرنسيون على الجانب العثماني التزامات معينة في سبيل الجلاء عن مصر ، كما اشترطوا أن ينسحب الجيش الفرنسي بكامل أسلحته وامتعه وأن يتوفر له الأمان خلال عودته الى فرنسا ، يضاف الى ذلك أن المفاوضات الفرنسية اشترط رعاية مصالح فرنسا في ممتلكات الدولة العثمانية .

وقد وافق بونابرت الذى كان قد تدبوا مركز القنصل الأول فى فرنسا على هذه المعاهدة مقدرا صعوبة موقف كليبر ، وإلى جانب ذلك كان سرور أهل القاهرة عظيما بعد ذبوع انتفاضة العريش ، وقد وصف الجبرتى ذلك بقوله ان الناس « نظروا للفرنسيين بعين الاحتقار ، وانزلوهم من درجة الاعتبار ، وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتناولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصالح مكانا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقا وطوائف ، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقضى بأعلى أصواتهم ، بلعن النصارى وأعاونهم وأفراد رؤسائهم » (٣٠) .

وقد بدأ الفرنسيون فى تنفيذ معاهدة العريش عقب إبرامها فنقلوا معداتهم وأمتعتهم الى الاسكندرية ، وبدلوا فى الاستعداد للرحيل بنشاط كما سلموا دياط ، وعزبة البرج الى الأتراك ووافقوا على وصول الجيش العثمانى الى بلييس واقتربه من القاهرة (٣١) ولكن الأمور سرعان ما تطورت فى غير صالح الاتفاقية حيث هدمت بريطانيات ثمرات المجهودات التى بذلها المفاوضون ، واعترضت على عودة الجيش الفرنسى بأجمعه دفعة واحدة الى فرنسا لما فى ذلك من الخطر على مصلحة الحلفاء فى الحرب الأوربية الدائرة ضد فرنسا .

وقد يتساءل البعض على السبب الذى دفع الانجليز الى ذلك وهم الذين جاءوا أصلا لمحاصرة الفرنسيين بهدف اخراجهم من مصر .

الواقع انه بجانب ما ذكر حول خطورة السماح لقوات كليبر بالعودة الى فرنسا فى وقت يحارب فيه بونابرت أوروبا فان الأسطول البريطانى كان قد اعتقل سفينة فرنسية تحمل رسائل من كليبر الى حكومته يوضح فيها الحالة المؤلة لجيشه ، وانتشار الأمراض بين أفرادها ، وقلة عدده ، ونتيجة لذلك حاول الانجليز انتهاز هذه الفرصة وأصروا على تسليم الفرنسيين المحاصرين فى مصر كإحدى حرب أو بقائهم محصورين بها ومنوعين من الاتصال بفرنسا حتى يفنوا فى هذه البلاد عن آخرهم (٣٢) .

ونتيجة لذلك اوقف كبير عملية سحب قواته ، وقرر تأجيل اخلاء القاهرة ، كما اعتبر وصول الجيش العثماني الى مشارف القاهرة عملا عدوانيا ينبغي مقاومته . ولما تمسك العثمانيون بضرورة اخلاء القاهرة ، وتسليم كافة القلاع واخلاء الوجه البحرى بدعوى ان رفض الانجليز للمعاهدة غير ذات اهمية وبدأوا في توزيع المنشورات ضد الفرنسيين اعداء الاسلام قرر كبير قتالهم ، ووقع بهم هزيمة كبيرة عند هليوبولس اجبرتهم على الفرار وخلال ذلك اشتعلت ثورة القاهرة الثانية ( ١٨٠٠م ) واعمل الاهالى القتل في الفرنسيين <sup>(٣٣)</sup> واقاموا المتاريس حول الازهر ، وشرعوا في مهاجمة المواقع الفرنسية ، كما امتدت الثورة الى الوجه البحرى ، وقد استخدم كبير أساليب القمع والتدمير لاضمار هذه الثورة وكان على رأس هذه الأساليب احراق احياء القاهرة مما اجبر أهلها على التسليم ، ثم بدأ في الاقتصاص منهم ومن مشايخهم ففرض عليهم الغرامات الباهظة للانفاق منها على جيشه ، كما فرض الغرامات على العديد من مدن الوجه البحرى والى جانب ذلك جمع الديوان وبيع اعضاءه وأنبهم لاشتراكهم في الثورة وقد وصف الجبرتى ذلك بقوله « أغلق بينه وبينهم الباب .. فبهتت الجماعة وانتفعت وجوههم ، ونظروا بعضهم الى البعض ، وتحيرت افكارهم .. ولم يزلوا على ذلك الحال الى قرب العصر ، حتى بال أكثرهم في ثيابه » .

ونتيجة لهذه السياسة القاسية نفرت قلوب الناس من كبير وازداد سخطهم ضد الفرنسيين ، وادى في النهاية الى مصرعه على يد سليمان الحلبي ذلك الشاب السورى الذى كان يتلقى العلم في الازهر . وقصة ذلك ان كبير ذهب في الرابع عشر من يونيو ١٨٠٠م مع المهندس «بروتان» لتفحص اعمال الترميمات الجارية في مقر القيادة العامة بالازكية وبينما هما يسيران طلع عليها سليمان الحلبي في صورة شاب متسول يطلب صدقة ، فاشار اليه كبير بالرجوع فلم يرجع بحجة ان له حاجة وهو مضطر في قضائها فلما دنا منه مد اليه يده اليسار كانه يريد تقبيل يده فمد اليه الاخر يده فقبض عليه ، وضربه بخنجر كان قد أعده في يده اليمنى اربع ضربات متوالية نشق بطنه وسقط كبير على الأرض مخرجاً دمه ، ولما حاول بروتان مساعدته ضربه سليمان بالخنجر

ثم فر منزويا في البستان المجاور لببيت سارى العسكر حتى تم القبض عليه (٣٤) .

وقد اظهر الفرنسيون في اثناء محاكمتهم لسليمان الحلبي قدرا كبيرا من رباطة الجأش ، كما أصروا على محاكمة سليمان الحلبي وشركائه محاكمة عادلة قبل تنفيذ الحكم فيهم .

وقد وصف الجبرتي ذلك المسلك بقوله « قبضوا عليه — يتصد سليمان — وقرروه ولم يعجلوا بقتله ، وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ، ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأمرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا القاتل ، وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة ، ثم أحضروا من أخبر عنهم ، وسألوهم على انفراد وجتمعين ثم نفذوا الحكم فيهم بما اقتضاه التحكيم » (٣٥) حيث صدر في السادس عشر من يونيو حكم بادانة سليمان الحلبي قاتل كليبر ، وبادانة أربعة من المشايخ كمركاء للقاتل بحجة انهم علموا بنوياه ولم يبلغوا عنها .

### مينو وقيادة الحملة :

وبوفاة كليبر انتقلت القيادة الى مينو Menou أحد انصار التجربة الاستعمارية في مصر والذي كان يعتقد أن التمسك ببقاء الفرنسيين في مصر الى النهاية سيعود على فرنسا بأعظم الفوائد ، والذي قطع في سياسته تجاه التقرب من المسلمين شوطا بعيدا حيث اعتنق الاسلام ديناً وسمى نفسه « عبد الله » وعقد قرانه على السيدة زبيدة بنت السيد محمد البواب إحدى سيدات البيوت المعروفة في رشيد ، وأتجب منها ابناً اسماه « سليمان مراد » .

وقد وجد مينو من بين ضباط الحملة من يشاطره الآراء حول البقاء في مصر والاستقرار فيها (٣٦) .

وبعد أن تمكن مينو من زمام الأمور كان أمامه أن يختار بين أمرين هما إما التخلي عن سياسته الاستعمارية وهي سياسة البقاء في مصر ، وإما الاستمرار عليها .



وقد أوضح مينو في ندائه الى جيشه انه اختار المضي في سياسته الاستعمارية حتى تأتية اوامر صريحة في هذا الشأن من فرنسا واذا كان الانجليز أو العثمانيون لهم رأى آخر في ذلك الموضوع فعليهم مواصلة سعيهم لدى حكومة القنصل الاول في باريس . وقد استرشد مينو في سياسته الداخلية طريقة انه صاحب الحق في ان ينفرد بصفة المشرع واختصاصاته الذي يحق له معالجة امهات المسائل الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ونتيجة لذلك وجه عنايته في بداية الامر الى اصلاح الادارى ، ومراقبة كل ما يتصل بتموين جيشه ، والضرب على ايدي المتلاعبين بالأسعار ، وتنظيم مالية الحملة ، وضبط وسائل الاشراف عليها كما شكل مجلسا خاصا يضم الرؤساء العسكريين والمدنيين للنظر في شئون الحملة ، ولكن الأمور لم تكن في صالح مينو حيث جاء النيل منخفضا مما زاد من استمرار الضيق الاقتصادي ، كما عمد الفلاحون بسبب ذلك الى الفرار من قراهم تخلصا من دفع الضريبة ، يضاف الى ذلك ان الحصار الذي فرضه الانجليز على الشواطئ المصرية ومنعهم لتجارة الوارد والصادر قد زاد من ضيق الأهالى وتذمرهم من ادارة مينو ، وشكواهم من الضرائب <sup>(٢٧)</sup> مما ادى الى توقف النشاط الاقتصادى وتعطيل الانتاج .

وخلال تلك الفترة تعرض مصير الحملة الفرنسية لمخاطر اتساق الانجليز مع العثمانيين على اخراج الانجليز من مصر عن طريق الحرب بعد فشلهم في اقناع مينو بالجلء على مصر بالطرق الدبلوماسية فقد ارسل العثمانيون والانجليز ثلاث حملات على مصر لطرد الفرنسيين منها تم توزيعها كالآتى :

- ١ — قوات بحرية مشتركة يتم انزالها الى الشواطئ المصرية
- ٢ — قوات عثمانية تزحف من يافا على الحدود الشرقية وتنزل على السويس .
- ٣ — قوات انجليزية تأتى من الهند .

ومعنى ذلك أن هذه القوات سوف تطبق على الجيوش الفرنسية

من الشمال والشرق والجنوب مما كان له اكبر الاثر على خطط مينو واجراءاته . ومع انه كان في استطاعة الفرنسيين تعطيل زحف الجيوش الغازية الى داخل البلاد ، فان عجز مينو ، وعدم درايته بفنون القتال ، ومثّل قيادته قد ادى في النهاية الى هزيمة الفرنسيين فى معركة « كانوب » الحاسمة تلك المعركة التى قضت على مصر جيش الشرق فى مصر والتى جاءت خسارتها فى الحقيقة مؤذنة باجلاء الفرنسيين عن مصر ، وطردهم منها فى عام ١٨٠١م فقد سقط من الفرنسيين فى هذه المعركة حوالى الالف ، وجرح منهم حوالى المائة والالف (١٨) ونتيجة لذلك بدا الجنود الفرنسيون يرفضون اوامر قوادهم بعد ان نفد صبرهم . واستمر الزحف الانجليزى العثمانى داخل مصر حيث اقتربوا من اهرامات الجيزة ، ثم بدأوا فى الزحف على القاهرة من الشمال والشرق والجنوب ، كما قطعوا كل الطرق بينها وبين البلدان المجاورة . ولما ضيقت الجيوش الزاحفة الخناق على القاهرة « عزت الاقوات وشحت زيادة على قتلها وخصوصا السممن وانجن والاشياء المجلوبة من الريف » (٣٩) وانتهى الأمر بقرار القائد الفرنسى « بليار » بتسليم القاهرة لاستحالة قواته الدفاع عنها ، على ان يتم ذلك بعد اتفاق مع الانجليز بشأن تقديم كل الوسائل التى تمكن الفرنسيين من العودة الى بلادهم بسلام .

وقد نصت شروط الاتفاق بين الطرفين على ذلك حيث تعهد الانجليز والعثمانيون بتقديم كل وسائل النقل وما يحتاج اليه الجيش المنسحب من اغذية ومؤن الى جانب اعداد السفن الحربية اللازمة لحراسة الفرنسيين فى اثناء عودتهم الى بلادهم بطريق البحر المتوسط ، كما تعهدوا أيضا بأن يحمل اعضاء لجنة العلوم والفنون الفرنسية كل ما لديهم من اوراق متعلّقة ببحوثهم واعمالهم الى جانب اوراقهم الخاصة وغير ذلك من الاشياء التى يملكونها .

وهكذا حصل « بليار » على الشروط التى سبق ان قبلها كبير فى اتفاقية العريش ، ورفضها الانجليز .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد رفض مينو الانسحاب من الاسكندرية

وقرر تحصينها ، ولكن الانجليز شددوا حصارهم عليها ، مما اضطر مينو في النهاية الى التسليم والجلء عن مصر في عام ١٨٠١م وبذلك انطوت صفحة الحملة الفرنسية كهفارة جريئة وعادت مصر الى حوزة العثمانيين .

### نتائج الحملة الفرنسية على مصر :

على الرغم من فشل الحملة من الناحية العسكرية وعلى الرغم من قصر مدتها فقد كان لها آثار عديدة من النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية ليست على مصر فحسب بل على البلدان المحيطة بها أيضا فقد خلف الفرنسيون وراءهم آثارا عديدة غيرت من حياة الاهالى ، وجمعتهم على ترك الماضى وتهم انماط الحكم الحديثة والانتاج والبحث العلمى ، ومع ذلك فان عدم فهم الفرنسيين لنفسية الشعب المصرى كان السبب الرئيسى فى حدوث العديد من الاضطرابات والثورات ضدهم ، كما كان من اكبر الاسباب فى فشل تجربتهم الاستعمارية فى بلاد الشرق . وعلى الرغم من محاولات الفرنسيين استمالة المسلمين بسياساتهم الاسلامية وايهامهم للمصريين بانهم انما جاءوا الى مصر لتحريرهم من نير البكوات المالك ، واقامة حكومة عادلة تهتدى بهدى القرآن الكريم وتسترشد بتعاليمه فانهم فوجئوا بثورات القاهرة والأقاليم ضدهم<sup>(٤٠)</sup> مما دفعهم الى تغيير سياستهم تجاه المصريين واتخاذ العنف وسيلة للتعامل معهم وفيما يلى نعرض لاهم نتائج الحملة .

### اولا — الآثار والنتائج السياسية :

١ — وجهت الحملة الأنظار الى أهمية موقع مصر الجغرافى مما جعلها ميدانا للسياسة الدولية ، وبابا لطريق الهند والشرق الاقصى<sup>(٤١)</sup> ومنذ ذلك الوقت ظهرت المسألة المصرية وأخذت انجلترا تتطلع للاستيلاء على مصر .

٢ — لفتت الحملة أنظار أوروبا الى ضعف الدولة العثمانية ، وعدم قدرتها على حماية ولاياتها ، مما شجع على دفع عجلة الهجوم الاستعماري على البلاد العربية والاسلامية .

٣ — ظهور الصراع بين المالك والعثمانيين حول السيطرة على زمام الأمور فى مصر مما مهد الطريق لظهور محمد على .

٤ - ظهور الوعي القومي بين المصريين المتمثل في معارضتهم للاحتلال الفرنسي ، والقيام بالثورات ضدهم ، مما كان له ابلغ الأثر في بلورة الشخصية المصرية واشتراكها في معترك الحياة السياسية بعد خروج الحملة .

٥ - اشراك بوناپرت للمصريين في الحكم عن طريق الدواوين فتح امامهم الطريق لادارة شئون بلادهم بأنفسهم وايقتظ الشعور الوطنى لديهم .

### ثانيا : الآثار والنتائج الاقتصادية :

١ - توقفت التجارة الخارجية بين مصر وعالم البحر المتوسط وتدهورت أمور مصر الاقتصادية نتيجة لحصار الاسطول الانجليزى لشواطئها ، وامتناع ورود التجارة او تصدير المحصولات الى الخارج .

٢ - أدى تحطيم الاسطول الفرنسى فى أبى قير عام ١٢١٣ هـ الى اعتماد الفرنسيين على موارد مصر الاقتصادية اعتيادا كاملا بعد انقطاع سبل الاتصال بينهم وبين فرنسا ونتيجة لذلك فرضوا الضرائب التى اثقلت كاهل الأهالى مما ساعد على اضطراب احوال البلاد وزيادة النفوضى .

### ثالثا : الآثار والنتائج العلمية :

١ - لقد خلفت الحملة الفرنسية آثارا واضحة في ميدان العلوم والفنون والتاريخ ويرجع السبب في ذلك الى قيام العلماء الفرنسيين بالعديد من الدراسات لكشف النقاب عن تاريخ مصر القديم وآثارها ودراسة مناخها وطبيعة أرضها ونيلها ، وحيوانها ونباتها وأجناسها وعادات شعوبها وغير ذلك وسجلوا كل ما كتبوه في كتاب ضخيم عنوانه وصف مصر Description De L'Egypte . وهذا الكتاب يعتبر وبحق من اكبر الموسوعات التى وضعت في تاريخ مصر وجغرافيتها ووصف أرضها وتربيتها ونيلها وترعها وآثارها وموارد ثروتها ومناخها وعادات اهلهم وتقاليدهم وتجارتهم وزراعتهم وصناعتهم ولا شك في ان هذا الانثر العلمى كان اعظم آثار الحملة الفرنسية على مصر ، وابقاها خلودا على مر الدهور والعصور . (٤٢)

٢ — أمر بونابرت بتأسيس المجمع العلمى فى مصر Institut d'Egypte بهدف اشاعة العلم والعرفان ودراسة المسائل والأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية الخاصة بمصر ونشرها .

وقد قسم المجمع الى اربعة اقسام هى الرياضيات ، والطبيعيات ، والاقتصاد ، والآداب والفنون وكل قسم يتكون من ١٢ عضوا .

٣ — عرفت مصر الطباعة عن طريق الحملة حيث جلب بونابرت معه الى مصر آلتين للطباعة بقيت احدهما بالاسكندرية وكانت تحتوى على ثلاثة مجموعات من الحروف عربية وفرنسية ويونانية وقد عمل عليها المستشرق « مارسيل Marcel » ومعه واحد وثلاثون من المساعدين ، وقد طبع عليها اول كتاب صدر فى مصر وهو « تطبيقات فى العربية الفصحى » أما المطبعة الثانية فكانت بالقاهرة وطبعت عليها جريدة

Le Courrier de L'Egypte

لوكورييه دى ليجبت اى « بريد مصر » وكذلك صحيفة Le Décade Egyptien لاديكاد اجبسين اى « العقد المصرى » وهاتان الصحيفتان تعتبران البداية الاولى للصحافة المصرية .

ولقد كان ادخال الطباعة الى مصر بمثابة نهاية لعزلتها عن اوربا (٤٣) .

٤ — كان من اهم آثار الحملة العلمية هو اكتشاف حجر رشيد الذى فك رموزه العالم الفرنسى « جان فرانسوا شامپليون Champollin » مما ادى الى الكشف عن اصول الكتابة المصرية القديمة والى انتشاع الغموض الذى كان يحيط بحياة المصريين القدماء وتاريخهم وحضارتهم (٤٤) .

٥ — دراسة مشروع شق قناة تصل بين البحرين المتوسط والاحمر .

٦ — كون العلماء الفرنسيون مكتبة كبيرة فى مصر ، كما ترجموا العديد من العلوم الطبيعية والطبية .

### رابعا : الآثار والنتائج الاجتماعية :

نتيجة لعدم تعرف الفرنسيين على اخلاق المصريين وما درجوا عليه

من أساليب الحياة القائمة على التمسك بالتقاليد الإسلامية فإن ما استحدثوه من إصلاحات لم يرض عنها المصريون بل اعتبروها من البدع المستهجنة، وازداد الحال سوءا عندما تمتد الأروام والشوام واليهود جرح شعور المسلمين ، والاستهزاء بعاداتهم وتقاليدهم وفيما يلي نعرض لذلك :

١ — ارتكاب الفرنسيين للمعاصي والمخازى جهرة ودون احتشام فكانوا يأكلون ويشربون خلال الصوم وعلى مرأى من المسلمين .

٢ — اعتداء أرزال الفرنسيين على حرمت المسلمين وعدم احترامهم لعاداتهم وتقاليدهم ودينهم مما أدى الى استثارة روح النخوة والشهامة بين الأهالى وثورتهم الجامحة على الفرنسيين ، وجعل إقامة الفرنسيين في القاهرة غير محتملة .

٣ — الاستهتار بالتقويم الإسلامية ، وخروج بعض الفرنسيين مع نسائهم في الشوارع وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويركبن الخيول والحمر ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكاريه معهم وخرائيش العامة مما اعتبره المصريون فحشا وفجورا .

٤ — قيام الفرنسيين بهدم أبواب الحارات والدروب والأزقة لسهولة الحركة في الشوارع ، وحرصا على سلامة جنودهم وعدم تحصن الأهالى داخلها كل ذلك أدى الى ازعاج القاهريين وتذمرهم .

٥ — ارغام الفرنسيين للأهالى على اضاءة الشوارع والأسواق والحارات والقناديل أدى الى ازدياد روح التذمر بينهم (٤٥) .

٦ — استعلاء أسافل الشوام والأروام واليهود على المسلمين وانتهازهم استخدام الفرنسيين لهم في جباية الضرائب في الاضططاط في طلب الأموال والسخرية من المسلمين وإيقاعهم شتى المظالم بهم (٤٦) .

٧ — ظهور الطبقة الوسطى المصرية المتمثلة في العلماء والتجار واختفاء طبقة الحكام العثمانيين والماليك ساعد على حدوث تغيرات

اجتماعية هامة داخل مصر حيث قام ممثلوا الطبقة الوسطى بدور أساسى فى ادارة شئون بلادهم انداخلية بعد رحيل الفرنسيين .

### خامسا : الآثار والنتائج الصحية :

١ — ساعد اهتمام الفرنسيين بالشؤون الصحية وانشائهم للمستشفيات فى وقف انتشار الاوبئة والأمراض الخطيرة وحافظ على الصحة العامة مما كان له اكبر الأثر على صحة المصريين ، كما ان قيام أطباء الحملة بدراسة مختلف الأمراض والأوبئة المنتشرة فى مصر قد ساعد فى التعرف على كيفية القضاء على هذه الأمراض (٤٧) .

٢ — ساعدت الاجراءات التى اتخذها الفرنسيون للمحافظة على الصحة العامة كإرغام الأهالى على نشر امتعتهم وملابسهم على أسطح المنازل وفى أفنائها حتى تقتل الشمس الجراثيم المعلقة بها ، وإرغامهم على تطهير منازلهم وتنظيفها ورشها وتبخيرها ، ومراقبة تنفيذ الأهالى للإرشادات الصحية ، كل ذلك ساعد على وقف انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة ، وقلة الوفيات بها (٤٨) .

٣ — ساعد قيام الفرنسيين بالتشديد على دفن الموتى فى المقابر البعيدة عن المنازل فى وقف انتشار الأمراض والأوبئة وحصرها فى أضيق الحدود (٤٩) .

### سادسا : الآثار الادارية للحملة :

١ — عرف المصريون ولأول مرة نظام شهادات الميلاد وذلك بتقيد أسماء المواليد فى سجلات خاصة بهم .

٢ — انشاء الارشيفات لحفظ صور الشكاوى والمظالم .

٣ — محاربة التسول والشعوذة ، وتخصيص دار للمتسولين .

٤ — التبليغ عن المرضى في حالة انتشار الأوبئة ، وفرض نظام الحجر الصحى .

٥ — انشاء الديوان واختيار أعضائه بالانتخاب (٥٠) .

ومما سبق يتضح الأثر العميق الذى أحدثه الفرنسيون خلال احتلالهم لمصر في مجالات الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والادارة وغيرها مما كان له أكبر الأثر في ظهور فكرة تذازع الولاء بين الفكرة الدينية القائمة على طاعة الخليفة العثمانى والفكرة القومية التى نادى بالتححر من التبعية العثمانية .



## مراجع الفصل الأول

- (١) محمد مؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢م ص ١٢٥ — ١٢٦ .
- (٢) عدد ميجالون فى رسالة الى الحكومة الفرنسية بزايا الاستيلاء على مصر والسيطرة على البحر الاحمر ، واكد اهمية موقعها الجغرافى والتجارى بالنسبة لفرنسا .
- (٣) محمد مؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربى ص ٣٠ .
- (٣) فيشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث — ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع — القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ص ٥٣ .
- (٤) حول هذا الموضوع انظر . طلال المهتار : آثار حملة بوناپرت على مصر ، بيروت ، الجامعة اللبنانية ص ١٣ .
- (٥) أحمد حافظ عوض : فتح مصر الحديث أو نابليون فى مصر ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ص ٨٣ .
- (٦) شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٣٣ .
- (٧) المهتار : المرجع السابق ص ٥٤ .
- (٨) شكرى : المرجع السابق ص ١٣٥ .
- (٩) حافظ عوض : المرجع السابق ص ١٢٤ .
- (١٠) عبد المجيد نعنمى : أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ١٤٥٣هـ — ١٨٤٨م ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م ص ٢٨٥ .
- (11) Correspondance de l'armée d'Egypte, interceptées par l'escadre de Nelson, Paris An VIII, iv 191 — 2 .
- (١٢) شكرى : المرجع السابق ص ١٦٢ .
- (١٣) عوض : المرجع السابق ص ١٩٣ .
- (١٤) شكرى : المرجع السابق ص ١٦٣ .

- (١٥) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٣ حوادث يوم الجمعة خامس ربيع الأول ١٢١٣ هـ .
- (١٦) شكرى : المرجع السابق ص ١٦٧ .
- (١٧) الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ ص ٤٥ — ٥٠ .
- (١٨) شكرى : المرجع السابق ص ١٦٩ .
- (١٩) أحمد السباعى : تاريخ مكة ، مطبوعات نادى مكة الثقافى ١٤٠٤ هـ ص ٤٩٠ ، وأحمد عزت عبد الكريم : البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ص ٣٣٧ .
- (٢٠) شكرى : المرجع السابق ص ١٧٦ — ١٧٧ .
- (٢١) الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ .
- (٢٢) شكرى : المرجع السابق ص ١٩٢ .
- (٢٣) شكرى : المرجع السابق ص ٢٠٨ .
- (٢٤) فشر : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ص ٥٤ — ٥٥ .
- (٢٥) شكرى : المرجع السابق ص ٢٣٧ .
- (٢٦) أميل الخورى وعادل اسماعيل : السياسة الدولية فى انشراق العربى من ١٧٨٩م الى ١٩٥٨م ج ١ ، بيروت ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، ١٩٥٩ ص ١٣٠ — ١٣٦ .
- (٢٧) شكرى : المرجع السابق ص ٢٨٤ .
- (٢٨) الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ حوادث ١٢١٤ هـ .
- (٢٩) الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ حوادث ١٢١٤ هـ .
- (٣٠) الجبرتي : المصدر السابق .
- (٣١) شكرى : المرجع السابق ص ٣٣٠ .
- (32) Charles Roux : L'Angleterre et l'Expedition Française en Egypte. Caire 1925, Vol II. 52 .
- (٣٣) للتفاصيل انظر الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ ص ٩٥ — ٩٦ .
- (٣٤) الجبرتي : المصدر السابق ج ٣ حوادث ١٢١٥ هـ ، وشكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ص ٢٢٤ .

- (٣٥) الجبرتي : المصدر السابق ، حوادث ٢١ محرم ١٢١٥ / ١٤ يونية ١٨٠٠ م .
- (٣٦) شكرى : المرجع السابق ص ١٧٧ .
- (٣٧) شكرى : المرجع السابق ص ٢٤٢ ، والجبرتي : عجائب الآثار د ٣ ، ص ١٤٥ .
- (٣٨) شكرى : المرجع السابق ص ٤٣٨ .
- (٣٩) الجبرتي : المصدر السابق د ٣ ص ١٩٠ .
- (٤٠) شكرى : المرجع السابق ص ٥٩٧ .
- (٤١) غليب حتى وآخران : تاريخ العرب د ٣ بيروت ، دار الكشاف . ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، ص ٨٥١ .
- (٤٢) شكرى : المرجع السابق ص ٦٥٢ ، والجدير بالذكر أن الأستاذ زهب الشايب قد ترجم جزءا لا بأس به من هذا الكتاب الى العربية .
- (٤٣) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية الى الاحتلال البريطاني — ترجمة عبد العظيم رمضان — القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ص ١٥ — ١٦ .
- (٤٤) الهيئة العامة للآثار المصرية : شامبليون — الاحتفال بذكرى مرور مائة وخمسين عاما على رموز اللغة الهيروغليفية ، ١٩٧٢ ، ص ٥ — ٦ .
- (٤٥) الجبرتي : المصدر السابق ص ٢٠ .
- (٤٦) شكرى : المرجع السابق ص ٥٩١ .
- (٤٧) نفسه ص ٥٨٣ .
- (48) Charles Roux : op. cit., p. 105 .
- (٤٩) الجبرتي : المصدر السابق حوادث ١٦ ربيع الثاني ١٢١٣ هـ .
- (٥٠) محمود الشرقاوى : مصر في القرن الثامن عشر ج ١ ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ١٨٥ .

## الفصل الثاني

### عصر محمد علي

- ١ — تمهيد : النزاع على السلطة في مصر من خروج الحملة الفرنسية حتى تولية محمد علي .
- ٢ — مذبحة القلعة .
- ٣ — حروب محمد علي في الجزيرة العربية .
- ٤ — محمد علي وفتح السودان .
- ٥ — محمد علي وحرب استقلال اليونان .
- ٦ — حروب محمد علي في بلاد الشام .
- ٧ — محمد علي وبناء الدولة الحديثة في مصر .
  - أولاً : محمد علي والنهضة التعليمية .
  - ثانياً : محمد علي وتكوين الجيش الحديث .
  - ثالثاً : محمد علي والزراعة .
  - رابعاً : محمد علي والنهضة الصناعية .
  - خامساً : محمد علي والتطور التجاري .
  - سادساً : محمد علي والاهتمام بالشئون الصحية .
  - سابعاً : تقييم عصر محمد علي .



### تمهيد

النزاع على السلطة في مصر من خروج الحملة الفرنسية حتى تولية محمد على .

لما جلا الفرنسيون عن مصر بقى بها ثلاث قوى متصارعة وهى المماليك والانجليز والعثمانيون ، وكان ضمن افراد القوة العثمانية ضابطا صغيرا من ضباط الفرقة الالمانية وهو محمد على الذى ظل يرقب عن كثب الصراع الذى قام بين هذه القوى من اجل الفوز بالسلطة والسيطرة دون النظر الى مصلحة الشعب المصرى الذى ظل يعانى من الفوضى والارتباك والاضطراب بدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر الحديث اذ تدهورت احوال البلاد حتى وصلت الى الحضيض فقد قام المماليك باهلاك الحرث والنسل اينما حلوا ، وقام العثمانيون بالسطو على محال التجارة والتعدي على الاشخاص وبخاصة عندما يتأخر صرف رواتب جنودهم بسبب افلاس خزانة السوالى . وقد انتهى الصراع بين القوى الثلاث بخروج الانجليز من مصر نتيجة لعقد صلح اميان في عام ١٨٠٢م بين انجلترا وفرنسا وهولندا واسبانيا (١) .

وعلى الرغم من انسحاب الانجليز من مصر ، فقد حاولوا ان تكون لهم ركائز بها وبخاصة بعد ان شعروا باهمية موقع مصر الجغرافى، ومن هنا حاولوا التقرب من المماليك فقاموا بدعوة الزعيم محمد بك الافلى الى انجلترا واتفقوا معه على ان تسمى الحكومة الانجليزية لدى الباب العالى ليتترك السلطة له في مصر في نظير ان يترك لهم ادارة الاسكندرية والسواحل المصرية ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح وبخاصة ان عثمان البرديسى وبعض زعماء المماليك ومحمد على نجحوا في افشالها .

وبالنسبة لموقف القوتين المملوكية والعثمانية فقد اضعفهما التنزع المستمر بينهما وخلال ذلك وقف محمد على في صف الشعب

المصرى وبخاصة عندما اشتد الأمر بينه وبين الباشا العثماني ، واخذ يظهر بالعطف على الناس والتودد الى مشائخهم ولما ازدادت مخازى ومساوىء الجند الولاة التابعين لنوالى ذهب العلماء والمشايع برئاسة السيد عمر مكرم فى مايو ١٨٠٥م الى بيت محمد على وطالبوه بعزل الوالى العثمانى خورشيد باشا ، ولما سألهم محمد على عن يريدونه واليا عليهم ؟ قالوا له : لا نرضى الا بك ، وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير ، فامتنع أولا ثم رضى ، واحضروا له « كركا » وعليه قنطان ، وقام اليه السيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى فالبساه له « امام قاعة المحكمة » وذلك وقت العصر ، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة « (٢) .

وفى أعقاب ذلك سار هؤلاء العلماء والمشايع نحو القلعة لمطالبة الوالى العثمانى بالنزول على الولاية لمحمد على ، وقد رفض خورشيد باشا هذا المطلب بقوله انه معين من قبل السلطان ولا ينزل عن كرسيه بأمر الفلاحين ، واستمر محصورا فى القلعة حتى اضطر السلطان العثمانى أن يقر محمد على واليا على مصر فى يوليو ١٨٠٥ (٣) ويأمر بانتهاء ولاية خورشيد باشا بعد حكم استمر ستة أشهر وأربعة عشر يوما (٤) .

وهكذا كانت مبايعة الشعب لمحمد على من الايام التاريخية المعدودة فى تاريخ الحركة القومية المصرية ، ففيها وضعت مصر لنفسها أساس حريتها واستقلالها ، وفيها أعلنت عن حقها فى تقرير مصيرها ، وفيها تجلت سلطة الأمة ممثلة فى اشخاص زعمائها وذوى الراى فيها فى خلع الوالى المعين من قبل السلطان ، واسناد الحكم الى من انتخبه زعماء الشعب ووكلاؤه ، يضاف الى ذلك ان ما حدث لم يكن مقصورا على مجرد انتخاب زعماء الشعب لمحمد على بل كان مقرونا باشتراطهم أن يرجع اليهم فى شئون الدولة فوضعوا بذلك قاعدة الحكم الثورى فى البلاد ، هذا الى جانب انه تم فى دار المحكمة اى فى ساحة العدالة ، فاتخذ معنى الاحتكام الى العدالة والتبسك بالحق (٥) .

وعلى الرغم من وصول محمد على الى قمة السلطة في مصر فان الطريق امامه لم يكن سهلا فهناك المماليك في الصعيد يهددون مركزه ، وهناك مشكلة عدم تمكنه من دفع رواتب جنوده المتأخرة .

وقد نجح محمد على في تذليل هذه المشاكل بعد اقناعه للمشايخ بضرورة جمع المال اللازم كي يتمكن من وقف اعتداءات المماليك على الشعب ، وليمنع تآلب الجنود عليه وخلال ذلك حدثت محاولة لنقل محمد على من ولاية مصر ، فارسلت الدولة العثمانية مرسوما يقضى بتولية موسى باشا ولاية مصر ونقل محمد على الى ولاية « سانونيك » .

وقد تظاهر محمد على بالقبول في حين تمسك العلماء والمشايخ به ، وكتبوا التماسا الى السلطان طلبوا فيه ابقاء محمد على على ولاية مصر ، وقد وافق السلطان على طلبهم بحجة أن الخاصة والعامة راضية باحكام محمد على ، وعده بشهادة العلماء واشراف الناس<sup>(٦)</sup> وصدرت الاوامر الشاهانية بتثبيت محمد على باشا على ولاية مصر مع الاعياز اليه أن لا يتعرض للمماليك لصدور العفو عنهم وخلال ذلك أرسلت انجلترا حملة الى مصر بقيادة الميجور جنرال ماكنزى فريرز Mackenzie Fraser في محرم ١٢٢٢هـ / مارس ١٨٠٧م بهدف تخويف الباب العالي والضغط عليه للانفصال عن فرنسا والانضمام الى عدوتها انجلترا وروسيا هذا بالإضافة الى تأييد جماعة الألفى من المماليك الموالين للانجليز<sup>(٧)</sup> ، وبعد أن وصلت الحملة الى الاسكندرية سلمت المدينة دون مقاومة تذكر .

وفي التاسع والعشرين من مارس اتجه نحو الف واربعمائة جندي انجليزى لاحتلال رشيد وتمكنوا من احتلالها بسهولة مما اعطى للانجليز الأمان ، وتصوروا انفسهم وكأنهم في نزهة حربية وبدأوا يلقتون اسلحتهم ويقتشرون في شوارع المدينة ، وبينما هم على هذا الحال أمر حاكم رشيد أهالى المدينة باطلاق النار عليهم « من الأتربة والعطف وطيقان البيوت »<sup>(٨)</sup> ومن فوق اسطح المنازل فأبىد الكثيرون من أفراد القوة الانجليزية ، وساد الهرج والمرج بينهم .



ولما وصل خبر الحملة الى محمد على اثناء تواجده بأسـيوط لمحاربة المماليك تلكا في اتخاذ قرار محدد في بداية الامر ، ثم مالبث أن اتخذ الأهبة للسفر ومواجهة الانجليز .

وفي اثناء ذلك أرسل فريزر قوة أخرى الى رشيد لانتقام مما اصاب جنوده من هزيمة ، ولكن هذه القوة لم تفلح في تحقيق اهدافها واخذت في التقهقر الى الاسكندرية .

ولما خرجت قوات محمد على لمقاتلة الانجليز وجدت منهم ميلا الى عقد الصلح ، فدارت مفاوضات بين الفريقين واتفق فيها على اخلاء سبيل الاسرى الانجليز في مقابل الجلاء عن الاسكندرية<sup>(٩)</sup> ، ونتيجة لذلك تخلص محمد على من اكبر خطر كان يتهدهد ، مما أدى الى تثبيت حكمه وتكينه من الاستيلاء على الاسكندرية التي كانت خارجة عن سلطته وازدياد تقدير المصريين له فاصبح عزيز الجانب وصاحب الامر والنهى في البلاد يضاف الى ذلك علو منزلة محمد على لدى السلطان ورجالات الباب العالي الذى اصبحوا يقدرونه حـقق قدره<sup>(١٠)</sup> .

وفي اعقاب ذلك رأى محمد على ضرورة التخلص من كافة العوائق التى تحول بينه وبين الانفراد بالحكم فعمل على التخلص من زعماء الشعب الذين مهدوا له طريق الوصول للحكم وذلك عن طريق الوقعة وبث روح التحاسد والنفور بينهم<sup>(١١)</sup> ، كما قام بفرض الضرائب على المصريين دون الرجوع اليهم ، ولما عارضه السيد عمر مكرم في ذلك أمر بنفيه الى دمياط في أوائل رجب ١٢٢٤هـ/اغسطس ١٨٠٩<sup>(١٢)</sup> ثم انقلب على باقى العلماء وقضى على قوتهم ، وحطم ارسنقراطيتهم ولم يبق امامه من قوة تنافسه سوى المماليك ، فبدأ يعد العدة للتخلص منهم .

## ٢ - مذبحة القلعة :

وبعد أن رحلت الحملة الانجليزية عن مصر أتت المكاتبات من السلطان العثماني الى محمد على بضرورة الاستعداد لمقاتلة رجالات الدعوة السلفية في الجزيرة العربية .

وقد بذل محمد على جل جهوده في تجهيز الحملة ، وبدأ يتقصد أمور الاعداد لها ، وبعد أن سافر الى السويس في أواخر يناير ١٨١١م لتفقد الأعمال التي تعمل في مرغها وليشاهد نزول بعض السفن الى البحر اضطر للعودة الى القاهرة مسرعا بعد أن ضبطت مكاتبات بين أمراء المماليك في الوجه القبلى ونظرائهم في القاهرة للاطاحة به وهدم سلطانه (١٣) لذلك رأى أن المسألة بينه وبين زعماء المماليك أصبحت مسألة مصر وانه يستحيل أن يرسل قواته الى الجزيرة العربية قبل أن يتخلص منهم نهائيا فبدر مذبحه القلعة في أول مارس ١٨١١م فأذاع انه سيلبى نداء السلطان ويرسل حملة الى الجزيرة العربية ، ودعا الأمراء وكبار العسكر والأعيان للحضور بملابسهم الرسمية للمشاركة في تقليد ابنه طوسون رئاسة الحملة ، فجاءوا الى القلعة راكبين الجياد المطهمة ومرتدين الثياب الحربية المزركشة وعلى رعوسهم العمائم الضخمة المرصعة بالجواهر وبينما كان أمراء المماليك سائرون وسط الموكب الى « باب العزب » (١٤) بدأ الموكب في الانحدار من أعلى القلعة وسط ممر وعر تحيط به الصخور من كل جانب وخلال ذلك أمر « صالح فوج » قائد قوات الالبان باغلاق الباب الحديدى الكبير ثم أعطى أوامره لعساكره بتسليق الصخور بعيدا عن الممر الوعر ، والاستعداد لاطلاق النار على المماليك . ولما وصل المماليك الى الباب الحديدى وجدوه مغلقا ، فحاولوا التفتهم الى الخلف ، ولكنهم لم يتمكنوا لضيق الممر ، ولأن خيولهم كانت تسير في نظام خلف بعضها ، وانثناء ذلك انهمرت النيران عليهم من كل جانب ، فارتبكوا وبدأوا يتساقطون من فوق جيادهم وسالت الدماء ، وأصبحت القلعة ميدانا للذبح والنقتل ، وتكدست الجثث في الممر الضيق وبعدها قطعت رعوس أمراء المماليك ليرأها الباشا وسحبت اجسادهم بالحبال ، ولم ينج من هذه المذبحة سوى ملوك واحد هو « أمين بك » الذى كان قد تأخر لظرف طارئ فلم يلحق غير الصف الأخير ولما سمع صرير الباب الحديدى وهو يفلق ودوى الرصاص رجع بجواده الى داخل القلعة وأخذ يبحث عن منفذ للهرب فلم يجد امامه الا اسوارا ارتفاعها حوالى عشرين مترا فجرى بجواده الى قمة عالية ثم استنفر

الحصان موثب به في الهاوية التي تحت قدميه فتشم الجواد ، واصيب امين بك باغماء وكسور ، اتفق منها بسرعة وهرب الى اقليم الشرقية ومنها الى خارج مصر (١٥) .

ونتيجة لهذه المذبحة استطاع محمد على ان يتخلص من اربعمائة وسبعين مملوكا من زعماء الماليك .

وبعد هذه المذبحة امر محمد على جنوده بسلب قصور الماليك وقتل ابنائهم والاعتداء على نسائهم كما امر بادخال بعض ابنائهم في خدمته ، وأجرى الارزاق على نسائهم وزوج بعضهن لضباطه واتباعه ، وبذلك قضى محمد على على كل اثر للماليك في مصر الى غير رجعة .

وقد برر محمد على هذه المذبحة امام الباب العالي بأنها كانت ضرورية قبل قيامه بالرحلة على الجزيرة العربية وبخاصة انه كان يخشى من قيام الماليك بالاطاحة به بعد تحرك قواته الى الحجاز (١٦) .

وعلى أى حال فقد اختلف المؤرخون والباحثون في تقييمهم لهذه المذبحة فمنهم من قال انها كانت نقطة سوداء في تاريخ محمد على ذلك الحاكم التركي الذى لا يحجم عن أى شيء في سبيل مصلحته واغراضه الشخصية ومنهم من قال انها كانت ضرورية لاستقرار البلاد وسلامتها بعد أن عاث الماليك في ارض مصر فسادا دون أى رادع او واعز فنى ضمير او شرف ، وانه كان لابد من التضحية بهم في سبيل بناء حكومة مستقرة في مصر وصفوة القول ان مجزرة القضاء على الماليك على الرغم مما فيها من غدر وسفك دماء واخذ البريء بجريرة المذنب فانها كانت لا مفر منها لحمد على اذا شاء ان يدعم اركان سلطانه في مصر .

### ٣ - حروب محمد على في الجزيرة العربية :

بعد ان فشلت الدولة العثمانية في مواجهة رجالات الدعوة السلفية عن طريق ارسال ولاة الشام والعراق لحاربهم طلب السلطان مصطفى الرابع من محمد على والى مصر القيام بهذه المهمة على أمل اعادة السيادة العثمانية على الحجاز ، ويبدو ان محمد على لم يكن راغبا في القيام بهذه المهمة في بداية الامر حيث تذكر الوثائق ان محمد على كان يماطل في تنفيذها ويتكأ في ارسال هذه الحملة بحجة

سوء احوال مصر الاقتصادية التى لا تمكنه من الاعداد لهذه الحرب ورغبة فى قيام الدولة العثمانية بامداده بالاعشاب التى تمكنه من انشاء السفن اللازمة لعبور البحر الاحمر ، وامداده بالذخائر والمهمات التى تمكنه من خوض المعركة <sup>(١٧)</sup> ونتيجة لتكرار مطلب الدولة العثمانية، وخشية من أن يستثير محمد على غضب السلطان العثمانى اضطر الى أن يصدر اوامره بارسال الحملة تحت قيادة ابنه أحمد طوسون .

وفى الثالث من سبتمبر ١٨١١م ابحرت قوات محمد على من السويس الى ينبع ومنها اتجهت نحو المدينة المنورة ، وقد استولت هذه القوات فى طريقها على قريتي « بدر » « والصغراء » الا ان رجال الدعوة وقفوا لها بالمرصاد عند « الحديدية » وكادوا يقضون عليها مما اضطرها للتراجع الى « ينبع » وقد وصف انجبرتي ذلك بقوله « انهزموا جميعا وولوا الادبار وطلبوا جميعا الفرار » <sup>(١٨)</sup> .

ونتيجة لتخرج موقف قوات طوسون باشا قام محمد على بتعزيز قواته ، كما عمل على ضم بعض القبائل الى صفه مما ادى فى نهاية الامر الى نجاح قوات طوسون فى الوصول الى مكة وجدة .

وفى اواخر عام ١٨١٣م سافر محمد على الى الحجاز لتولى القيادة بنفسه ، وخلال ذلك منيت قواته بهزيمة منكرة عند بلدة « ترية » بالقرب من الطائف <sup>(١٩)</sup> ولكنها سرعان ما استطاعت تحقيق انتصارا كبيرا فى « بسل » <sup>(٢٠)</sup> .

وخشية من تطور الموقف ضد محمد على فى مصر ، وما تردد حول هروب نابليون من منفاه فى « البا » عاد محمد على الى مصر . ونظرا لتدهور احوال قوات محمد على فى الحجاز ونتيجة لفشل طوسون فى الامساك بزمام الموقف جمع محمد على قواده ورجال الحكم والسلطة واعرب لهم عن رغبته فى اختيار قائد جديد للحملة بدلا من طوسون وخلال ذلك امر ببسط احدى الطوائف الكبيرة فى قصره ووضع فى وسطها قفاحة ، وقال ان الذى يتناول القفاحة بيده ، ويقدمها لى دون أن يمس السجادة اكلفه بقيادة الحملة ، فأخذ الحاضرون يتناولون على القفاحة

بلا جدوى الى ان جاء دور ابراهيم وكان قصير القامة ، فلم يزد على انه تناول طرف الطنفسة بيده ، وطواها الى ان وصل الى التناحية فتناولها واعطاها لابيه فوله قيادة الجيش <sup>(٢١)</sup> وبعد ان وصل ابراهيم باشا الى بلاد الحجاز بدأ في بناء الحصون ، كما عمل على جذب البدو اليه فمدح لهم رواتب منتظمة وهدايا مما مكنه من جذب اكبر عدد من القبائل البدوية اليه ، وبعد ذلك بدأ في زحفه صوب نجد وتمكن في نهاية الامر من الوصول الى الدرعية واسقاط الدولة السعودية الاولى في عام ١٢٣٣هـ سبتمبر ١٨١٨ .

وعند تحليلنا لأسباب الصدام العسكرى بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الاولى يتضح ما يلى :

١ — انه كان هناك سوء فهم للدعوة من قبل العثمانيين فبعد ان احدثت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فزعا لدى مناهضيها حاولوا مقاومتها فمشنوا عليها حربا نفسية وفكرية لا هوادة فيها بهدف ابعاد المسلمين عنها فذكروا ان رجالات الدعوة عطلوا سبل الحج الى الحرمين الشريفين والحقيقة ان اتباع الدعوة لم يمنعوا احدا من الحج الا اذ كان مخالفا للطرق الشرعية <sup>(٢٢)</sup> .

٢ — انه على الرغم من الصدام بين العثمانيين واتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانه لم يعلن أحد من الامراء السعوديين الخروج على دولة الخلافة او اعلان الخلافة على المسلمين كما ادعى بعض اعداء الدعوة وجعل السلطان يرسل الجيوش لمحاربتها .

حقيقة لقد بايع الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الامير محمد بن سعود على الإمارة ، ولكنه لم يبايعه على الخلافة العامة للمسلمين والدليل على ذلك ان الامراء السعوديين ظلوا يتمتعون السلاطين العثمانيين في مراسلاتهم بالخلفاء والسلاطين في الوقت الذى كانوا يتمتعون فيه انفسهم بالتابع المخلص للسلطان <sup>(٢٣)</sup> .

وعنى كل حال فقد عم الفرح والسرور عاصمة الدولة العثمانية بعد سقوط الدرعية <sup>(٢٤)</sup> كما كافأ السلطان العثماني ابراهيم باشا على

هذا الانتصار بتعبه واليا على الحجاز ، ونتيجة لهذا الانتصار وعودة ابراهيم باشا الى القاهرة في ٢٢ صفر ١٢٣٥ هـ الموافق ٩ ديسمبر ١٨١٩ بدا محمد على يعد عدته لفتح السودان .

#### ٤ — محمد على وفتح السودان :

اختلف المؤرخون في اسباب حملة محمد على لفتح السودان وفيما يلي نعرض لاهم هذه الآراء :

١ — اعتقاد محمد على بأن ارتباط مصر والسودان ضرورة هامة لتحقيق بناء دولته الحديثة .

٢ — رغبته في مطاردة بقايا المماليك الفارين من مصر الى دنقلة لشعوره انهم يمثلون خطرا ضده .

٣ — رغبته في اكتشاف مناجم الذهب والماس والمعادن التي اشيع تواجدها بكثرة في السودان .

٤ — رغبته في تجنيد السودانيين في جيشه النظامي<sup>(٢٥)</sup> .

٥ — سعيه الى اكتشاف منابع النيل .

٦ — توسيع نطاق المعاملات التجارية بين شطرى الوادى .

٧ — رغبته في التخلص من بقايا جنوده الألبان والارناؤد وغيرهم من الفرق غير النظامية التي كانت تقض مضاجعه ، وتعيق عملية تحديث الجيش التي ينشدها ونتيجة لذلك بدا محمد على في اعداد الحملة في يونيو ١٨٢٠م وتوغلت قواته في السودان دون أن تجد مقاومة تذكر مع أن هذه الحملة لم تحقق أطماع محمد على في الحصول على مناجم الذهب ، وفي اتساع نطاق العمليات التجارية ، وفي تجنيد السودانيين ، فقد اهتم الباشا بتأسيس مدينة الخرطوم عند ملتقى النيل الأزرق بالابيض وادخال الزراعات المصرية الى السودان<sup>(٢٦)</sup> كما اهتم بارسال البعثات العلمية ، واصلاح الادارة والفساء تجارة الرقيق منشر الأمن والحضارة .

## ٥ — محمد على وحرب استقلال اليونان :

بعد أن قامت الثورة في بلاد اليونان ضد الحكم العثماني في ١٨٢١ بتشجيع من الدول الأوروبية وبخاصة روسيا أرسلت الدولة العثمانية جيشا بقيادة خورشيد باشا لقمعها ، ولكنه منى بالفشل مما جعل السلطان محمد الثانى يفوض محمد على أمر القضاء على هذه الثورة في نظير اضافة باشويتها اليه .

وعلى الرغم من أن بلاد اليونان لم تكن مطمعا لآمال محمد على في أى وقت من الأوقات فانه حاول اقتناص الفرصة ليثبت للعالم مدى تعاضل قواته العسكرية وقدرتها على مساندة السلطان فى ميادين القتال .

وفي عام ١٨٢٥ أرسل محمد على قواته بقيادة ابراهيم باشا الى ارض المورة <sup>(٢٧)</sup> واستطاعت بعد عدة محاولات النزول الى بلاد اليونان، وضرب الحصار على منطقة نفارين Navarine وتمكن من استيلائها ودخول قواته اليها في الثامن عشر من مايو ١٨٢٥ <sup>(٢٨)</sup> ونتيجة لذلك خشيت الحكومات الأوروبية من عواقب انتصار القوات المصرية ، وبدأت القضية اليونانية تستحوذ انتباه الراى العام الأوروبى ، وبينما كانت الحكومات الأوروبية تتهم ابراهيم باشا بخرق حرمة قوانين الحرب كان القائد المصرى يصلى اليونانيين نارا حامية ، حتى سقطت مسولنجى Missolonghi في الثامن والعشرين من ابريل ١٨٢٦م وفتح بذلك الطريق الى اثينا <sup>(٢٩)</sup> مما جعل الدول الأوروبية تتدخل فى الامر ، فقامت اساطيلها بظاهرة بحرية مشتركة لايقاف القتال واجبار السلطان العثمانى على اخلاء المورة ، وكانت روسيا اكثر الدول الأوروبية رغبة فى التدخل العسكرى ضد قوات محمد على ، وفي السادس من يوليو عام ١٨٢٧م اتفقت انجلترا وفرنسا وروسيا فى معاهدة عقدت بلندن على فرض هدنة حربية بين الطرفين ، ومع ان ابراهيم باشا احترم الهدنة ، فان اليونانيين قاموا باستفزاز قواته مما اضطر القوات

المصرية الى الرد عليهم ونشوب معركة بحرية بين اساطيل الدول الأوربية والاسطولين المصرى والعثمانى فى العشرين من اكتوبر ١٨٢٧م انتهت بتحطيم الاسطول المصرى الناشئ وفقدان حوالى ثلاثين الف جندى (٣٠) .

ولما رأى محمد على أنه لا فائدة من استمرار القتال وشعر بالمخاطر التى يمكن أن تسببها الدول الأوربية له تم الاتفاق بينه وبين قسائد الاساطيل الأوربية المتحالفة على سحب قواته من المورة ، وتبادل الاسرى بين انطرفين (٣١) ونتيجة لذلك أرسل محمد على ابنه ابراهيم يأمره بالجملاء عن المورة دون انتظار لأوامر السلطان ، فسحب ابراهيم قواته وترك الباب العالى وحيدا مما اخرج موقفه .

ومع أن خسارة مصر كانت فادحة فى هذه الحرب من الناحية العسكرية فان مكاسبها السياسية كانت كبيرة (٣٢) فقد فاوضت الدول الأوربية لأول مرة مصر دون وساطة اندولة العثمانية مما اكسب مصر منزلة معنوية كبيرة ، كما أن هذه الحرب كانت أول حرب يخوضها الجيش المصرى فى أوربا وبيثت من خلالها قدرته على مواجهة الموقف ، ويؤكد فيها تمتعه بأساليب الحرب الحديثة وفنونها .

وعلى كل حال فقد اشتد ضيق السلطان من محمد على لتناوضه مع الدول الأوربية دون اذنه ، وسحب قواته دون الرجوع اليه ، كما بدأ محمد على يراجع خطته تجاه الباب العالى الذى لم يكافئه على خدماته رغم تحطيم اسطوله ولم يمنحه سوى حكم جزيرة كريت مما جعله يفكر جديا فى الاستيلاء على بلاد الشام وتوسيع رقعة املاكه على حساب الدولة العثمانية .

## ٦ — حروب محمد على فى بلاد الشام :

من المعروف أن بلاد الشام كانت مطمح انظار محمد على منذ حروبه فى الجزيرة العربية فقد طلب من السلطان اضاءة منصب ايالة الشام الى منصب والى مصر مبررا ذلك بإمكانية الحصول على الاخشاب وجميع الجنود من هناك ولكن طلبه كان مصره الاهمال . ولما قامت



حرب المورة كرر محمد على طلبه بحجة تعويضه عما تكبده الجيش المصرى من خسائر فى هذه الحرب ، ونظرا لرغض السلطان لهذا الطلب للمرة الثانية حاول محمد على ضم هذه البلاد بالقوة مستغلا فى ذلك انهماك الدول الأوربية فى مسائلها الداخلية وانتشغال الدولة العثمانية بالثورات الداخلية وحروبها المتعددة التى خرجت منها منهوكة القوى .

وقد تزرع محمد على فى ذلك بنزاعه مع عبد الله باشا الجزائر والى صيدا الذى رغض تسليم آلاف الفلاحين المصريين اللاجئين اليه<sup>(١٢)</sup> . وعدم وفائه بدين عليه ، وابتزازه لأموال بعض التجار المصريين واستيلائه على تجارتهم فى بلاد الشام<sup>(٢٥)</sup> ومن هنا قام بارسال حبلته لتأديبه فارسى طلائع جيشه الى عكا فى ١٤ من أكتوبر ١٨٣١م فاستولت فى طريقها على يافا وحيفا دون مقاومة تذكر وفى الثامن من ديسمبر من نفس العام ضربت الحملة المصرية حصارها حول عكا وارسل ابراهيم باشا انذارا الى واليها يطالبه فيه بتسليم قلعة المدينة حقا للدماء ، ونتيجة لرغض عبد الله باشا لهذا الانذار أمر ابراهيم باشا بضرب عكا بالقنابل من جميع الجهات<sup>(٣٦)</sup> .

ونظرا لفشل المحاولات التى بذلتها السلطنة العثمانية لتسوية المشكلة طلب السلطان من والى حلب اعداد العدة لمحاربة محمد على مما أدى الى تحرج الموقف وجعل ابراهيم باشا يتحرك بجزء كبير من قواته لمواجهة الجيوش العثمانية قبل وصولها الى عكا ، وقد نجح ابراهيم باشا خلال حروبه مع القوات العثمانية فى انتزاع طرابلس منهم وتعقبهم فى حصص وهزيمتهم فى سهل الزراعة مما أوقع الاضطراب فى صفوفهم والجاهم الى الفرار<sup>(٣٧)</sup> . وبعدها واصل ابراهيم باشا حصاره لعكا حتى سقطت قلعتها فى السابع والعشرين من مايو ١٨٣٢<sup>(٣٨)</sup> وكان ذلك بداية لانتصارات ساحقة لقوات ابراهيم باشا حتى تم له الاستيلاء على بلاد الشام كلها والوصول الى الحدود الفاصلة بين المتحدين بالعربية والمتكلمين بالتركية فقد تقدمت القوات المصرية بسرعة هائلة داخل بلاد الشام واحتلت دمشق وانزلت الهزائم بالجيش العثمانى بالقرب من حصص واصل ابراهيم باشا تقدمه فدخل حلب ثم التقى مع القائد العثمانى حسين باشا فى معركة فاصلة عند مضيق

ببيلان والحق به الهزيمة <sup>(٣٩)</sup> وبعدها تقدمت قواته داخل الأناضول وهزمت القوات العثمانية في « قونية » في نوفمبر ١٨٣٢م ثم مضى إبراهيم باشا في زحفه تجاه كوتاهيه فوصلها في الثالث من فبراير ١٨٣٣م وأصبح الطريق إلى الأستانة مفتوحا أمامه مما أزعج الدول الكبرى فأبدت روسيا قلقها من هذه الانتصارات كما أبدت استعدادها لمساندة الدولة العثمانية ولما ترددت الأخبار بأن القوات الروسية قد ابحرت لنجدة السلطان العثماني محمود انزعجت إنجلترا وفرنسا التي وجدنا أن تدخل روسيا يمثل خطرا كبيرا يهدد التوازن العام في أوربا ، ورات الدولتان وجوب اتخاذ إجراء سريع للحيلولة دون وصول النفوذ الروسي إلى الأستانة فقابل قنصلا إنجلترا وفرنسا في مصر محمدا عليا ونصحاه بضرورة وقف زحف جيوشه والتفاهم مع السلطان . كما أوضحت الحكومة البريطانية لمحمد علي إصرارها على ضمان استمرار كيان الدولة العثمانية وعدم تفككه <sup>(٤٠)</sup> مما جعل محمد علي يرسل إلى إبراهيم باشا أمرا بأن يتوقف زحفه حيثما كان « وانتهى الأمر بصلح كوتاهية الذي نزل فيه السلطان لمحمد علي عن كريت وسورية ماعدا أطنة وبعد قبول السلطان العثماني لصلح كوتاهية في مايو ١٨٣٣ بدأت آمال محمد علي في تكوين دولة مستقلة تمتد حدودها إلى أقصى بلاد الشام شمالا تبدو واضحة للعيان ، خصوصا وأن امتلاك الشام يحويه من تربص السلطان به ، ويستتر جناحه الأيمن ، ويمنحه السيادة على بيت المقدس حصن الأديان الثلاثة ، ويعطيه دمشق إحدى المدن، العامرة بالثقافة الإسلامية ، كما يوفر له معظم حاجياته الاقتصادية <sup>(٤١)</sup> .

ولما فاتح محمد علي الدول الكبرى بشأن تطلعاته هذه عارضته إنجلترا أشد المعارضة ، وحذرت من عواقب هذه الخطوة وهددته باستخدام القوة ضده إذا تمسك برأيه <sup>(٤٢)</sup> وقد استغلت الدولة العثمانية ذلك الموقف ، وبدأت في استفزاز محمد علي والتحرش بقواته المرابطة في بلاد الشام ، وترقب الفرصة السانحة للانتقام منه . ولما كانت الحرب واقعة لا محالة بين الطرفين فقد بدأت القوات العثمانية تستنزف القوات المصرية ، وتفر على مواقعها ، كما بدأ محمد علي يطالب

السلطان محمود الثانى بأن يكون حكم مصر وأنشام وراثيا فى ذريته مما أغضب السلطان ، وجعله يسرع باعلان الحرب عليه فبعثت الدولة العثمانية الى بلاد الشام جيشا كبيرا فى عام ١٢٥٥هـ تحت قيادة حافظ باشا وذلك لمقاتلة القوات المصرية وطردها من هناك ، ونتيجة لذلك زحف ابراهيم باشا بقواته حيث تجمع الجيشان بانقرب من سهل « نزيب » وهناك تم الاشتباك بينهما فى الحادى عشر من ربيع الثانى ١٢٥٥ هـ الموافق الرابع والعشرين من يونيو ١٨٣٩م فى معركة حامية انتهت بهزيمة القوات العثمانية ، وغتحت أبواب عاصمة الخلافة على مصرعيها لاستقبال الجيوش المصرية المنتصرة ، مما أزعج الدول الأوروبية ودفعها الى التدخل بكل ثقلها فى المسألة لانتقاذ الدولة العثمانية من السقوط حتى لا يتعاظم نفوذ محمد على الى الحد الذى يضعف نفوذها فى المنطقة ، وقد تزعمت انجلترا هذه الحركة ضد محمد على وطلبت من السلطان العثمانى الا يبرم أى اتفاق مع محمد على ما لم توافق عليه الدول الكبرى <sup>(٤٣)</sup> . وفى أعقاب ذلك بدأت انجلترا وفرنسا تعملان على ايجاد المصاعب أمام قوات محمد على فى بلاد الشام فشجعت الأهالى على العصيان وأمدوهم بالسلاح للوقوف ضدها <sup>(٤٤)</sup> وفى أعقاب ذلك بدأت انجلترا فى التشاور مع الدول الأوروبية بهدف العمل على اخضاع محمد على للسلطان وانتهى الأمر بعقد معاهدة لندن فى الخامس عشر من يوليو ١٨٤٠ والتى تضمنت ان يعرض السلطان على محمد على حكومة مصر وراثية له ولابنائهم بعده ، وحكم عكا طوال حياته ، ويحرمه من السيطرة على الجزيرة العربية ، وسورية ، وكريت فى نظير ان يكون له الاستقلال الداخلى بمصر فى ظل قيود معينة مثل دفع الأموال المربوطة على مصر للأستانة سنويا وعدم تمثيل مصر فى الخارج وتحديد الجيش والاسطول وسلطة منح الألقاب وصك النقود ، فاذا لم يقبل هذه الشروط فى مدة عشرة أيام تنقص من حقوقه ولاية عكا ، واذا تأخر عشرة أيام أخرى ولم يقبل ما عرض عليه للسلطان

الحق في اتخاذ أى طريق تشير به عليه مصالحه الخاصة ونتيجة لرغض محمد على لهذه الشروط في الأيام العشرة الأولى ضاعت منه ولاية عكا ، ولما بدأ العد التنازلى للأيام العشرة الثانية ، ولم يجد محمد على المساندة من فرنسا أو غيرها قبل شروط الدول الكبرى<sup>(٤٥)</sup> ، وعلى اثر ذلك صدر فرمان ١٨٤١ وأهم شروطه .

- ١ - أن يعطى محمد على ولاية مصر وتكون وراثية في أسرته .
- ٢ - أن يتولى حكم مصر بعد وفاة محمد على أكبر افراد أسرته سنا .
- ٣ - تحجيم عدد الجيش المصرى بحيث لا يزيد عن ١٨ ألف جندى .
- ٤ - قيام مصر بدفع مبالغ سنوية للدولة العثمانية مقدارها ٣٢٠ ألف جنيه .

ومما سبق يتضح ان هذه التسوية لم تكن اجراء داخليا بين السلطان ومحمد على وانما كانت تسوية دولية نجحت الدول الكبرى فيها في تحطيم آمال محمد على فمادت مصر الى حدودها القدية باضافة السودان اليها ، كما املت مشروعات محمد على الاقتصادية والعمرانية .

**٧ - محمد على وبناء الدولة الحديثة في مصر :**

اختلف المؤرخون في تقدير اعمال محمد على بين مباح وقادح فمنهم من رأى فيه الرجل الذى أسس مصر الحديثة ، وجعل منها بلدا يسير في ركب الحضارة والمدنية بعد ان كانت عبارة عن ضيعة تابعة للدولة العثمانية يتعرض أهلها لأندح الاعباء وأشد المظالم . ومنهم من نظر اليه بمنظار أسود قائم وحط من قيمة جهوده واصلاحاته ورأى فيه الرجل المستبد الذى استأثر بكل السلطات من أجل مصالحته ، ومصلحة أسرته الشخصية وتحقيقا لأهدافها .

وحين تختلف الآراء حول شخصية مميعة ، فلا يجد المؤرخ مناصا من الرجوع الى كتابات المعاصرين لهذه الشخصية حتى يتعرف منها على

حقائق الأمور ، ويستقى منها المعلومات التى تساعد على الوصول الى الحقيقة ومن هنا فقد اعتمدنا على جل المصادر التى عاصر أصحابها فترة حكم محمد على ، لتروى لنا احوال مصر فى تلك الفترة بمثلها ومشاربها دون أى تحامل أو محاباه .

وقد اتضح لنا منها أن محمد على أقبل على اصلاح احوال مصر التعليمية والعسكرية والاقتصادية ، وغيرها وبذل كل الجهود من أجل تحقيق ذلك لاعتقاده ان مصر ليست الا ملكا خاصا له ولاسرتة وفيها يلى . نعرض لذلك ،

### أولا - محمد على والنهضة التعليمية :

على الرغم من أن محمد على لم يتعلم القراءة والكتابة الا بعد أن تجاوز الأربعين من عمره ، وبالرغم من أن التعليم فى مصر قبل عهده كان قد انزوى فى أروقة الأزهر وصحون بعض المساجد وابنية الكتاتيب واقتصر على اتقان الأحكام الشرعية والاعتقادية (٤٦) فقد وجه محمد على جل اهتمامه الى التعليم فى مصر بكافة مراحله متبعا فى ذلك أحدث نظم التعليم الأوربية فى ذلك الوقت حيث أيقن أن بناء الدولة الحديثة التى ينشدها يحتاج الى جيش قوى لا تكتمل كفاءته الا على الأساليب الحربية الحديثة التى تقوم على العلم والمعرفة ، وبناء الدولة الحديثة التى ينشدها يحتاج الى أعداد من المهندسين والاطباء والمعلمين والمترجمين ونتيجة لذلك رأى محمد على ضرورة تأسيس المدارس المتخصصة للوفاء باحتياجات حكومته من المتخصصين وتوفير متطلباتها من الموظفين كما قام بإيفاد البعثات العلمية فى مختلف التخصصات الى الخارج (٤٧) وأمر بترجمة العديد من الكتب الأجنبية الى التركية والعربية فى قسم ملحق بمكتبة بالقلمة ليسهل الإفادة منها (٤٨) . وبهذه الوسائل الثلاث حاول محمد على أن ينقل الغرب الى مصر ليحقق أهدافه فى بناء الدولة الحديثة . ولكنه لم يحاول أن ينقل مصر الى الغرب بل احتفظ لها بترائثها وتقاليدها الشرقية وان كان قد مزجها بحضارة الغرب وعلومه ، وبذلك أوصل حاضرها بغابرها وأقام النهضة المصرية الحديثة على أسس مزجت بين التطور فى العالمين الشرقى والغربى (٤٩) .

والجدير بالذكر أن التعليم الحديث وجد من المصريين اعراضا في بداية الأمر ، وبخاصة أن التلاميذ كانوا يعيشون في المدارس بعيدا عن أهلهم<sup>(٥٠)</sup> ولكن ذلك لم يستمر طويلا فبعد أن رأى الأهالي أن خريجي هذه المدارس يتقلدون المناصب الحكومية ويتقاضون المرتبات الكبيرة ، ويرتدون الملابس الجيدة أقبلوا على تعليم أولادهم .

فيما يلي نعرض لمراحل تطور التعليم الحديث في عصر محمد علي :

### المرحلة الأولى ١٨١١ — ١٨٣٦ م :

بدأ محمد علي في هذه المرحلة بانشاء المدارس العالية والخاصة والمدارس الحربية وكذلك المدارس الابتدائية<sup>(٥١)</sup> التي وصل عددها خلال هذه المرحلة سبعة وستين مدرسة<sup>(٥٢)</sup> وفي هذه المرحلة أيضا قام محمد علي بإرسال البعثات العلمية الى أوروبا وبخاصة إيطاليا وفرنسا<sup>(٥٣)</sup> .

والمتتبع لحركة تطور التعليم خلال تلك الفترة يلاحظ ما يلي :

- ١ — أن المدارس كانت تابعة لديوان انجهداية وكان الفرض الاساسي منها حربيا بالدرجة الأولى .
- ٢ — أن نظام التعليم لم يكن مركزيا ، بحيث كان كل مدير مدرسة يضع اللوائح التي يراها مناسبة لمدرسته .
- ٣ — اهتمام الحكومة بتخريج الموظفين بغض النظر عن جنسياتهم جعل العنصر المصري بين الطلاب ضعيفا .
- ٤ — سيطرة النفوذ الايطالي الثقافي على هذه المرحلة حيث كانت الايطالية هي أولى اللغات التي درست بالمدارس المصرية ، وكانت أولى البعثات الى أوروبا توفد الى إيطاليا .
- ٥ — قيام الاجانب بالتدريس في هذه المدارس<sup>(٥٤)</sup> .

## المرحلة الثانية ١٨٣٦ - ١٨٤١م :

بدأ التعليم في هذه المرحلة يصبح أكثر تنظيماً حيث أصبح هناك ترابطاً أكثر بين المدارس ، كما عاد الكثير من طلاب البعثات للمشاركة في تنظيم التعليم ببلادهم والعمل في المصالح والدواوين الحكومية ، وإلى جانب ذلك فقد رأى محمد على فصل تبعية دور العلم عن ديوان الجهادية، وتشكيل لجنة فنية لتنظيم أمور التعليم حتى يحقق له التنظيم الجيد ، وهى ما أطلق عليها فيما بعد « ديوان المدارس » وقد قامت هذه اللجنة بوضع لائحة لكل مرحلة من مراحل التعليم فبالنسبة للتعليم الابتدائى اقتصرت مدة الدراسة فيه على ثلاث سنوات وحصر الغرض منه في أمرين هما :

١ — نشر التعليم بين الأهالى .

٢ — اعداد التلاميذ للمدارس التجهيزية .

وبالنسبة للمرحلة التجهيزية فقد انحصر الغرض منها في أمرين :

١ — توسيع درجة التعليم بين خريجي المدارس الابتدائية .

٢ — اعداد الطلاب للمدارس الخصوصية التى يكون الغرض منها اعداد الموظفين للإدارات والمصالح الحكومية المختلفة وكان عدد المدارس التجهيزية في ذلك الوقت مدرستين واحدة في القاهرة وأخرى في الاسكندرية ومدة الدراسة بها أربع سنوات<sup>(٥٥)</sup> .

أما عن المدارس الخصوصية والتى كان الهدف منها تكوين كوادر مهنية خاصة فنسعرض لاهمها :

### أولا : المدارس الطبية :

#### مدرسة الطب البشرى :

أنشئت في عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م لتخريج أطباء من أبناء البلاد وكان معظم أساتذتها من الفرنسيين والاطليين<sup>(٥٦)</sup> وكان المترجمون ينفذون

دروس هؤلاء الأساتذة الى اللغة العربية حتى يفهمها الطلاب ، والى جانب ذلك قام المترجمون بترجمة بعض كتب الطب الى العربية وكان باكورة ذلك كتاب القول الصريح فى علم التشريح .

### مدرسة الصيدلة :

أنشئت فى عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م وكان كل طلبتها من المصريين ، وكانت فرعاً من فروع مدرسة الطب .

### مدرسة الولادة :

أنشئت فى عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، وقد التحق بها فى السنوات الأولى من حياتها الحبيشيات والسودانيات ثم انضم اليها المصريات ، وكانت طالبات هذه المدرسة يدرسن العلوم الطبية المختلفة وبخاصة ما كتب فى فن التوليد (٥٧) .

### مدرسة الطب البيطرى :

التحقت بمدرسة الطب البشرى فى عام ١٢٤٦هـ/١٨٣١م وكان معظم أساتذتها من مدرسة الطب البشرى ، وقد ترجمت فى هذه المدرسة العديد من كتب الطب البيطرى والى جانب هذه المدرسة الطبية كانت هناك مدرسة المارستان ، والمدرسة التجهيزية للطب (٥٨) .

### ثانيا : المدارس الزراعية :

تأسست فى عصر محمد على العديد من المدارس المتخصصة فى فنون الزراعة كان أولها «الدرسخانة الملكية» التى أنشئت فى عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م وكان تلاميذها يدرسون المواد الزراعية الى جانب اللغتين العربية والفارسية ، ومدرسة الزراعة بشبرا الخيمة التى أنشئت فى عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م والتى كان يقوم بالتدريس فيها البعثون الزراعيون الذين عادوا من أوروبا ، ومدرسة الزراعة بنبروه التى أنشئت فى عام ١٢٥١هـ/١٨٣٦م وكان طلابها جميعاً من المصريين (٥٩) .



### ثالثا : المدارس الهندسية والصناعية والفنية :

#### ١ - المدارس الهندسية :

بلغ عدد المدارس الهندسية التي أمر محمد علي بإنشائها خمس مدارس كان أولها مدرسة المهندسخانة التي انشئت في عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م بعد أن رأى محمد علي قابلية لدى أبناء مصر للدراسة في هذا المجال وما يروى عن ذلك حادثة وقعت في عام ١٢٣١هـ مفادها « أن شخصا من أبناء البلد يسمى حسين جلبى عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهى التى يدقون بها الارز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة بحيث أن الآلة المعتادة اذا كانت تدور بأربعة أثوار ، فيذير هذه ثوران ، وقدم ذلك المثال الى الباشا ، فاعجبه وانعم عليه بدراهم ، وأمره بالمسير الى دمياط ، ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ومعرفته . . . . . » (٦٠) .

وبعد أن رأى محمد علي ذلك قال ان في اولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف وأمر ببناء مكتب بحوش السراية لتعليم أبناء البلد قواعده الحساب والهندسة وعلم المقاييس والمقادير ، وفي عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م أمر محمد علي بإنشاء مدرسة تسمى المهندسخانة .

أما عن أطول مدارس الهندسة عمرا فقد افتتحت في المحرم ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م في بولاق ، ونظمت على مثال مدرسة الهندسة ببافيس ، وقد نجحت هذه المدرسة في تخريج أجيالا من المتخصصين الذين اعتمدت عليهم مصر في نهضتها (٦١) .

#### ب - المدارس الصناعية :

انشئت المدارس الصناعية في عهد محمد علي لتعليم الشبان المصريين أصول الصناعة واهم هذه المدارس :

##### ١ - مدرسة الكيمياء :

وقد انشئت في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م بمصر القديمة وكان طلابها يتعلمون فيها الصناعات الكيماوية .

٢ — مدرسة المعادن :

وقد انشئت في عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .

٣ — مدرسة العمليات أو الفنون والصنائع :

وقد انشئت في عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م وكانت تعنى في دراستها بالناحية العملية وقد حولت في عام ١٨٤٤م الى ورشة صناعية <sup>(٦٢)</sup> .

ج — المدارس العلمية والفنية :

لما كان محمد على في حاجة الى اعداد كبيرة من المثقفين لمساعدته في تنفيذ قيام الدولة الحديثة فقد بادر بانشاء عدد من المدارس التي يمكن أن تحقق له هذا الغرض ومن أهمها :

١ — مدرسة الادارة الملكية :

وقد انشئت في عام ١٢٥٠هـ/١٨٤٣م وكان طلابها يدرسون فيها المحاسبة ومبادئ الهندسة واللغة الفرنسية والجغرافيا ومبادئ الترجمة.

٢ — مدرسة التاريخ والجغرافيا :

وقد انشئت في عام ١٢٥٠هـ وكان القصد من انشائها تخريج مدرسين للتاريخ والجغرافيا في المدارس العسكرية .

٣ — مدرسة الألسن :

نتيجة لاعتماد الحركة العلمية في عصر محمد على اعتمادا كليا على الترجمة ، ونظرا لرغبة الباشا في التعرف على تراجم القواد والملوك السابقين ليفيد من خبرتهم وتجاربهم ويتجنب أخطاءهم <sup>(٦٣)</sup> فقد أمر محمد على بانشاء مدرسة الألسن في أوائل عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م بهدف تحقيق غرضين هما :

١ — اعداد مترجمين في مختلف العلوم والفنون .

٢ — اعداد مدرسين للغة الفرنسية للتدريس في المدارس التجهيزية والخصوصية .

وقد تولى رعاية الطهطاوى ادارة هذه المدرسة اثر عودته من فرنسا واستطاع بهمه أن يحقق أهدافها لدرجة أن هذه المدرسة استلضعت تخريج العديد من المترجمين الذين ترجموا عصارة الفكر الأوربى للمصريين، وكانوا كما وصفهم على باشا مبارك «أطروفة مصرهم وتحفة عصرهم» (٦٤).

ولما ظهر للباشا ما لهذه المدرسة من فوائد ذات تأثير كبير في الحركة الثقافية العامة ظل يعمل على تنميتها كما زودها بمجموعة عجيبة من المترجمين فيهم اليونانى والتركى والسورى .

ومن أشهر المترجمين الذين عملوا بهذه المدرسة المترجم السورى انطون رفائيل زاخوره الذى ترجم كتاب « الأمير فى علم التاريخ والسياسة والتدبير » للمؤلف الايطالى نيقولا ميكانيلى من الايطالية الى العربية حتى يتعرف محمد على على ما يتضمنه هذا الكتاب الذى سمح عنه ثناء متعددا من بعض الأوربيين (٦٥) ، والذى يعد أيضا صاحب السبق في ميدان الترجمة في تاريخ مصر الحديث فهو صاحب أول كتاب ترجم عن الفرنسية الى العربية وطبع في عهد الحملة الفرنسية وهو رسالة « ديجينت » عن مرض الجدري ، وهو أيضا صاحب أول كتاب ترجم عن الفرنسية وطبع في مطبعة بولاق في عصر محمد على ، هذا الى جانب قيامه بوضع قاموس ايطالى عربى .

وأحمد عاصم أفندى الذى ترجم كتاب مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين للجبرتى من العربية الى التركية وقد عاشت هذه المدرسة نحو الخمسة عشر عاما اخرجت اياها الانتاج العلمى الوفير ، ولكن الأمور لم تستمر طويلا على هذا المنوال فبعد وفاة محمد على ، وتولية عباس الأول الحكم اندثرت أحوال هذه المدرسة وساعت أمورها ثم الغيت في نوفمبر ١٨٤٩ (٦٦) وأبعد مديرها رعاية الطهطاوى الى السودان ليشراف على مدرسة ابتدائية في الخرطوم .

والجدير بالذكر أن ( محمد على ) لم يغفل الاهتمام بالطباعة باعتبارها أهم وسائل نشر المعرفة فارسل نقولا مسابكى الى ايطاليا ١٨١٦ للنخصص في فن الطباعة ، وقام بانشاء مطبعة بولاق الامرية وجعلها

بكل لوازم الطباعة الحديثة ، واختار من علماء الأزهر طائفة للقيام بتصحيح مطبوعاتها .

والى جانب ذلك فقد أصبح ببعض المدارس العالية مطابع خاصة فكان لكل من مدرسة المدفعية بطره ومدرسة الطب بأبى زعبل ومدرسة المهندسخانة ببولاق مطبعة تتولى طبع الكتب الخاصة بها وكان بالقلعة أيضا مطبعة تقوم من وقت لآخر بطبع الكتب (٦٧) .

### المرحلة الثالثة من ١٨٤١ الى نهاية عصر محمد على :

بعد ان تمت التسوية بين محمد على والدولة العثمانية عام ١٨٤٠/١٨٤١ وبدأ عهد الاستقرار السياسى وتحجيم اعداد القوات المصرية أخذ محمد على فى تسريح العديد من جنوده ، كما أغلقت العديد من المصانع المخصصة لخدمة الأغراض العسكرية على حين استمرت المدارس فى تخريج الموظفين اللازمين للحكومة ، ونتيجة لذلك تم اعادة النظر فى نظام التعليم ، وشكلت لجنة لبحث هذه الأوضاع فى ضوء الأوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة فقامت بوضع لوائح جديدة للتعليم انخفضت بموجبها اعداد المدرس الابتدائية فأصبحت مدرسة واحدة بالقاهرة وأربع بالاتليم ، أما عن المدارس التجهيزية والخصوصية فقد ظلت كما هى وان انقص عدد طلابها وبخاصة ان حاجة الحكومة الى الموظفين قد خفت حدتها (٦٨) .

وما سبق يتضح ان محمدا عليا أوجد نظاما جديدا من التعليم فى مصر يختلف عن النظام التعليمى الذى كان سائدا بها قبل ذلك وذلك بهدف سد حاجة الحكومة من الموظفين ومد الجيش والادارات والدواوين باحتياجاتهم من الضباط والموظفين ويتضح ان محمدا عليا اهتم بالتعليم العالى فى بادئ الأمر لانه لم يكن مرتبطا الى سيطرة الاجانب على التعليم ويريد التعجيل باحلال المصريين محلهم فارسل البعثات الى أوروبا ولما عاد طلابها حلوا محل معظم الاجانب يضاف الى ذلك ان التعليم كان يتصف بالصيغة الحربية سواء فى نظام الحياة فى المدارس او فى طريقة جمع التلاميذ لها او فى تبعية المدارس لديوان الجهادية مما أدى

الى نفور الاهالى من التعليم فى اول الامر وامتناعهم عن ارسال اولادهم الى المدارس كما يتضح ان الحكومة المصرية كانت تعتنى بالتلاميذ وتهىء لهم السبل الكفيلة لمساعدتهم على اتمام الدراسة من النواحي المادية والصحية وغير ذلك .

### ثانيا : محمد على وتكوين الجيش الحديث :

عندما وصل محمد على الى اريكة الحكم فى مصر كان جيشه من الالبان والشراكسة والارمن الذين كانت تنتشر الفوضى بين صفوفهم ، ولما كان هذا الجيش لا يمكن محمدا عليا من بناء الدولة الحديثة ولا يحق له آماله العريضة الواسعة التى ينشدها ، فقد رأى ضرورة التخلص من النظام العسكرى القديم ، وبناء جيش حديث عن طريق الاستعانة بالخبراء الأوربيين . ولم يكن تكوين هذا الجيش الحديث بالأمر الهين فتد صافد الباشا فى طريقه صعابا عديدة نذكر منها :

١ — معارضة الباشا فى محاولاته الاولى فى اغسطس ١٨١٥ عندما أعرب لجنوده عن رغبته فى تدريب احدى الفرق العسكرية على النظام الحديث ، وقيام بعض الجنود بالتمرد عليه وتأمرهم للاطاحة به (٦٩) .

٢ — وقوف بعض العلماء بجانب الجنود الالبان ضد رغبة محمد على فى تحديث جيشه بحجة القضاء على بدعة النظام الجديد وترديدهم للحديث الشريف « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

ونتيجة لذلك بدأ محمد على يصطنع الحذر فى معالجة الموقف فأخذ ينتحل المعاذير لتفريق الجند (٧٠) عن طريق ارسال بعضهم على صورة نجدات لجيوشه فى شبه الجزيرة العربية والسودان وابعاد البعض الآخر عن القاهرة بحجة حماية الثغور الواقعة على البحر المتوسط حتى توطد سلطانه وفى عام ١٨١٩ بادر محمد على بجلب عدد من السودانيين لاحتلالهم مكان جنوده من الالبان وغيرهم ، وعهد بتدريبهم الى ابراهيم اغا احد قواده ، ولكن هذه المحاولة لم تفلح لذلك رأى محمد على أن يتجه صوب أوروبا للاستعانة بالضباط المدربين على الطرق العسكرية الحديثة

في بناء جيشه ، وقد ساعده على ذلك انتهاء الحروب النابليونية في أوروبا ، ورغبة بعض الضباط الفرنسيين الخدمة في بلاد أخرى ، وقد اختار محمد على الكولونيل سيف Seves ليشغل منصب المعلم الرسمي لنظامه الجديد وفي حوالى عام ١٨٢٠ بدأ محمد على في انشاء المدارس العسكرية لتلقين قواته الأصول العسكرية الحديثة وفيها يلى نعرض لاهم هذه المدارس .

#### ١ — مدرسة المشاة العسكرية :

وقد انشئت في عام ١٨٢٠ ووضعت تحت ادارة الكولونيل سيف واختار محمد على طلابها من ابناء المالك ومن افراد أسرته ليكونوا النواة الاولى من ضباطه وكان مكان هذه المدرسة بالقلعة ثم انتقل الى اسوان حتى يبتعد الطلاب عن القاهرة ومؤثراتها من ناحية ولتكون قريبة من السودان التى كان يتوقع أن تكون من مراكز التجنيد الأساسية لجيش محمد على .

وقد لقى الكولونيل سيف متاعب جمة خلال تدريب طلاب هذه المدرسة خصوصا وانهم لم يتعودوا على الطاعة المطلقة لرؤسائهم كما انهم لم يعتادوا ان يتعلموا فنون الحرب على ايدى النصارى<sup>(٧١)</sup> ومع ذلك فقد ساعد الكولونيل سيف مؤازرة محمد على له في تخطي هذه الصعاب وبعد ثلاث سنوات من التدريب الشاق تم تخريج مجموعة من الضباط وصل عددهم حوالى ستة آلاف ضابط والى جانب ذلك اهتم محمد على بتدريب الجنود في هذه المدرسة وتعليمهم ، ولما كان من غير المعقول ان يختار هؤلاء الجنود من الالبان فقد فكر في تجنيد السودانيين وعهد الى ابنه اسماعيل أن يجمع له حشودا من الجنود السودانيين لتدريبهم على النظام الحديث ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح لاسباب عديدة منها انتشار الأمراض بين هؤلاء الجنود ، ونفورهم من أعباء الخدمة العسكرية النظامية مما اضطر محمد على الى تجنيد الفلاحين من أهل مصر في جيشه الجديد<sup>(٧٢)</sup> وانشاء الكنكات لتدريبهم في فرشوط واسوان وبنى عدى .

وقد وجد محمد على في بداية الأمر مصاعب جمة في تجنيد المصريين

خصوصا وانهم لم يتعودوا على الخدمة العسكرية قبل عصره لذلك قابل الفلاحون الانتظام في سلك الجندية مكرهين كما قام بعضهم بسمل عيون اولادهم او بتر اصابعهم حتى يتم اغاؤهم من التجنيد مما دفع محمد على الى أن يصدر أوامره بالقضاء الأمهات اللاتي يقعن بهذا العمل في النهر عقابا لهن<sup>(٧٣)</sup> ، وبمرور الوقت ألف المصريون الجندية ، وبدأوا يعتزون بالانتساب اليها ، وانتسعت دائرة تجنيدهم .

## ٢ - مدرسة اركان الحرب :

تأسست في اكتوبر من عام ١٨٢٥ بهدف تخريج ضباط اركان الحرب وتنظيم التشكيلات الفنية لفرق المشاة .

## ٣ - مدرسة البيادة ( المشاة ) :

وقد انشئت في عام ١٨٣٢ وظلت قائمة الى نهاية عصر محمد على حتى انفاها عباس الأول .

## ٤ - مدرسة السوارى :

وقد انشئت في الجيزة عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م وكان معظم تلاميذها من الأتراك والمماليك وقد نظمت هذه المدرسة على غرار المدارس الحربية الفرنسية ، واستمرت في عصر محمد على حتى انفاها عباس الأول .

## ٥ - مدرسة الطوبجية ( المدفعية ) :

وقد انشئت في طره عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م وكانت مواد الدراسة فيها هي المواد الحربية بالإضافة الى اللغات الأجنبية .

والجدير بالذكر ان محمدا عليا استعان في بداية الامر بالاساتذة الأجانب للقيام بالتدريس في المدارس ، والعمل في الإدارات الحكومية وتدريب الجيش .

ومع أن نظام التعليم في هذه المدارس كان اقتباسا من نظم التعليم الأوروبية<sup>(٧٤)</sup> فإن القسطنطين الأكبر من اليوم الدراسي كان يخصص لتحفيظ القرآن الكريم ، وتدريس العلوم الدينية ، واللغات الشرقية .

يضاف الى ذلك ان ( محمد على ) أسس في باريس مدرسة خاصة في عام ١٨٤٤م لطلبة البعثة المصرية كي يتعلمون فيها العلوم الحربية وغيرها على نمط المدارس العليا بفرنسا ، وكانت هذه المدرسة تحت رئاسة وزير الحربية الفرنسية<sup>(٧٥)</sup> .

هذا عن تطور الجيش المصرى البرى وتنظيمه ، اما عن البحرية في عصر محمد على فانه لم يكن في مصر قبيل عصر محمد على وحتى اواخر عام ١٨٠٩ أى سفن حربية ، وان محمد على لم يشروع في الاهتمام بالبحرية الا بعد تكليفه بخوض حروب الحجاز ، ولرغبته أيضا في تدعيم صلاته بدول العالم ، وتيسير تصدير المنتجات المصرية اليها . ونتيجة لذلك أمر محمد على ببناء بحرية مصرية في البحر الاحمر مستغلا في ذلك وجود ترسانة في بولاق كان قد انشأها الفرنسيون اثناء تواجدهم في مصر وقد جمع محمد على في هذه الترسانة العمال المهرة ، واستقدم صناعا من أوروبا كما جلب الأخشاب من آسيا الصغرى وكذلك اقام الباشا عدة منشآت في السويس ليجرى في مينائها تركيب أجزاء السفن بعد ان يتم نقلها من بولاق على ظهور الجمال ، وهكذا لم تكد تنقضى عدة شهور حتى كانت ترسانة بولاق قد انجزت صنع قطع اسطول صغير نقلت الى السويس<sup>(٧٦)</sup> ، كما استمرت في انشاء « المراكب الكبار والصغار التى تسرح في النيل من قبلى الى بحرى ومن بحرى الى قبلى »<sup>(٧٦)</sup> .

وفي شهر اغسطس ١٨١١ تجمع في ميناء السويس ثلاث وستون سفينة متعددة الانواع والاشكال استطاع محمد على عن طريقها نقل الجنود والمهمات العسكرية الى الحجاز والاستيلاء على مناطقتها الساحلية لتكون ارتكازا لعملياته الحربية بشبه الجزيرة العربية<sup>(٧٨)</sup> ، كما كان لهذا الاسطول الفضل في تطهير البحر الاحمر من القراصنة الذين كانوا يهاجمون السفن ، وفي امتداد النفوذ المصرى على شواطئ البحر الاحمر .

ولم يقتصر اهتمام محمد على بالبحر الاحمر فحسب بل امتد الى البحر المتوسط ، وبخاصة انه الواجهة المطلة على أوروبا ، فاهتم بالاسكندرية لتكون القاعدة الرئيسية لاسطوله بالبحر المتوسط ، وعهد الى شاك



افندى الاسكندرانى والى الحاج عمر بادارة ترسانة الاسكندرية كما انشا محمد على ادارة خاصة للأساطيل المصرية وجعل اسماعيل جبل طارق أمير البحار الأول<sup>(٧٩)</sup> أول رئيس لها . وقد كان للبحرية المصرية في البحر المتوسط دور فعال في معاونة الجيش المصرى خلال حروبه في بلاد اليونان ، وبعد ان قضى على هذه البحرية في موقعة نفاارين البحرية اعتزم محمد على انشاء اسطول جديد ، ووجه جل اهتمامه الى بناء ترسانة جديدة بالاسكندرية واستعان في بنائها بالمهندس البحرى الميوسريزى Cerisy وذلك في عام ١٨٢٩<sup>(٨٠)</sup> وقد تم بناء هذه الترسانة في عام ١٨٣١ كما تم انشاء بارجة حربية ذات مائة مدفع ، وصارت ترسانة الاسكندرية من اعظم المنشآت البحرية ، كما كانت معهدا لتدريب الشبان المصريين من بناء السفن وترميمها ولما استولى محمد على على السودان وانشأ مدينة الخرطوم عند ملتقى النيل الأبيض بالنيل الأزرق وجعلها العاصمة شيد فيها ترسانة كبيرة لبناء السفن النيلية والى جانب ذلك اهتم محمد على بالاسطول التجارى فقام بانشاء السفن التجارية لتكون الواسطة لنقل منتجاته من الموانئ المصرية الى الموانئ الاجنبية .

ولتكوين ابناء مصر من فنون البحار وبناء السفن على النمط الحديث استعان محمد على بالضباط الفرنسيين في انشاء المدارس البحرية لتدريب البحارة المصريين على السفن الحربية ، وتعليمهم فنون البحرية كما اوفد البعثات العلمية الى اوربا للتخصص في أعمال البحرية وهندسة بناء السفن ، ولتحلوا محل الفنيين الاجانب في ترسانة الاسكندرية بعد انتهاء دراستهم .

ولتنظيم امور البحرية المصرية والاشراف على قوات الاسطول وتدريباتها انشا محمد على ديوانا للبحرية ونتيجة لهذا المجهودات برز دور الاسطول المصرى في حروب الشام ، فقد حاصر الاسطول المصرى عكا لمدة ستة شهور حتى سقطت عنوة في ٢٧ مايو ١٨٢٢<sup>(٨١)</sup> كما تمكن هذا الاسطول من تعقب الاسطول العثمانى ومنعه من تقديم المساعدات للقوات العثمانية بالشام ، وانتهى الامر بتسليم قائد الاسطول العثمانى

أحمد باشا فوزى أسطول المكون من خمس وعشرين سفينة إلى محمد على واستمرت حالة الأسطول المصرى فى الازدهار حتى عقدت معاهدة لندن ١٨٤٠ التى حرمت محمد على من بناء السفن الحربية دون إذن من الباب العالي .

ومما سبق يتضح أن محمدا عليا قد اهتم بالبحرية المصرية منذ أن شرع فى حروب الجزيرة العربية وحرب المورة طلبية لطلب السلطان ، ورغم تحطيم الأسطول المصرى فى بلاد اليونان فقد تمكن محمد على من بناء أسطول جديد استطاع به منازلة الدولة العثمانية خلال حروب الشام ، ولكن تدخل الدول الأوربية فى النزاع بين السلطان ومحمد على انتهى بالاتفاق على تحجيم قدرات محمد على العسكرية وتحديد قوة مصر البرية والبحرية .

### محمد على والزراعة :

بعد أن تولى محمد على حكم مصر احدث انقلابا زراعيا كان من أهم مظاهره إلغاء نظام الالتزام<sup>(٨٢)</sup> والاستيلاء على الأراضى واعتبارها ملكا للحكومة وتأجيرها للفلاحين ونتيجة لذلك أصبحت علاقة الفلاحين مرتبطة مباشرة بالحكومة<sup>(٨٣)</sup> كما انتقل محمد على إلى الأراضى الموقوفة على المساجد ومؤسسات الخير فألغى أوقافها وضمها إلى أملاك الحكومة<sup>(٨٤)</sup>

وقد لزم محمد على الفلاحين ، باتباع الأساليب الحديثة فى الزراعة مما أدى إلى ترقية أساليب الزراعة وزيادة الإنتاج ، وإدخال العديد من الزراعات الجديدة كما ساعدت مشروعات محمد على الخاصة بخفر الترع وإقامة الجسور على سهوله رى الأراضى الزراعية .

والى جانب ذلك قام محمد على بتوزيع الأراضى البور على الأعيان وأعفاها من الضرائب لتشجيعهم على استثمارها وقد سميت هذه الأراضى « إبعاديات » ، كما خص أفراد أسرته بأراضى سميت « جنالك » أو شفالک وأعفاها من الضرائب .

وفى عام ١٨١٣م قام محمد على ببيع الأراضى الزراعية وحصرها

وفرض ضرائب ثابتة عليها سنويا وسمى ذلك بالتأريع ، وتعد دفاتر التأريع التى أمر محمد على بإنشائها المصدر الأساسى الذى تحدد فيه مساحة أطيان مصر ، ومساحة الأراضى المستعملة للمنافع العمومية فعرف كل فلاح الضرائب المقررة عليه <sup>(٨٥)</sup> ، كما أعفى بيمتضاها مشايخ البلاد من دفع الضرائب عن خمسة أفدنة من كل مائة فدان من زمام البلد الذى يعيشون فيه نظير خدماتهم للحكومة ، واستضافة من يحضر اليهم من موظفيها ، وقد سميت هذه الأراضى « مسموح المشايخ » او « مسموح المصطبة » <sup>(٨٦)</sup> .

وبعد أن فرض محمد على نظام الاحتكار فى عام ١٨١٦م الزم الفلاحين بزراعة المحاصيل الزراعية التى رأى انها ستحقق له مكاسب ضخمة ، وقيد حريتهم فى تصريف محصولاتهم وقام بشرائها منهم بالثمن الذى تحدده الحكومة .

وعلى الرغم من أن سياسة الاحتكار قد حققت لمحمد على أرباحا طائلة ساعدته فى تمويل نفقاته العسكرية والبحرية فان هذا النظام قد حرم المزارعين من التصرف فى ثمره كدهم ومن الحصول على الربح المناسب لحاصلاتهم كما جعلهم عرضة لمظالم موظفى الشئون وتلاعبهم فى الكيل والميزان ورفع أسعار احتياجاتهم الضرورية مما أدى الى زيادة تكاليف معيشتهم .

### محمد على والنهضة الصناعية :

عندما تولى محمد على حكم مصر كانت الصناعة الموروثة عن المماليك بدائية ولا تفى باحتياجات البلاد ، ومن هنا اقتضى النظام الاقتصادى الذى أدخله محمد على احتكار معظم الصناعات القائمة فى البلاد ، والاكثار من انشاء المصانع .

فقد احتكر صناعة الحصر وعمل الأوانى الفخارية ومصانع النسيج .

كما انشأ العديد من المصانع لكى تغنيه عن المصنوعات الأجنبية ، وتكثفه من الاعتماد عليها فى تسليح جيشه <sup>(٨٧)</sup> وقد جلب محمد على الصناع والمهندسين والخبراء من الخارج لتدريب العمال المصريين ،

وجلب الآلات من أوروبا بكهيات كبيرة كما قام بتشغيل آلاف الأعمال من المصريين فى هذه المصانع والجدير بالذكر أن المصريين نظروا الى تلك المصانع كما ينظر الإنسان الى كارثة نزلت بساحته ، فقد اعتبروها سجوناً أكثر منها أداة من أدوات الإنتاج ، وابتعدوا عن العمل بها لفترة ، وبخاصة أنهم كانوا يفضلون العمل فى الحقول الطليقة على جو المصانع وإدارتها السيئة مما اضطر الباشا الى استخدام القوة لإجبارهم على العمل بالمصانع .

وأهم المصانع التى شيدت فى عصر محمد على كانت مصانع للفزل والنسيج ، ومصنع للجوخ ببولاق ومصنع للحريز فى الخرنتش ، ومصنع للحبال ، ومصنع لنسج الصوف ، ومصنع للطرابيش ، ومصنع لنسج الكتان ، ومصنع لسبك الحديد ببولاق ، ومصانع لالواح النحاس ، ومصانع للسكر ، ومصانع للنيلة ، ومصانع للصابون ، ودبح الجلود ، والزجاج والصينى ، ومعاصر الزيوت وغيرها (٨٨) .

وقد اهتم محمد على بهذه المصانع اهتماماً كبيراً ووضع بعضها تحت إشراف ديوان الجهادية والبعض الآخر تحت إشراف الخزينة مباشرة ، بيد أن هذه المصانع تطلبت عمالاً مديريين وأموالاً طائلة ، مما جعلها تتعرض لخسائر كبيرة ، وبخاصة فى سنواتها الأولى ، ثم تغيرت الأمور بعد انتظام إدارة هذه المصانع واستطاع الباشا أن يجنى بعض الفائدة ، كما استطاع تصدير منتوجاته الصناعية الخاصة بالفزل والنسيج الى بعض ثغور إيطاليا وسورية والأناضول وبيع ما تبقى منها داخل مدن وقرى مصر (٨٩) .

وبعد أن نجح محمد على فى تشغيل مصانعه بدأ يحتكر بعض الصناعات التى يعمل بها الأهالى فعلى سبيل المثال احتكر صناعة الأقمشة ، ومنع الأهالى من تشغيل أنوال الفزل والدوبارة (٩٠) .

ومع أن هذه المصانع كانت موضع عناية محمد على فى حياته ، فقد أغلق بعضها فى أواخر عصره وبخاصة بعد معاهدة لندن ١٨٤٠/١٨٤١ ، كما أغلق البعض الآخر فى عصر حفيده عباس الأول بسبب ضعف

الرقابة عليها ، وعدم توفر المواد الخام اللازمة لتثمينها مثل الفحم والحديد ، وان استيرادها من الخارج يكلف البلاد نفقات كبيرة (٩١) .

### خامسا : محمد على والتطور التجارى :

كانت التجارة موردا ثابتا من الموارد الأساسية لحكومة محمد على ، فقد استطاع أن يقبض بكلتا يديه على الحركة التجارية فى الداخل والخارج عن طريق استخدامه لأسلوب الاحتكار التجارى ، ففى الداخل سيطر على محاصيل البلاد الزراعية بأكملها عن طريق اجبار الفلاحين على أن يبيعوا للحكومة محصولات الاراضى التى يزرعونها بالائمان التى تحددها لهم ، واذا اراد الفلاح أى شئ منها لفدائه ففى استطاعته أن يشتري من الحكومة بالائمان التى تحددها هى أيضا (٩٢) .

وقد نجم عن ذلك ارتفاع أسعار الحاجيات والمواد الغذائية وعانى الفقراء بؤسا من جرائه أما فى الخارج فقد صار التجار الأجانب لا يستطيعون التعامل سوى مع شخص واحد هو الباشا نفسه وبذلك سيطر محمد على منذ بداية حكمه على التجارة الخارجية سيطرة تامة وكان القطن هو أهم السلع فى التجارة الخارجية ويليه فى الأهمية القمح لذلك اهتم محمد على بهذين المحصولين ، فادخل القطن الطويل الثقيلة محل القصر الثقيلة ، كما عمل على تنشيط زراعة القمح وزيادتها مما أدى الى فتح آفاق جديدة للتجارة المصرية فى الاسواق الاوربية وزيادة أرباح محمد على زيادة طائلة .

وقد عم محمد على نظام الاحتكار فى كل ممتلكاته ففى السودان احتكرت الحكومة جميع محصولات البلاد ومنتجاتها وكادت تنفرد بشراء الصمغ وسن الفيل والجلود وغيرها وفى سوريا قام الباشا بتطبيق نظام الاحتكار على محصول الحرير مما أدى الى شكوى الأهالى من هذا النظام .

وفى كريت أراد محمد على أن يسيطر على تجارة الزيت يضاف الى ذلك أن رغبته فى الانفاذ من تجارة الشرق دفعته الى الرغبة فى الاستيلاء على اليمن والسيطرة على تجارة البن بها .

ولتنشيط العملية التجارية اهتم محمد على بالطرق البرية والبحرية ،  
غداً طريق السويس البرى يسترد مكانته القديمة .

كما بدأت الاسكندرية تزدهر وبخاصة بعد حفر ترعة المحمودية<sup>(٩٣)</sup>  
التي ربطتها بالنيل ، وزاد نقل البضائع منها الى داخل البلاد مما أدى الى  
تقاطع التجار اليها من مختلف انحاء أوربا .

يضاف الى ذلك قيام محمد على باصلاح مرافق بولاق وغيره من الموانئ  
المصرية ، وانشاؤه مجلسا تجاريا مؤلفا من المصريين والاجانب للحكم  
في القضايا التجارية .

وقد هدف محمد على في أن يكون الميزان التجارى في صالحه وذلك  
عن طريق زيادة الصادرات المصرية على الواردات ، كما عمل على أن  
تقوم البلاد بإنتاج حاجتها من السلع لتكتفى بمصنوعاتها ومنتجاتها في  
سد مطالبها فلا يكون هناك حاجة للشراء من الخارج .

وقد فرض محمد على نظام الضرائب الجبركية على تجارة المصادر  
والوارد ، مما ضايق انجلترا ، ودفعها للضغط على الباب العالي وتوقيع  
المعاهدة الانجليزية العثمانية في التاسع من اغسطس ١٨٣٨ وانتهى أدت في  
النهاية الى اضعاف نظام الاحتكار في ممتلكات الباشا والغاء هذا النظام  
فى النهاية<sup>(٩٤)</sup> ، ومن ثم ركود الحركة التجارية في الفترة الاخيرة من حكم  
محمد على .

ومما سبق يتضح ان تجارة مصر الخارجية ازدهرت في عصر محمد  
على اكثر من العصر الذى سبق وصوله الى اريكة الحكم في مصر بشكل  
ملحوظ ولكن حروبه مع الدولة العثمانية ، وموقف انجلترا المناوئ له قد  
أديا فى النهاية اضعلال هذه التجارة وركودها .

### سادسا : محمد على والاهتمام بالشؤون الصحية :

لما كانت مصر تعاني من انتشار الاوبئة واشتداد ويلاتها وخاصة  
البرد والدوسنطاريا والجدرى والطاعون والكوليرا ، فقد اهتم محمد على

بالشئون الصحية اهتماما كبيرا وكانت الوسائل التى لجأ اليها تشتمل على نوعين اما وقائية كالحجر الصحى ، واما علاجية كالاغتماد على معاونة الاطباء الاجانب امثال « كلوت بك » و « جيطانى بك » فى بحث شئون الصحة العامة واتخاذ ما يلزم لكافة هذه الامراض ، وكذلك انشاء مدرسة الطب ، واستحضار الكتب الطبية والادوية واقامة المستشفيات وايجاد اذيعوث الطبية الى الخارج ، وتشجيع الاطباء والهيئات العلمية التى تعد الى مصر لمزاولة مهنة الطب<sup>(٩٥)</sup> .

كما قام محمد على بمطاردة المشعوذين والدجالين وادعاء الطب ، وكتاب الاحجبة الذين انتشروا فى البلاد .

وكذلك كان من اثر عناية محمد على بالصحة انه اصدر امرا بانشاء مارستان بابى زعبل ، كما انشا المدارس الطبية والمستشفيات ومجلس الصحة العمومية وعمل على ردم البرك والمستنقعات وهدم الاكواخ القذرة وقفل مداخل الجلود من وسط المدينة .

### سابعاً : تقييم عصر محمد على :

وهكذا يتضح ان محمد عليا قد نجح فى توطيد دعائم النهضة المصرية الحديثة حيث ارسى دعائم النهضة التعليمية الحديثة ، ووضع قواعد النهضة الاقتصادية ، وانشأ الحكومة المركزية بانظمتها التى لم تعرفها مصر قبل عهده ، وبنى الجيش والاسطول بهدف الاحتفاظ بمصر وتقويتها ، والقدرة على الدفاع عنها ، وحاول اقامة دولة قوية تمتد حدودها من جبال طوروس شمالا الى اقصى السودان جنوبا ومع ذلك فان من مثالبه انه لم يؤمن بالحركة الشعبية التى مهدت له الوصول الى حكم مصر ، فقام بشل حركة رجال الدين فى كبح جماح الطبقة الحاكمة ، ونجح فى اشاعة روح الفرقة والنفور بينها<sup>(٩٦)</sup> . وقصر المناصب العليا على الارستقراطية العثمانية كما انه قام باضعاف شان طبقات الحرفيين والتجار بعد تنفيذه لنظام الاحتكار مما ادى فى نهاية الامر الى تغلغل الرأسمالية الاجنبية داخل

البلاد ، وعدم القدرة فى السيطرة عليها ، وتزايد ارتباط المسألة المصرية  
بمعجزة المؤثرات والدسائس التى كانت تحكيها أوروبا .

يضاف الى ذلك فانه يمكن القول اذا كان الشعب المصرى تد عانى  
من الارهاق والمظالم المتعددة فى عصر محمد على ، فان هذه المظالم اذا قيست  
بالعصر الذى سبقته فاننا نجدها اخف وطأة .

وعلى كل حال فقد توفى محمد على فى الثانى من أغسطس ١٨٤٩  
وخلفه حفيده عباس الاول فى الحكم .



## مراجع الفصل الثمانى

- (١) للتفاصيل انظر عبد الرحمن الراجى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر د ٢ ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م ص ٣٢٨ .
- (٢) الجبرى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار د ٣ ص ٣٥٠ .
- ٣ — عن تفاصيل وصول محمد على كرسى الحكم فى مصر انظر :  
Dodwell, H : The Founder of Modern Egypt, A Study of Muhammad Ali, Cambridge, 1932 .
- (٤) محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر د ١ ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٣٣٤ .
- (٥) الراجى : المرجع السابق د ٢ ص ٣٧٠ — ٣٧١ .
- (٦) الجبرى : المصدر السابق د ٤ ، المطبعة الشرفية ١٣٢٢ هـ ص ١٩ .
- (٧) شكرى : المرجع السابق د ٢ ص ٥٨٢ .
- (٨) الجبرى : المصدر السابق د ٤ ص ٤٩ .
- (٩) للتفاصيل انظر :  
Dodwell, H : op. cit., p. 25 — 26 .
- (١٠) كريم ثابت : محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٣ ، ص ٥٣ .
- (١١) للتفاصيل انظر : الجبرى : المصدر السابق د ٤ ص ٦٩ .
- (١٢) نفسه ص ٢٠٦ .
- (١٣) شكرى : المرجع السابق د ٣ ص ١٣٠٨ .
- (١٤) بنى بالقلعة بعد الفتح العثمانى لمصر .
- للتفاصيل انظر بول كازانونا : تاريخ ووصف قلعة القاهرة — ترجمة أحمد دراج — القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ص ١٨٦ .
- (١٥) عن تفاصيل ذلك انظر :
- عبد الرحمن الراجى : المرجع السابق د ٣ ص ١٠١ — ١٠٨ .

(١٦) دار انونائق القومية : سجلات عابدين ، سجل رقم ( ١ ) وثيقة رقم ( ٤٠ ) رسالة من محمد على الى الصدر الاعظم بتاريخ ٢٠ من ربيع الاول ١٢٢٦هـ / ٩ أبريل ١٨١١م .

(١٧) دار الوثائق القومية بافلمعة : دفتر تركى رقم ( ١ ) ترجمة الوثيقة رقم ٢٣ بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٢٤هـ رسالة من محمد على الى الدولة العلية .

(١٨) الجبرتى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٦ تحت عنوان « واستهل شهر ذى الحجة ١٢٢٦ هـ » .

(١٩) لتفاصيل ذلك انظر مقالنا بمجلة العرب عدد شعبان ١٤١٠هـ تحت عنوان « امرأة عربية تقود الكفاح دافعا عن الدعوة السلفية » .

(٢٠) بلدة واقعة بين انطائف ورتبة ، وقد استطاعت قوات محمد على احتلالها في ٢٨ محرم ١٢٣٠هـ / ١٠ يناير ١٨١٥ بعد معركة عنيفة مع قوات الأمير فيصل بن سعود : للتفاصيل انظر الرافعى : عمر محمد على ص ١١٢ .

(٢١) داود بركات: البطل الفاتح ابراهيم وفتح الشام ١٨٣٢ ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية ص ٣ — ٤ .

(٢٢) للتفاصيل انظر بحثنا المعنون دعوة انشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابات الجبرتى ، مجلة جامعة الابهام بن سعود الاسلامية العدد الاول ١٤٠٩هـ ص ٣١٠ — ٣١١ ، وانظر ايضا الجبرتى : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٢٣) احمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الأردن ، مكتبة المنار ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ ص ١٧ .

(٢٤) محافظ بحر برا — محفظة رقم ٦ وثيقة رقم ١٢ ، رسالة من احمد اديب كتخدا الصدارة العثمانية الى محمد على .

(٢٥) محمد فؤاد شكرى وآخران : بناء دولة مصر محمد على : القاهرة ، دار الفكر العربى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ص ١٥١ .

(٢٦) عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٠ ص ٩٥ — ١٤٦ .

(٢٧) عن مدى حجم هذه القوات انظر : بدير كرايبتس : ابراهيم باشا — ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧ ص ٧٠ .

(٢٨) تاريخ البحرية المصرية ص ٦٣٥ — ٦٣٧ .

(٢٩) كرايبتس : المرجع السابق ص ٨١ .

(٣٠) تاريخ البحرية المصرية ص ٦٤٦ .

(٣١) عن نص شروط هذا الاتفاق انظر :

Dodwell, H. : op. cit., p. 22 .

(٣٢) الرافعى : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٣٣) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٣٧٦ .

(34) Dodwell, H. : op. cit., p. 108 .

(٣٥) اسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام المجلد الأول ١٢١٥ — ١٢٤٧هـ / ١٨١٠ — ١٨٣٢م بيروت ١٩٤٠ ص ١٢١ .

(٣٦) داود بركات : المرجع السابق ص ٧ ، ٩ .

(٣٧) سليمان عز الدين : ابراهيم باشا فى سورية ، بيروت ١٩٢٩ ص ٧٦ .

(٣٨) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٥١ بتاريخ ٣٠ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، وانظر ايضا كتابنا الجيش المصرى وفتح عكا — دراسة فى ضوء وثائق عابدين .

(٣٩) جورج انطونيوس : يقظة العرب — ترجمة على حيدر الركابى ، دمشق ، ١٩٤٦ ، ص ١٣ .

(٤٠) كريم ثابت : المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٤١) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٣٧٦ .

(٤٢) بدير كرايبتس : المرجع السابق — ص ٢٣١ .

(٤٣) محمد فريد : البهجة التوثيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية القاهرة ، مطبعة بولاق ص ١٤١ .

- (٤٤) محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٥٩ ترجمة الوثيقة التركية ١٦٤ — ١ بتاريخ ١١ من ربيع الآخر ١٢٥٦ هـ ، وانظر أيضا كتابنا « ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد على في بلاد الشام » .
- (٤٥) محمد بدیع شریف وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ص ٥٧١ .
- (٤٦) رفاعة الطهطاوى : مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ، القاهرة ، مطبعة الرغائب ، ١٢٣٠ هـ ص ٣٧٢ .
- (٤٧) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد على ص ٣١ — ٣٦ وللنفاصيل انظر : عمر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد على ثم في عهدى عباس الأول وسعيد ، الاسكندرية ، مطبعة صلاح الدين ١٩٣٤م ، ومن الشخصيات الفذة التى اشتركت في هذه البعثات رفاعة الطهطاوى الذى رافق اربعين طالبا من طلبة البعثة الى باريس عام ١٨٢٦ ليكون امايا لهم ثم فتحت باريس له عالما جديدا .
- (٤٨) كان كتاب الأمير لمكيافلى Machiavelli من أوائل الكتب التى أمر محمد على بترجمتها : وقد قام بترجمته مترجم سوري هو الأب انطون رفائيل زاخورة راهبة .
- (٤٩) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد على القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥١ ص ١٠ .
- (٥٠) عن تفاصيل ذلك انظر عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٢٧ .
- (٥١) كانت هذه المدارس تسمى المبتديان وهى جمع مبتدئ فالآلاف والازون علامة الجمع في التركية .
- (٥٢) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٨٢ — ٨٤ .
- (٥٣) كان محمد على شديد الاهتمام بأعضاء البعثات يتتبع أحوالهم ويتقصى أخبارهم ، يرسل اليهم الخطابات يحثهم فيها على الدراسة والمراظبة .
- انظر : رفاعة الطهطاوى : تخلص الابريز ص ١٥١ .
- (٥٤) الشيال : المرجع السابق ص ٩ .
- (٥٥) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٩٣ — ١٠٣ .

(٥٦) للتفاصيل انظر : كلوت بك : لمحة عامة الى مصر د ٢ —  
ترجمة محمد مسعود ، القاهرة — مطبعة ابي المهيول ص ٦٢٧ — ٦٢٨ ،  
وانظر ايضا :

Bowring : Report on Egypt and Candia, London 1840 p. 140.

(٥٧) كلوت بك : المرجع السابق د ٢ ص ٦٣٧ .

(٥٨) للتفاصيل انظر : احد عزت عبد الكريم : المرجع السابق  
ص ٩٦ — ١٠٣ .

(٥٩) امين سامي : تقويم النيل وعصر محمد على د ٢ ، القاهرة  
دار الكتب المصرية ، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م ص ٤٧٢ — ٤٧٣ .

(٦٠) الجبرتي : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٦١) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٦٧ — ٣٦٨ .

(٦٢) جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٦٣) ذكر محمد على في حديث له مع الدكتور بورنج Bowring

بأن أحد من يثق فيهم من الأوربيين نصحه بأنه اذا أراد ان يصبح  
رجلا عظيما فيجب عليه قراءة التاريخ ليتعلم منه فنون الحكم

Bowring : Report on Egypt and Candia p. 145 .

(٦٤) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٥٤ — ٥٥ .

(٦٥) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا في دار الكتب المصرية تحت رقم  
٤٣٥ .

(٦٦) الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٦٧) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٤٧٨ — ٤٧٩ .

(٦٨) عزت عبد الكريم : المرجع السابق صفحات ١٢٣ — ١٢٤ ،  
١٢٩ .

(٦٩) لتفاصيل ذلك انظر الجبرتي : المصدر السابق : حوادث  
٢٥ شعبان ١٢٣١ هـ .

(٧٠) محمد فؤاد شكرى وآخرون : المرجع السابق ص ١٤٩ .

(٧١) الرافعي : عصر محمد على ، القاهرة ، الطبعة الثالثة  
ص ٣٨٠ .

- (٧٢) شكرى : المرجع السابق ص ١٥١ .
- (٧٣) عزت عبد الكريم : المرجع السابق ص ٣٧ .
- (٧٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٦٤ .
- (٧٥) عن تفاصيل ذلك انظر عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهد عباس الاول وسعيد ص ١٧٥ وما بعدها .
- (٧٦) شكرى : المرجع السابق ص ١٣١ .
- (٧٧) الجبرتى : المصدر السابق ج ٤ القاهرة ، المطبعة الشريفة ١٣٢٢ هـ ص ١٠٩ .
- (٧٨) نخبة من اساتذة جامعة الاسكندرية : تاريخ البحرية المصرية فى العصر الحديث ، الاهرام التجارية ، ١٩٧٠ ص ٦١٠ .
- (٧٩) قائد بحرى برز اسمه فى تاريخ البحرية المصرية للتفاصيل انظر : جميل خانكى : تاريخ البحرية المصرية ، القاهرة ، السلاح الملكى ، ١٩٤٨ ص ٤٢٧ .
- (٨٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٢٧ .
- (٨١) للتفاصيل انظر كتابنا الجيش المصرى وفتح عكا .
- (٨٢) عن تفاصيل ذلك النظام انظر :
- Gibb and Bowen : Islamic Society and the West. pp. 172 - 173 .
- ومن المعروف ان الملتزم كان يلتزم بجباية الضرائب من الاهالى فى نظير ان يدفع للحكومة المال المحدد لسنة واحدة مقدما عن دائرة التزامه ثم يصبح حر التصرف فى دائرة التزامه فيستبد بالفلاحين كما يشاء ، وقد الفى محمد على هذا النظام وقام بتمويض الملتزمين باقطاعهم « اطيان الوسية » .
- (٨٣) محمد احمد الحته : تاريخ الزراعة المصرية فى عهد محمد على الكبير ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٠ ص ١٠٥ .
- (٨٤) كريم ثابت : المرجع السابق ص ٨١ .
- (٨٥) تراوحت الضريبة على الفدان ما بين اربعة قروش وبصف على الاقل وتسعة واربعون على الاكثر ثم عدلت هذه الضرائب بعد ذلك بغرض زيادتها .

- (٨٦) الرافعى : عصر محمد على ص ٦٣٦ — ٦٣٧ .
- (٨٧) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢ ص ٣٥ .
- (٨٨) للتفاصيل انظر : شكرى : المرجع السابق ص ٨١ — ٨٤ .
- (٨٩) الرافعى : عصر محمد على ص ٥٩٧ .
- (٩٠) امين عفيفى مصطفى : تاريخ مصر الاقتصادى والمالى ، القاهرة الانجلو المصرية ، ١٩٥١ ص ٨٩ .
- (٩١) امين عفيفى : المرجع السابق ص ٩٥ .
- (٩٢) محمد فؤاد شكرى وآخرون : المرجع السابق ص ٤٧ .
- (٩٣) نسبة الى السلطان محمد الثانى .
- (٩٤) شكرى : المرجع السابق ص ٥٨ — ٥٩ .
- (٩٥) شكرى : المرجع السابق ص ٨٨ .
- (٩٦) للتفاصيل انظر الجبرتى : المصدر السابق ج ٤ ص ٦٩ .

## الفصل الثالث

### عصر خلفاء محمد علي

✽ عصر عباس الأول ١٨٤٨ — ١٨٥٤

✽ عصر سعيد ١٨٥٤ — ١٨٦٣

✽ عصر اسماعيل ١٨٦٣ — ١٨٧٩





## عباس باشا وعصره ١٨٤٨ – ١٨٥٤

نص فرمان الوراثة فى اسرة محمد على أن وراثة العرش تكون لأكبر أفراد سلالة محمد على ، ومع أن مؤسس الأسرة كان يرغب فى أن يتولى ابنه إبراهيم الحكم من بعده فقد تولى إبراهيم فى حياة أبيه<sup>(١)</sup> مما أدى الى انتقال حكم مصر الى عباس باشا حفيد محمد على<sup>(٢)</sup> فى ٢٤ نوفمبر ١٨٤٨ . ويعتبر عصر عباس الأول عهد رجعية فففيه أوقفت حركة التقدم والنهضة التى تبناها محمد على ولهذا يجمع مؤرخو عصره على وصفه بالجمود والرجعية والاستبداد والتقلب .

فى كرابيتس أن عصر عباس كان « مزيجا من الجهل والجبن والتعصب » وان عباسا كان « كثير التقلب متأخرا رجعيا ، يكره الأساليب الأوروبية وكل ما هو غربى »<sup>(٣)</sup> ، ويرى انجلو ساماركو **Sammarco** أن أكثر ما تنسم به ادارة عباس هو العداء الوحشى للحضارة الأوروبية وكرهه الشديد لانجازات جده محمد على<sup>(٤)</sup> .

ويرى الرفاعى أنه كان مثاذا وفيه ميل الى القسوة ، وسوء الظن بالناس والعزلة<sup>(٥)</sup> .

والى جانب ذلك فقد وصف الدكتور عزت عبد الكريم سيرته فى الإصلاح الداخلى بأنها كانت فشلا متصلا<sup>(٦)</sup> .

وعلى أى حال فقد كان عباس الأول يفضل أن يعيش فى عزلة عن الناس ، ولا يرغب فى أن يراه أحد ، لذلك كان يقيم فى قصور حصينة بعيدة عن الأنظار فى الصحراء أو فى سواحل البحر وحوله العديد من عبيده ومجموعة من الوحوش الضارية التى كان يلهو بجمعها وترويضها<sup>(٧)</sup> فقد بنى قصرا بالعباسية وكانت اذ ذاك فى جوف الصحراء ، وقصورا أخرى فى أماكن نائية<sup>(٨)</sup> .

وقد انتشرت الجاسوسية في عهده انتشارا كبيرا لدرجة أن الشخص كان لا يأمن على نفسه حتى من أقرب المقربين إليه ، وخاصة وأن النفى الى السودان كان من الأمور المألوفة في ذلك الوقت (٩) .

والى جانب ذلك فقد فرض عباس باشا القيود على الأجانب المقيمين في مصر وتخلص من كان يعمل منهم في المصالح والمؤسسات الحكومية وأغلق معظم المدارس الخصوصية ومنها مدرسة الألسن ونقل أساتذتها الى السودان ، واستدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم في الخارج كما أغلق المصانع والمعامل بحجة الاقتصاد في النفقات ، وساعات حالة الجيش والبحرية ومعظم شئون العمران .

أما عن أهم أعماله التي تحققت خلال حكمه فكانت اصلاح الطريق بين القاهرة والسويس ، ومد السكة الحديدية من الاسكندرية الى القاهرة في عام ١٨٥٢ ، هذا الى جانب اهتمامه بالأمن وقطع دابر قطاع الطرق والأشقياء ، والاهتمام ببناء الاستحكامات الحربية وانشاء الطرق الحربية ، ومد الخطوط التلغرافية .

كما وضع حجر الأساس الأول لمسجد السيدة زينب بالقاهرة (١٠) وفي عهده اشترك الجيش المصرى في حرب القرم التي أبلى المصريون فيها بلاء حسنا ، واستطاعوا صد هجمات الروس .

ومما يذكره التاريخ لعباس الأول انه لم يفتح على مصر أبواب التدخل الأجنبى ، ولم يمد يده للاستدانة منهم كما فعل سلفيه سعيد واسماعيل بعد ذلك .

ولم يستمر حكم عباس الأول طويلا حيث لم يزد على خمس سنوات . وتتعدد الأقاويل حول وفاة عباس الأول وان كان الرأى الشائع هو أن احد اقربائه (١١) أرسل اليه من الأستانة اثنين من عبيده انقضا عليه هو نائم وخنقه في شوال ١٢٧٠هـ / ١٤ من يوليو ١٨٥٤ وبعدها تلقى « ألفى بك » محافظ القاهرة دعوة مفاجئة للإسراع ليلا الى قصر بنها الكائن على بعد عشرين ميلا من القاهرة ، حيث وقع الحادث . فاصدر أوامره .

مشددة بالألا يذيع احد خبر وفاة عباس . كما أمر باحضار المركبة الرسمية الى مدخل القصر الخاص ووضع فيها بمساعدة رئيس الخصيان جثة الميت جالسة كما يجلس الحى ، وجلس هو مواجهها لها بحسب العادة . ثم سارت بها المركبة عشرين ميلا الى القاهرة يحيط بهما الحرس بالابهة المعتادة ووصلا الى القاهرة دون أن يدري أحد بالحققة ، ولم يكن ذلك مستغربا اذا تذكرنا أن عباسا اعتاد أن يسير فى طريقة لا يلتفت يمينه ولا يسره . ولما وصل الموكب الى القلعة أمر « الفى بك » بتصويب مدافعها الى مدينة القاهرة ، وكانت تحرسها حامية قوية ، ثم أعلن الحقيقة للأهالى وقال انه سوف ينادى بالبرنس الهامى نجل عباس حاكما على مصر ، ولم يعيبه بحقوق سعيد باشا<sup>(١٣)</sup> ، ولما كان الهامى وقتذاك فى أوروبا ، فقد تم استدعاؤه لتولى الحكم .

ونظرا لأن غرمان الوراثة يحتم أن يتولى أمور الحكم سعيد باشا ابن محمد على وليس الأمير الهامى الابن الأكبر لعباس باشا فان الفشل ما لبث أن أحاط بهذه الفكرة وخاصة وان ممثل انجلترا فى مصر قد تدخل فى الأمر ونصح بتنصيب الوارث الشرعى بلا ابطاء .

ومما سبق يتضح أن مصر فى عصر عباس الأول قد تردى بها الحال الى درجات سحيقة من السوء ، ويكفى أن نذكر أن عباسا قضى على مشروعات محمد على الإصلاحية الا ما ندر ، وان عصره تميز بالقسوة وإيقاع الظلم بالأهالى حتى جاء عصر سعيد باشا فتغيرت الأمور الى حد كبير .

## سعيد باشا وعصره ١٨٥٤ - ١٨٦٣م

اشتهر سعيد باشا ابن محمد على برحابه الصدر والعطف على الأوربيين كما امتاز بقدر كبير من النشاط والمهارة والقدرة على ادارة البلاد وكثيرا ما اقتبس عادات الأوربيين وآدابهم الا انه كان يفضل عادة تعدد الأزواج على الاقتصار على زوجة واحدة وكان يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ومن رفاق صباه فردينان ديلسبس (١٣) .

والى جانب ذلك يتميز عصر سعيد بظهور وطنية جديدة بأن نعتبرها من بواكير الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث ، وساعد على ذلك ميل سعيد الوطنية ورغبته في تحرير المصريين من المظالم الواقعة على كواهلهم وتخفيف عبء الضرائب المفروضة عليهم ، وتشجيعهم على تقلد المناصب الكبرى سواء في الجيش أو في الادارة وعن ذلك يذكر أحمد عرابى وهو أحد شهود العيان في ذلك الوقت أن نزعة سعيد باشا الوطنية برزت في خطبة له القاها في حفل جمع كثيرا من كبراء القوم حيث قال « وحيث اننى اعتبر نفسى مصريا فوجب على أن أربى أبناء هذا الشعب وأهذبه تهذيبا حتى أجعله صالحا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ، وبستغنى بنفسه عن الأجانب وقد وطدت نفسى على ابراز هذا الرأى من الفكر الى العمل » ويقول عرابى « لما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حائقين مشدوهين مما سمعوا ، وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحا استبشارا » (١٥) .

وقد بذل سعيد باشا جهودا ملحوظة لاصلاح احوال الفلاحين فسمح لهم بحق الملكية العقارية للأراضى الزراعية ، وأصدر لهذا الغرض قانونه المعروف باللائحة السعيدية (١٦) ، كما ألغى نظام احتكار الحاصلات الزراعية فصار للفلاح حرية التصرف في حاصلاته وحرية اختيار انواع المزروعات التى يرغب في زراعتها وخفف عن الأهالى عبء الضرائب واعفاهم من المتأخرات القديمة عليهم ، واهتم بتطهير ترعة المحمودية ، وانشأ الخطوط الأنفاقية ، ومد الخط الحديدى بين القاهرة والسويس واهتم بترقية شئون الجيش ، وقتل مدة الخدمة العسكرية ثم عممها بين كافة الشبان

بحيث يذهب الى الجندية ابناء المشايخ والعمد واقاربهم كسائر ابناء الفلاحين ، وكان سعيد باشا ميالا الى ترقية الضباط المصريين واعطائهم حقهم في التقدم وفي عهده ارتقى انكثرون منهم الى الرتب العسكرية العالية ومن هؤلاء احمد عرابى . كما وجه سعيد باشا جل اهتمامه الى ترقية شأن الاسطول المصرى ، ولكن الدول الاوربية وقفت حجر عثرة امامه مما ادى الى اضمحلال البحرية المصرية في عهده (١٧) .

وفي عهده اشتركت مصر في حربين هما حرب القرم التى استمرت بعد وفاة عباس الاول ، وارسل سعيد باشا نجدات الى الجيش المصرى خلالها حتى تم انتصار الدولة العثمانية على الروسيا وابرام معاهدة الصلح في عام ١٨٥٦ فى مؤتمر باريس الذى سلمت فيه الروسيا بمطالب العثمانيين ، اما عن الحرب الثانية فكانت حرب المكسيك وموضوعها انه نتيجة لاصرار نابليون الثالث على عدم الجلاء عن المكسيك بعد صدور مبدأ مونرو ، نان الصعوبة التى تواجهه هى ان جنوده لا يستطيعون احتمال جو المكسيك حيث كانت الحمى الصفراء تحصدهم حصدا ، ونتيجة لذلك سعى لى صديقه سعيد باشا بأن يقدم القوات اللازمة لحرب المكسيك . وبعد موافقة سعيد باشا على اشراك مصر فى هذه الحرب التى ليس لها فيها لا نائبة ولا جبل ، غادرت حملة مؤلفة من اربعمائة وخمسين جنديا (١٨) ميناء الاسكندرية فى ٢٨ ديسمبر ١٨٦٢ على ظهر بارجة حربية فرنسية الى المكسيك ، وقد ابلت هذه القوات بلاء حسنا حتى فنى معظم رجالها ، واضطر الجيش الفرنسى الى الجلاء عن المكسيك .

وهكذا ورط سعيد باشا بلاده فى حرب طاحنة فى بلاد نائية ليس فيها مصلحة على الاطلاق اذ لم يكن معقولا أن بلاد المكسيك تهتم مصر بأى شكل من الاشكال .

وعلى كل حال فقد عاد من تبقى من هذه المجموعة الى مصر فى مايو ١٨٦٧ حيث كان الخديو اسماعيل قد تولى زمام الامور وما يؤخذ على سعيد باشا ثقته المفرطة بالاجانب بحيث لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأيا أو يرد لهم طلبا مما شجع على فتح الثغرات امام التدخل الاجنبى وكانت اهم هذه الثغرات امتياز قناة السيوس والاستدانة من البيوت المالية الاوربية .

ويرجع موضوع امتياز قناة السويس الى أن سعيد باشا كان مولعا بأكل المكرونة ، وانه أثناء تواجده بفرنسا لاتبام تعليمه التقى بالشاسب فرديناند ديلسبس واستحكمت عرى المودة بينهما وخاصة وان كل منهما كان مفرما بالتهام قصاع المكرونة .

وخلال ذلك لم يخطر ببال ديلسبس أن صداقته للأمير سعيد ستحدث انقلابا هابا في طرق التجارة العالمية ، ولكن الفرصة واثته بعد أن علم بوفاة عباس باشا وارتقاء سعيد العرش ، فأرسل الى صديقه سعيد يهنئه بارتقاء العرش ، فاستدعاه الى مصر فوصل الى الاسكندرية في الخامس من نوفمبر ١٨٥٤م وفي جيبه مذكرة توضيحية عن فكرته لحفر قناة السويس<sup>(١٩)</sup> ، وقد قابلته الباشا بحفاوة كبيرة ثم اصطحبه معه في رحلة من الاسكندرية الى الصحراء الغربية كان يقودها بصحبة جيش مؤلف من عشرة آلاف جندي<sup>(٢٠)</sup> وفي هذه المرحلة بدأ جنود سعيد باشا يتمرنون على اطلاق النار على أهداف تبعد حوالى خمسمائة متر ، ولكن لم يستطيع أحد منهم اصابة الهدف وعندئذ أخذ ديلسبس يشرح لهم الأخطاء التى أبعدتهم عن تسديد الهدف فاستهوى لب سعيد بحديثه .

ولما طلب منه سعيد باشا اثبات مهارته اصاب رميته ، والى جانب ذلك استطاع ديلسبس اثبات مهارته فى الفروسية أمام الباشا مما زاد من اعجابه بشجاعته ، وقد انتهز ديلسبس هذه الفرصة وبسط عليه مشروعه ، فوافق عليه ووعد بمساندته وتحقيقه ، ووقع على مرسوم الامتياز اللازم لهذا المشروع فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤<sup>(٢١)</sup> ، والذي يقضى بمنح ديلسبس امتياز شركة عامة لحفر قناة السويس واستثمارها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ افتتاحها وقد صدر المرسوم بالكلمات الآتية « حيث ان صديقنا المسسيو فرديناند ديلسبس قد وجه نظرنا الى الفائدة التى سوف تعود على مصر من توصيل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر بترعة مائية تستطيع السفن اجتيازها ، ولما كان حضرته قد أعلمنا بأن فى الامكان انشاء شركة مالية لهذا الغرض يكون اعضاؤها رجالا مالىين من جميع الامم ، فقد نظرنا الى الاقتراح الذى عرضه صديقتنا بعين المعطف وخولناه بموجب هذه الوثيقة السلطة التامة لتأليف شركة عامة لخرق برزخ السويس»<sup>(٢٢)</sup> .

وأنجدير بالذكر أن هذا المشروع لم يكتمل في عهد سعيد بل انتهى في عهد إسماعيل (٢٣) .

أما عن لجوء سعيد باشا الى الاستدانة من البنوك الأوروبية فانه نظرًا لأن سعيد باشا كان يميل الى الاتفاق والتبذير على قصوره ، ومعيشته الخاصة ، فقد أرقق ميزانية البلاد ، واضطر في النهاية الى اللجوء للمرابين الأوروبيين والاقتراض منهم مما أدى الى تدمير من الكوارث والأحداث السياسية التي أصابت البلاد فيما بعد وادت الى فتح باب التدخل الأجنبي .

ومع أن الآراء قد اختلفت في احصاء ديون سعيد باشا ، فسان الرأي الراجح أن القروض الثابتة قد وصلت الى ٣٠٠٣٩٢٣٠٠ جنيهًا استرلينيًا . وقد استمر سعيد باشا في الحكم حوالي ثمان سنوات وتسعة أشهر حتى أدركته المنية وله من العمر اثنتان وأربعون عامًا (٢٤) .

وهكذا توفي سعيد بعد أن أورث خلفه شعبًا موثق اليدين والقديمين بمشروع ترعة السويس وبلادًا الى الجنوب كانت الفخاسة فيها رائجة ، وسياسة خارجية قد أملت لها باريس ، وديونا تكاد تبهظ عاتق البلاد ، وياليت ذلك النزيف قد توقف بوفاة سعيد ، بل استمر وزداد في عصر خلفه إسماعيل .

### عصر إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩

ارتقى إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد على عرش مصر في الثامن عشر من يناير ١٨٦٣ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره (٢٥) ، ويعد بذلك الحاكم الخامس من أسرة محمد على لمصر .

وقد اختلف المؤرخون وشهود العيان في حكمهم عليه وعلى عصره فمنهم من حكم عليه أحكامًا قاسية أمثال ملنر وكرومر وكولفن والجود ودي فريسينية وزيتلند وغيرهم فوصفه ملنر Milner بأنه المثل انكامل للتبذير وأعظم من عرف في التاريخ بالسفه مع عدم الاكتراث بالعواقب مما أدى الى الاندفاع بالبلاد في طريق الخراب اندفاعًا سريعًا وبأسانه « لم تكن له مبادئ يصدر عنها أفعاله بل كانت له أعمال جنوبية تمتاز



بانها تشبه في ضخامتها الأهرامات أو معبد الكرنك» (٢٦) ووصف زيتلند Zetland حكمه بأنه كان مليئا بالشرور والمساوىء (٢٧) .

وقال عن فارمان انه فتح الباب على مصراعيه للأجانب وعقد تروضا فاحشة مع البيوت المالية الأجنبية (٢٨) ومنهم من انصفه ووصفه بحب العمل والنشاط فقال المستر ليون قنصل الولايات المتحدة والذي اقام سنوات عديدة بمصر « ان الخديوى رجلا كثير العمل يشرف على كل كبيرة وصغيرة وانه كان يستيقظ مبكرا في الصباح ويسهر على شئون الدولة (٢٩) » ، وقال القاضى الأمريكى كرابيتس انه عمل على تحسين احوال الفلاح المصرى (٣٠) وعمل على محاربة النخاسة ، وحجب الأوربيين في سكنى الديار المصرية ، وقال جون مارلو انه كان يجهد نفسه عادة في العمل فيعقد المقابلات مع رجال المال ، ويتفاوض مع الدبلوماسيين ويرسل التعليمات الى رجاله لجباية الاموال من الفلاحين ، وانه كان يعتبر الحفلات والولائم عملا من اعمال العلاقات العامة بالدرجة الاولى للحصول على تأييد أوروبا في مفاوضاته مع الدولة العثمانية من أجل مزيد من الاستقلال (٣١) .

والى جانب ذلك فهناك من قال انه كان لاسماعيل باشا طبيعيتين متناقضتين ، فهو وان لم يكن كسولا فقد كان محبا للترف والانغماس في الملذات .

ولتوضيح هذه الآراء واثبات مدى صحتها من عدمه سنعرض لعصر اسماعيل بما فيه من مثالب ومشارب وسنخصص بالذكر علاقته مع الدولة العثمانية ومع الدول الأوروبية ، واحوال مصر العمرانية والعلمية في عصره والازمة المالية وما أعقبها من تطورات .

### اولا — اسماعيل والدولة العثمانية :

بعد ان تولى اسماعيل أريكة الحكم في مصر حاول توسيع نطاق استقلالها عن الدولة العثمانية ، وازالة القيود التى فرضتها معاهدة لندن ١٨٤٠ وغرمان ١٨٤١ . وذلك عن طريق قوة المال وليس قوة السيف كما فعل جده محمد على ، وقد استغل اسماعيل في ذلك ضيق احوال الدولة العثمانية المالية ورغبة السلطان في الحصول على الاموال مراح

ينفق مئات الآلاف من الجنيهات في الأستانة عن طريق مندوبه إبراهيم بك الأرمنى ليحصل على الفرمانات التى تحقق رغبته فى توسيع نطاق الاستقلال وتغيير نظام الوراثة لصالح أولاده ويقوم بسد أبواب الدسائس ضده هناك<sup>(٣٣)</sup> كما بدأ بالتودد الى السلطان عبد العزيز ورجال حكومته بزيارته للأستانة لتقديم فروض الولاء ودعوته الى السلطان بزيارة مصر<sup>(٣٣)</sup> .

وقد استغل اسماعيل فرصة زيارة السلطان لمصر فى ابريل ١٨٦٣ ، وحاول الحصول على مزايا جديدة لحكمه ولما كان يدرك ان الحكومة العثمانية لا تصدر فرمانا الا فى مقابل الأموال الطائلة والهدايا غمر السلطان وحاشيته بالهدايا والتحف الفاخرة حتى ملأ بها سفينة بأكلها ، ثم دارت بعد ذلك مفاوضات سرية بينه وبين السلطان حول تعديل نظام توارث العرش فى مصر بحيث يؤول العرش لأكبر أنجاله بدلا من أكبر أفراد الأسرة العلوية ، وقد اشترط السلطان العثمانى زيادة الأموال المخصصة للأستانة من ٤٠٠ ألف جنيه عثمانى الى ٧٥٠ ألفا مقابل هذا التعديل ، وبعد أن رحب الباشا بذلك الشرط صدر فرمان ١٢ محرم ١٢٨٣ هـ / ٢٧ مايو ١٨٦٦ القاضى يجعل ولاية مصر وملحقاتها وراثية فى أكبر أبناء النوالى الجالس على العرش ونص فرمان على امكانية زيادة عدد انجيش الى ٣٠ ألف رجل ، وتشكيل مجلس وصاية ، واقرار حق الحكومة المصرية فى سك النقود ، ومنح الرتب المدنية لفاية الرتبة الثانية<sup>(٣٤)</sup> .

وقد تبع ذلك صدور ارادة سلطانية فى الخامس من صفر ١٢٨٤ هـ الموافق الثامن من يونيو ١٨٦٧ بالانعام على اسماعيل باشا وخلفائه بنقيب خديو<sup>(٣٥)</sup> حتى يتميز مقامه عن مقام سائر الولاة العثمانيين ، ويعد اسماعيل باشا أول وال عثمانى ينال هذا اللقب . وقد منح هذا فرمان خديو مصر حق اعلان التنظيمات الخاصة بإدارة البلاد ، وعقد الاتفاقيات مع الدول الأجنبية بشأن الجمارك والبريد والنقل وغيرها على الا تتخذ طابع المعاهدات الدولية وهذا يعنى منح مصر حقوقا كاملة فى التفاوض الاقتصادى فى الدول الأجنبية<sup>(٣٦)</sup> .

ولم تستمر علاقة الخديو بالدولة العثمانية على هذا النحو من الود والصفاء طويلا فسرعان ما اعتراها الفتور والعداء خاصة فى عامى

١٨٦٩ — ١٨٧٠ ذلك ان دعوة اسماعيل لمذوك أوربا بمناسبة افتتاح قناة السويس قد اطلقت الباب العالى الذى كان يخشى من جنوح اسماعيل نحو الاستقلال<sup>(٣٧)</sup> ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث نجحت هدايا اسماعيل الى استنبول فى تقريب وجهات النظر بين الطرفين . ولما ازدادت حاجة الخديو الى معاضدة الدولة له قصد الاستئانة فى صيف ١٨٧٢ بصحبة اسماعيل صديق وزير المالية ونوبار باشا وزير الخارجية ، وخلال ذلك تمكن اسماعيل من استصدار فرمان سلطانى يخوله صراحة حق الاستئانة من الخارج ، وقد شجعه الحصول على هذا فرمان القيام بزيارة ثانية للأستانة فى صيف ١٨٧٣ حصل خلالها على فرمان جامع للمزايا التى نالها مصر منذ عصر محمد على الى عهده .

وقد صدر هذا فرمان الجامع فى الثامن من يونيو ١٨٧٣م وبمقتضاه حصلت مصر على حقوقها الكاملة فى الاستقلال التام باعتبارها دولة وليست مجرد ولاية ، واكد استمرار سلطة الخديوى على سواكن ومصوع وحقه فى عقد المعاهدات والاتفاقيات فى المجال الاقتصادى ، زيادة عدد الجيش ، ومنح الترقيات حتى رتبة عقيد<sup>(٣٨)</sup> .

### ثانياً — اسماعيل والدول الأوروبية :

انحصرت سياسة الخديو تجاه الدول الأوروبية فى العمل على كسب رضاها واظهار حسن النوايا تجاهها فسعى الى كسب ود فرنسا بهدف معاضدتها له ومساندتها لسياسته كما سعى للوفاق مع بريطانيا التى لم تكن مرتاحة لتغلغل النفوذ الفرنسى فى مصر فى عهد سعيد<sup>(٣٩)</sup> واتجه الى الولايات المتحدة للاستئانة من خبراتها العسكرية فى تنظيم جيشه وتدريبه .

وقد أدت هذه السياسة الى تعاظم النفوذ الأوروبى فى البلاد ، وفتح ابوابها على مصراعيها لتغلغل الأجانب فى مرافقها ، كما أدت فى النهاية الى شل سلطة الخديو وتصدع بناء الاستقلال المالى والسياسى الذى حققته مصر منذ عصر محمد على<sup>(٤٠)</sup> .

## ثالثا - أحوال مصر العمرانية والعلمية في عصر اسماعيل :

صاحب عصر الخديو اسماعيل جهودا كبيرة في الأعمال العمرانية والعلمية فانتمشت حركة البناء في القاهرة والاسكندرية ، وازدهرت النهضة العلمية والفنية والزراعية والصناعية وغيرها وفيما يلي نعرض لذلك :

### ١ - النهضة العمرانية :

انتعشت حركة البناء في القاهرة والاسكندرية ففي الاسكندرية ظهرت في الرمل شرقى المدينة ضاحية جميلة مليئة بالحدائق يسكنها كبار المضاربين في القطن من الأوربيين بصفة خاصة ، وفي القاهرة ظهر حي كبير آخر على الطراز الأوربي وهو حي الاسماعيليه ويقع بين حديقة الازبكية والنيل ، وكان يتكون من منازل خاصة ذات حدائق كبيرة ، ومن فنادق ومحلات ومكاتب على جانبي شوارع واسعة مهيطة مزروعة تحف بها الاشجار ، وكانت الحكومة تشجع حركة البناء هذه بمنح سخرة من الأرض للأفراد الذين يتعهدون بتجديدها بشكل مناسب ، كما بنيت قصور كبيرة مثل قصر عابدين ، وقصر النيل والجزيرة كذلك بنيت دار الأوبرا على الطراز الفرنسى (٤١) .

### ٢ - تطور الحياة التيايية :

كون اسماعيل مجلسا لشورى النواب في مصر حتى يعطى للعالم الأوربي صورة عن رغبته في مساندة الحياة البرلمانية في أوربا .

ومع أن ممثلى المجلس لم تكن لديهم الصلاحيات والحصانة التى تؤهلهم للتعبير عن شئون مواطنيهم فقد بدأ المجلس يتحدث عن حدود سلطة الخديو ، وحدود سلطة نواب ، ويتالم للتدخل الأجنبى فى شئون البلاد ويتطرق الى أهمية السيادة الاسمية للدولة العثمانية على مصر .

وقد سائر الخديو هذه التيارات الوطنية ، واستطاع أن يحولها ضد التدخل الأجنبى فى شئون البلاد فى بعض الاوقات (٤٢) .

### ٣ - النهضة العلمية والأدبية :

تميز عصر اسماعيل على قصره بتعدد نواحيه ، وتنوع اتجاهاته ، فأخذت النهضة العلمية والأدبية تتفتح وتزدهر ، كما حفلت بجمهرة من الأدباء والكتاب والصحفيين ، وفيما يلي نعرض لذلك :

#### ( أ ) التعليم :

نال التعليم في عصر اسماعيل اهتماما كبيرا وخاصة أنه تولى الحكم ومعظم المدارس التي أنشأها محمد على كانت مغلقة ، فأعاد إليها النشاط ، وأعاد تأليف ديوان المدارس كما وجه همه إلى إنشاء العديد من المدارس والتي من أبرزها مدرسة الحقوق ومدرسة دار العلوم<sup>(٤٣)</sup> وكان عماد هذه النهضة ورأسها المدير على باشا مبارك ، ومن أبرز الأعمال التي أسندت إلى على مبارك في عصر اسماعيل كانت نظارة القناطر الخيرية ووزارة المعارف والأشغال والأوقاف ، أما عن أجل المنشآت الذي ساهم فيها على مبارك بفكره وعلمه فكانت دار الكتب في عام ١٨٧٠ ، وفتحها أمام طلاب العلوم والمعرفة ، وإنشاء دار العلوم في عام ١٨٧٢ لتخريج أساتذة للغة العربية ، وإنشاء مجلة روضة المدارس .

#### ( ب ) الصحافة :

ارتكزت الصحافة المصرية حتى نهاية عصر سعيد في جريدة الوثائق المصرية ، ثم أخذت الصحافة الشعبية تخطو خطواتها الأولى بوصول اسماعيل إلى أريكة الخديوية فأنشأ الدكتور محمد على البقل والشيوخ ابراهيم الدسوقي مجلة اليعسوب الطبية في عام ١٨٦٥ ، وأنشأ الشاعر عبد الله أبو السعود جريدة وادي النيل الأدبية السياسية الإخبارية في عام ١٨٦٧ ، وأنشأ ابراهيم الميلى ومحمد عثمان جلال جريدة « نزهة الأتكار » في عام ١٨٦٩ ، وفي عام ١٨٧٠ ظهرت روضة المدارس التي أنشأها على باشا مبارك .

وأنشأ الأديب اللبناني سليم الحورى « الكوكب الشرقى » في عام ١٨٧٣ ومجلة « الاسكندرية » في عام ١٨٧٨ .

كما صدرت جريدة الاهرام في عام ١٨٧٦ وفي عام ١٨٧٧ ظهرت جريدة الوطن ، وجريدة مصر و في عام ١٨٧٨ انشأ اديب اسحق وسليم النقاش جريدة التجارة ، و في نفس هذا العام ظهرت مجلة « ابو نضارة » ليعقوب صنوع اليهودى المصرى والذى كان يسميها أحيانا بأسماء مختلفة مثل « أبو زمارة » و « أبو صفارة » و « الحساوى » يضاف الى ذلك انبسه كان يصدر في عصر اسماعيل عدة صحف اجنبية في مقدمتها « الفريد السكندري Le Phared Aexandrie التى انشئت بالاسكندرية في عام ١٨٧٤ وجريدة البروجيه اجبسيان Le Progrés Egyptien وغيرها .

وهكذا يتضح تطور الحركة الصحفية في عصر اسماعيل بشكل كبير ، مما كان لها اكبر الاثر في تنوير الراى العام المصرى ، وتحضيره لمرحلة جديدة خصوصا وان المصريين بداوا يتكلمون بصراحة في شئون بلادهم .

وفي عهد اسماعيل أيضا تقدمت الطباعة ، وتأسست الجمعيات العلمية والأدبية وتزايد عددها ، ونشط الادب والشعر وحركة التأليف والترجمة والنشر هذا الى جانب تأسيس مجلس شورى النواب في عام ١٨٦٦ ، كل ذلك كان له اثره في تقدم الحياة الاجتماعية والسياسية والوطنية<sup>(٤٤)</sup> .

### ( د ) النهضة الفنية :

اهتم الخديو اسماعيل بالحياة الفنية في مصر اهتماما بالغا وبخاصة التمثيل والموسيقى والغناء . وفيما يلى نعرض لذلك :

#### اولا — التمثيل :

أمر الخديو بانشاء أول مسرح بالقاهرة وهو المسرح الكوميدي بالأزبكية في عام ١٨٦٨ وبني دار الاوبرا في عام ١٨٦٩ لمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس<sup>(٤٥)</sup> والذى مثلت عليها اوبرا عايدة للموسيقى الايطالى « فردى » ثم أمر بانشاء مسرح زيزينيا بالاسكندرية وقد ساعد على انعكاس هذه النهضة وفود العديد من الفرق المسرحية والممثلين

الشوام من سورية الى مصر وبخاصة فرق « يوسف خياط » و « سليم النقاش » و « اديب اسحق » التى مثلت العديد من المسرحيات على مسرح زيزينيا .

### ثانياً - الموسيقى والفناء :

نظرا لرغبة الخديو فى سماع الطرب وحب المسرات وليل المجتمع المصرى الى روح الطرب والمرح فقد سرت روح التجديد فى الموسيقى والفناء . ومن اشهر المطربين فى ذلك الوقت عبده الحولى الذى اخذت شهرته تنتشر فى كافة الاوساط وخاصة بعد ان ابتكر اساليب جديدة فى الفناء اتفقت مع روح عصره مما جعله ينال اعجاب اهل الفن وعشاق الطرب ، وبعد ان وصلت شهرته الى الخديو اسماعيل، الحقه بمعيشته ، واتخذة نديمه فى حفلاته واغدى عليه الهبات ، ومن اشهر الموسيقيين ايضا فى ذلك الوقت « محمد العقاد » عازف القانون الذى حاكى عبده الحولى فى انغماسه الموسيقية ، ومن اشهر المطربات « الماس » التى تزوج بها عبده الحولى ومنعها من الفناء فى المجالس ، مما جعله يستهدف غضب الخديو اذ طلب يوما ان تحضر « الماس » الى قصره وتفنى فيه فرفض عبده ان تذهب مما اغضب الخديو وجعله يأمر باحضارها بالقوة لولا توسط الشيخ « على الزليلى » شاعر الخديو فى الامر وانتهاء الازمة بعدول الخديو عن طلبه<sup>(٤٦)</sup> .

وهكذا يتضح مدى اهتمام الخديو اسماعيل بالتمثيل والموسيقى ، مما كان له اثره فى النهضة الفنية التى تعيشها مصر الآن .

### رابعا - النهضة الزراعية والصناعية :

وجه اسماعيل جل اهتمامه على انماء ثروة مصر الزراعية بتوفير وسائل الري ، ففى عهده شقت ترع جديدة مثل ترعة الابراهيمية فى الصعيد والاسماعيلية فى شرق الدلتا واصلحت حوالى مائة واثنى عشرة ترعة<sup>(٤٧)</sup> ، وفى عهده اتسعت رقعة الارض الزراعية وزاد محصول القطن الى ثلاثة او اربعة امثال ما كان عليه ، وكان معظمه يصدر الى الخارج وساعد على ذلك قيام الحرب الاهلية الامريكية وتأثر زراعة القطن فى

الولايات الجنوبية في أمريكا نظرا لتوقف الأهالي عن الزراعة وحملهم السلاح وإغلاق موانئ التصدير ، مما أسفر عن توقف تصدير القطن الأمريكي للعالم وارتفاع ثمن القطن المصرى بشكل كبير مما جعل الخديو يأمر بزراعة القطن في كل بقعة من وادى النيل وإهمال زراعة السكر والحبوب .

وظلت الأمور على ذلك بين عامى ١٨٦٣ - ١٨٦٥ ثم بدأ الموقف يتغير تماما في عام ١٨٦٦ حيث بدأ القطن الأمريكى ينزل الى الاسواق العالمية ، وكان من نتيجة ذلك هبوط أسعار القطن المصرى وتعرض اقتصاد البلاد لكساد كبير<sup>(٤٨)</sup> تزعزع رخاء مصر على اثره ، ولكى يتلافى الخديو الخسائر الهائلة التى بدأت تلحق ببلاده وجه اهتمامه الى الاكتار من زراعة قصب السكر ، وخاصة فى أملاكه بالنوجه القبلى<sup>(٤٩)</sup> ، كما قام بإنشاء مصانع للسكر واستورد آلات باهظة الثمن لذلك ، ولكن هذا المشروع أهمل ولم يكلل بالنجاح<sup>(٥٠)</sup> .

يضاف الى ذلك أن التوسع الهائل فى زراعة القطن والسكر قد تم على حساب المزروعات الأخرى لدرجة أن أصبحت مصر تعتمد فى مواردها الغذائية على البلدان الأخرى .

#### خامسا - النظام القضائى :

أن ولاية القضاء ركن من أركان السيادة الأهلية لكل بلد مستقل ، ولكن اعترض تطبيق ذلك فى مصر ما منحه سلاطين آل عثمان لرعايا الدول الأوربية من امتيازات واعفاءات واسعة ، وقد صارت هذه الامتيازات عبئا ثقيلا على البلاد وخاصة بعد أن انتابها الضعف وطغت سلطة الأجانب على سيادة الحكومة وانتزع القناصل سلطة الحكم فيما يقترب رعاياهم على الجرائم التى تقع على الوطنيين<sup>(٥١)</sup> فكانت هناك ست عشرة محكمة قنصلية تطبق ستة عشر تشريعا مختلفا . وقد اغتصبت هذه المحاكم سلطة الحكم على الحكومة المصرية فى القضايا التى يرفعها رعاياها عليها وعلى الأهالي ، وأصبحت تمثل دولة حقيقية داخل الدولة .



وتفصيل ذلك هو أن مصر كانت من البلاد التي تتمتع الدول الأجنبية فيها بامتيازات خاصة ، فكان الأجانب لا يحاكمون بمقتضى القانون المصرى (٥٣) فمثلا اذا باع انجليزى بضاعة لاسبانى فى مصر وحدث بينهما نزاع لا يقيم الانجليزى قضية فى محكمة مصر استصدارا لحكم يؤيد حقه بل كان يقيمها فى القنصلية الاسبانية مما ادى الى بث الاضطراب فى المعاملات التجارية داخل مصر ، واتهام الناس للحكومة بالضعف والخطأ ، والتفريط فى حقوقهم ، وبعد ان تولى اسماعيل الحكم عقد نيته على اصلاح ذلك الخل ، باعادة تنظيم القضاء المصرى ذلك عن طريق نقل سلطة المحاكم القنصلية الى قضاء دولى ، والى اصدار قانون متناسق يطبق فى البلاد (٥٣) .

وفى عام ١٨٦٩ رفع نوبار باشا تقريراً الى اللجنة الدولية يقوم على ثلاث افكار رئيسية هى ، تحرير الحياة المدنية للمواطنين او الاوربيين من كل فكرة طائفية ، وانشاء جهاز قضائى وطنى نزيه ، قادر على تشكيل محاكم ذات سلطة قوية ، ثم تنظيم قضائى كامل يضم دوائر تحاكم الوطنيين بجانب دوائر تحاكم الاجانب .

وقد استمرت المفاوضات بين مصر والدول الاوربية عدة سنوات ثم انتهت فى عام ١٨٧٥ بانشاء المحاكم المختلطة على اساس تخويلها سلطة الفصل فى جميع المنازعات ، وكان غالبية القضاة فى هذه المحاكم من الاجانب وقد اوضح اللورد كرومر اختصاص هذه المحاكم بقوله انها تفصل فى القضايا والمنازعات المدنية والتجارية بين الاوربيين وبعضهم من جهة وبين الاوربيين والمصريين من جهة اخرى (٥٤) .

وعلى الرغم من أن اسماعيل حاول بانشاء القضاء المختلط اصلاح امور القضاء فانه افتقد مصر استقلالها التشريعى ، واصبح بمثابة امتداد على السيادة الاهلية وعلى الاستقلال القومى للبلاد ، وكان ضررها كبيراً على الشعب المصرى ولا سيما الفلاحين حيث ساعدت على استغلال الاجانب للبلاد بطريقة قانونية ، وكانت مظهراً من مظاهر الوصاية الاجنبية التى تعددت اشكالها فى مصر (٥٥) .

### سادسا - تكوين امبراطورية مصرية في افريقيا :

راودت الخديو اسماعيل افكار وطبوحات حول تكوين امبراطورية مصرية في افريقية ، وتوسيع رقعة السودان المصرى ومد النفوذ المصرى بصفة فعالة جنوبا من انيل الابيض الى البحيرات العظمى بهدف ضم حوض النيل بأكمله داخل الاراضى المصرية ، وفي عهده تم ضم سواكن ومصوع الى املاك مصر ، والحقت المقاطعات الاستوائية بالحكومة المصرية ، ووصل النفوذ المصرى الى سواحل بلاد الصومال والحبشة ، وتمكنت هذه المناطق من الانفتاح على الحضارة الحديثة . وخلال ذلك وقع الخديو مع بريطانيا معاهدة اتفق بمقتضاها على قطع دابر النخاسة وتجارة الرقيق في ممتلكات مصر الافريقية<sup>(٥٦)</sup> .

كما اتجه الى الولايات المتحدة لتدريب ضباطه وتكوين الجغرافيين والمهندسين والمستكشفين<sup>(٥٧)</sup> .

غير ان الفشل كان نهاية ذلك العمل الكبير الذى بلغ ذروته بين عامى ١٨٧٢ — ١٨٧٩ ، فلم تستطع هذه الامبراطورية الجديدة ان تستمر طويلا . ويرى اغلب المؤرخين ان سبب ذلك يعود الى ان اسماعيل عهد بأمور فتوحاته الافريقية للأجانب أمثال « بيكر » و « جوردون » بمعنى انها كانت اجنبية عند القمة ، ومصرية عند القاع مما أفقدها استمراريتها وعلى اى حال فقد جاء عزل اسماعيل ليضع حدا لاية سياسة افريقية فعالة من جانب مصر<sup>(٥٨)</sup> .

### سابعا : اسماعيل والازمة المالية والتدخل الاجنبى :

تعاضم امر الديون على مصر في عصر اسماعيل نتيجة لبذخه والمبالغ التى أنفقها في التشييد والبناء ، واندفاعه السريع الى الاستدانة فكان اذا اراد عملا جنح الى الاقتراض دون ان يبايى بعواقب ذلك لدرجة ان ازدادت الديون من ٣٢٩٣.٠٠٠ في اوائل عهده الى حوالى ٩١ مليوناً من الجنيهات<sup>(٥٩)</sup> في عام ١٨٧٦ ، فأصبحت حبالا ثقلا على الخزينة المصرية وعلى اهالى البلاد ، ونتيجة لتوقف انبيوت المالية عن اقراض الخديو وذلك لعدم وفائه بسداد اقساط الديون ابتدع اسماعيل طريقة يستطيع

الحصول بها على الأموال من الأهالي فاصدر « لائحة المقابلة » في ٣٠ من أغسطس ١٨٧١ والتي تقضى بأن تنزل الحكومة لملك الاراضى الزراعية عن نصف الضريبة المفروضة على أطيانهم بصفة دائمة اذا دنعوا للحكومة ستة أمثال هذه الضريبة مقدما<sup>(٦٠)</sup> .

ونتيجة لفشل الخديو فى تسديد اقساط الديون ، وتوقفه عن سداد سندات الخزانة المستحقة ، وظهور شبح افلاس مصر ، تدخلت الدول الأوروبية فى شئون البلاد بحجة المحافظة على أموال رعاياها من أصحاب الديون .

وفيما يلى نعرض لأهم مظاهر التدخل الأجنبى فى مصر خلال هذه الفترة .

#### ١ - بعثة كيف Cave

هى لجنة انجليزية برئاسة الخبير المالى البريطانى « ستيفن كيف » وانحصرت مهمتها فى دراسة أحوال مصر المالية وكتابة تقرير عنها<sup>(٦١)</sup> وتد اقترحت البعثة كشرط أساسى لاصلاح أحوال مصر المالية ان تصبح الحكومة المصرية تحت المشورة الأوروبية ، وأن يكون هناك جهاز للرقابة عليها تحت اشراف موظف انجليزى ، وأن يحترم الخديو ما تصدره هذه اللجنة من قرارات ولا يعقد أية قروض قبل الحصول على موافقتها .

وعند دراسة هذه الاقتراحات يتضح ان اللجنة ابتعدت عن مهمتها الأساسية وهى دراسة أحوال مصر المالية واقتراح السبل الكفيلة باصلاحها الى محاولتها لتهديد السبيل للتدخل الانجليزى فى شئون مصر ، مما جعل فرنسا تحاول اللحاق بانجلترا فى ذلك المجال حتى لا تنفرد الحكومة الانجليزية بذلك .

ولما سارت الضائقة المالية فى طريقها وعجزت الحكومة عن الوفاء بالتزاماتها اصدر الخديو مرسوما فى ١٦ ابريل ١٨٧٦ بتأجيل دفع السندات والاقساط المسحقة على الحكومة ، وتحت ضغوط الدائنين وافق الخديو على انشاء صندوق الدين<sup>(٦٢)</sup> .

## ٢ - صندوق الدين العمومى :

اصدر الخديو اسماعيل مرسوما فى الثانى من مايو ١٨٧٦ بانشاء صندوق الدين العمومى ، بهدف جمع المبالغ المخصصة للديون من المصالح الحكومية وتسديد اقساط الديون وما يستحق عليها من فوائد .

وقد تولى ادارة هذا الصندوق موظفون اوروبيون تم ترشيحهم من شن الدول الدائنة ثم صدق الخديو على تعيينهم .

وقد نص المرسوم الصادر بانشاء هذا الصندوق على ان تختص المحاكم المختلطة بالنظر فى القضايا التى يرى صندوق الدين اقامتها ضد الحكومة (٦٣) .

وكانت الديون المصرية قسمين دين الحكومة ودين الدائرة السنية ثم ضمت الى دين واحد قدره ٩١ مليون جنيه سعى بالدين الموحد بفائدة ٧ بالمائة . ولما رآى الخديو اسماعيل ان توحيد الدين على هذه الصورة لا يمكن الحكومة من سداده اصدر امرا بأن تصدر الحكومة المصرية سندات عليها بمبلغ ١٧ مليون جنيه فى نظير رهن السكك الحديدية وميناء الاسكندرية ، وان تكون فائدته خمسة بالمائة وسماه الدين الممتاز .

ونتيجة لعدم اقتناع الدول صاحبة الديون بهذه الاجراءات تشكلت لجنة مالية مخططة لمراقبة حساب الحكومة وهى التى اطلق عليها بعثة جوشن وجوبر .

## بعثة جوشن وجوبر :

عرضت بريطانيا على فرنسا تنسيق موقفيهما ازاء الازمة المالية فى مصر واتفقتا على ارسال مندوبين لبحث هذه المسألة ، فوافقت بريطانيا جوشن Goschen وانتدبت فرنسا جوبر Jiubert مندوبا عن الدائنين الفرنسيين ليشترك مع المندوب الانجليزى فى عرض مطالب الدائنين على الخديو . وقد حضر جوشن الى مصر فى اكتوبر ١٨٧٦ ثم تبعه جوبر وطلبا الى اسماعيل فرض الرقابة الثنائية على المالية المصرية وجعل السكك الحديدية وميناء الاسكندرية تحت ادارة لجنة مختلطة ، وقد

وافق الخديو اسماعيل على هذا المطلب في ١٨ من نوفمبر ١٨٧٦ (٦٤) كما اضطر بعد ذلك الى التنازل عن املكه الخاصة واملاك أسرته للحكومة وهى التى تعرف باملاك الدومين .

بعد ان ازداد التدخل الأجنبى فى شئون مصر المالية رأى اسماعيل ان يجعل حكومته شورية فشكل مجلسا للنظار برئاسة نوبار باشا ووافق على تعيين وزيرين اوروبيين فى هذه الوزارة احدهما انجليزى للمالية وهو المستر ولسن والآخر فرنسى للاشغال العمومية وهو المسيو بليثير ، واثناء اجتماعات هذه الوزارة عمل نوبار الى انقاص عدد الجيش ، واحاله عدد كبير من الضباط الى الاستيداع بحجة الاقتصاد مما ادى الى فصل بعض الضباط والجنود دون حصولهم على رواتبهم المتأخرة ، وقد ادى ذلك الى قيام حوالى ٤٠٠ ضابط بمظاهرة امام نظارة المالية فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ اهانوا خلالها نوبار باشا رئيس النظار والمستر ولسن وانقلبت الامور الى ما يشبه الثورة لولا ان اقبل اسماعيل باشا ، وقام بتهدة الجنود ووعدهم بصرف مستحقاتهم وطلبهم بالتصريف ، واعلن انه لن يكون مسئولا بعد ذلك عن الامن والنظام اذا لم يعزل نوبار ونتيجة لما حدث استقالت وزارة نوبار فشكل الخديو مجلسا آخر للنظار برئاسة ابنه محمد توفيق ولما فشل هذا المجلس فى مواجهة الموقف ، شكل الخديو وزارة جديدة برئاسة شريف باشا ، واخرج منها الوزيرين الاوروبيين مما ادى الى غضب انجلترا وفرنسا والاتفاق على عزله .

ففى ١٩ يونيو وبناء على تعليمات اللورد سالسبورى تم تبليغ الخديو بما يأتى :

« اتفقت الحكومتان الفرنسية والانجليزية على الاشارة على سموكم رسميا بالنزول عن العرش ، ومغادرة القطر المصرى فـ اذا قبلتم هذه المشورة عملت حكومتانا معا على تقرير مخصصات كافية لسموكم ، ولا يحدث خلل فى نظام ورائة العرش فهو ينتقل بمقتضاه الى البرنس توفيق \* ويجب الا نخفى عن سموكم ان رفضكم للتخلى واجباركم بذلك وزارتى لندن وباريس على التوجه بالطلب الى السلطان راسا يحلها من وعدهما

لكم بالمخصصات ومن المحافظة على وراثة العرش لمصلحة البرنس  
توفيق » (٦٥) .

ولما عرض هذا الانذار على الخديو رفضه بحجة انه لا يستطيع  
التخلى عن حكم مصر الا بأوامر من السلطان ، ونتيجة لضغوط السدول  
الأوربية على السلطان العثماني صدرت اوامر السلطان بعزل اسماعيل  
وتولييه ابنه توفيق مكانه وذلك في ٢٦ يونيو ١٨٧٩ فغادر الخديو المعرول  
مصر الى نابولي عن طريق الاسكندرية وانتهت به الامور الى الإقامة في  
الاستانة حتى توفي في السادس من مارس ١٨٩٥ .

### تقييم عصر اسماعيل

وهكذا يتضح ان احوال مصر في عصر اسماعيل كانت ابعث ما تكون  
عن الاستقرار حيث تفاقمت الازمة المالية (٦٦) واتخذت شكلا سياسيا  
بسبب اسراف الخديو اسماعيل ، وانفاقه أموالا طائلة سواء في مشروعاته  
وبنخه أو لارضاء الدول الأوربية والسلطان ، كما تحملت الخزنة المصرية  
نفقات باهظة في سبيل تسوية النزاع الخاص بمشروع القناة ومحاولات  
الخديو ارضاء السلطان ورشوة رجاله مقابل فرمان الوراثة ومنحه لقب  
خديو كما انفق على حفلات افتتاح القناة مليوناً وأربعمائة ألف جنيه (٦٧) .

زد على ذلك فشل مشروعاته الاقتصادية بعد توقف الحرب الأهلية  
الأمريكية وانخفاض اسعار القطن وما اكب ذلك من انتشار حالات الانحلال  
فاضطر الى ان يستدين بشروط باهظة (٦٨) ففتح الباب على مصراعيه  
للأجانب وعقد قروضا واتفاقات مع البيوت المالية الأجنبية (٦٩) انتهى  
تأهت على سلب الخديو ارادته وتسابقت في اغرائه على عقد قروض جديدة  
بفوائد فاحشة مما أدى الى زيادة التدخل الأوربي في شؤون البلاد الداخلية  
خصوصا بعد أن وافق على تأسيس صندوق الدين والمراقبة الثنائية وعلى  
أن يشترك في الوزارة التي أُنشئت في ١٨٧٨ وزيران أجنيبيان انجليزى  
للمالية وفرنسى للشغال ، كما انتشرت في عهده عمليات التهريب التي يقوم  
بها الاجانب بصورة كبيرة (٧٠) ، مما ساعد على خراب البلاد وفسساد  
احوالها (٧١) ، حيث ساءت احوال الفلاحين واشتد الظلم في جميع الضرائب ،

لدرجة ان بلغ اليؤس بالفلاحين انهم كانوا ينزلون عن اطيانهم غرارا من الضرائب ، ونتيجة لاعلاس خزائن الحكومة حرم الموظفون من صرف مرتباتهم ثمانية عشر شهرا ، كما احيل الفان وخمسون ضابطا الى الاستيداع توفيرا للنفقات <sup>(٧٢)</sup> ، واضطر الخديو الى بيع اسهم قناة السويس ، وابتدع قانون المقاتلة .

ونتيجة لاستحكام الازمة رأى الوطنيون التخلص من الخديو الذى لا يحسن تصريف امور البلاد فتألف الحزب الوطنى للدفاع عن حقوق الامة <sup>(٧٣)</sup> ، وجعلوا مركزهم مدينة حلوان ، ونشروا عدة منشورات اشاروا فيها على الحكومة بمراعاة مصلحة البلاد .

وفى هذا الجو المشوب بالقلق والتوتر تم عزل الخديو اسماعيل واحلال ابنه توفيق محله ، قد استقبلت البلاد هذا النبا بالابتهاج وعم الناس السرور لحدوث مثل هذا الامر الخطير دون وقوع اختلال يعكر صفو الامن فى البلاد .

### مراجع الفصل الثالث

- (١) توفى ابراهيم باشا في ابريل ١٨٤٧ على حين توفى محمد على في الثاني من اغسطس ١٨٤٩ .
- (٢) هو ابن طوسون بن محمد على ، وكان اكبر افراد أسرة محمد على سنا وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد ابراهيم باشا .
- (٣) بيير كرابييتس : اسماعيل المفترى عليه — ترجمة فؤاد صروف — القاهرة ، دار النشر الحديث ص ١٢ .
- (4) Sammarco : Précis de Histoire d'Egypte, IV, p. 4 .
- (٥) انظر عصر اسماعيل د ١ ، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م ص ١٠ .
- (٦) انظر : تاريخ التعليم في عصر عباس وسعيد ص ٥ — ٦ .
- (٧) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٣ .
- (٨) انظر على سبيل المثال . على مبارك : الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها د ٧ ص ٦٣ .
- (٩) من أبرز الأمثلة على ذلك انه ابعد رفاة الطهطاوى الى الخرطوم ليكون السودان منفى له .
- (١٠) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث د ٢ ، القاهرة ، مطبعة الهلال ١٩٢٥ ص ٢٠٢ .
- (١١) تردد ان الامر نازلى هاتم عمه عباس باشا هي التي اثثرت به نتيجة لانه حاول قتلها ، واضطرها للرحيل الى الاسكندرية .
- (١٢) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٣ .
- (١٣) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٤ .
- (١٤) الراغى : المرجع السابق ص ٢٣ .
- (١٥) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار — د ١ ص ٧ — ٨ .
- (١٦) للتفاصيل عن هذه اللائحة انظر : فيليب جلاذ : قاموس الادارة والقضا . الاسكندرية ، المجلد الاول ص ١١٨ .



- (١٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٥ — ٣٤ .
- (١٨) كرابييتس : المرجع السابق ص ٢٧ على حين يذكر الرافعى أن عددهم ١٢٠٠ مقاتل وان معظمهم فى السودانين .
- انظر : عصر اسماعيل ص ٤٠ .
- (١٩) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٥ — ١٦ .
- (٢٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٩ .
- (٢١) كرابييتس : المرجع السابق ص ٥٩ .
- (٢١) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٧ — ١٨ .
- (٢٢) كرابييتس : المرجع السابق ص ٢١ .
- (٢٣) عن تفاصيل ذلك انظر الفصل الخاص بانجازات مصر الحضارية .
- (٢٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٧١ .
- (٢٥) كان قبل ذلك فى عزلة تامة عن امور الدولة خصوصا وان عمه سعيد باشا لم يكن يشجعه على ذلك .
- (26) Milner : England in Egypt, London p. 176, 263
- (27) Zetland : Lord Cromer, London 1933 p. 72 .
- (28) Farman, E : Egypt and Its Betrayal .
- (29) Leon : The Khedive's Egypt, London 1877 .
- (٣٠) انظر اسماعيل المفترى عليه ص ٥٨ .
- (٣١) جون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية الى الاحتلال البريطانى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦
- ص ١٥٥ .
- (٣٢) جورج يانج : تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل ، ص ١٠ .
- (٣٣) الرافعى : عصر اسماعيل د ١ ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، الطبعة الاولى ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ص ٧٨ .
- (٣٤) للتفاصيل انظر قاموس الادارة والقضاء د ٦ ص ٧٣٠ .

(٣٥) هذا اللقب نعت فارسي مشتق من كلمة « خينا » وهي اسم فارسي من أسماء الله يعنى « ربانى » أو «بى» ولما كان الأتراك والمصريون لا يعرفون الفارسية فقد كان لهذا اللقب الجديد سحر خاص مشتق مما يحيط به من خفاء ومعناه ، فرضى عنه السلطان لأنه اقتنع أنه لا يعنى شيئاً ، وسر به الباشا لأنه اقتنع بأنه يعنى كل شيء .

ببر كرابييتس : اسماعيل المفتري عليه ص ١٤٨ .

(36) A. Sammarco : Said et Isma'il p. 209 — 210 .

(٣٧) للتفاصيل انظر اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار د ٢ القاهرة ، ١٣١٢هـ ص ١٩٩ ، ومحمود فهمى باشا : البحار الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والواخر القاهرة ١٣١٢هـ د ١ ، ص ١٩٩ .

(٣٨) عن نص هذا الفرمان : انظر الوقائع المصرية العدد ٥١٧ من ١٧ يوليو ١٨٧٣ .

(٣٩) لتفاصيل ذلك انظر جورج جندى : اسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ص ٤٨ .

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٤١) مارلو : المرجع السابق ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٤٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : الخديو اسماعيل وعلاقته بالباب العالى رسالة ماجستير ، مكتبة جامعة القاهرة ص ١٤٦ .

(٤٣) الرافعى : المرجع السابق د ١ ص ٢٠٨ -- ٢٠٩ ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر أمين سامى : التعليم فى مصر ، وعلى مبارك : الخطط التوفيقية .

(٤٤) الرافعى : المرجع السابق د ١ ص ٢٥٦ — ٢٦٨ .

(٤٥) الرافعى : المرجع السابق د ١ ص ٢٩٩ وجرجى زيدان تاريخ مصر الحديث د ٢ ص ٢٠٨ .

(٤٦) الرافعى : المرجع السابق د ١ ص ٣٠٠ — ٣٠٢ .

(47) Mac Coan : Egypt as it is p. 246 .

(٤٨) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٣٢ — ١٣٣ .

- (٤٩) الرافعى : المرجع السابق د ٢ ص ١٠ — ١١ .
- (٥٠) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٣١ .
- (٥١) الرافعى : المرجع السابق د ٢ ، ص ٢٨٥ .
- (٥٢) أصدر سعيد باشا مرسوما فى عام ١٨٥٧ جعل الأجانب قى مأمن تام من أحكام المحاكم المصرية .
- A. Sammarco : Said et. Ismail, p. 273 .
- (٥٣) كرابييتس : المرجع السابق ص ١٩٤ — ١٩٥ .
- (54) Lord Lioud : Egypt Since Cromer London 1933 Vol 1 p. 17 .
- (٥٥) الرافعى : المرجع السابق د ٢ ص ٣٠٠ .
- (٥٦) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار د ٢ القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١٤ هـ ص ٣٤٨ .
- (٥٧) من أبرز الأدلة على ذلك بعثة الجنرال ستون فى عام ١٨٧٠ .
- (٥٨) أنور عبد الملك : نهضة مصر ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣ ص ٢٧١ .
- (٥٩) أنفق منها الخديو ١٦ مليون جنيه خلال حفر قناة السويس .
- (٦٠) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية د ١ القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٦ ، ص ٩ .
- (٦١) حول نص هذا التقرير انظر :  
Blue Book : Egypt No. 7 ( 1876 ) Report by Mr. Cave on the Financial Condition of Egypt .
- (٦٢) الرافعى : المرجع السابق د ٢ ص ٦٨ .
- (٦٣) فيليب جلاذ : قاموس الادارة والقضا ، د ٢ ، ص ١٤٤ .
- (٦٤) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها د ٤ ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٦ ص ٢٠٦٨ ، د. عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق د ٢ ص ٧٣ .
- (٦٥) كرابييتس : المرجع السابق ص ٢٥٣ وايضا :  
Cromer : Modern Egypt Vol 1 p. 135 .

(66) Hansard's Parliamentary Debats Vol 231, 28 July 1876  
p. 635 .

(٦٧) المجلة التاريخية المصرية المجلد السادس ١٩٥٧ مقال للدكتور  
عبد العزيز الشناو تحت عنوان « ما تكلفته مصر في انشاء قناة السويس »  
ص ١٥٣ .

(٦٨) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ح ١ ، القاهرة ،  
مطبعة شفيق باشا ١٩٢٦ ص ٩ .

للتفاصيل انظر :

(69) Farman, E : Egypt and its Betrayal U. S. A., 1908 .

(٧٠) دار المحفوظات العمومية بالقاهرة : دفتر كوبيا عموم خفر  
السواحل صفحة ٦٤ وما بعدها .

(٧١) دار الوثائق : أوراق خاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى .

(٧٢) اسماعيل الايوبى : تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل المجلد  
الثانى ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ص ٤٧٠ .

(٧٣) انظر عبد المنعم الجميلى : عبد الله النديم ودوره في الحركة  
السياسية والاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتب الجامعى ، ١٩٨٠ ،  
ص ٣٠ - ٣١ .



## الفصل الرابع

### الثورة العربية والاحتلال الانجليزى لمصر

- احوال مصر قبيل قيام الثورة العربية .
- حادث قصر النيل .
- مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ ونتائجها .
- العربيون ووزارة شريف باشا .
- وزارة البارودى وانتصار الثورة .
- مؤامرة الجراكسة .
- العربيون والتدخل الأجنبى .
- بعثة درويش باشا .
- العربيون ومذبحة الاسكندرية .
- مؤتمر الآستانة .
- ضرب الاسكندرية .
- التعاطف الوطنى والاسلامى ضد الانجليز .
- منشور السلطان بعزل عربى .
- معركة التل الكبير .
- محاولات الدفاع عن القاهرة والتسليم .



## الثورة العربية

### احوال مصر قبيل قيام الثورة العربية :

كانت مصر في عصر الخديو اسماعيل أبعد ما تكون عن الاستقرار فسياسته أدت الى ارتباك احوالها المالية ذلك أن اسراف الخديو المتزايد سواء في محاولاته ارضاء السلطان العثماني ورشوة رجاله كى يحصل على فرمان تصدره الدولة العثمانية بتعديل فرمان الوراثة ومنحه لقب خديو مصر او في محاولاته تعديل شروط حفر القناة ، ثم ما أتفقته على افتتاح القناة من مبالغ تصل الى مليون وأربعمائة ألف جنيهه ، ويضاف الى ذلك فشل مشروعات الخديو الاقتصادية بعد توقف الحرب الأهلية الأمريكية وانخفاض أسعار القطن وما اكب ذلك من انتشار حالات الإفلاس الأمر الذى جعل الخديو يستدين بشروط باهظة وهو ما فتح الباب على مصراعيه للاجانب وأدى الى زيادة التدخل الأوربي في شئون مصر (١) .

كل هذه الأحداث أدت الى اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، وفي تلك الفترة وفد اليها الداعية الاسلامى الكبير جمال الدين الأفغانى فكانت الفرصة مهيأة له لى ينشر افكاره الثورية والاصلاحية فلعب دورا بارزا في ايقاظ الوعى الوطنى واستطاع أن يبث مبادئه الاصلاحية في نفوس المصريين في وقت كانت جذوة الوطنية تتقد في نفوسهم ، فاعطى دفعة قوية للحركة الوطنية المصرية ، وبعث في نفوس قادتها الأمل في امكان تغيير الأوضاع في مصر .

ولكى تنتشر روح الثورة بين اكبر عدد من الأهالى في مصر شجع جمال الدين الأفغانى على انشاء الصحف لتكوين رأى عام يقف في وجه الظلم والتدخل الأجنبى ، وقد أدى هذا كله الى تعبير بعض الوطنيين عن تذمرهم مما تعانيه البلاد ، فالفوا في ابريل عام ١٨٧٩ جمعية سرية



أطلق عليها جمعية حلوان بهدف الحد من سيطرة الأجانب ونفوذهم في الحكومة ، وقد ضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم .

وإذا كانت أحوال البلاد بصفة عامة سيئة ، فإن أحوال الجيش بصفة خاصة كانت أكثر سوءا ، فالأجانب خصوصا الشراكسة كانت لهم الأولوية في الترقى على المصريين ، ويستأثرون بالنفوذ في كافة أسلحة الجيش وقيادته رغم افتقارهم الى الخبرة والكفاية في التدريب ، وقد ظهر ذلك واضحا في الحملة التي أرسلها الخديو اسماعيل الى الحبشة لتوسيع املاك مصر الافريقية هناك ، ونتيجة لما أحس به المصريون في أثناء هذه الحملة من سوء معاملة الضباط الشراكسة لهم ، وضياح دماء المصريين رخيصة بسبب اخطاء هؤلاء القادة في ادارة العمليات الحربية انتاب الضباط الوطنيين السخط ، وزاد من تذرهم ان الخديو اسماعيل لم يحاسب الضباط الشراكسة على اهمالهم الذي أدى الى هزيمة الجيش المصرى في الحبشة ، وقد دفع ذلك الضباط الوطنيين الى تأليف جمعية سرية هدفها التخلص من الطبقة الجركسية المسيطرة على أمور الجيش ، وفتح باب الترقى أمام المصريين وعزل الخديو اسماعيل وتوليهِ البرنس حليم مكانه ، وقد عرفت هذه الجمعية السرية باسم جمعية مصر الفتاة ويبدو أنها أسست خلال السنوات من ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٨ <sup>(٢)</sup> ، وقد أسس هذه الجمعية على الروبى الذى كان يعمل رئيسا لفرع المهمات خلال الحملة على الحبشة ثم انضم أحمد عرابى الى هذه الجمعية وام يلبث أن أصبح عضوا بارزا فيها ، وكان لسان حال هذه الجمعية جريده « أبو نظارة » التى كان يحررها يعقوب صنوع . وقد اتصل العسكريون في جمعية مصر الفتاة بجمعية حلوان لتوحيد الصفوف والبحث عن الطرق الموصلة لاصلاح البلاد .

ولما قامت وزارة نوبار في عام ١٨٧٩ باحالة ألفين وخمسين ضابطا ومنهم أحمد عرابى الى الاستبداد توفيراً للنفقات دون أن تصرف لهم شيئا من رواتبهم المتأخرة تذر الضباط وكتبوا عريضتين احداهما لجاس النظر ، والاخرى للخديو أعربوا فيها عن سوء أحوالهم لعدم

صرف رواتبهم مدة ثمانية عشرة شهرا ، واستقائهم بشديد بسببه ذلك ، كما عقد حوالى ٦٠٠ ضابط اجتماعا فى ثكنات الجيش بالعباسية يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ خرجوا على أثره فى مظاهرة عسكرية اشترك فيها طلاب المدارس العسكرية ، وبعض الجنود وثلاثة من أعضاء مجلس شورى النواب وذهبوا الى مقر وزارة المالية يتقدمهم البكباشى لطيف سليم وتربصوا لنوبار باشا وويلسون عند خروجهما من وزارة المالية ، وقابلوهما بالاهانة والاعتداء ، وسجنوهما فى مبنى نظارة المالية ، ولما ابلغ الخديو بشورة الضباط توجه الى مكان الحادث ، ونجح فى تهدئة الموقف ولولا تدخله فى الوقت المناسب لفاقتت الأزمة <sup>(٣)</sup> ، وقد ترتب على هذه المظاهرة ان سقطت الوزارة الأوربية فى ١٩ فبراير ١٨٧٩ وفيها تخلص الخديو من نوبار .

وهكذا اثبتت مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ قدرة رجال الجيش على تسير الأحداث وإمكانية وقف تغلغل النفوذ الأجنبى فى البلاد والوقوف فى وجه المظالم التى يتعرضون لها .

واسفر الاتصال بين تنظيم الجيش وجمعية حلوان عن تأليف الحزب الوطنى . وقد نشر أعضاء هذا الحزب عدة منشورات أشاروا فيها على الحكومة بمراعاة مصالح البلاد ، واعترضوا على الدين الممتاز واختصاصه <sup>(٤)</sup> ، ومع ان الخديو اسماعيل لم يكن مستريحا لأفكار هذا الحزب الا انه اضطر الى غض الطرف عنه بسبب الشعور المعادى من جانب الأوربيين للخديو .

ولما ضاقت الدول الأوربية بسياسة الخديو اسماعيل حاولت اقناعه بالتنازل عن العرش ، ولكنه ماطل فى الرد على طلبهم بحجة احالة المسألة على السلطان وانتظار أوامره عندئذ ضغطت الدول الأوربية على السلطان فى الاستانة لكى يصدر أمرا بعزل اسماعيل فوافق على طلبهم ، وبذلك انتهى حكم اسماعيل بعد ان رزحت مصر خلاله تحت وطأة الظلم والاستبداد ، وتولى توفيق الحكم فى ٢٦ يئنية ١٨٧٩ فى جو مشحون بالمصاعب فالخزانة خاوية ، والجيش مختل النظام ،

والأهالى ساخطون لما أصابهم من مظالم يضاف الى ذلك أن الخديو توفيق لم يكن بالرجل الذى يستطيع مواجهة كل هذه المخاطر .

### حادث قصر النيل ( أول فبراير ١٨٨١ ) :

ولما كانت الفروق الطبقة والميل الى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش نظرا لتعصب عثمان رفقى ناظر الجهادية لابناء جلدته من الشراكسة واستخفافه بالعنصر الوطنى فكانت الوظائف الهامة والرتب والنياشين تعطى للضباط الشراكسة وغيرهم <sup>(٥)</sup> بينما حرم منها الضباط المصريون كما أن عثمان رفقى أخرج معظم الضباط المصريين فى الجيش الى المعاش قبل السن القانونى كما كلف بعضهم بأعمال بعيدة عن الجندية مثل حفر الترع ومباشرة الأعمال الزراعية فى أراضى الخديو يضاف الى ذلك أنه سن قانون للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الترقى من تحت السلاح الى رتبة الضباط مما يعوق ترقى الجنود المصريين العاملين فى الآليات تحت السلاح ، ويجعلهم أنفارا تحت تسلط الضباط من الأتراك والشراكسة .

وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيين الى التذمر <sup>(٦)</sup> فكتبوا عريضة وقعوا عليها وسلمها كل من « أحمد عرابى كولونيل الفرقة الرابعة للبيادة ، وعبد العال بك حثيش كولونيل الفرقة السادسة للبيادة » الى رياض باشا رئيس مجلس النظار فى يناير ١٨٨١ يطالبون فيها بوقف المحسوبية والظلم ، وأن يكون وزير الحربية مصريا .

ولما أحس رياض بخطورة الموقف قام باستدعاء عرابى وعبد العال حثيش ، فحضرنا يصحبهما « على بك فهمى كولونيل الفرقة الأولى من البيادة » فآخذ فى توجيه النصائح لهم موضحا خطورة ما يترتب عليه عرض شكواهم من مخاطر ، ولكن الضباط تسكوا بموقفهم فعرش رياض باشا المسألة على مجلس النظار الذى عقد بقصر عابدين تحت رئاسة الخديو ، فقرر المجلس القبض على الضباط الثلاثة وأحالتهم الى مجلس عسكرى غير عادى يشكل لمحاكمتهم بمقتضى القوانين العسكرية <sup>(٧)</sup> وأخفى الأمر على الضباط .

ولما استدعى الضباط الثلاثة لوزارة الحربية بحجة الدأولة فى بعض الترتيبات التى كانت تعد لوكب كان سيصاحب احدى الامرات بمناسبة زواجها احرصوا بأن هناك مكيدة مبيتة لهم ، فأخذوا حذرهم ، وقبل انتقالهم الى الوزارة تركوا تعليمات لضباطهم بالتوجه الى مقر الوزارة لانتقأذهم اذا لم يعمودوا فى ظرف ساعتين (٨) .

وقد تحقق ما توقعه القادة الثلاثة فعند وصولهم الى مبنى الوزارة تم اعتقالهم ثم انعقد مجلس فى وزارة الحربية لمحاكمتهم ، وتحددت المحاكمة فى انيوم نفسه ( اول فبراير ١٨٨١ ) الساعة الثانية عشر الا ربعا وقد عقد هذا المجلس تحت رئاسة الجنرال استون وعضوية كل من ابراهيم باشا ولارمى باشا وبلونز باشا واللواء خورشيد عاكف باشا واللواء محمد رضا باشا واللواء متقاعد نجم الدين باشا ، وبينما كانت جلسة المحاكمة منعقدة اقتحمت الفرقة الاولى مشاة بقيادة انبكباشى محمد عبيد مبنى الوزارة ، وادخلوا فيها ضجة ودخلوا الحجرة التى كانت تجرى فيها المحاكمة ، وعاملوا عثمان رفقى وزير الحربية معاملة سيئة . وكادوا يفتكون به لولا انه هرب من احدى النوافذ واختفى فى احد المخازن ، كما دمر الضباط الوطنيين بعض اثاث الوزارة واطلقوا سراح الضباط المحجوزين بالقوة ثم ساروا بعد ذلك فى مظاهرة عسكرية الى قصر الخديو مطالبين بعزل وزير الحربية والنظر فى شكواهم الخاصة بوضعهم على قدم المساواة مع الضباط انشراكسة فى الترقية ، ولما احس الخديو بعدم جدوى المقاومة خصوصا وانه لم يكن لديه فى الجيش فرقة يمكن الاعتماد عليها رضخ للامر الواقع وعزل عثمان رفقى وبذلك نجح العربابون فى فرض ارادتهم ، وخضع الخديو لمطالبهم ، وتأكدت زعامة عربابى على الجيش بعد ان نجح فى بث روح التضامن والاقدام بين الضباط مما كان له اكبر الاثر فى تطور الاحداث ، فقد احس الخديو بخطورة الموقف فحاول تسكينه واكتساب ثقة العسكريين فعين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية ، كما دعا الضباط من رتبة البكباشى الى رتبة فريق ، والقى فيهم خطابا فى حضور وزير الحربية اوضح فيه حبه للعسكرية وعفوه عما حدث فى قصر النيل ، ونصحهم باهية التمسك بقوانين الجهادية ،

وعدم الخروج عن حدود وظائفهم والاجتهاد في أداء واجباتهم العسكرية ، ولما انتهى الاجتماع أعطى الخديو للبارودى التعليمات بانتقليل من نفوذ عرابى وزملائه ، ولكن البارودى لم ينفذ تعليمات الخديو بل قام بالاتحاد الكامل مع العرابيين ، وطالب بزيادة مرتبات الضباط والعساكر لعدم تناسبها مع لوازم المعيشة <sup>(٩)</sup> فاجيب الى طلبه كما اعلنت قوانين عادلة للجيش تعد بالمساواة للجميع .

ورغم هذا النجاح السريع الذى حققه الضباط الوطنيين فانهم لم يطمئنوا الى الخديو خصوصا بعد انتشار الشائعات بأنه ينتظر الفرصة المناسبة للتخلص منهم نتيجة لما افتدوه له من هبة ، وان رياض باشا أيضا ينتظر أى فرصة للانتقام منهم لذلك زادوا من احتياطات الأمن الخاصة منهم وبوجه خاص بعد الدسائس والمؤامرات التى تعرضوا لها .

ولما كان الشعب المصرى يرزح تحت المظالم التى لا تقل عن المظالم التى كان يعانى منها رجال الجيش فقد بارك حركة الضباط حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه ، وتقديرا لآماله فى التخلص من ربقة التدخل الأجنبى ، كما أصبح عرابى وزملاؤه موضع اعجاب الأمة وتقديرها وتردد اسمه على أفواه الناس كأول فلاح مصرى يقف فى وجه الطغيان ويعبر عن آمال الشعب وآلامه فلم تمض عدة أسابيع على حادث قصر النيل حتى انهالت عرائض الفلاحين من جميع أنحاء البلاد على عرابى يبيئون اليه شكواهم وما يتبع عليهم من مظالم ففتح عرابى قلبه للجميع كما وجدت الطبقة المصرية المثقفة والتى تنشد الحياة الدستورية أنها لو اتحدت مع الحركة الوطنية فى الجيش لعجلت بوضع حد فاصل لشقاء البلاد ولانقذت الوطن من التفتل الأجنبى ، ونتيجة لتزايد شعبية عرابى اشار عليه عبد الله النديم الذى انضم الى العسكريين ووقف بجانبهم بطبع منشور يطلب فيه من الشعب ان ينييه — أى عرابى — فى المطالبة بحقوقه والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد <sup>(١٠)</sup> فوافق عرابى وقام النديم بتوزيع هذا المنشور فى كافة أنحاء البلاد كما اخذ يبيث الأفكار الثورية بين مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها وتجارها وكافة الاهالى استجلابا لمساعدتهم <sup>(١١)</sup> ثم

أخذ في جمع التوقيعات منهم ودعاهم الى نصره عرابى ، وأخذ يعلمهم فوائد الحرية ومعانى الدستور .

وبعد أن جمع النديم توقيعات الأهالى عاد الى القاهرة ، ومعه التوكيلات التى وقع عليها الناس بانابة عرابى فى الدفاع عن حقوقهم ففرح بها عرابى وشدت من أزره ، وكان لها اثرا كبيرا فى تقوية العرائن وعلى اثر ذلك جاءت الوفود من الاقاليم الى القاهرة لمبايعة عرابى على تخليصهم من الظلم الذى ضيق عليهم حياتهم وانسدها واستقبل عرابى هذه الوفود فى منزله الذى كان يمتلأ بالناس يوميا ، وأخذ ينشر آراءه بينهم ، وبذلك تضامن الشعب مع الجيش من أجل الإصلاح وأصبح عرابى نائبا عن الأمة المصرية يتحدث باسمها ويدافع عن حقوقها .

#### مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ ونتائجها :

ولما برزت خطورة العرابيين وخصوصا بعد أن تكاثف الشعب معهم أحس الخديو بالخطر على مركزه ، ورأى ضرورة السيطرة على الجيش فأقال البارودى من نظارة الحربية فى ١٣ أغسطس ١٨٨١ ، وعين مكانه صهره داود يكن وطلب منه الحد من نشاط الوطنيين داخل صفوف الجيش فقام وزير الحربية الجديد بفرض الرقابة على العرابيين وملاحقتهم بالجواسيس ، كما حاول تشتيت شملهم فأصدر أوامره بنقل الفرقة الثالثة المشاة التى يقودها عرابى من القاهرة الى الاسكندرية والآلاى السودانى الذى يقوده عبد العال حلى الى دياط ، ونظرا للخطورة التى تترتب على تشتيت شمل الجيش توقف عرابى وصاحبه عن اطاعة الاوامر وأرسل خطابا الى وزير الحربية وضح له فيه أن صدور الاوامر بنقله يعنى تشتيت القوات العسكرية بغرض الانتقام منه وأنه وزملاءه لا يستطيعون تسليم انفسهم للموت ، ولذلك ستحتشد قواته فى ميدان عابدين الساعة الثالثة والنصف من مساء يوم ٩ سبتمبر لعرض مطالبها ، وأنهى عرابى خطابه بأن وزير الحربية لن يجد أى سرقة عسكرية تتقدم لاطاعة أوامره .

وكان نبا احتشاد العرابيين بقواتهم فى عابدين مفاجأة للخديو حيث

كان قبل الحادث بيوم في زيارة لطنطا مع بعض وزرائه ، ولم يتوقع تطور الموقف الى هذا الحد .

ولما علم الخديو بتصميم العربيين على التجمع أمام قصر عابدين اخذ رأى المستر كولفن Colvin المراقب المالى الانجليزى فيما يجب عمله فنصح باستدعاء القوات الموالية له ، واستدعاء البوليس الحربى الى ميدان عابدين وقيادة هذه القوات واعتقال عرابى عند اقترابه من الميدان ، ولكن الخديو رفض النصيحة على اساس أن المدفعية وسلاح الفرسان مع عرابى ، وقد يطلقون النار ، ولكن المستر كوكسن شجعه وأوضح له بأنه اذا لم تكن لديه الشجاعة لاتخاذ المبادرة فستكون العواقب وخيمة .

وقد ذهب الخديو مع المستر كولفن وبعض الوزراء والضباط المواليين له الى قصر عابدين حيث اقسمت له فرقة الحراسة يمين اللواء ثم ذهب للقلعة حيث حدث نفس الشيء ، ولكن اتضح لهم أن الفرقة الموجودة بالقلعة كانت تعطى اشارات لفرقة عرابى فى العباسية قبل وصولهم وحاول الخديو الذهاب الى ثكنات العباسية ، ولكن الساعة كانت قد اقتربت من الثالثة والنصف وهو الموعد الذى حدده عرابى للاحتشاد فى عابدين فحثه كولفن على الرجوع الى ميدان عابدين آخذاً معه فرقة القلعة ، وعند وصوله للميدان يضع نفسه على رأس تلك الفرقة وفرقة الحراسة والبوليس الحربى ، ولكن الخديو ذهب الى العباسية ، وكانت الساعة حوالى الرابعة فوجد أن عرابى سار بفرقته الى ميدان عابدين فقتبعوه ودخل الخديو القصر من باب جانبى ، وتجمعت قوات العربيين فى ميدان عابدين فى مظاهرة عسكرية قوامها أربعة آلاف ضابط وجندى تصحبهم فرسانهم ومدفعياتهم على النحو التالى : ثلاثة فرق مشاة فى الجوانب الأربعة للميدان ، والمدفعية وقوة الفرسان ومجموعة من الضباط حول عرابى فى الوسط ، كما ازدحمت ساحة عابدين بجماهير المواطنين ، وامتألت نوافذ البيوت المجاورة للسراى وأسطحها بالمتفرجين .

ونزل الخديو من القصر وتقدم الى الميدان بناء على نصيحة المستر كولفن وكان عرابى راكبا حصانه فطاب منه الخديو أن ينزل من على جواده

ففاعل وتقدم عرابى مع بعض ضباطه الى الخديو الذى طلب منه ان يغمد سيفه فاطاع عرابى الامر <sup>(١٢)</sup> وسأل الخديو عرابى عن اسباب حضوره بالجيش فاجاب عرابى « جئنا يا مولاي لتعرض عليك طلبات الامة وطلبات الجيش وكلها طلبات عادلة » فسأل الخديو « وما هى هذه الطلبات ؟ » فاجاب عرابى بانها « اسقاط وزارة رياض المستبدة وتشكيل مجلس للنواب على النسق الاوروبى وزيادة عدد الجيش الى القدر المعين فى الفرمانات السلطانية وانتصديق على القوانين العسكرية » فقال له الخديو « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم الا عبيد احساننا » فرد عرابى « لقد خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو اننا لا نورث ولا نستعبد بعدد هذا اليوم » <sup>(١٣)</sup> .

ولما أوضح الخديو لعرابى أن مطالبه ليست من اختصاص رجال انجيش كان رد عرابى « لست أطلبه وأنا عسكرى الصفة بل أنسا نائب هذه الامة الواقعة » <sup>(١٤)</sup> ، وهذا يعنى أن عرابى وقف فى ساحة عابدين مستندا فى تقديم مطالبه الى الخديو على التوكيلات التى أرسلها له الشعب ليكون متحدئا باسمه ، وممثلا للامة المصرية كلها ينطق باسمها ويعبر عن ارادتها عن طريق الجيش الذى اجتمع ليغرض بقوة السلاح مطالب الشعب المصرى فى الحرية والعدالة على الخديو ، ثم تطورت مطالب العرابيين وعى المساواة بين الضباط المصريين والشراكسة ، بتغيير شكل الحكومة من نظام استبدادى الى نظام دستورى .

ولما تخرج الموقف بالنسبة للخديو وخصوصا بعد أن رفض عرابى أن تترك قواته ساحة عابدين الا بعد أن تجاب مطالبه نصح المستر كولفن الخديو بالعودة الى القصر ، وأن يترك له مهمة التحدث مع عرابى وزملائه ففاعل ، وقام كولفن بشرح خطرة الموقف للعرابيين ، واخذ يحثهم على سحب قواتهم ، ولما لم ينجح فى محاولاته اقترح على الخديو أن يقوم بإبلاغ الضباط انه على اتصال بالباب العالى لعرض مطالبهم ، ويجب عليهم التفرق حتى يصل السرد من القسطنطينية ، ووافق الخديو على الاقتراح وذهب القنصل الانجليزى المستر كوكسن واخبر عرابى بذلك فكان رد عرابى انه سيبقى وقواته



فى الميدان الى أن يصل الرد ، وانهم لن يعترفوا بالخدو حتى يصل مندوب من الباب العالى لتسوية هذه المسائل ، فابلى كوكسن الخديو بالامر ، واوضح له أن الطلب الذى يعطيه الضباط أهمية حقيقية هو عزل الوزارة ، وبعد اجتماع قصر بين الخديو ورياض خول الخديو المستر كوكسن اخبار عرابى بأنه وافق على تغيير الوزارة على أن تبى النقاط الأخرى أنى طلبها الضباط معلقة الى أن يصل الرد من الباب العالى ، وقد وافق عرابى على ذلك وعزل رياض باشا ، ولما عرض على عرابى تعيين حيدر باشا أو اسماعيل أيوب رئيسا للوزارة رفض كليهما ، وطلب تعيين شريف باشا لثقة العسكريين فيه ، فوافق الخديو ، ودعا شريف الى تأليف وزارة جديدة فقبلها بعد أن اشترط نقل الفرق العسكرية التى اشتركت فى المظاهرة خارج القاهرة ، وقد وافق العرابيون على طلب شريف ، وغادر عرابى وجنوده ساحة عابدين تصحبهم نشوة النصر .

ولما شرع شريف باشا فى اختيار النظار طلب منه العسكريون تعيين محمود سامى البارودى ناظرا للجهادية فلم يرق له طلبهم ، وأخبرهم بأنه « ترك الجهادية لنفسه » ، لكنهم اصرروا على طلبهم مما اضطر شريف باشا الى اختياره .

وهكذا انتصرت الامة بواسطة جيشها ، ونالت مطلبها بعد أن تبل الخديو مطالب العرابيين .

ولكى ينقذ الخديو موقفه المتدهور ارسل الى السلطان العثمانى يبلغه بتطورات الموقف وتعاضل نفوذ العرابيين ، ويطلب منه « ارسال قوة عسكرية يبلغ تعدادها عشرين طابورا على وجه السرعة على أن تكون قيادتها منوطة به خاصة ، ولكن السلطان أهمل طلبه خصوصا وأن انجلترا حاولت منع تركيا من استغلال الموقف للتدخل فى شؤون مصر فطلبت من مندوبها فى الأستانة اقناع السلطان بذلك ، وقد استعاض السلطان عن ارسال قوات عسكرية بارسال بعثة لتتقى الحقائق فى مصر برئاسة على نظامى باشا .

وقد وصل الوفد الى القاهرة في ٦ أكتوبر ١٨٨١ ، وزار آلاى نصر النيل الذى كان تحت قيادة طلبة عصمت ، والقى نظامى باشا خطابه بالتركية ترجمه البارودى للضباط ، وردا على الخطاب أعلن طلبة عصمت انه نيابة عن الضباط والجنود يعرب عن اعترافه بسيادة السلطان على مصر وتأييده لسلطة الخديو .

وقد غادر الوفد القاهرة الى الاسكندرية في ١٨ أكتوبر ١٨٨١ .

والجدير بالذكر أن انجلترا وفرنسا استاءتا من حضور الوفد العثمانى الى مصر على غير اتفاق معها واعتبرته تدخل فى شئون مصر الداخلية ، كما انتهز السير ادوارد مالت القنصل الانجليزى الفرصة لكى تبسط يدها على مصر فطلب من حكومته ارسال بارجة حربية الى مياه الاسكندرية فأجابته الى طلبه كما اتفقت الحكومة الفرنسية على ان ترسل هى الأخرى بارجة على أن تغادر البارجتان الاسكندرية حين مباحرة الوفد العثمانى مصر ، ونفعلا حدث ذلك حيث غادرت البارجتان ميناء الاسكندرية في ٢٠ أكتوبر ١٨٨١ أى غداة سفر الوفد العثمانى .

ومما سبق يتضح أن موقف الدولة العثمانية كان قائما على أهمية تثبيت السيادة التركية على مصر دون الاهتمام بمصالح مصر ومصريها .

### العربيون ووزارة شريف باشا :

واستقرت الأمور فى البلاد وخصوصا بعد أن وافق العسكريون على طلب شريف باشا بالتخلى عن مسرح انسياسة والمودة الى معسكراتهم فنقل آلاى عبد العال حلمى الى دهياط ، وآلاى عرابى الى رأس الوادى بالشرقية وذلك استجابة لطلب شريف باشا .

ومع أن شريف حاول تشتيت شمل الجيش حتى يبعده عن التدخل فى السياسة ويزيل الصفة التى اكتسبها عرابى بأنه نائب عن الأمة مقد خاب تقديره لأن خروج عرابى من القاهرة الى رأس الوادى لم يفقده شعبيته ، ولم يبعده عن قيادة الحركة الوطنية فقد تجمع حوله

الفلاحون وتردد عليه الأهالى والعربان الذين وجدوا فيه متنفسا  
لامالهم والمدافع عن حقوقهم ، وتسابق اعيان الشرقية وفلاحوها  
للاحتفاء به ، وكانت مواكب عرابى كالمظاهرات الوطنية ، كما أصبحت  
الشرقية مجالا خصبا لنشر المبادئ الوطنية في نفوس عمدة البلاد  
ومشايع العربان .

ولم يكد شريف باشا يسمع بأخبار الاستقبالات الشعبية التى تحيط  
بعرابى والعرايين فى الشرقية حتى ضاق ذرعا وازداد حنقا على عرابى  
فاستدعاه الى القاهرة ليعبده عن الفلاحين ، وحتى يتيسر له — كما يذكر —  
« اعطاؤه النصائح فى كل وقت » <sup>(١٨)</sup> ونتيجة لاصرار البارودى واستحسان  
باقى النظار لرايه اضطر شريف الى تعيين عرابى وكيلا لنظرية الجهادية ،  
كما عرض عليه رتبة اللواء ، ولكنه رفضها حتى يبقى الاى فى عهده .

وهكذا سار العرابيون من نصر الى نصر ، يحدوهم الامل فى تحرير  
بلادهم من ربقة الظلم الداخلى والتدخل الخارجى .

وبعد ان تمت انتخابات مجلس النواب افتتح الخديو المجلس بانقاء  
خطبة العرش .

وعين سلطان باشا رئيسا للمجلس لمدة خمس سنوات ابتداء من  
٧ فبراير ١٨٨٢ ، وسارت حكومة شريف تؤدى وظيفتها بطريقتة  
ديمقراطية فانسحت صدرها للنقد والملاحظة ، وكادت تستقر لها الامور  
وتتمكن الحياة الدستورية من السير فى الطريق السليم لولا أن ذلك لم  
يوافق هوى كل من انجلترا وفرنسا لان مصر متى أصبحت فى يد ابنائها  
لا بد أن تعيد النظر فى الامتيازات الأجنبية ، وتوقف مد التدخل الاوروبى  
فراحت الدولتان تدبران لافساد الموقف فافتعلت سلسلة من الازمات  
لعرقلة الامور ، وبدا تدخلها يظهر بصورة سافرة ، فلما اجتمع مجلس  
النواب فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ <sup>(١٩)</sup> بدا فى ترتيب لائحته الداخلية  
ومناقشتها ، وفى اثناء مناقشة اللائحة وقع خلاف بين النواب والوزراء  
حول سلطة المجلس فى اقرار الميزانية ، واثناء بحث هذا الخلاف طلب  
المراقبان الماليان الحد من سلطة البرلمان فى تقرير الميزانية بحجة أن ذلك

من اختصاصها وأن ميول المجلس عدائية نحو الجانب الأوربي في الحكومة ، ولبث روح اشتقاق بين نواب الأمة والخديو أرسلت كل من إنجلترا وفرنسا في ٧ يناير ١٨٨٢ بمذكرة مشتركة الى الخديو تتضمن تأييد الدولتين له بكل انوسائل للتغلب على الصعوبات التى تواجهه<sup>(٢٠)</sup> حيث انها اتفقتا على بذل الجهود المشتركة لمقاومة كل اسباب المشاكل الداخلية والخارجية التى تهدد النظام القائم في مصر ، وقد قبلت هذه المذكرة بثورة عارمة ادت الى تكاتف انجيش والوطنيين ومجلس النواب ضد إنجلترا وفرنسا ومع أن الحكومة رفضت المذكرة فان الخديو قبلها بالشكر والعرفان مما كان له أبعد الأثر في تطور الحوادث فبعد نجحت إنجلترا وفرنسا بذلك في زيادة الهوة والانقسام بين المرابين والخديو ولم يكتفيا بذلك بل أرسلتا مذكرة مشتركة أخرى في ١٨٨٢/١/٢٦ تؤيدان ما طلبه المراقبان الماليان في أن مجلس النواب ليس من حقه الاقتراع على الميزانية .

ولما أحس شريف باشا بخطورة الموقف ، والضغط الأوربي تتقدم بقانون تأسيس المجلس الذى تضمن منع النواب من الاشراف على الميزانية مما اثار ثائرة اعضاء المجلس ، فرفضوا هذا القانون وأصروا على ضرورة اشراف المجلس على الميزانية وأخذ الاعراض عن شريف يتمكن من نفوسهم ، وطالب البارودى النواب بضرورة الاطلاع على الميزانية ، ومناقشتها وعزل شريف باشا اذا لم يوافق على ذلك .

والواضح انه كان يوجد داخل مجلس النواب اتجاهان أحدهما دستورى معتدل وعلى رأسه شريف باشا والآخر دستورى ثورى يستند على العسكريين .

ولما زاد التدخل الأوربي في شئون مصر برز دور العناصر الدستورية الثورية فحين تدخلت قنصلا إنجلترا وفرنسا في الأمر رفض مجلس النواب تدخلها ، وأرسل النواب لجنة الى الخديو مطالبين بالاشراف على الميزانية أو استعفاء الوزارة فثارت ثائرة شريف باشا واضطر الى الاستقالة مما أدى الى انتقال مقاليد الأمور الى الحزب العسكرى وأنصاره .

وهكذا تطورت الأمور الى درجة التحدى الواضح بين العناصر الوطنية

التي تريد وقف النفوذ الاجنبى وبين الدول الأوروبية التي لم تكن تسمح  
بقبول الوضع الذى مكن الوطنيين من ادارة شئون بلادهم .

### وزارة البارودى وانتصار ارادة الثورة :

وبعد استقالة وزارة شريف باشا جمع البارودى الضباط والنواب  
فى تشلاق عابدين ، وطلب منهم تعيينه رئيسا لمجلس النظار خلفا لشريف ،  
غذهب النواب الى الخديو وطالبوا بتعيينه فوافق على طلبهم ، وكلف  
محمود سامى البارودى بتشكيل الوزارة على أن تحال اليه نظارة الداخلية  
كما امر الخديو بتعيين عرابى وزيرا للحربية فى الوزارة الجديدة .

وقد استهلت وزارة البارودى عهدها بأن جعلت من حق مجلس  
النواب النظر فى الميزانية والاشراف على احوال البلاد المالية مع تعهدها  
باحترام الارتباطات الدولية والالتزامات المالية المرتبطة بانديون ، كما  
كونت مجلس شورى الحكومة لرفع الاستبداد الادارى عن الشعب<sup>(٢١)</sup>  
وللمساعدة فى تجهيز القوانين واللوائح الادارية وهكذا استطاع العرابيون  
السيطرة على زمام الموقف وانحد من سلطة الخديو الذى اصبح لا حول  
له ولا قوة وسارت الحركة الوطنية يحدها الرغبة فى السير بالبلاد الى  
بر الأمان ، ولكن تطورات الاحداث اعاقت حركتهم .

### مؤامرة الجراكسة :

وقام عرابى بتمصير الجيش بحالة عدد كبير من الضباط الأتراك  
والشراكسة على الاستياداع واصدار قوانين فى صالح الوطنيين ، وترقية  
حوالى ٥٦٠ ضابطا منهم ، فأحدث ذلك ضجر بين الجراكسة وزاد من  
ضجرهم أن عرابى أدخلهم ضمن تشكيل الآلاى المقترح ارساله الى  
السودان للحد من انتشار الثورة المهدية فتآمروا على اغتيال زعماء الثورة  
وقد علم عرابى بهذه المؤامرة عن طريق شخص يدعى راشد نور فقضى  
على المتآمرين ومنهم عثمان رفقى وعقد لهم مجلسا عسكريا برئاسة على  
الروبيى لمحاكمتهم وقد أصدر هذا المجلس احكامه بنفى أربعين من المتهمين  
الى اقاصى السودان مدى الحياة وتجريدتهم من الرتب العسكرية  
والنياشين<sup>(٢٢)</sup> ولكن المتصلين الانجليز والفرنسى اوعزا الى الخديو

بعدم التصديق على هذه الأحكام ، موافق انخديو على طلب القنصلين بحجة أن الأحكام صادرة على الأربعة ضابط على سياق واحد ولا يصح أن تكون جنحة الجميع مثل بعضهم بل لابد من التفاوت وصادر أمرا بتخفيف العقوبة الى مفادرة المتهمين للبلاد ، والغاء بقية الأحكام مما اثار حق العربيين على انخديو الى حد أن البارودى دخل ثائرا على الخديو ، وطلب منه اصدار أمر يقضى بنفى المحكوم عليهم ، ومحو أسمائهم من دفاتر العسكرية والا فإنه لن يكون « آمنا على نفسه ولا على مسند حكومته ، ولا على حياة الأوربيين الموجودين بالقطر المصرى » كما هدده بأنه ستحدث مجزرة كبيرة لن ينفع الخديو فيها القناصل ولا اندول الأجنبية ، ولكن الخديو أمر على رايه وفى نفس الوقت عرض الأمر على السلطان العثمانى ، وطلب منه ارسال هيئة تحقيق تركية تحت رئاسة مشير لاعادة التحقيق مما زاد من سخط العربيين على الخديو خصوصا وأنهم اعتبروا أن عرض الأمر على السلطان بمثابة تنازل عن الاميازات التى نالتها مصر فى استقلالها بشئونها الداخلية فطلب محمود سامى البارودى بصفته رئيسا للنظار دعوة البرلمان للتشاور فى هذا الأمر منكرا على الخديو حق العفو ، ولكن الخديو رفض دعوة المجلس مما دفع البارودى الى دعوته بدون أمر الخديو<sup>(٢٣)</sup> مخالفا بذلك المادة التاسعة من الدستور التى تنص على انه « اذا مست الحاجة الى تكرار اجتماع المجلس فى غير مدته المعتادة فيكون ذلك بمقتضى أمر يصدر من الحضرة الخديوية تتقرر فيه مدة ذلك الاجتماع »<sup>(٢٤)</sup> . وقد تم الاجتماع بمنزل محمد سلطان باشا رئيس المجلس ، وحضره معظم النواب وكثير من رجال الجيش ، وقدلقى عرابى خطبة طلب فيها خلع الخديو ولكن سلطان باشا رفض ذلك بقوة وطالب بتأييد الخديو ولم يستطع العربايون رغم تهديدهم لسلطان باشا ومحاصرة منزله بما يقرب من ألفى عسكرى الحصول على موافقة المجلس ، وقد انتهز الخديو هذه الفرصة واستطاع احداث انقسام بين أعضاء البرلمان فأغرى محمد سلطان باشا رئيس المجلس وستة آخرين بالانضمام اليه ، ومع ذلك قرر المجلس مؤازرة الوزارة كما قرر بأغلبية ٤٥ ضد ٣٠ صوتا بأنه اذا استمر الخديو فى الاستعاع الى النصائح الأجنبية فلا بد من خلعه ومحاكمته ، وبذلك وقف النواب مع الجيش تسانداهم الوزارة ضد لخدوي مما زاد من مشاكله .

واشتدت الأزمة بين العربيين والخديو ، وتدخل النواب ورجال الدين للتوفيق بين الطرفين فطلبوا من الخديو ابقاء الوزارة حلا للشكال ، وبعد مشاورات وافق على طلبهم ، وذهب الوزراء اليه أعلنوا ولائهم الغام له .

والجدير بالذكر أن العربيين كانوا ينقسمون الى متطرفين أمثال طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمد عبيد وعبد الله أنديم ، ومعتدلين أمثال البارودى وعبد السلام المويلحى أما عرباى فكان يحتل المركز الوسط ، وفى حين كان يزوج المتطرفين بعرباى الى مواقف خطيرة كان المعتدلون يحاولون تهدئة الموقف .

#### العرباىون والتدخل الأجنبى :

وقد سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لاي تدخل أجنبى ، وفسن عرباى مسئولية حفظ النظام وصيانة الأذن ، ولكن انجلترا وفرنسا ما ان وصلت أساطيلها الحربية الى الاسكندرية حتى تقدمتا بمذكرة مشتركة أخرى فى ١٨٨٢/٥/٢٥ تطلبان فيها استقاله وزارة محمود سامى البارودى ، وابعاد أحد عرباى من مصر ، وتحديد اقامة على نهى وعبد العال حلمى فى الريف .

وقد رفضت وزارة البارودى هذه المذكرة كما رفضتها الأمة كلها ، وأرسلت انطرافات لتأييد الوزارة الوطنية ، ومع ذلك فقد وافق عليها الخديو ، وطلب من النظار قبولها منعا لحدث ارتباكات سياسية وسفك دماء ولكنهم اعترضوا على ذلك ، وقدم محمود سامى البارودى استقالته فى ٢٦ مايو احتجاجا على التدخل الأجنبى وقبول الخديو له ، فقبلها الخديو بناء على نصيحة انجلترا وفرنسا ، وتولى أمور الجيش بنفسه . وقد أدى هذا الاستقزاز من الخديو للعرباى الى تدمير كبار الضباط الوطنيين فأظهر طلبة عصمت العصيان وقال للخديو « انه بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن اخوانه بالجهادية لا يقبلوا ذلك » وانهم يرفضون المذكرة المقدمة من انجلترا وفرنسا ولا يقبلون عز لـعرباى عن نظارة الجهادية ثم خرج طلبة عصمت غاضبا ومعه على نهى ويعقوب سامى وبعض الضباط ومع ذلك فقد امر الخديو على رأيه وأصدر

أوامره الى العسكريين بالتزام ثكناتهم والى المديرين بعدم تنفيذ الاوامر التى كانت وزارة البارودى قد ابلغتهم بها بعد ان اصبحت مستقبلة ، واخذ رجال الجيش من انصار عرابى فى عمل محاضر ضد الخديو<sup>(٢٥)</sup> كما اعلن الضباط انهم لن يقبلوا ناظرا للجهادية غير عرابى باشا وارسل كبار الضباط وافراد الالات وقائمقامات البوليس والمستحفظين بالاسكندرية تلغرافات الى الخديو بأنه اذا لم يعد عرابى الى وظيفته فلن يكونوا مسؤولين عن الأمن فى المدينة ، وحدد بعضهم مهلة اثنى عشر ساعة لعودة عرابى الى وظيفته . كما وردت التلغرافات من كافة طبقات الشعب تؤيد العربيين فى موقفهم الوطنى واراد قناصل الدول الأجنبية ضمان حماية رعاياهم فاجتمعوا بعرابى والزموه مسئولية حماية الأوربيين فاجابهم عرابى بأنه لم يعد له صفة رسمية تكته من تحقيق مطالبهم ، ولكنه بصفته الشخصية كموطن يؤكد لهم حماية الأجانب . واجتمع عرابى برجال الجيش وهدد بمحاصرة سراى الاسماعيلية اذا لم يصدر له أمرا بابقائه فى نظارة الحربية كما طلب من رجال الجيش ألا يتصرفوا الا بناء على تعليماته ، ولا يفعلوا شيئا الا بأوامره ، ويذكر الخديو توفيق فى رساله له الى الباب العالى ان عرابى وان كان قد استقال ( لفظا ) فانه لم يتخل عن القيادة ، وهو يتابع اصدار المنشورات الى العساكر حيث يضمنها تعليماته كما ان الضباط والعساكر يأبون سواء للجهادية .

والواقع ان عرابى لم يكن خلال هذه الأزمة على اتصال بالجيش نقط بل أيضا بالوطنيين من غير العسكريين ويبدو ذلك واضحا من خطاب لعرابى يذكر فيه انه وان كان قد استعفى من نظارة الجهادية فانه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى وقد حاول سلطان باشا وبعض النواب حسم الخلاف فذهبوا الى الخديو وطلبوا منه أن يظل عرابى ناظرا للحربية فرفض فالتحمت طبقات الشعب وخرج علماء الأزهر والمشايخ والنواب والاعيان ومجموعة من التجار واصحاب الحرف الى الخديو ، وطلبوا أن يستمر عرابى فى نظارة الجهادية حفظا للأمن تسكينا للاضطراب ، وانه « فى حالة عدم قبول ملتسمهم سيحصل قتل عام » وتحت هذا الضغط الشعبى اضطر الخديو الى اعادة عرابى ناظرا للجهادية والبحرية والاكتفاء به ليدبر شئون البلاد مع وكلاء الوزارات المختلفة<sup>(٢٦)</sup> بمعنى انه رغم عودة



عرايى فان مصر ظلت بدون مجلس وزراء ، واستمر هذا الوضع لمدة ٢١ يوما مما يدفعنا الى التساؤل عن سبب ذلك ولماذا لم يكلف الخديو احد بتشكيل الوزارة مع انه اعاد عرايى الى نظارة الجهادية .

الواقع ان الخديو توفيق طلب من شريف باشا تشكيل الوزارة ، ولكن شريف اشترط تعيين عمر لطفى محافظ الاسكندرية ناظرا للجهادية ولما رفض رجال العسكرية ذلك واصروا على بقاء عرايى تأخر تشكيل الوزارة .

### بعثة درويش باشا :

ونتيجة لتطور الأحداث حاول السلطان العثمانى استغلال الموقف بهدف عودة سلطانه المتدهور فى مصر وتثبيت السيادة التركية عليها فأرسل بعثة الى مصر وصلت اليها فى ٧ يونية ١٨٨٢ تحت رئاسة درويش باشا لتقصى حقائق الأمور والتحقيق فى أمر الخلاف بين الخديو والوزارة فأرسل كل من الخديو وعرايى مندوبين لاستقبال البعثة فى الاسكندرية فكان ذو الفقار باشا ينوب عن الخديو ، ويعقوب سامى ينوب عن عرايى ولما حضر درويش باشا الى القاهرة استقبله الشعب فى الطريق بشعارات يمدحون فيها عرايى ويخفزون من شأن الخديو وكان يشجهم على ذلك حسن موسى العقاد ويعطيهم النقود ، ولم يعترض مأمور ضبطية مصر على ذلك (٢٢) .

وكانت خطة درويش باشا الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرايين وكان العثمانيون يرون فى استئصال أمر الوطنيين على الخديو فائدة لهم آملين من ذلك بقاء مصر تحت حوزتهم ، ورغبة فى أن يؤدى هذا الانقسام الى تثبيت مركز السلطان اظهر درويش باشا لكل طرف انه معه ولما اتضحت نواياه بعد ذلك أعلن انضمامه الى الخديو علانية ، ومع ذلك فقد ظل مركز العرايين قويا وخصوصا أن الأمة كانت تقف صفا واحدا خلف عرايى مما ضايق الخديو وحاول زعزعة الثقة فى العرايين وخصوصا أمام الدول الأوروبية ، قد تم له ما أراد بقيام مذبحة الاسكندرية .

## العرباؤون ومذبحة الاسكندرية :

حاول الخديو ان يخرج مركز العربايين خصوصا بعد ان تعهد عرابى بمسئولية حفظ الامن والنظام ، وذلك باحداث شغب وفوضى مما يزعزع الثقة فى النفوس ، وخصوصا الجاليات الأوروبية مما يؤدى الى التدخل الأوروبى بحجة ان الحكومة غير قادرة على حماية ارواح الأجانب فسمى بواسطة بعض أتباعه الى احداث شغب فى القاهرة « الى حد ان الوزارة احتاطت لمنع الفتنة » .

واستدعى الخديو ابراهيم بك توفيق مدير البحرية ، وطلب اليه ان يجمع مشايخ قبائل البدو ، ويحضرهم اليه ففعل ثم اوعز الى المدير ان يأمرهم بحشد ٣٠٠٠ بدوى ، وأحضارهم الى العاصمة عن طريق الجيزة ليحدثوا فتنة فى البلد ولكن تعذر ذلك ، ولما فشل الخديو فى مساعاه أرسل برقية الى عمر لطفى محافظ الاسكندرية جاء فيها ما يلى « قد ضمن عرابى امر الامن العام ، ونشر ذلك فى الصحف ، وجعل نفسه مسئولا لدى القناصل ، واذا نجح فى ضمانه هذا وثقت به الدول وصفر شأننا ، اما الآن واساطيل الدول فى مياه الاسكندرية وعقول الناس متهيجة ، فوقع الخلاف بين الأوربيين وغيرهم أمر محتمل ، فاختر لنفسك اما خدمة عرابى فى ضمانه أو خدمتنا » .

ويذكر تيودور روزشتين انه استتبع هذه البرقية مفاوضات أخرى جرت على يد ابن عم الخديو الأمير حيدر باشا الذى تنقل عدة مرات بين القاهرة والاسكندرية حاملا رسائل المتآمرين كما سافر عمر لطفى الى القاهرة فى ٩ يونية ليوقف على خطة المؤامرة . وقد طلب الخديو منه احداث شغب فى المدينة حتى يكون ذلك وسيلة الى افشال تعهد عرابى وتوجيه اللوم عليه ، وهكذا دبرت مذبحة الاسكندرية ، وقد بدأت الحوادث فى يوم الأحد ١١ يونية ١٨٨٢ فى الساعة الثانية ظهرا على اثر مشاجرة فردية بين مالطى من اتباع الانجليز وبين مكارى مصرى بسبب خلاف على أجر حمار كان الاول قد استأجره من الثانى وتطور الأمر بينهما الى حد ان المالطى طعن المصرى بسكين<sup>(٢٨)</sup> فجرحه وتجمع الناس ، وتدخل جاويش مصرى من قسم الثبان ضد المالطى ، كما انتصر للمالطى أحد

أبناء جلدته ، وفى أثر ذلك كثرت الفوغاء وعلت الضوضاء وسلت الخناجر وجردت المدى من الأغصان ، واشتعل الموقف وتطور الأمر الى حد ضرب بعض الأجانب للإهالى بالرصاص من نوافذ واسطح المنازل وامتدت المشاجرات حتى عمت أرجاء الثغر فهجم الرعاع على المارة وأصحاب الدكاكين وأخذوا يسطون على كل أجنبى وجدوه فى طريقهم كأننا ما كان ويوسعونه ضربه بالعصى والهرافات كما انتشروا فى الشوارع وانبتوا فى أحياء الأوروبيين منادين بالجهاد وساعد على ذلك القلق والاضطراب اللذان استوليا على أهالى الاسكندرية نتيجة للشائعات حول تواجد الاسطول المشترك فى مياه الاسكندرية واستمر القتال نحو خمس ساعات لم يستطع احد خلالها السيطرة على زمامه الا بعد تدخل القوات العسكرية المرسله بأمر عرابى والواقع أنه لولا تدخل عرابى فى الوقت المناسب لانتهى الشغب بمجزرة عنيفة أودت بحياة الأوروبيين .

ان أصابع الاتهام تشير الى أن مدبرى هذه المذبحة هم عمر لطفى . محافظ الاسكندرية بالاتفاق مع الخديو والسيد قنديل مأمور الضبطية فى حى اللبان بالاسكندرية وعبد الله النديم خطيب الثورة العربية والانجليز وفيما يلى نعرض للتهمة الموجهة الى كل هؤلاء ، ووجهات النظر المختلفة حولها .

ان اتهام عمر لطفى بالتحريض على هذه المذبحة (٢٩) أمر له ما يبرره . وفيما يلى نعرض لذلك .

١ — ذكر محمد رشيد رضا أن الشيخ محمد عبده قال « كنت فى الاسكندرية فسمعت الناس أجمع يقولون أن المحافظ عمر لطفى سمح بانتشار الفتنة الى هذا الحد لأنه كان مقيما فى البلد ، ولم يصدر أمرا بتوقيفها ، ولم يذهب الى مكان الفتنة . ولم يطلب مساعدة العسكر النظامى مع أنهم كانوا على مقربة منه وأجمع الناس على أن عمله هذا موعز به من الخديو » حيث كان جميع مستخدمي المعية فى ثانى يوم الحادثة فى غاية الفرح والسرور لما حدث سائرين من التزام عرابى بالمحافظة على الأمن العام كما ذكر الشيخ محمد عبده فى مذكراته عن الثورة العربية أن عمر لطفى كان بالقرب من زيزينيا « فساله سائل

كيف تكون هنا ، والمذابح على خطوات منك فقال لست بقائد ، وهذا لا يعنينى فسأله لم لا تحضر بلباسك الرسمي على حصانك شاهرا سيفك فى خمسين من العساكر وبذلك ينتهى الأمر فأجابه انصرف ليس هذا من شأنك « ويتفق برودلى مع الشيخ محمد عبده فى أن عمر لطفى لم يعط الاوامر بوقف المذبحة <sup>(٣٠)</sup> كما يتفق معه جون مارلو فى أن عمر لطفى لم يذهب الى مكان الحادث فى الوقت المناسب <sup>(٣١)</sup> .

٢ — ان عمر لطفى حرض بعض الناس على الاشتراك فى المذبحة ، وشجعهم على ذلك كما انه أشار على رجال البوليس بعدم التدخل بل وطلب من أحد البدو اطلاق الرصاص على كل أوربى كان يقف فى شباك وبيده مسدس وذلك لزيادة اشعال الموقف .

٣ — ان عمر لطفى جلب الى الاسكندرية عصابة من البدو المستأجرين وسلحها بالنابايت ، كما أمر رجال البوليس فى السر بأن يشهدوا ما سيجرى ولا يتعرضوا .

٤ — ان عمر لطفى استحوذ على محل التفграф بالاسكندرية ليكون على اتصال بالخدو ولم يخبر سليمان سامى قائد الحامية بشئ الا بعد مضى الساعة الرابعة ، وقد أمره بأن يقود جنده عزلا من السلاح .

٥ — ان عمر لطفى طلب انزال عساكر انجليزية الى الميناء لعجز عرابى عن الأمن .

٦ — ان عمر لطفى بحكم وظيفته كحافظ للاسكندرية وقت الفتنة كان مسنودا اليه ملاحظة اشغال الضبطية والدائرة البلدية بالاسكندرية وهذه الوظيفة كانت تابعة رأسا للخدو ، ومع ذلك فانه لم يسأل عن الأحداث التى وقعت بالمدينة بل أعفى من مسؤوليتها وأوعز اليه الخدو أن يستعفى بدعوى المرض .

٦ — ان الخدو أمر بتعيين عمر لطفى وزير للحربية والبحرية جزاء لخدماته .

وكما أن اتهام عمر لطفى بالاشتراك فى تدبير المذبحة أمر له ما يبرره فان التهم قوية أيضا ضد السيد قنديل مأمور ضبطية الاسكندرية لأن رجال الشرطة التابعين له تراخوا فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة وقت الفتنة بل كانوا يحثون الأهالى على الشغب ، وقدموا النبائيت والعصى لاولاد البلد ولم يتدخلوا لحماية الاوربيين بل أن بعض الأوربيين الذين ذهبوا الى الضبطية للاحتماء بها قتلوا داخلها أو طردوا منها ليتسلم الرعاع كما أنه قد التى من على سطح ضبطية الاسكندرية الى الشارع عصى ونبائيت لاستعمالها فى الضرب واشعال الموقف ، واشترك بعض رجال الشرطة فى القتل والاعتداء ويثبت ذلك الفحص الذى قام به بعض أطباء القنصليات الأجنبية فى مصر على جثث القتلى أن هؤلاء قد قتلوا إما باطلاق الرصاص عليهم أو بآلات حادة جارحة كالسكين ، ومن ناحية أخرى فان السيد قنديل الذى كان متكفلا بتوفير الأمن فى المدينة تمارض ، واحتجب وقت المذبحة ولم يتحرك من منزله بحجة أصابته بشلل نصلى مع أن هذا لم يثبت بشهادة الأطباء الذين كشفوا عليه إبان محاكمته ، كما أن الطبيب مصطفى النجدى الذى زاره يوم احتجابه ذكر أنه كان يمكنه الخروج من منزله لأنه لم يصب بشلل كما ادعى ، ولما أخبر بالواقعة وكان لباسا ثياب النوم ، ومضجعا على مرتقه مشروح الصدر فلم يجب المعاوين مطلقا ، ومن لهجة حديثه كان يظهر رضاه عما حدث بل ويذكر البعض أنه أعطى أوامره بقتل الأوربيين .

أما عن النديم فقد اتهم بأنه شجع المشاغبين على المذبحة ، وأنه كان السبب المباشر فى توتر النفوس بالاسكندرية لخطبه المؤثرة التى القاها قبل المذبحة واجتماعه بشبانها ، وتأثيره عليهم بخطبه المهيجة <sup>(٣٢)</sup> وتحريضه لهم على الفتك بالأجانب مما دفع الأوربيين الى الاستعداد للدفاع عن انفسهم عند الحاجة ، وذكر عمر لطفى فى تقريره أمام قومسيون التحقيق فى ٣ أكتوبر ١٨٨٢ أن النديم هيج وحرك أفكار « الأهالى » بالخطب والدسائس التى أعقبت مقتله ١١ يونية مما كان له ابلغ الأثر فى أذهان العامة ، ولا سيما من الشبان الذين ضمهم اليه ، وجعلهم آلة فى إنجاز أغراضه ، فإدام التردد اليهم ، والجامعة عليهم حتى انتقاد له الكثير ورغم التنبيه بمفادرة الاسكندرية وعدم العودة اليها عاد وعمل ما عمله من

الخطابة في الجهة المعروفة بالأنفوشي . ثم ذهب ولم نشعر به الا في اليوم الثاني ، وقد أعقب ذلك المذبحة وانهى عمر لطفى تقريره باتهام النديم وغيره من العربيين بأنهم كانوا سبب هذه الحادثة ويؤكد ما ذكره عمر لطفى التقارير الانجليزية الخاصة بمذبحة الاسكندرية اذ يتضح منها ان هذا الحادث كان نتيجة لخطأ مدبرة من قبل العربيين وان حسن موسى العقاد كان قد ذهب الى الاسكندرية موقفا من قبل العربيين قبل الحادث بيوم ، وغادرها ليلة الحادث .

وذكر الياس ملحمة الشامى ان خطب النديم كانت « تهيج الافكار » وتحرض المصريين ضد الاوربيين والأتراك » ، كما كان يحث الشبان على حمل السلاح وتعلم استعماله حتى استجاب له بعضهم ، وتوجهوا الى معسكر رأس التين للتدريب .

وذكر محمد تامى اثناء استجوابه ان النديم كان يحضر الى الاسكندرية ويلقى فيها خطب ضد الحضرة الخديوية وضد الاوربيين .

وذكر ابراهيم الناضورى اثناء استجوابه عن حادثة الاسكندرية ان الخطب المهيجة التى كان يلقيها النديم ، وخصوصا الخطبة الاخيرة التى القاها على شاطئ انبحر بجهة السيلية ، والتى كانت قبل الحادثة بيومين كان لها اكبر الأثر في هذه الحوادث (٣٣) ، ويتفق مع هذا القول محمد طاهر ، ويزيد عليه ان موضوع هذه الخطب هى « مصر للمصريين » وان السلطنة ايضا كانت للمصريين قديما وليست لاحد من الاوربيين أو الترك ويذكر احمد سلامة انه قد بلغه قبل الواقعة بيومين ان نديملقى خطبا في جهة الأنفوشي هيج فيها الأهالى وحرضهم على قتل الاوربيين وحثهم على الحرب وحفظ الوطن .

وذكر جون مارلو ان مذبحة الاسكندرية كانت النتيجة التلقائية للدعاية المضادة للاوربيين والمسيحيين (٣٤) ويؤكد على حلمى بك وكان من كبار الضباط في محضر استجوابه ان عبد الله النديم أخبره قبل الحادث بيوم انه سيحدث بالاسكندرية أمر خطير ، وهذه هى نص روايته « اننى قبل حصول المذبحة بيوم واحد قابلت عبد الله النديم في وقت الصباح بمصر فسألته في

أى وقت حضرت من الاسكندرية فقتل حضرت منها ليلة أمس لاشغال مهمة وأنى متوجه إليها فى هذا اليوم بعد الظهر فقلت له لماذا هذه العجلة ، ولأى سبب ستحضر من الاسكندرية فى ليلة أمس وتتوجه إليها فى هذا اليوم فقتل لى أنا حضرت من أجل مسألة مهمة ، ومتوجه الى الاسكندرية فى هذا اليوم لأن اسكندرية سيحصل فيها بكرة حركة جسيمة جدا ، وفى ثانياً ، يوم حصلت تلك المذبحة فمتحقق لى بذلك أن عرابى كان له دخل فى هذه الحركة الفظيعة » .

وذكر على داود فى محضر استجوابه أن النديم كان يحرض الشهبان ويتكلم فى الديانات ، ويلقى الخطب وأن سعادة المحافظ نبه عليه بالخروج من الاسكندرية .

ذكر لويس صابونجى فى رسالة منه الى بلنت أن شخصية النديم السريعة الاشارة يمكنها اشعال النار فى أى وقت لحرب دينية .

وعندما سئل أحمد عرابى أثناء محاكمته عن صلته بالنديم ، وعن مدى معرفة أنه سافر الى الاسكندرية قبيل المذبحة ، وأن محافظ المدينة أراد أن يخرجها منها ، ولكنه لم يستطيع لصلته بالعرابين لم ينكر عرابى هذا بل قال بأنه ليس مسئولاً عن النديم ولا عن تصرفاته .

ورغم أن هذه الشهادات والتقارير تؤكد أن للنديم يدا فى أحداث فتنة ١١ يونية فقد ذكر بلنت أن خطاب النديم فى ذلك الوقت كانت تحض الناس على الهدوء ، وأنه كان يشرح لهم عدم التورط فى أى اشتباك مع الأوربيين حتى لا تعطى الفرصة للأسطول الانجليزى بالتدخل وضرب المدينة .

كما ذكر محمد حندق صاغقول مستحفظين الاسكندرية فى محضر استجوابه أن النديم لم يشجع الأهالى ضد الأوربيين بل كان يطلب منهم الاتحاد والا يعتدوا على أحد . كما أنه لم يكن موجوداً بالاسكندرية وقت الحادث بل كان بالقاهرة .

والواضح أن هذه المذبحة أحرزت عرابى ورفاقه ، لأن عدم استتباب الأمن قد أساء اليهم ، وقتل من عطف الدول الأوربية على حركتهم .

وقد أنكر بلنت وبرودلى اتهام العربيين بتدبيرها ، ومع أننا نضع فى الحسبان أن شهادات وتقارير الشهود كانت بعد هزيمة العربيين وخروجهم من ساحة المعارك ، وأن المغلوب كثيرا ما تلصق به التهم جزافا ، فإننا نرى أن طبيعة النديم الثورية ولهفته الخطابية التى تستثير الشعور دون حيلة أو تبصر ، وكراهيته للأجانب كان لها أكبر الأثر فى إثارة الأهالى الذين تشبعوا بكراهية الأجنبى المستغل فكتموا غيظهم فى أنفسهم حتى حدثت الفتنة وكان دويها واضحا فى ١١ يونية ١٨٨٢ .

أما عن اتهام الانجليز بأنهم هم الذين دبروا هذه المذبحة ، واصطنعوا حادثة المالمطى مع الكارى لإثبات عجز الحكومة عن حماية الأمن استنادا على أن المالمطى الذى تشاجر مع السيد العجان كان من اتباع الانجليز ، وأخا لخادم المستر كوكسن القنصل الانجليزى (٣٥) فإن هناك من المواقف ما يؤكد ذلك كما أن هناك من المواقف ما ينفيه .

وعن الموقف الأول يتضح حرص كولفن على اظهار البلاد بأنها غير مستقرة وبلا حكومة وأن الفوضى تضرب أطناها والخراب يتسع نطاقه ، غفى مذكرة له يذكر انه يتوقع فى أى لحظة أن يسمع عن حادثة خطيرة لا يمكن التنبؤ بمواقبها .

ويتهم عبد الله النديم المستر كولفن بتدبير أحداث مذبحة الاسكندرية فيذكر ان هناك اتفاق مع السير مالت والمستر كولفن على أحداث فتنة فى الاسكندرية بين الاجانب والمصريين لاتخاذ ذلك ذريعة لتدخل الاساطيل الاجنبية فى الموقف واحتلال المدينة كما ذكر جون نينيه بأن كوكسن شجع المالمطين على التسليح غير أن هناك ما يدل على أن تسليح الأجانب لم تكن فكرة كوكسن وحده فبعد أن انتشرت الشائعات بحدوث مذبحة للأجانب فى الاسكندرية اقترحت القنصلية اليونانية على قنصل انجلترا وغيره من القناصل وضع خطة سرية لتسليح الأجانب للدفاع عن أنفسهم وقت الحاجة ، ولكن هذه الخطة لم تنفذ خشية ما قد يترتب على ذيوها بين الاسكندريين من حوادث خطيرة .

أما عن الموقف الثانى فيتضح من محاضر جلسات العموم البريطانى



أن ما حدث في الاسكندرية كان كارثة بالنسبة للانجليز راح ضحيتها بعض رعايا الانجليز اذين ذبحوا برغم أنهم في حماية الاسطول البريطاني وتؤكد الاحداث ذلك فالتقنصل البريطاني كوكسن ضرب وجرح في رأسه جرحا خطيرا بعد أن هجم عليه الفوغاء<sup>(٣٦)</sup> ولم يغلت من أيديهم الا باعجوبة كما قتل ضابط انجليزى مما دفع أحد اعضاء مجلس العموم البريطانى الى أن يتساءل على من تقع مسئولية هذه الاحداث في الاسكندرية<sup>(٣٧)</sup> .

ومهما كان الأمر فإن ما حدث في الاسكندرية قد اعطى الفرصة للانجليز لاتخاذ هذه الاحداث ذريعة للتدخل المباشر بحجة عجز العربيين عن حماية ارواح الرعايا والتفانل الاجانب في مصر .

وعقب الحادث سافر الخديو الى الاسكندرية مع درويش باشا بحجة العمل — كما ذكر الخديو لثابت باشا مندوبه في استنبول — على تهدئة الخواطر وتقوية اسباب الامان وتخيلص الازهان من المخاواف حيث هرب معظم السكان الأوربيين من البلاد والتجأوا للاسطول والبواخر الموجودة في الميناء بعد أن تعرضوا للمحن التى صحبت مثل هذه الاحداث، ولكن كان واضحا من ذهاب الخديو الى الاسكندرية رغبته فى أن يكون على مقربة من الاسطولين الانجليزى والفرنسى بعد أن أعيد تدبيرها بواسطة الجيش ورغم أن السلطان قد طلب من الخديو ودرويش باشا الانتقال الى القاهرة للسيطرة على زمام الامور فانه ظل بالاسكندرية بحجة تسكين الاضطراب وازالة الخوف من نفوس الأوربيين والاهالى ، كما أن الباب العالى احتج لدى الحكومة البريطانية على أى تدخل سياسى في مصر دون موافقة سابقة من السلطان ، وقد حاول السلطان العثمانى استغلال هذه الاحداث بارسال قوات عسكرية تركية الى مصر تكون قيادتها لدرويش باشا ولكن تلك المحاولة قوبلت بعاصفة استنكار شديدة ضد السلطان فقد انكر علماء المسلمين أن يرفع مسلما سلاحا في وجه أخيه المسلم ، وأعلنت انجلترا أن هذا الضغط من السلطان ليس له ما يبرره وتحت هذه الضغوط سحب السلطان قراره بالتدخل المسلح في مصر .

والجدير بالذكر انه بعد قبول استقالة الباوردى لم تتألف الوزارة الجديدة برئاسة راغب باشا الا في ٢١ يونية ١٨٨٢ وقد طلب الخديو من

الأمر العالى الذير وجهه الى رئيس النظار الجديد ابقاء عرابى ناظرا للجهادية والبحرية<sup>(٣٨)</sup> .

وقد اهتمت وزارة راغب باشا بتهدئة الخواطر في محاولة منها لاعادة العلاقات الطيبة بين اهالى الاسكندرية والاجانب الذين كانوا في حالة انزعاج شديد فاصدرت تعليمات لخطباء المساجد ووعاظها « بان ينصحوا الناس بهوادة النصارى وغيرهم من المخالفين في الدين » كما اعتزمت الوزارة تأنيف لجنة مختلطة من المصريين والاجانب مهمتها اجراء تحقيق في حوادث الاسكندرية لمعاينة المتسببين فيها ، وبدأت الامور تستقر في بعض احياء المدينة ووزع العرابيون منشورا على الاهالى بان الاساطيل على وشك الانسحاب من الاسكندرية ، وما ان اخذت الامور تستقر حتى اصدر الخديو توفيق منشورا في ٢١ يونية اتهم فيه عرابى بالتقصير في المحافظة على ارواح الاجانب وابدى اسفه لاجداث الاسكندرية .

والواضح ان مركز الخديو في تلك الفترة كان ضعيفا وسلطته مطلوبة وقد وضع ذلك للانجليز فقد ورد في مناقشات أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى تساؤل عن مركز الخديو ، وعما اذا كان هو الحاكم الحقيقي في مصر وهل يمكن ان يستمر كخديو للبلد<sup>(٣٩)</sup> ام لا .

ونظرا للخطورة المترتبة على ضعف سلعة الخديو ، وخشية الدول الأوروبية وخصوصا فرنسا من انفراد انجلترا باحتلال مصر تقرر عقد مؤتمر دولى لبحث المسألة المصرية .

### مؤتمر الاستانة :

دعت فرنسا الى عقد مؤتمر للنظر في المسألة المصرية فوافقت انجلترا وروسيا والمانيا والنمسا وايطاليا على الدعوة بينما رفضت تركيا الفكرة في بداية الامر بحجة ان ايفاد درويش باشا الى مصر كاف لحل مشكلتها ولان تركيا رأت في بحث الموقف في مصر على النطاق الدولى بمثابة تدخل في شئون سيادتها غير ان السلطان عاد ووافق على حضور المؤتمر الذى انعقد في احدى ضواحي الاستانة في ٢٣ يونيو ١٨٨٢ . وانتهى الى عقد اتفاق اطلق عليه ميثاق النزاهة وبمقتضاه « تتعهد الحكومات التى وقع

مندوبها على هذا القرار بأنها في كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبصت عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ، ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها لا يخول لرعايا الحكومات الأخرى .

وقد وقعته أعضاء المؤتمر جميعا ، كما قرر المؤتمر في ٢٧ يونية ، وبعد ان انضمت اليه تركيا وجوب التدخل في شئون مصر لاختاد الثورة على ان تعهد لتركيا بهذه المهمة ، ولكن انجلترا حين أبرمت القرار كانت تنوى نقضه فحين اقترح مندوب ايطاليا المفوض بأنه ليس من حق أى دولة مشتركة في المؤتمر أن تقوم بأى عمل انفرادى ضد مصر طالما ظل المؤتمر منعقدا طلب مندوب انجلترا أن يضاف الى الاقتراح جملة « الا في حالة الضرورة القصوى » ليضمن بذلك لبلاده حق التدخل في شئون مصر بحجة ما تقتضيه الظروف القاهرة ، فعلا فانه لم يمض على توقيع انجلترا على قرارات المؤتمر ستة عشر يوما حتى ضرب اسطولها الاسكندرية بمذافعه في ١١ يوليو (٤٠) .

### ضرب الاسكندرية :

وفي يوم ٦ يوليو شرع الاميرال سيمور قائد الاسطول الانجليزى في استفزاز العربيين ، وانتحال الأسباب لمباشرة الأعمال الحربية فارسل الى قائد القوات العسكرية في الاسكندرية يطلب منه وقف التدابير الحربية التى تجرى في الطابايت وتسكين النشاط العسكرى في الاسكندرية ووقف التحصينات القائمة ، واذا لم يتحقق ذلك في مدى اثنى عشر ساعة فإن الاسطول الانجليزى سيضرب مدينة الاسكندرية .

والواقع ان سيمور قد حاول انتحال الذرائع للعدوان على مصر ، وكانت لديه أيضا أسباب شخصية تدفعه الى الاسراع في مباشرة الأعمال الحربية ، فاسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالانضمام الى اسطول سيمور ، وكان قائد اسطول المانش ارفع رتبة من سيمور ، فاذا انضم اليه تكون الرئاسة له ، لذلك أسرع سيمور في اختلاق الأسباب لضرب الاسكندرية قبل مجيء اسطول المانش .

وذكر جون نينه **Ninet** وكان شاهد عيان لضرب الاسكندرية انه كان يزور الحصون بصحبة كبار الضباط يوميا ، ولم ير بها أى ترميم ولم ينصب فيها أى مدفع جديد منذ وصول أوامر السلطان وأكد ذلك أيضا « وكيل عموم الاستحكامات المصرية » ولكنه ذكر أن حكدار طباطبة السلسلة كان لديه ثلاثة قواعد خشبية للمدافع الصغيرة أرسلها للتصليح وأعيد تركيبها بعد صدور أوامر السلطان مما جعل البعض يظن بأنه تم تركيب مدافع جديدة (٤١) .

وذكر القائمقام فرج عبد العال في تقريره المقدم الى الخديو أنه « لما صدر الأمر السلطاني بتوقيف أشغال الطوابى ، حصل الامتثال من الجميع » (٤٢) .

وذكر محمد شكرى بك أنه « لم يكن جاريا وقتها تصليح وترميم شئ بالاستحكامات نفسها بل انذى كان جاريا هو بياض وترميم القشلاقات » .

وذكر الخديو توفيق « ان ادعاءات الادميرال سيمور انما تقوم على الظن والشبهة ، فليس هناك مدافع وضعت في الطوابى غير مدافعها القديمة ، ولم يعمد الى اية ترميمات جديدة في الطوابيات ، وليس ثمة حركات في الطوابيات سوى تنظيف المدافع ومسحها كالمعتاد واجراء بعض التمرينات دون اطلاق المقذوفات » .

ومهما كان الأمر فائنا نرى أنه من حق النعرايين تحصين وترميم مواقعهم الدفاعية ، وان الحجة التى تذرع بها الانجليز لضرب الاسكندرية هى حجة واهية .

وطلب الادميرال سيمور من العربيين رفع مدافع الاستحكامات الموجودة بطوابى رأس التين ، وعلى الساحل الجنوبي للمينة انشورية لأن ذلك من وجهة نظره يعتبر تهديدا للسفن الانجليزية وهدد سيمور بأنه فى حالة رفض طلبه سوف يطلق النار على الاسكندرية فى شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢ ، وقد ردت الحكومة المصرية على انذار الادميرال بأنه ليس هناك اية تدابير حربية تجرى فى الطوابيات وانها على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل ، ورات تقاديا

للعواقب التفاهم مع الاميرال سيمور بنك ثلاثة مدافع من الطوابى التى ادعى بتركيبها ، على أن يختار سيمور الأماكن التى يتم رفع المدافع عنها سواء من طابية واحدة أو من كل طابية مدفع واحد ولكنه أصر على مطابته بتسليم الطوابى أو ضربها ، وكان الرد معارضة طلبه حتى لو أدى ذلك الى الحرب مع عدم مقابلة ضرب المدافع بالمثل الا بعد خمس طلقات من مدافع الاسطول ، ونفذ سيمور تهديده وبدأ فى ضرب الاسكندرية فى الساعة السابعة من صباح يوم ١١ يولية ١٨٨٢ وفتحت سفن الاسطول الانجليزى نيرانها على القلاع والسفن بعد أن غادر الاسطول الفرنسى بأوامر من حكومته الميناء الى البحر (٤٣) .

ولكى يجعل الانجليز علمهم العسكرى ذا صبغة شرعية عرضوا على الخديو الضيافة على ظهر احدى سفنهم حتى ينتهى الضرب ، ولكن الخديو اعتذر .

واستمر الاسطول الانجليزى فى ضرب الاسكندرية نحو عشر ساعات تمكن خلالها من اسكات المدفعية الساحلية وتخريب الاستحكامات بالمدينة وهدم واحراق معظم مبانيها .

وجاء ضرب الاسكندرية تجاهلا للمؤتمر انذى كان لا يزال منعقدا فى الأستانة ، فلا السلطان ولا الدول المجتعة طلبوا من انجلترا القضاء على الثورة المصرية ، وهكذا اهان الانجليز المؤتمر الذى دعوا اليه بأن بدأوا الحرب بغير توصية منه أو حتى موافقته ، كما اعتدوا على حقوق الباب العالى .

ولقد اثار ضرب الاسكندرية الجدل العنيف فى مناقشات مجلس العموم البريطانى فاستنكر بعض الاعضاء هذا العمل ، واعتبروه تصرفا خاطئا وغير مدروس ووصفوا السياسة الخارجية لانجلترا فى مصر بأنها نفرت حلفائها ، وورطتها - أى انجلترا - بصورة واضحة فى حرب مع مصر .

وعلى كل حال فقد صمدت القوات المصرية فى مراكزها بعض الوقت ، وبذلت جهدها<sup>(٤٤)</sup> أمام قذائف الاسطول الانجليزى للطوابى ،

واشترك الرجال والنساء من اهالى الاسكندرية فى نقل الذخائر الى المدافعين رغم نيران المدافع والقنابل . ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق لهم استمرار الصمود والقتال .

ولما نزلت القوات الانجليزية الى الاسكندرية اظهر الخديو انحيازه اليها وسارع هو وشيعته الضئيلة بتهنئتها ووضع نفسه تحت حمايتها ، وهنا يجدر بنا أن نتساءل هل كان هناك اعلان حرب من انجلترا على مصر ؟

يذكر المستر جلدستون بأن ما اتخذ كان اجراء دفاعيا لامن الاسطول كما صرح السير تشارلز ديلك وكيل الخارجية البريطانية بأن القوات التى انزلت كانت مهمتها الحفاظ على النظام والامن فى الاسكندرية . وقد ارسل الخديو رسله الى المصريين الذين هجروا الاسكندرية يطلب منهم العودة اليها حتى تستقر الأحوال ، وكان موقف درويش باشا متفقا مع الخديو فى الانحياز الى الانجليز . وعلى اى حال فبعد أن أصبحت الاسكندرية غير صالحة كممنطقة دفاعية ، قرر العرباويون الانسحاب منها ، وفى اعقاب ذلك تم احراقها وبتهم حسين باشا الدرملى العرباويين بحرق الاسكندرية فذكر أن النديم كان من المشجعين على حرق المدينة ونهبها حتى لا يجد الانجليز شيئا عند احتلالهم لها .

كما أكد ذلك احمد سلامة فذكر أنه رأى النديم بعد الحادث فى محطة سيدى جابر راكبا فى صهريج الوابور وفى يده طبنجة ، وسمعه يقول أنه قتل بها ثلاثة اشخاص ، وأن حرق البلد كان بواسطة غاز اخضر بمعرفةهم وصب على الدكاكين والمنازل حتى يتم حرق البلد بسرعة .

وأيد حسن واصف هذا الكلام فقال انه كان راكبا وابور السكة الحديد القادم من الاسكندرية للقاهرة والذى كان به عبد الله النديم وانه سأل عن حالة الاسكندرية فأجابه بقوله « اننا أوقدنا فيها النار بعد السلب والنهب ولما سأل عن حالة الطواوى قال له انها هدمت ، ولكننا مستعدين للمقاومة فى البر » ، وأصر النديم على المقاومة وقال « فمع أنه ضعيف فقد قتل ثلاثة من الاوربيين بالطبنجة التى معه »<sup>(٤٥)</sup> وأخرج من جيبه طبنجة ..

وأكد ذلك ما تردد من أن سليمان سامى كان قد شرع فى حرق الاسكندرية فعلا وبداه فى جهة المنشية ، وذكر محمد شكرى أن ما فعله سليمان سامى كان بالاتفاق مع عرابى بينما يذكر آخرون أن ذلك كان بدون علمه .

وعلى كل حال فقد بيعت البضائع التى نهبها المساكر والأهالى من الاسكندرية بسوق كفر الدوار دون أن يتعرض أحد من العسكريين لضبطها أو لجمعها وتسليمها للمديرية<sup>(٤٦)</sup> ، وإذا كان البعض يحاول إبعاد العربيين عن هذه التهمة فإننا نرى أن طبيعة المتطرفين من قادة الثورة العرابية كانت تأبى أن تترك الاسكندرية سليمة تستفيد منها القوات الانجليزية وتدخلها آمنة فاشعلت فيها الحرائق ونهبت المحلات .

وإذا كان بلنت وسليم النقاش قد ذكرا بأن العربيين حرقوا الاسكندرية وفقا لتكتيك عسكرى سليم ألا يستفيد العدو من البلد الذى يدخله كما فعل الروس فى موسكو فى أثناء الغزو النابليونى حتى لا يجد العدو مأوى ولا مؤونة ولا ذخيرة لرجائه وحتى يستطيع عرابى القهقر لاتخاذ أماكن استراتيجية للقتال فإن شهادة أحمد رفعت تؤكد أن عرابى قد ذكر بأنه « إذا تدخل أحد لازم نموت لآخرنا ، ونفنى كل شئ » كما أن وثائق الثورة العرابية تؤكد أن عرابى لم يصدر منه أى تأنيب لسليمان سامى بل اشركه معه فى الاستعدادات بكفر الدوار ، ولم يحاكمه .

وذكر محمود فهمى أن عساكر آلاى مصطفى عبد الرحيم وسليمان داود كسروا أبواب الدكاكين والمخازن ونهبوا ما فيها وأوقدوا النيران فى الأماكن والأبنية الفاخرة كما دخل أيضا عربان البحيرة والبرابرة وسلبوا الحوانيت والمخازن واشعلوا فيها النيران علما بأن العربيين قبل انسحابهم من الاسكندرية أطلقوا سراح جميع المسجونين .

والجدير بالذكر أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى قد نبه الحكومة البريطانية الى ما يتسبب عن ضرب الاسطول للاسكندرية بأنه فى حالة يأس الجيش المصرى فقد يقوم بتدمير المدينة .

إننا نتفق مع رأى الشيخ محمد عبده فى أن تهمة حرق الاسكندرية

ينبغي أن توجه لأكثر من طرف ، فقد عثر على جثث أروام بلباس عرب أثناء الحريق ، كما اشترك فيه عربان من أولاد على ممن كانوا على صلة بالخديو ، ومنهم أهالى الاسكندرية ومنهم أوريون بقصد المبالغة في التعويضات .

ونتيجة لضرب الاسطول الانجليزى للاسكندرية تحطمت حصونها ، ولم تعد صالحة للدفاع مما دفع العربيين الى الانسحاب منها الى منطقة كفر الدوار واعادة تنظيم الاستعدادات الحربية ، ولما علم الخديو بنية العربيين أرسل الى عربى يطلب منه وقف كل التجهيزات العسكرية والسماح للمهاجرين بالعودة الى الاسكندرية والحضور اليه في قصر رأس انتين لاعطائه التنبهات اللازمة والغاء الادارة العسكرية واعادة الادارة المدنية ولما استشار عربى المقربين اليه نصحوه بعدم التوجه الى رأس التين فرفض عربى طلب الخديو واستمر في استعداداته واتهم الخديو بخيانة البلاد ، وأنه سبب ما نزل بها من مصائب ، وطالب الوطنيين بتدبير المساعدات اللازمة للمهاجرين الذين أضروا من أجل بلادهم .

ونتيجة لتطور الأحداث واتضح موقف الخديو المؤيد للانجليز دعا عربى الى عقد جمعية عمومية من الأعيان والعلماء والموظفين وممثلين عن كافة الطوائف ليعرض عليهم الموقف ، وما يجب عمله رداً على موقف الخديو كما أرسل خطاباً بذلك الى جميع مديرى المديرية .

وعقدت الجمعية العمومية اجتماعها في مساء يوم ١٧/٧/١٨٨٢ ، وانتخب حسين باشا الدرملى رئيساً للجلسة<sup>(٤٧)</sup> كما اتخذ المجلس قراراته بالإجماع ، وكان أهمها الاستمرار في قتال الانجليز وإرسال وفد الى الخديو بالاسكندرية يطلبون منه العودة هو والوزراء الى العاصمة كما طالب بعض الأعضاء بعزل الخديو ولكن استقر الأمر على الرجوع الى السلطان فيما يختص بالخديو .

وقد رفض الخديو قرارات المجلس العرفى مما جعل المجلس يطلب من ديوان المالية وقف صرف مرتبات الخديو والوزراء عن شهر يولية . ١٨٨٢



وفي ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أعلن الخديو عصيان عرابى وأصدر أمراً بعزله من منصبه وتعيين عمر لطفى مكانه ، وقد أرجع الخديو ذلك الى عدم اطاعة عرابى للأوامر ورفضه عودة المهاجرين الى الاسكندرية وحجزه مياه ترعة المحمودية<sup>(٤٨)</sup> واستمراره في التجهيزات الحربية وقطعه للاتصالات التلغرافية والبريدية عنه حتى أن اخباره الخاصة لم يستطيع معرفتها مما سبب له الضيق والاضطراب واضطر الى الاستعانة بتلغراف الجيش الانجليزى<sup>(٤٩)</sup> . وقد برر الخديو نزول القوات البريطانية الى الاسكندرية بالقضاء على الحرائق وطرد اللصوص وحماية المدينة .

ولم يهتم عرابى بعزل الخديو له وطلب من يعقوب سامى وكيل وزارة الحربية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد والتشاور في الأمر ، وقد عقدت الجمعية العمومية اجتماعها الثانى في ١٨٨٢/٧/٢٢ في جو ذكره شهود العيان بأنه ملئ بالرهبة والعنف فالضباط والجنود شأهين سلاحهم خارج الاجتماع وداخله ، وعلى الروبى يخطب خطبة عنيفة يهاجم فيها الخديو ويتهمه ببيع البلاد للانجليز الذين عاثوا في البلاد فسادا وأعقبه محمد عبيد الذى رفع سيفه وأقسم يمينا بقطع يد من يؤيد عزل عرابى ، وارتجل الشيخ محمد عبده خطبة قال فيها « ان الخديو انحاز للانجليز ، ويريد تسليم القطر لهم كما حصل في الاسكندرية والمراد بعقد هذه الجمعية هو هل يصح عزل عرابى باشا او يبقى ناظرا على الجهادية » . ونلرا لما حدث فلم يتجاسر احد على رفع يده بالمعارضة وانتهى الاجتماع الى ضرورة بقاء عرابى ناظرا للجهادية واعمال اوامر الخديو وما يصدر من نظاره الموجودين معه في الاسكندرية وخصوصا بعد أن خرج الخديو على قواعد الشرع والقانون<sup>(٥٠)</sup> .

وقد ختمت الجمعية العمومية قراراتها بضرورة عرض الأمر على الباب العالى بواسطة وكلاء النظارات ، وأرسل العرابيون الى المديرات ودواوين الحكومة منشورا باعلان انضمام الخديو الى الانجليز وأمروا بخلق طاعته « لأنه باع البلاد لألد أعدائها » وضرورة مداومة على الاستعداد للقتال وعدم التسليم كما أمر عرابى بسد ترعة المحمودية لقطع المياه عن الخديو وأعوانه في الاسكندرية .

وفي ٧ أغسطس ١٨٨٢ أصدر الخديو أمرا لجميع سكان مصر انهم فيه عرابى بالسعى لخراب مصر ، وبأنه السبب الأول في مذبحه الاسكندرية وما حدث بطنطا وغيرها ، وأنه سبب شل الحياة التجارية والزراعية في البلاد .

وفي وسط هذا الجومن الانقسام بين الخديو والعرايين نشبت الحرب مع الانجليز ، وكانت الخزنة المصرية خاوية لان المراقب الانجليزى كوفن اخذ الاموال المصرية الموجودة في الخزنة العامة ، ووضعها في احدى سفن الاسطول الانجليزى قبل الحرب بأيام وكذلك نقلت الاموال الموجودة بصندوق الدين الى السفن الحربية بالاسكندرية لذلك تزامم الاهالى على اعانة الجيش بما يلزمه<sup>(٥١)</sup> .

### التعاطف الوطنى والاسلامى ضد الانجليز :

قامت البلاد تدافع عن شرفها وتحارب عدوها ، فانضم الرجال الى معسكرات التدريب لخوض المعركة وتركوا محلاتهم وعائلاتهم ومزارعهم وامتلأت نفوس افراد الامة المصرية بالرغبة في الانتظام في سلك العسكرية والاستشهاد في سبيل الله والوطن وتبرعت النساء بحليهن عن طيب خاطر ، وهرع الشيوخ الى المساجد يدعون الله كى ينصر عرابى حامى البلاد وتحت وطأة هذا الحماس الشعبى فكر عرابى في تشكيل وحدات من الاهالى يجرى تدريبهم على حمل السلاح ، وان يعمد اليهم بحماية العاصمة والاقاليم عند خروج الجيش الى مناطق القتال ، ولكنه عدل عن الفكرة بعد ان اتضح انه يخشى على العاصمة اذا سلمت حراستها الى الاهالى وذلك لان معظم من تطوع منهم هم الفقراء المحتاجون للقوت والعاصمة مكتظة بالاموال الاميرية وغيرها ، وتقرر ان يجرى تدريب المتطوعين من الاهالى على الآليات وارسالهم الى جبهة القتال اذا لزم الامر .

والواقع ان مصر لم تكن وحدها في ازمتها فقد اثار ضرب الانجليز للاسكندرية هزة عنيفة بين المسلمين في كافة البلدان الاسلامية فدعا علماء تركيا الى حمل السلاح ، ومساعدة اخوانهم في الدين ، كما اثار مسلمو الهند على الانجليز مما جعلهم يسرعون الى تجديد اقامة جمال الدين الافغانى الذى كان بالهند وقتذاك وفي الشام حمل الرجال السلاح ، وأعدوا

كتائب من المتطوعين ولكن السلطان منعهم من التوجه الى مصر ، وفي تونس ناصرت صحائفها عرابى ومثلته في صورة البطل انذى سينتقد مصر والبلاد العربية من التدخل الأجنبى ، واتصل عرابى بالسنوسى « وحرضه على القتال والمجاهدة في سبيل الله » . كما اتصل بعبد القادر الجزائري في منفاه بدمشق وبأبناء فلسطين وبثوار السودان بزعماء المهدي حتى اضطرت الحكومة الى ارسال تعليمات الى عبد القادر باشا حكايدار السودان بعدم الاصفاء الى تعليمات العرابيين ، ولما ايد عرب برقة نداء عرابى اجبرت انجلترا السلطان العثماني على ان يرسل بتعليمات الى والى طرابلس ومتصرف بنى غازى باتباع الحزم والشدة مع الاهالى بخصوص ذلك ، كما طلب الانجليز من الحاكم التركي في فلسطين منع تقديم المساعدة الى عرابى فألقى القبض على كثير من شيوخ العرب المتعاطفين مع عرابى .

### معارك كفر الدوار :

احكم عرابى تحصين مواقعه في كفر الدوار ، مما اعاق تقدم القوات الانجليزية في هذه المنطقة ، فقد استطاع عصمت قومندان فرقة كفر الدوار وجنوده صد هجوم الانجليز المتوالى على هذه المنطقة حتى اضطرت القوات الانجليزية الى الانسحاب اكثر من مرة امام بسالة الجنود المصريين .

ولما لم تستطع القوات الانجليزية اقتحام استحكامات العرابيين في كفر الدوار نقلوا العمليات الحربية الى منطقة قناة السويس حتى يتمكنوا من استخدام قواتهم البحرية مما اضطر العرابيين الى جعل نقطة القل الكبير مركزا لتجميع قواتهم العسكرية تبعا لاستعداد العدو وحركاته . ولما كان عبور القوات الانجليزية للقناة يمثل خطورة على العرابيين فقد نصح بعض الضباط عرابى بردم القناة ، ولكنه لم يستمع لنصائحهم بمؤنا بوعود ديلسبس التي كانت تنحصر في ضمان حياد المرور في القنال للجميع ، وحماية ارواح ومصالح الأوروبيين المقيمين في مصر (٥٢) فكان ذلك من الأخطاء الجسيمة التي غيرت مجرى الحرب . فقد اخترق الانجليز القناة ، وانتقلت المعركة الى الجبهة الشرقية في اواخر أغسطس ١٨٨٢ .

وامام هذا التحول المفاجيء فى جبهات القتال اعاد عرابى حساباته فانقل محمود فهمى رئيس اركان الحرب الى « المسخوطة » واخذ العرباويون فى انشاء خطوط دفاعية هناك ، وقاموا بسد ترعة الاسماعيلية عند « المجفر » لمنع وصول المياه العذبة الى الانجليز ، ولكن الجنرال ولسلى قائد القوات الانجليزية احبط هذه المحاولة فقد احتل نقطة « المجفر » ثم تابع الجيش الانجليزى تقدمه ، ونجح فى الاستيلاء على « المسخوطة » و « المحسة » كما نجح فى اسر محمود باشا فهمى مما ادى الى تصدع الجبهة الشرقية .

### منشور السلطان بعزل عرابى :

واستطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل وسياسيا ايضا فتمكننت نتيجة للاتصالات المكثفة التى دارت بينها وبين الدولة العثمانية ونتيجة لجهود اللورد دفرين مندوبها فى الأستانة من الضغط على السلطان بالتهديد تارة ، وباستخدام كل الوسائط ومنها الرشوة تارة أخرى حتى يصف عرابى بالعصيان ، وتحقق لها الوصول الى ذلك فأصدر السلطان منشورا بعصيان عرابى والتزام الدولة العثمانية بالمحافظة على الخديو مما قلب ميزان الحماس الشعبى وأضاع التأييد الاسلامى والعربى للثورة العربية حيث كان عرابى يعلن انه يدافع عن حقوق السلطان .

وحينما بلغ عرابى المنشور استشار عبد الله النديم فيما يجب عمله . فأشار عليه كما يذكر « سليم النقاش » نشره فى جريدة الطائف والرد عليه مع الاستمرار فى الدفاع عن البلاد حتى لو اشتركت عساكر عثمانية ضدهم لأن توزيع المنشور سرا سيكون له رد فعل أسوأ مما لو نشر فى الصحف ورد عليه ، ولكن عرابى لم يستحسن نشره خشية تحوّل القلوب عنه .

ويذكر اسماعيل سرهنك انه لما قرأ عرابى منشور الباب العالى بعصيانه فى جريدة الجوائب<sup>(٥٣)</sup> « وقع فى قلبه اليأس لأن حجته الكبرى

كانت بدعوى أنه قائم بالمداخلة عن حقوق الدولة العلية في مصر فتشاور مع صديقه الحميم عبد الله النديم وأقرا على اخفاء ذلك عن الجند » .

وعلى كل حال فقد تمكن جواسيس الخديو وعلى رأسهم سسلطان باشا من توزيع المنشور فتتمكن بعض العربان من التسلل الى المعسكرات المصرية وتوزيع المنشور على الضباط والجنود الذين أحسوا بصدمة عنيفة بعد الاطلاع عليه فخارت قواهم ويئسوا من الفوز وضعفت حميتهم الدينية اذ اعتبروا أنفسهم « عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله » .

ومع اننا لا نلصق هزيمة عرابى بهذا المنشور وحده كما يذكر البعض فاننا نعتبره أحد الأسباب في صرف القلوب عن عرابى وحركته .

وقد أرسل الخديو الى عمد البلاد واعيانها مكاتبات يدعوهم فيها الى مخالفة عرابى واعوانه ، وأنه سيدخل تحت طائلة المحاكمة الشديدة والعقاب كل من يسانده<sup>(٥٤)</sup> .

### معركة التل الكبير :

ونجحت جبهة الخيانة في تنفيذ مخططها فاتصل الخديو وسلطان باشا بأحد الضباط ويدعى على يوسف ( خنفس ) ووعداه بالنياشين فكانت خطط الجيش السرية ترسل اليهم عن طريقه ، كما كانت أعداد وتحركات قوات عرابى وتوزيعها ومخططها معروفة لدى الانجليز والخديو نهجم الانجليز فجأة يتقدمهم البدو وانصار الخديو ومعهم خطة جيش عرابى ومواقعهم ، وكانت المعركة الفاصلة في التل الكبير والتي موجه فيها المصريون بالهجوم الانجليزى الذى لم يكن متوقعا في حساباتهم حيث انه في الليلة التى استعد فيها الانجليز للهجوم على التل الكبير كتب على يوسف ( خنفس ) الى عرابى وكان فى مقدمة الجيش يخبره بعدم وجود تحركات للعدو « فتمدد عرابى طوال الليل مع الفقراء في الصيوان .. يذكرون الى آخر النصف الاخير من الليل وعند الفجر ناموا جميعا » ولم يستيقظوا الا على طلقات البنادق واستمرت المعركة حوالى عشرين دقيقة حطم فيها الجيش الانجليزى متاريس التل الكبير تحت قيادة السير ولسلى ، وتشتت قوات عرابى .

لقد كانت معركة التل الكبير سلسلة من المآسى توأمتها الخيانة حيث كان بالاسكندرية مكتبا يسمى « قسم المخابرات العسكرية » مهمته تنظيم شبكة الدسائس والجاسوسية في البلاد<sup>(٥٥)</sup> وكان على رأس هؤلاء محمد سلطان ، كما أن معارك التل الكبير كانت غير متكافئة وقد ساعد على هزيمة عرابي فيها عدة عوامل منها نجاح الخديو في ضم البدو الى الانجليز بعد رشوتهم وخيانة بعض الضباط الذين انضموا الى الخديو وأبلغوه بخطط العرابيين ومواقعهم .

### محاولات الدفاع عن القاهرة والتسليم :

أسرع عرابي الى القاهرة بعد هزيمته في التل الكبير وذهب الى مقر وزارة الحربية حيث كان المجلس العرفى مجتمعاً ، وأخبرهم بأمر الهزيمة وأسبابها واستشارهم فيما يفعلونه ، وبعد استعراض الموقف استقر الرأي على المقاومة بحجة أن القاهرة « غاصة بالجند ومخازن الجهادية مملأة بالمؤن والذخائر والأسلحة ومعدات الدفاع متوفرة » .

وقد حاول العرابيون منع الانجليز من دخول القاهرة بمد خطوط الاستحكامات أمام العباسية فتوجه عرابي وبعض الضباط الى العباسية لاجراء ترتيب النقاط العسكرية ، ووضع التصميمات لإنشاء خط دفاعى ولما استعرضوا الجند هناك وجدوا أن أعدادهم قليلة ، وروحهم المعنوية منخفضة حتى أن أحد الضباط هاجم فكرة الدفاع عن القاهرة فقال لعرابي « اذا كان مقصودك فى الباطن اعمال خط نار كما هو متبادر لنا من افكارك فهذا غلط ولا ينفع بشئ ... والافوق ترك هذه التشبثات التى لا تنفيد سوى الويال والدمار وتلف البلد فقال عرابي ان قصده ليس ذلك بل مرامه التوجه للعباسية لترتيب النقاط والعساكر بصفة كردون فقط للحفظ أولى من ترك البلد سايبة .

ولما وجد عرابي أن شبح الهزيمة باديا على الضباط والجنود ساد الى المجلس العرفى وعرض عليه الأمر فتقرر الكف عن القتال والتسليم وتحرير عريضة للخديو يلتمسون فيها العفو والاعتذار عما حدث منهم .

وفى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ دخلت القوات الانجليزية القاهرة بدون

مقاومة تذكر وسلم عرابى نفسه للقوات الانجليزية كما تم القبض على قادة الثورة ووضعوا فى اضييق السجون واصعبها كما امتلأت السجون بمن ناصر الثورة من العلماء المديرين وعمد البلاد والاعيان والتحصار حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ثلاثين الفا من المصريين . وبعد ان وضعت الحكومة يدها على معظم زعماء الثورة اصدر الخديو امرا عاليا فى ٢٨ سبتمبر ١٨٨٢ بتشكيل قومسيون « لتحقيق اقامة الدعوى على كل من ارتكب جريمة العصيان والتعدى على السلطة الخديوية سواء اكان مرئىبو هذه الجرائم مدنيين ام من العسكريين وصدرت الاوامر بتقديم عرابى وزملائه للمحاكمة كما اصدر الخديو توفيق عدة اوامر بهدف القضاء على العسكرية المصرية وروح الجندية اهمها حل الجيش المصرى<sup>(٥٦)</sup> والقضاء الرتب العسكرية المعطاة فى مدة الثورة . كما اصدر بعد ذلك امرا عاليا بجواز التخلص من الخدمة العسكرية بدفع البديل النقدى وقيمتة خمسون جنيها كما نص هذا القانون على استثناء العلماء والمدرسين والطلبة وحفظة القرآن وائمة المساجد ورجال الدين والمثقفين من الخدمة العسكرية كما اصدر اوامر الى سائر المديرين بتسهيل عبور العساكر الانجليزية فى انحاء القرى والبلدان التابعة لمديريتهم ، وتقديم كافة المساعدات لهم .

وبذلك يتضح رغبة الخديو فى وضع البلاد فى جو من الاستانكة الدائمة .

وهكذا انتكست اعلام الثورة العربية التى قامت من اجل الدفاع عن شرف البلاد وكرامتها ضد الظلم الداخلى والتدخل الخارجى ، وابتلعت السجون رجالها واحس الشعب المصرى بمرارة الهزيمة ، ولكنه سرعان ما التقط انفاسه فانطلقت الشعلة من جيل الثورة العربية الى الجيل الذى حمل الراية بعدها بزعاية مصطفى كامل .

## مراجع الفصل الرابع

- (١) دار الوثائق : اوراق خاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى .
- (2) Public Record Office : F. O. 407/21 Inclosure in No 331.  
Extract From the Observer of July 23, 1882.
- (٣) الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا  
١٨٦٣ — ١٨٧٩ . المجلد الثانى . القاهرة — دار الكتب المصرية ١٩٢٣  
ص ٤٧٠ .
- (٤) أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الاسرار . مخطوط . القاهرة  
— دار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٤٢ س ٩٩ — ١٠٠ .
- (٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . الجزء الثانى  
— القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق — الطبعة الأولى ١٨٩٤ ص ٣٧٥ .
- (6) F. O. 407/18 No. 38 Memorandum of Events in Egypt.  
Sinec the Deposition of the Late Khedive, Leading to the Recent.  
Military Insurrection, by P. Currie, sep. 17, 1881 .
- (٧) دار الوثائق : اوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية —  
صورة خطاب من رئيس مجلس النظار الى القائد العام بتاريخ ٣٠ يناير  
١٨٨١ .
- (8) F. O. 407/18 No. 80. Mr. Malet to Earl Granville,  
Sep. 23, 1881 .
- (٩) دار الوثائق — محافظ مجلس النظار محفظة ٥/د تحت عنوان :  
« جلسات مجلس النظار » فى ٣ ابريل ١٨٨١ ، محافظ مجلس الوزراء .  
نظارة الحربية . محفظة رقم ١١ تقرير مقدم للخديو بخصوص مرتبات  
الضباط والعساكر بتاريخ ١٩ ابريل ١٨٨١ .
- (١٠) سليم النقاش : مصر للمصريين ج ٤ . الاسكندرية — مطبعة  
جريدة المحروسة ١٨٨٤ ص ٩٠ .
- (١١) محمد مهرى كركوكى : رحلة مصر والسودان : القاهرة — مطبعة  
الهلل ١٩١٤ ص ٤٦٠ .



(12) F. O. 407/18 Inclosure 1 in No. 47, Memorandum by A. Colvin sep. 15, 1881.

(١٣) أحمد عرابى : المخطوط السابق .

(١٤) د. محمد أحمد خلف الله : عبد انديم ومذكراته السياسية .  
القاهرة — الأنجلو المصرية ١٩٥٦ .

(١٥) الوقائع المصرية العدد ١٢١١ فى ١٧ سبتمبر ١٨٨١ تحت عنوان :  
« تشكيل وزارة شريف باشا » .

(16) F. O. 407/18 No. 55 Mr. Malet to Earl Granville, sep. 22, 1881 Telegraphic No. 66 .

(١٧) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٨ .  
شهادة محمد شريف باشا رئيس مجلس النظر أمام لجنة التحقيق فى  
الحوادث العرابية .

(١٨) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٢٠ ملف ١٧٨ . شهادة  
محمد شريف باشا رئيس مجلس النظر أمام لجنة تحقيق الحوادث العرابية .

(١٩) الوقائع المصرية : العدد ١٢٩١ فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ .  
(٢٠) يذكر جون مارلو أن الحكومة والرأى العام الانجليزى كان لديهم  
عدم ثقة فى أى شئ ، له صلة بالدكتاتورية العسكرية .  
Marlowe ( John ) Anglo Egyptian Relations p. 126 .

(٢١) محفوظات مجلس الوزراء — الجمعية العمومية ومجلس شورى  
القوانين . محفظة رقم ( ٢ ) .

(22) F. O. 407/20 Inclosure in No. 77 Memorandum by Edward Malet May 16, 1882 .

(٢٣) محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية — محفظة رقم (٦)  
خطاب من رئيس قومسيون التحقيق الى رئيس مجلس النظر بتاريخ ٧  
اكتوبر ١٨٨٢ .

(٢٤) دار الوثائق : محافظ مجلس النواب . محفظة رقم ( ١ ) لائحة  
مجلس النواب الصادرة فى ٧ فبراير ١٨٨٢ .

(٢٥) محافظ الثورة العرابية . محفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩  
وسجلات الثورة العرابية سجل رقم ٩٠ ص ١٤ .

- (٢٦) دار الوثائق . أرشيف الحكومة النمساوية : المسألة المصرية —  
المجموعة ٢٤/٣١ ملخص تقرير سياسى رقم ١١٥ ب بتاريخ ٢٩ مايو ١٨٨٢  
( مترجم من الألمانية الى العربية ) .
- (٢٧) محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ١٩ دوسية ١١٧ استجواب  
عبد الرحمن البحراوى .
- (٢٨) الوقائع المصرية : العدد ١٤٣٢ فى ١٣ يونيو ١٨٨٢ .
- (٢٩) مذكرات محمد فريد — تاريخ مصر من ابتداء ١٨٩١ — القسم  
الاول — الجزء الرابع ص ٨٩ .
- (30) Broadley : How we Defendod Arabi p. 235 .
- (31) Marlowe : op. cit., p. 135 .
- (٣٢) دار المحفوظات . محافظ الداخلية . محفوظات العرضحالات —  
محفظة ٤٤ ملف ١٠٠ عين ١٥١ مخزن ٥٠ .
- (٣٣) محافظ الثورة العربية — محفظة رقم ١٩ دوسيه ١٢ محضر  
استجواب ابراهيم بك الناضورى ومعلوماته عن حادثة ١١ يونيه  
بالاسكندرية .
- (34) Marlowe, John : Anglo Egyptian Relations 1800-1953  
p. 135 .
- (35) F. O. 407/19 Inclosure in 411 Memorandum by sir  
A Colvin, March 16, 1882 .
- (36) Parliamentary Papers. Egypt No 11 ( 1882 ) .
- (37) Parliamentary Debates, Vol 270 p. 818 .
- سؤال من مستر بوكى لوكيل وزارة الخارجية .
- (٣٨) محفوظات مجلس الوزراء — محافظ الداخلية . محفظة رقم ٧٠  
تحت عنوان صورة الأمر العالى الصادر الى راغب باشا فى ٤ شعبان  
١٢٩٩ هـ .
- (39) Parliamentary Papers. Egypt No. 8 ( 1882 ) .
- Affairs of Egypt. No. 57 .

(٤٠) الرافعى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٩ ص ٣١٦ .

(٤١) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ٢٠ دوسية ١٧٩ محضر استجواب محمد شكرى باشا .

(٤٢) أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العربية والبرقيات التى ضبطت لدى المتهمين فيها . مخطوط بدار الوثائق . تقرير مقدم الى الحضرة الخديوية من القائمقام مرج عبد العال ص ٤ .

(43) Dicey : The Egypt of the Future p. 171 .

(٤٤) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ — د — ٦ ملف ٢٢٠ .

(٤٥) محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ١٨ دوسيه ٦٩ . محضر استجواب حسن واصف التاجر بالاسكندرية ومعلوماته عن حريق الاسكندرية وما سمعه من عبد الله نديم .

(٤٦) محافظ الثورة العربية . محفظة ١٩ دوسيه ٩٤ ، ومحفظة رقم ٢٠ دوسيه ١٧٩ .

(47) F. O. 407/21. Inclosure in No 762, Memorndum From Information Supplied by Omer Pacha Loutfi by G. H. Portal «Tonjore» at Alexandria. July 21, 1882 .

(٤٨) محافظ مجلس الوزراء — الثورة العربية — محفظة رقم ٣٨ — مجموعة ٤٧ حربية .

(٤٩) ديوان المعية السنية عربى . المجموعة ٣٥ سجل رقم ٤٥٣٦٦ ص ٤ .

(٥٠) محافظ الثورة العربية : محفظة ٤١ وثيقة تحت عنوان صورة القرار المعطى من الأمة المصرية بديوان الداخلية يوم السبت ٢٩ يوليو ١٨٨٢ .

(٥١) للتفاصيل نظر محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ٨ دوسية ٥٣ — د — ٨ ملف ٢٢٢ وايضا محفظة رقم ٩ دوسيه ٨٦ تحت عنوان « الثورة العربية وقضايا المتهمين » .

- (٥٢) محافظ الثورة العربية محفظة رقم ١٩ دوسيه ٩١ تـلـغـراف من  
دلسبس الى رئيس المحكمة العسكرية بالقاهرة .
- (٥٣) انظر : الجوانب العدد ١١٠٥ فى الثلاثاء ٢٩ شوال ١٢٩٩ .
- (٥٤) محافظ الثورة العربية . محفظة ١٤ وثيقة تحت عنوان « صورة  
ارادة سنـية صادرة من الحضرة الفخيمة الى كائنة اهالى القطر المصرى  
بتاريخ ٧ أغسطس ١٨٨٢ .
- (٥٥) من محافظ الثورة العربية يتضح اتهام عبد الله المصرى و خليل  
المصرى ومصطفى رمزى وكانوا من ضباط الجيش بمراسلة العدو والتجسس  
على قوات عرابى . انظر : محفظة رقم ٤ تـلـغـرافات — دوسيه رقم ٥٠ .
- (٥٦) محافظ مجلس الوزراء — نظارة الحربية . مجموعة رقم ٧٠٥  
حربية — محفظة رقم ( ١ ) ذكـرـتـو فى ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ .



## الفصل الخامس حركة البعث الوطنى بعد الاحتلال

- ١ — اتبعات الحركة الوطنية فى مصر بعد هزيمة الثورة العرباية .
- ٢ — مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى .
- ٣ — محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى .
- ٤ — الزعامة الوطنية بين مصطفى كامل ومحمد فريد .



## ١ - انبعاث الحركة الوطنية في مصر بعد هزيمة الثورة العربية

ظروف تولية عباس الثانى الخديوية :

بعد ضرب الثورة العربية صفيت الحركة الوطنية ، وأصبحت الحياة السياسية في مصر تدور حول الخديوية من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى وظل هذا الموقف سائدا في السنوات الأولى للاحتلال ، وفي يناير ١٨٩٢ استبد المرض بالخديو توفيق حتى بلغ مرحلة الخطر في وقت كان فيه الموقف في مصر دقيقا فسلطة الخديو كانت ضائعة ومسلوبة لقضاء الانجليز عليها والحكومة الموجودة على رأسها صديق الاحتلال مصطفى فهمى الذى كان مكروها من الشعب وكان الانجليز يتصرفون في شئون البلاد كما يشاءون ولخشية تدخل السلطان العثمانى فى امر مصر بعد وفاة الخديو توفيق اجتمع كرومر مع مصطفى فهمى رئيس النظار وغيره من المسئولين وتباحثوا في الامر واتفقوا على استدعاء نجله عباس من فيينا وتوليته العرش حيث انه اكبر انجال الخديو توفيق ، ولكن اتضح ان هناك مشكلة شائكة حين توفى توفيق وهى ان عباس لم يكن قد بلغ سن الرشد بعد فالامر يقتضى ان لا يكون سن الامير اقل من ثمانية عشر عاما وبما ان عباس ولد في ١٤ يوليو ١٨٧٤ فانه لم يبلغ سن الرشد الا في ١٤ يوليو ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة في السابع من يناير ١٨٩٢ مما اظهر تسبب تكوين مجلس وصاية مادام الامير لم يبلغ سن الرشد ، ويذكر كرومر انه سمع احد العلماء يتول ان سن الامير المسلم ينبغى ان يحسب بالسنتين الهجرية التى تبلغ ايامها ٣٥٤ يوما فتمسك بذلك وبحساب سن عباس بالتاريخ الهجرى اتضح انه بلغ سن الرشد في ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ اى قبل وفاة ابيه بأربعة عشر يوما .

وصل عباس الى مصر وأخذ يضطلع بمهام الخديوية ، وقد تمكنه في الفترة الأولى من حكمه شعور حماسى فاستبدل رجال الحاشية المواليين



للاحتلال بغيرهم كما أصدر عفوه عن عدد كبير ممن اشتركوا في احداث .  
الثورة العربية واخذ يوطد علاقته بالشعب .

### الازمة الوزارية ١٨٩٣ :

وجد الخديو عباس الثانى فى رئيس النظار مصطفى فهمى خضوعا كاملا  
للانجليز فكان ينفذ اوامره ولا يتصرف فى اى شأن من شئون الحكومة  
الا بعد اخذ رأيهم مما ضايق عباس فانتهاز فرصة مرشده وارسل اليه  
خطابا باقالاته وكلف حسين فخرى بتأليف النظارة الجديدة .

ثار انلورد كرومر على ذلك التغيير وذهب لمقابلة الخديو فاجابه  
ان من حقه اختيار الوزراء بنفسه دون الرجوع الى احد ، مهدده كرومر  
بأنه اذا قاوم انجلترا فمعنى ذلك الاطاحة بعرشه ، وتعكر الجو وحدثت .  
ازمة وارسلت الحكومة البريطانية برقية مضمونها ان الخديو لابد ان يأخذ  
رأيها فى المسائل الخطيرة مثل مسألة تغيير النظار ، وانها لا ترى هناك  
ضرورة لتغيير رئيس النظار وانها لا توافق على تعيين فخرى باشا .

قابل كرومر الخديو وأبلغه بالبرقية وطلب منه ارجاع مصطفى فهمى  
فرفض الخديو وقال ان من حقه تعيين الوزراء مهدده كرومر فرد الخديو  
بأن تنازله عن العرش أهون عليه من ارجاع مصطفى فهمى ، وتدخل  
بطرس غالى وآخرون لحل الازمة ، وأخيرا مسويت الازمة على أساس  
الا يتمسك كرومر باعادة مصطفى فهمى لأنه ليس من الصواب اذلال الخديو  
الشاب كثيرا على أن يعزل فخرى باشا ويتم تعيين رياض باشا مكانه ،  
وبذلك انتهت الازمة الوزارية دون أن ينال احد من الفريقين فوزا فاصلا ،  
ومع ذلك فقد التفت الامة المصرية حول الخديو وشجعته على موقفه  
واقبلت عليه الوفود للتهنئة .

### وزارة رياض وازمة الحدود :

شكلت وزارة رياض فى ١٩ من يناير ١٨٩٣ ، وقد شجع رياض  
الخديو على معاكسة انجلترا وحاول الحد من تغفل النفوذ الانجليزى  
فى البلاد ، والجدير بالذكر أن الخديو عباس الثانى اهتم منذ اعتلائه عرش

الخدوية بأمر الجيش وفي ٨ يناير ١٨٩٤ استعرض الخديو بعض وحدات الجيش المصري في القاهرة وفي اليوم التالي سافر الى الصعيد لتفقد احوال الجيش هناك ، وبينما كان الخديو يستعرض الجيش في وادي حلفا أبدى بعض الملاحظات والانتقادات التي تمس كفاءة الضباط الانجليز مما ضايق الانجليز فارسل كتشنر الى كرومر بذلك وقدم استقالته احتجاجا على ان الخديو اهان الكرامة العسكرية للانجليز ، وانتهاز كرومر الفرصة حتى يوجه الى الخديو ضربة قاصمة فارسل الى الحكومة البريطانية التي اعتبرت الامر خطيرا وطلبت ان يقدم الخديو اعتذارا يثنى فيه على الضباط الانجليز وفي حالة رفضه تستعمل الشدة معه وهددت بخلع الخديو اذا لم يسحب انتقاداته ، فهرع رياض باشا الى الصعيد وقابل الخديو واخبره بالامر ونصحه بالاستسلام فاصدر الخديو منشورا يعلن فيه رضاه عن حالة الجيش بالحدود وعلى الضباط الانجليز ، وبذلك تم اذعان الخديو لمطالب الانجليز واصيب نفوذه من جراء هذه الازمة بضربة شديدة وفقد هيئته في نفوس افراد الجيش ، كما يتضح ان حادث الحدود كان نصرا كبيرا لكرومر وسياسته في مصر .

### اطلاق يد الانجليز في شئون الادارة المصرية :

تميزت الفترة التي تلت حادث الحدود بأن الخديو عباس الثانى وان كان لم يكف عن مقاومة الاحتلال الا انه سلك طريق المقاومة السرية بتشجيع العناصر المناوئة لتواجد الاحتلال ، وكان شديد الحذر في ذلك يظهر الوفاق ويبطن المقاومة ، وان كانت الظروف قد اضطرته الى المقاومة الصريحة للاحتلال بعد ذلك .

والجدير بالذكر أن تقرب الخديو الى الامة قد ازداد بعد حادث الحدود وفشله في السيطرة على الجيش فأخذ يدعو اليه المثقفين من أبناء البلاد والعلماء امثال الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وغيرهم ، وكان يسمح لهم بأن يعتقدوا الجلسات في قصره .

### نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال :

تألفت جمعية سرية بعد حادث الحدود من بعض ضباط الجيش عرفت باسم جمعية المودة السرية ، كما شهدت مصر مولد جمعية سرية

قدر لها ان تكون نواة للحزب الوطنى فيما بعد ، وقد تمكن لطيف سليم المؤسس الفعلى لها من ان يحتفظ بأفكاره الثورية مجذا أسلوب العمل السرى لتحرير الشعب بعيدا عن وصاية أى سلطة وقد انضم مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم الى هذه الجمعية فى عام ١٨٩٣ وقد تعاون الخديو عباس الثانى مع هذه الجمعية ورحب اعضاء الجمعية بذلك حيث كان تواجهه ضرورة ملحة اقتضتها الظروف الصعبة التى كانت تلك الحركة تشق طريقها وسطها لمقاومة الاحتلال الجائى على صدر الوطن ، كما ادار الخديو من قصره اللجنة الفرنسية المصرية ، وقد قامت هذه اللجنة بالدعاية لقضية استقلال مصر فى أوربا وبالذات فى فرنسا .

والجدير بالذكر انه تأسست جمعية سرية فى بنى سويف فى عام ١٨٩٦ أطلق عليها جمعية تحرير مصر ، كما ارسل الخديو مصطفى كامل الى بعض دول أوربا ليكسب العون الدولى لقضية استقلال مصر ، فركز نشاطه بصفة خاصة على فرنسا وتركيا والمانيا والنمسا ، وقد خرج مصطفى بعد عام واحد من نشاطه فى أوربا بحقيقة واضحة وهى ان النشاط فى الخارج وحده لا يكفى لحدوث استقلال مصر بل أن العبء الأكبر يجب ان يكون على عاتق المصريين بالدرجة الاولى .

### حادث دنشواى (❖) :

خلاصته ان خمسة من الضباط الانجليز من كتيبة كانت فى طريقها من الاسكندرية الى القاهرة عسكرت فى قرية كمشوش التابعة لمديرية المنوفية أرادوا الترويح عن انفسهم بصيد الحمام فذهبوا الى بلدة دنشواى التابعة لمركز شبين الكوم ودخلوا ضيعة أحد الملاك لصيد حمام وجدوه واقفا على جرن مؤذن القرية محمد عبد النبى فاحترقت رصاصة احدثت عن هدفها مما ادى الى اشتعال النار فى جرن محمد عبد النبى وجعل الأهالى - وخصوصا أصحاب ابراج الحمام الذين كانوا فى ضيق واستياء من صيد الانجليز لحمامهم - يحاولون انتزاع اسلحة هؤلاء الضباط وضربهم وفى تلك الانثناء وصل الخفراء وشيخهم افض النزاع وأخمده

---

(❖) للتفاصيل انظر جمال المسدى ، دنشواى ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب .

النيران ولكنهم فشلوا في ذلك مما دفع بعض الضباط الانجليز الى اطلاق الاعيرة النارية وفي تلك الاثناء انطلقت بعض الرصاصات انتى اصابت سيدة تدعى ام محمد وشيخ الخفراء واحد الخفراء مما زاد من ثورة الاهالى فاشتدوا في هجومهم على الضباط وضربوهم ففر منهم اثنين جريا في اتجاه معسكرهم اصيب احدهم بضربة شمس اودت بحياته ، وفر الآخر حيث ابلغ بالحادث زملائه فاسرعت دورية انجليزية لانقاذ الضباط فصادفت الضابط المفتى عليه وقد احاط به احد الاهالى عند سوق سرسنا يقدم له الماء فانهاوا عليه ضربا بكعوب البنادق والسونكى حتى هشموا راسه ، ولما علمت سلطات الاحتلال بالحادث طلبت تقديم المتهمين الى المحاكمة ، وعلى الرغم من ثبوت ان المشاجرة لم تكن بسبق اصرار وان وفاة الضابط الانجليزى كان بسبب ضربة الشمس التى لم يتحملها فقد درست المحكمة القضية ولم تعط للمتهمين ( عددهم ) ٥٢ فرسا للدفاع عن انفسهم الا ثلاثين دقيقة فقط وحكمت المحكمة باعدام اربعة شنتا وصدرت احكام اخرى بين الاشغال الشاقة المؤبدة والاشغال الشاقة على الآخرين كما عزل عمدة دنشواى .

وقد نفذت الاحكام علنا في قرية دنشواى بين عويل النساء وصراخ الأطفال ووجوم الرجال الذين شاهدوا التعذيب .

واذا تفحصنا اسباب هذه الحادثة والاحكام التى صدرت نخرج بالنتائج التالية :

١ - ان المعتدى في هذه الحادثة انما هم الانجليز ، فقد عاجزوا قرية أهلة بالسكان ليصطادوا الحمام كما لو كانت قرية مهجورة لا سكان فيها

٢ - انه لا يمكن للاهالى وقد راوا احدى نسائهم تسقط جريحة والنار تشتعل في جرن القمح وشيخ الخفراء وآخرين محباين برصاص الانجليز ان يقتفوا مكتوفى الايدى دون ان يدافعوا عن اهلهم وبلدتهم وانفسهم .

٣ - ان احكام المحكمة المخصوصة تجاق العدالة لان اغلب اعضائها من الانجليز ومعنى ذلك ان الانجليز جعلوا من انفسهم حكما وخصوصا .

٤ — أثبت تقرير الطب الشرعى أن الضابط المتوفى انها مات لاصابته بضربة الشمس وذلك لأن الوقت كان صيفاً ودرجة الحرارة ٤٢ درجة.

٥ — ان المحاكمة كانت شبه صورية لان النية كانت مبيتة على الانتقام فلم تستغرق المحاكمة سوى ثلاثة أيام ، وقبل أن تنهى المحاكمة اجراءاتها صدر الامر الى المخازن باعداد المشاقق والالات الخاصة بالجلد وارسالها الى دنشواى .

لقد استنكرت الأمم المتمدينة هذه المأساة الوحشية ، وكادت الأمة المصرية تستسلم لليأس لولا دوى صوت مصطفى كامل الذى بدد سحب اليأس فقد كان فى باريس للاستشفاء وقت الحادث ورغم نصيحة الأطباء له بالراحة فانه ما ان وصله خبر الحادث حتى كتب مقالته المشهورة « الى الأمة الانجليزية والعالم المتهمدين » فى جريدة « الفيجارو » تناول فيه ملابسات الحادث وطريقة الحكم وتنفيذه فكان لهذه المقالة وقع شديد زعزع مركز اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر .

### نتائج الحادث :

١ — كان لهذا الحادث اكبر الاثر فى ايقاظ الأمة المصرية حيث جمع قلوب الشعب المصرى واحى شعور التضامن القومى بين ابنائه .

٢ — اطلع الراى العام الأوروبى والانجليزى على ما يرتكبه الاحتلال فى مصر من فظائع .

٣ — زيادة قوة الحركة الوطنية التى يتزعمها مصطفى كامل وانضمام كثير من المترددين الى صفوف الحركة الوطنية ثم تعديل سياسة الاحتلال .

٤ — استغلال مصطفى كامل للحادث فى التشهير بالسياسة الانجليزية واثارة الراى العام فى أوروبا على قسوة ما اتخذ من اجراءات .

٥ — اظهرت حادثة دنشواى للعالم أن المصريين يكرهون الاحتلال خلافا للشائعات المخالفة لذلك .

٦ — ساعدت حادثة دنشواى على بلورة الوضع الداخلى فى مصر  
فظهرت الأحزاب الرئيسية الثلاثة ( حزب الأمة — الحزب الوطنى — حزب  
الإصلاح على المبادئ الدستورية ) .

٧ — اشتراك الأدباء والشعراء فى التعبير عما حدث فى دنشواى  
وبروز الملاحم الشعبية والأدب الشعبى للتعبير عن المظالم التى وقعت  
على الأهالى وأحكام الشنق والجلد وشنق زهران بالذات وفيما يلى الزجل  
الذى يعبر عن ذلك .

يوم شنق زهران كانت صعب وجفاته  
أمه تبكى عليه فوج السطح واخوانه  
لو كان له أب ساعة الشنق ما فاته  
لأجل نصر الديانة اتانا مصطفى كامل

٨ — أضافت حادثة دنشواى المزيد من أحقاد القرية المصرية على  
الاحتلال حتى أن الظل القبيح لأحكام دنشواى أقتم السنة الأخيرة من حكم  
اللورد كرومر لدرجة أن تحركاته فى مصر كانت تحت الحراسة المسلحة .

٩ — ازدياد الشائعات عن أن أيام كرومر فى مصر أصبحت معدودة،  
وقد تحقق ذلك فعلا فى إبريل ١٩٠٧ وعينت الحكومة الانجليزية السير  
« الدون جورست » .

### الدون جورست والحركة الوطنية المصرية :

تمكن جورست من اجتذاب الخديو اليه تماها حتى تطورت العلاقات  
بينهما الى صداقة متينة وذلك بهدف الوقية بين الخديو والحركة الوطنية  
( سياسة فرق تسد ) والواقع أن جورست قد نجح فى الوقية بين الخديو  
والحزب الوطنى وخصوصا مصطفى كامل مع ذلك فإنه لم ينجح فى القضاء  
على الحركة الوطنية وإن ساعد بسياسته على تجزئتها فظهرت الأحزاب  
فى مصر لأول مرة فى تاريخها .

## ٢ - مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى

هناك أناس خلقوا للكفاح يستعذبونه ويستطيبيون كل شىء فى سبيله يرون فيه أداء للواجب وإرضاء للضمير وسبيلا ناجحا لإعلاء كلمة الحق وإصلاح أمور بلادهم ومن هؤلاء الزعيم الوطنى الشاب مصطفى كامل .

ولعل أهم عمل قام به مصطفى كامل من أجل مصر هو أنه أعاد للمصريين انثقة فى أنفسهم بعد هزيمة العربيين فى التل الكبير وبعد نجاح الاحتلال فى أحداث حالة من البلبلة والاضطراب فى تفكير المصريين تسبب عنها إيجاد نوع من القنوط واليأس والحريرة استولت على قلوبهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها المثل القائل « اتفق المصريون على ألا يتفقوا » ومنها ما قاله شاعر النيل حافظ إبراهيم :

ان عشرين حجة بعد خمس	علمتنا السكوت مهما تهادى
أمة النيل أكبرت أن تعاد	من رماها واشغقت أن تعادى
ليس فيها الا كلام والا حسرة	بعد حسرة تتهدى
لاجرى النيل فى نواحيك يامصر	ولا جادك الحيا حيث جادا
أنت انبت ذلك الثبوت يامصر	فأضحى عليك شوكا قتادا

وكان ما فعله مصطفى كامل هو أنه ذكر المصريين بماضيهم وجلال تاريخهم وسما بالوطنية المصرية الى مرتبة العقيدة حتى أصبحت أسلوبا فى الكفاح وكان طريقته الى ذلك الأسلوب السهل المؤثر على سامعيه لدرجة ان خطبه جرت على السنة الناس وكأنها أناشييد وأغان ، وساعده على ذلك أسلوبه الوجدانى الذى اعتمد على الجمل الضخمة التى رددتها الجماهير « لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة » .

« بلادى بلادى ، لك حبي وفؤادى لك حياتى ووجودى ، لك دمي ونفسي لك عقلى ولسانى لك لبي وجنانى فانت أنت الحياة ولا حياة الا بك يامصر » .

بهذا الأسلوب الوجداني ، وبهذه القوة الخطابية خاطب مصطفى كامل شعور الشبيبة المصرية واستنهض همهم يضاف الى ذلك ما كان يقببه من مقالات تنتقد بالوطنية بالجرائد خاصة في جريدة اللواء .

بكل ذلك استطاع مصطفى كامل أن ينهض بأعباء دعوته متقدما الى الأمام رافعا علم النهضة ومرددا نشيد الأمل بصوت تهتز له الأئدة حتى لقد وصفه لطفى السيد بأن شعاره الوطنية وغرضه الوطنية وكتابته الوطنية وكتابته الوطنية وحياته الوطنية حتى لبسها ولبسته فصار بينهما تلازم مستمر في كافة المواقف .

ولعل أدق تحليل لدور مصطفى كامل في قيادة الحركة الوطنية هو ما ذكره الأستاذ محمد شفيق غربال إذ يقول « أبسط استجابة كانت استجابة مصطفى كامل تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد ومن كل شطارة لمر عدو واحد هو الاحتلال ، ولمر مقصد واحد وهو الجلاء وما عدا ذلك فتفصيل له وقته .. ومصدر العقيدة أيضا بسيط كل البساطة فكانت حملة مصطفى كامل تستخدم ثلاث وسائل هي :

١ — ألا يأس مطلقا ولا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز أو كلام مأجوريهم بأن مركزهم في مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

٢ — لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولي بل نذروا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التي يكرها الانجليز ويكفي كرههم لها لتمسككم بها .

٣ — لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطل خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر <sup>(١)</sup> .

ولقد أتبع مصطفى كامل سياسة مترامية الأطراف تعتمد على اساليب متعددة من أجل اجلاء الانجليز عن مصر فلم يترك وسيلة لخدمة القضية المصرية الا ولجا اليها فاعتمد على فرنسا والدولة العثمانية كما وطد علاقته بالخدوي في أول الأمر خصوصا وأن الحركة الوطنية لم تكن قادرة وحدها على الصمود في وجه الاحتلال ، ولما يئس



من هؤلاء جبيعا لم يجد خير وسيلة أمامه سوى الاعتماد على الراى العام وتربيته .

وعلى الرغم من أن فكرة تأسيس حزب لم تكن بعيدة عن ذهن مصطفى كامل ، وبالرغم من أنه كان يلم بطبيعة العمل الحزبى التى كان قد عرفها جيدا أثناء وجوده بفرنسا وتجواله فى أوربا فقد أثر الا يكون البادى بتكوين الأحزاب لغناخته بضررة توحيد كافة القوى فى مصر لاجلاء المحتل الفاصب أولا ولأن انشاء أحزاب فى تلك الفترة ربما يؤدى الى تفتيت الجهود الوطنية وتصارعها ، واستمر مصطفى كامل متمسكا بهذا الموقف كما تمسكت به القوى الوطنية الأخرى لفترة من الوقت ، ولكن تطور الأحداث فى مصر ويأس الوطنيين من الحصول على مساعدات فعالة ضد الاحتلال من أوربا أو الدولة العثمانية أو من الخديو خصوصا بعد عقد الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ وأزمة طابة ١٩٠٦ وأحداث دنشواى عام ١٩٠٦ أيضا كل هذا أدى الى ضعف الحركة الوطنية وانقسامها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويشمل بعض كبار الملاك والمثقفين من اتباع الشيخ محمد عبده وكان هدفهم حماية مصالحهم بالتعاون مع الاحتلال بعد أن رأوا ثمار اصلاحاتهم فى الزراعة والرى .

والقسم الثانى : ويشمل انصار الخديو وعلى رأسهم الشيخ على يوسف وكان هدفهم تحقيق الاستقلال الإدارى ثم إقامة حكم نيابى مقيد بسلطة الخديو ، وكان هؤلاء ينتقدون سلطات الاحتلال نقدا معتدلا .

أما القسم الثالث : فكان غريق مصطفى كامل ، وكان يعتمد على المثقفين بوجه خاص <sup>(٢)</sup> وهو الذى حل لواء المعارضة ضد الاحتلال

ومن هذه الأقسام الثلاثة تكونت الأحزاب المصرية الثلاثة الأكبرى وهى حزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية والحزب الوطنى .

وقد يجرنا الحديث عن الحزب الوطنى الى أن نتساءل هل عبارة الحزب الوطنى جديدة أم كانت معروفة قبل مصطفى كامل .

الواقع أن تعبير الحزب الوطنى كان معروفا فى مصر قبل ظهور مصطفى كامل بعشرات السنين فقد تردد هذا الاسم أكثر من مرة فى كتابات وخطب الوطنيين المصريين وغيرهم كما أطلق على بعض الهيئات الوطنية سواء السرية منها أو العلنية فعندما أحس المصريون بالخطر على مصر بلادهم ، وفكروا فى التخلص من الخديو اسماعيل الذى لا يحسن تصريف شئون البلاد تم الاتفاق بين الجمعية السرية التى تكونت من ضباط الجيش <sup>(٣)</sup> عام ١٨٧٦ وجمعية حلوان التى تكونت فى أبريل ١٨٧٩ <sup>(٤)</sup> على تأليف « حزب خفى من العظماء والكبراء والعلماء سموا أنفسهم بالحزب الوطنى ، وقد أتيح لعرابى تزعم هذا الحزب بجناحيه المدنى والعسكرى <sup>(٥)</sup> .

وعندما ناشد الأتقانى أبناء مصر بالاقبال على العلوم والمعارف أوضح لهم أن حزبهم الوطنى لا تحصل له القوة ولا يكون له البقاء الا اذا استقرت فيهم المعارف <sup>(٦)</sup> .

وعندما اشترد التأمر على الثورة العرابية وأقال الخديو وزارة البارودى التى كان عرابى وزيرا للحربية فيها ، تمسك عرابى بمركزه كرئيس للحركة الوطنية وأعلن انه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى رغم استعفائه من نظارة الجهادية <sup>(٧)</sup> .

وعندما سافر مصطفى كامل الى باريس عام ١٨٩٥ للدعاية للقضية المصرية صرح بأنه مؤيد من قبل الحزب الوطنى علما بأن هذا الحزب لم يكن له وجود فى تلك الفترة .

وعندما تأسست جمعية سرية لمناهضة الاحتلال تحت رئاسة الخديو فى عام ١٨٩٦ عبر عنها مصطفى كامل بأنها حزب سرى مخلص للغاية وعلى استعداد للتضحية بذاته فى سبيل الوطن المقدس <sup>(٨)</sup> .

وهذا الحزب أطلق عليه اسم الحزب الوطنى ، وقد أكد لطفى السيد ذلك بقوله « كونا تحت رعاية الخديو عباس جمعية سرية فى بادىء الأمر ، وكانت هذه الجمعية هى الحزب الوطنى <sup>(٩)</sup> .

لماذا اطلق تعبير ان حزب الوطنى على هذه الهيئات السياسية رغم أنها لم تكن حزبا سياسيا بالمعنى المفهوم بالحزب لآبد أن يقابله أحزاب أخرى تتعارض فى المبادئ والبرامج على النحو الذى نعهده فى الأحزاب السياسية .

يذكر عرابى أن مصر مسكونة بأجناس مختلفة وكل جنس منها يعتبر حزبا كما أن لاهل البلاد حزب قائم بذاته هو الحزب الوطنى<sup>(١١)</sup> .

ويذكر مصطفى كامل أن الحزب الوطنى موجود فعلا قبل اعلانه بثلاثة عشر عاما فهو وان لم يظهر بشكل نظامى وبلائحة ولجنة ادارة فقد ظهر بأعماله واتفاق أعضائه على خدمة البلاد بكل قوة<sup>(١٢)</sup> وأن هذا الحزب هو حزب الأمة كلها الذى أيقظ العواطف الوطنية فى البلاد<sup>(١٣)</sup> ويذكر الأستاذ عباس محمود العقاد أن تسمية تلك الهيئة السياسية بالحزب ترجع الى أن أفرادها يواجهون جماعة الأتراك والشراسة والالبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولة العثمانية وينفردون بولاية الحكم فى الوظائف الكبيرة وأكثر الوظائف الصغيرة ، لذلك فتعبر الحزب الوطنى على هذا الأساس كان هو حزب الفلاحين أو حزب الأمة المصرية<sup>(١٤)</sup> .

والواقع أن إطلاق تعبير حزب على تلك الهيئات الوطنية من الممكن الاستعاضة عنه بتعبير جبهة وطنية أو اتجاه وطنى بدلا من حزب لأنه لم يحمل مضمون الحزب أو أبعاده فقد كانت له أهداف عامة تعكس الآمال الشعبية ، ومع ذلك فقد كان ينتقد الى التنظيم اللازم للعمل الحزبى ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط فقد ظهرت أحزاب فى ظل الاحتلال كان لها برامج وأطلق عليها اسم الحزب الوطنى قبل أن يؤسس مصطفى كامل حزبه مثل الحزب الوطنى الحر<sup>(١٥)</sup> الذى تأسس فى ٢٦ يوليو ١٩٠٧ برئاسة محمد وحيد الأيوبي ، وكان مناصرا للاحتلال ، ويرى أن رقى البلاد لم يتم الا على يديه كما كان معاديا لمصطفى كامل وحركته .

وحزب آخر سمي الحزب الوطنى أسسه حافظ عوض صاحب جريدة المنبر فى أغسطس ١٩٠٧ وكان شديد الولاء للاحتلال البريطانى أيضا ولكنه لم يستمر طويلا بل انضم الى حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية بعد ذلك .

وعلى كل حال فإن فكرة تأسيس حزب بمفهوم حقيقى قد راودت مصطفى كامل قبل الاعلان عنه بمدة ، ففى عام ١٩٠٠ فكر فى اقامة حزب على غرار الاحزاب الاوربية ووضح عن ذلك فى اللواء معربا عن أمنيته فى تأسيس هذا الحزب<sup>(١٥)</sup> ولكن خشيته من تفتيت الجبهة الداخلية جعله يحجم عن تنفيذ فكرته ، ولعله تعلم هذا الدرس من عبد الله النديم خطيب الثورة العربية ، ومع ذلك فقد ظلت فكرة تأسيس حزب تراود خياله فعندما اجتمع بالخدوي فى خريف ١٩٠٦ اتفق معه على تأسيس الحزب الوطنى ، وكانت نقطة الخلاف حوله هل سيكون الحزب سريا أم علنيا ، وكان رأى الخديو ان يكون سريا ثم انتهى الامر بأن كان علنيا<sup>(١٦)</sup> ومع ذلك لم يسرع مصطفى كامل فى تكوين حزبه ، بل تريث فى الامر حتى أواخر ١٩٠٧ خشية تفتيت الجبهة الداخلية ، ولكن ظهور حزبى الأمة والاصلاح على المبادئ الدستورية قد دفعاه الى الاسراع فى تأسيس حزبه وقد أوضح مصطفى كامل ذلك فى خطاب أرسله الى محمد فريد قال فيه « ان ظهور حزب الأمة المؤلف من أولئك الذين خبرنا نفسياتهم وميلهم الى مسايرة المحتلين وفقا لما يسمونه سياسة اللين والتدرج وان ما علمته كذلك من صاحب المؤيد عن تأليف حزب باسم « حزب الإصلاح » لخدمة السراى ، هذان الأمران يتحان علينا كل انتحيم ان نظهر حزبنا الوطنى بالرغم منا بمظهره الحقيقى حتى يعلم العالم كافة ان للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمة صادقة الجلاء والدستور اى انه لا يقبل حكم الأجنبى ولا حكم الفرد » ثم أوضح مصطفى كامل الأسباب التى تجعله لا يرغب فى تعدد الأحزاب فقال « نعم انى أرغب الآن كل الرغبة فى ظهور هذا الحزب بحال منظمه بالرغم من وطنيتى التى ترى فى تعدد الأحزاب حربا أهلية لا مندوحة منها ، حربا تعوق ولو الى حين ما نرمى اليه من حرية واستقلال بتقوية مركز المحتل لبلادنا ولكن ما العمل ونحن لو سكتنا أمام هذه الحال التى ما أوجدتها الا دهاء جورست وقصر نظر المؤلفين لهذين الحزبين لفقدنا كل شئء ولاصحت الوطنية المصرية عدما فى عدم بتغليب المبادئ السقيمة عليها وتعاكس المخلصين لنصرتها وانمائها<sup>(١٧)</sup> .

وهكذا يتضح أن مصطفى كامل رغم أمنيته في أن يرى في مصر حزبا وطنيا منظما إلا أنه خشى أن يبدأ بهذه الخطوة حتى لا تنقسم الجبهة الداخلية ، واستمر على هذه السياسة حتى ظهر حزبا الأمة والاصلاح على المبادئ الدستورية ، فاضطر الى أن يعلن عن حزبه حتى لا تضيع الاهداف الوطنية وسط المتاهات الحزبية ففي الثاني والعشرين من أكتوبر ١٩٠٧ دعا مصطفى كامل الوطنيين لمؤتمر عام بمصرح زيزنيا بالاسكندرية غلبى الدعوة عدد قدرته الصحف بين خمسة وسبعة آلاف لقي فيهم مصطفى كامل خطبة طويلة تحدث فيها عن الحياة الوطنية في مصر بعد الاتفاق الودى والتقدم الذى أحرزه العمل الوطنى وثقته الكبيرة في أن المصريين قادرون على الوصول الى الاستقلال ، كما أعلن عن قيام الحزب الوطنى ودعا افراد الأمة الى الانضمام اليه (١٨) .

وقد أحدث ذلك الخطاب دويا كبيرا ، ونشرت الجرائد فقرات طويلة منه وانهالت للانضمام للحزب من كل جانب .

وفي ٢٧ ديسمبر عقدت أول جمعية عمومية للحزب بدار جريدة اللواء بالقاهرة أطلق عليها اسم المؤتمر الوطنى وكان عدد الحاضرين ١٠١٩ مندوبا من كافة الطبقات يمثل كلا منهم مئتا عضوا طبقا لقانون الحزب (١٩) ، وافتتح مصطفى كامل هذه الجمعية العمومية بخطبة نوه فيها بأن الحزب الوطنى موجود منذ وقت طويل ، وأن ما يحدث هو اعادة تنظيمه ، كما أوضح أن الحزب الوطنى لم يكن حزبا سياسيا فحسب بل هو قبل كل شيء حزب حياة الأمة وانهاض لها ، كما أنه حزب يهتم بتعليم سائر طبقات الشعب ، ويرى أن استقلال البلاد هو أساس كل سعادة ويسعى للوفاق بين أفراد الأمة كما يطمح بتحسين حال الفلاح (٢٠) .

وبعد خطاب مصطفى كامل انتخبه الحاضرون بالإجماع رئيسا للحزب الوطنى مدى الحياة ، وبعد التصديق على لائحة الحزب قام الحاضرون بانتخاب الأعضاء الثلاثين للجنة الادارية الأولى للحزب (٢١) .

والجدير بالذكر أن الحزب الوطنى كان الحزب الوحيد — من الأحزاب الثلاثة الكبيرة — الذى التزم بنهج ديمقراطى في تنظيمه فقد بدأ من القاعدة

وتدرج الى القمة كما هو متبعاً في الأحزاب الديمقراطية مرفض أن يفرض على أعضائه لجنة إدارية معينة كما حدث في حزب الأمة والاصلاح بل ترك الأمر للجمعية العمومية التي قامت بانتخاب أعضاء اللجنة الإدارية المكونة من ثلاثين عضواً والتي قامت بدورها في انتخاب اللجنة التنفيذية للحزب المكونة من تسعة أعضاء (٢٢) إلا أن ما يؤخذ على الحزب أن انتخاب رئيسه مدى الحياة أمر غير مفهوم في الأحزاب الديمقراطية وهذا هو ما أخذه سعد زغلول على الحزب الوطني (٢٣) وما دفع محمد غريد بعد ذلك بتعديل هذه المادة وتجديد المدة التي ينتخب لها الرئيس بثلاث سنوات .

أما عن برنامج الحزب فقد تضمن مبادئ عشرة هي :

١ - استقلال مصر كما قرره معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرامانات السلطانية ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لعائلة محمد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد وهو الاستقلال الذى تمهدت انجلترا رسمياً باحترامه .

٢ - ايجاد حكومة دستورية في البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة امام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب في أوروبا .

٣ - احترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسدد الديون ، وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية مادامت مصر مدينة لأوروبا ومادامت أوروبا تطلب هذه المراقبة .

٤ - انتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها وارشاد الحكومة الى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها .

٥ - العمل على نشر التعليم فى انحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادئ الدينية السلمية الداعية للرقى وحث الاغنياء والقادريين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات

في البلاد ، وارسال الارساليات لاوريا وفتح المدارس الليلية للعمال والصناع .

٦ — ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، وكل فروع الحياة ، والعمل والجد حتى تنال الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى .

٧ — ارشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة الى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ، ودعوتهم الى الاتحاد والائتلاف وتمكين المحبة بين عنصرى الأمة المسلمين الاقباط وتنبيههم الى واجباتهم نحو بلادهم .

٨ — مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتها .

٩ — تقوية العلاقات الودية بين تركيا ومصر من جهة ، وبين مصر والدول الأوروبية من جهة أخرى ونفى كل تهمة عن مصر ، والعمل لايجاد انصار لها فى انحاء العالم حتى تكون لها قوة أدبية سامية تساعد على اعتراف الغير بحقوقها الشرعية ، والتغلب على المساعى التى تعمل ضدها ويراد بها اخفاء الحقيقة (٢٤) .

وعند تحليل المبادئ التى ارتكن عليها الحزب الوطنى نجد أنها قريبة الشبه بالبرنامج الذى سار عليه الوطنيين فى عام ١٨٨١ واطلق عليه برنامج الحزب الوطنى المصرى خصوصا فى اعلان ولاء كل منهما للدولة العثمانية ، وضرورة المحافظة على العلاقات الودية معها والارتكان فى ذلك فى مواجهة القوى الخارجية .

ففى البند الأول من برنامج الحزب الوطنى المصرى ما نصه « يرى الحزب الوطنى المحافظة على العلاقات الودية بين الحكومة المصرية والباب العالى ، واتخاذ ذلك الباب ركنا يستند عليه » ثم يعترف باستحقاق الباب العالى لما يأخذه من أموال من الخزانة المصرية وما يلزمه من المساعدة بشرط المحافظة على الحقوق الوطنية ومقاومة

من يحاول اخضاع مصر أو أن يسلب امتيازاتها الادارية التى منحتها  
الفرامانات ، وفى البند الاول من برنامج الحزب الوطنى الذى أسسه  
مصطفى كامل نجد المطالبة بالاستقلال الذاتى لمصر فى ظل السيادة  
العثمانية مما أثار البعض على مصطفى كامل خصوصاً جريدة المقطم  
التي اتهمته وحزبه بأنهم يعملون على استبدال الانجليز بالانترك وبأنهم  
يفضلون الولاء للعثمانية على الولاء للمصرية ، وقامت بحملة شديدة  
على الحزب الوطنى ومؤسسه مما دفع مصطفى كامل الى دحض هذه  
التهم ، مبيناً ان الفرامانات السلطانية تثبت عدم شرعية الاحتلال  
الانجليزى لمصر ، وان الباب العالى يحترم دائماً استقلال مصر كما  
أنه ضد أى تغيير للمعاهدات الدولية التى نظمت علاقة مصر بالدولة  
العثمانية (٢٥) .

ويرجع الدكتور هيكى اسباب تمسك الحزب الوطنى بهذا البند  
فى حياة مصطفى كامل (٢٦) الى محاولته تفضى معارضة القانون  
أو أن ينسب اليه أحد تهمة التآمر على النظام القائم (٢٧) .

ومع وجاهة هذا الراى فاننا اذا تفحصنا الخطبة التى القاها  
مصطفى كامل على مسرح زيزينيا بالاسكندرية واعلن فيها قيام انحزب  
الوطنى نجده يذكر ما نصه « اننا اذا خطبنا الود لامة أو لدولة  
فاننا نعمل كفرنا ونتبع ناموس الطبيعة القاضى بأن من انفتحت  
مصالحهم يجتمعون ويتناصرون » ومعنى ذلك أنه اذا كان مصطفى كامل  
قد نادى بضرورة التمسك بالرابطة العثمانية فيرجع ذلك الى أنه رأى  
فى التعاون مع الدولة العثمانية ورقة سياسية ذات فاعلية ضد محاولات  
انجلترا اعلان الحماية على مصر .

وحتى يحول دون استمالة انجلترا للسلطان العثمانى وابقاعها  
بينه وبين مصر فليس من الحكمة أن ينادى مصطفى كامل بجلاء الاحتلال  
البريطانى وبالقضاء السيادة العثمانية معاً (٢٨) لانه اذا فعل ذلك سيثير  
غضب تركيا ويجعلها تنضم الى جانب انجلترا ضد المصالح المصرية ،  
كما أنه رأى أن التخلص من السيادة العثمانية كان أمراً هيناً بعد  
التخلص من الاحتلال يضاف الى ذلك أن الراى العام فى مصر كان



متمسكا بالخلافة ، وكان يعتبر السلطان العثماني خليفة المسلمين ، لذلك فان دعوة مصطفى كامل للتمسك بالخلافة كانت تساير روح العصر وتتفق مع رأى غالبية المصريين (٣٩) .

وفي البند الثانى لكل من الحزبين نرى هناك تشابها ايضا فقد نص برنامج الحزب الوطنى ايام عرابى على عدم عوده الاستبداد والاحكام الظالمة ، واتباع حكم اشورى بواسطة مجلس شورى النواب واطلاق عنان الحرية للمصريين ، ودعا برنامج الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل الى ان تكون الحكومة دستورية ومسئولة امام مجلس النواب .

لما البند الثالث فنجد فيه تشابها ايضا من ناحية احترام الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت مع الدول الأوروبية حتى تهدأ خواطر أصحاب الديون فقد نص برنامج الحزب الاول على احترام الاتفاقات الدولية خصوصا الديون الاجنبية وقبول استمرار المراقبة الأوروبية كما نص برنامج حزب مصطفى كامل على احترام ارتباطات الحكومة بسداد الديون وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية مادامت مصر مدينة لأوروبا .

يضاف الى ذلك ان كل من الحزبين نادى بتعميم التعليم والعمل على نشر المعارف وتقوية عنصر الوئام والمحبة بين كافة الاديان ونفى تهمة التعصب عن المصريين واشتراك رجال مختلفى العقيدة والمذهب فى كل منهما .

وعلى كل حال فقد كان برنامج الحزب الوطنى برنامجا عمليا بشكل عام واقرب ما يكون الى نشاط مصطفى كامل قبل اعلان الحزب رسميا .

وقد كانت الجمعية العمومية للحزب الوطنى تجتمع مرة فى شهر ديسمبر من كل عام تحت اسم المؤتمر الوطنى لمناقشة ميزانية الحزب واماله ومراجعة نشاطه ووضع القرارات .

وعن اللجنة الادارية للحزب فكانت تنعقد مرة كل شهر للنظر نسي الامور الخاصة بالحزب .

اما عن اللجنة التنفيذية فكانت تتكون من ثمانية اعضاء ينتخبون من اعضاء اللجنة الادارية بخلاف الرئيس يكون منهم نائبان للرئيس وسكرتير وامين صندوق وكانت هذه اللجنة تجتمع اسبوعيا لتسير امور الحزب وما يطرا عليه من تطورات (٣٠) .

وبالنسبة لاشتراكات الاعضاء فلم يتحدد اشتراك معين بل ترك لكل عضو يدفع ما يريد حسب مقدراته .

وقد نمت حركة الحزب الوطنى واتسع نطاقها بازدياد عدد الذين انضموا الى صفوفه .

وتختلف الآراء التى قيلت عن تأسيس الحزب الوطنى بين مباح وقادح فهناك رأى يرى انه كان من الواجب على مصطفى كمال وجماعته محاربة حركة تجزئة الامة وتفتيت وحدتها بأن تبادر بكشف اساليب الاستعمار وأعوانه بدلا من أن تسارع الى تنظيم نفسها على شكل حزب بعد الاعلان عن حزبي الامة والاصلاح على المبادئ الدستورية (٣١) ولكن ردنا على ذلك هو انه بالرغم من اختبار فكرة تكوين الحزب الوطنى فى ذهن مصطفى كمال كما سبق أن اوضحنا الا انه لم يقدم على هذه الخطوة الا بعد الاعلان عن حزبي الامة والاصلاح وبعد أن كاد صوت الجلاء يضيع وسط المتاهات الحزبية ، فالواضح أن الحزب الوطنى ثان آخر الاحزاب الكبيرة التى اعلنت عن نفسها حيث أعلن عن قيام حزب الامة فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ وحزب الاصلاح فى ٩ ديسمبر بينما الحزب الوطنى لم يعلن قيامه الا فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام يضاف الى ذلك أن مصطفى كمال رغم أنه اضطر الى قبول مبدأ تكوين الحزب السياسى فانه ظل يدافع عن فكرة مبدأ الحزب الواحد ، وكان من رايه أن تمسّد الاحزاب ممكن طالما أن الوطن ليس معرضا للخطر أما وقد أصبحت مصر محطّة من الانجليز ، فان مواجهة الخطر تقتضى الاكتفاء بحزب سياسى واحد هو الحزب الوطنى حتى يتمكن من توحيد الامة وتجنيد وحشد كافة طاقاتها لتحقيق الاستقلال (٣٢) .

أما الرأى الثانى فكان يرى فى تعدد الأحزاب قوة للامة وتأكيدا لصلابتها وتقدمها اذ انه لا توجد الأحزاب الا فى الأمم القوية التى بلغت أشدها ، وتكون الأحزاب كالشجرة التى تنفرع الى أغصان كثيرة لكنها ترتبط بالجذع الراسخ بجذوره فى أعماق الأرض ، فكذا الأمة القوية هى الجذع الراسخ وغروها بمثابة الأحزاب المختلفة الاتجاهات (٣٣) .

ثم هناك رأى آخر يرى ان العمل الحزبى أفضل من العمل الفردى الذى يمكن أن ينتهى بموت الفرد ، كما أن وجود أحزاب معتدلة بجانب متطرفة يعطى للانجليز الفرصة فى التفاهم معهم فيكون أحدهم حلقة اتصال بين الأمة والاحتلال (٣٤) .

ومع وجاهة الآراء السابقة فإننا نرى أن ظروف مصر فى تلك الفترة وهى فترة الاحتلال كانت تتطلب وجود حزب واحد قوى يستطيع قيادة الأمة نحو الاستقلال بعيدا عن المهارات الحزبية التى غالباً ما تنشأ نتيجة الصراع بين مختلف الاتجاهات والنزاعات الحزبية ، أما بعد أن يتحقق الجلاء فتعدد الأحزاب مطلوب لممارسة الحياة الديمقراطية .

وعلى كل حال فقد خاضت مصر غمار الحزبية ، وأصبح لزاما على الحزب الوطنى أن يحمل لواء الاستقلال وقيادة الحركة الوطنية المطالبة بالجلاء العاجل .

ولقد ارتبطت الطبقة المتوسطة وبوجه خاص الكائنة منها فى المدن بشخصية مصطفى كامل الرومانسية أشد الارتباط كما ارتبط الشباب بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة بـ مصطفى كامل لدرجة أن أصبحت بعض المدارس مكانا للمناقشات السياسية التى أثارها الحزب الوطنى (٣٥) ومع ذلك فإنه لا يمكن القول بأن الحزب الوطنى كان يمثل كافة المثقفين لأن هؤلاء وزعوا بين كافة الأحزاب (٣٦) كما أن الحزب الوطنى فى بداية تكوينه لم يهتم بجذب الفلاحين اليه وذلك لأن دعوته بالتقارب من الدولة العثمانية جعلت الفلاحين يعتمدون عنه نظراً لما لاقتوه من العنف أثناء الحكم العثمانى واستمر الحال على هذا المنوال حتى

حادثة دنشواى التى كانت فرصة لوصول صوت مصطفى كامل للفلاحين<sup>(٣٧)</sup> ، يضاف الى ذلك ان نشاط الحزب الوطنى تركّز فى المدن ، وبوجه خاص فى الاسكندرية والقاهرة والمدن الكبرى بالوجه البحرى اما فى الوجه القبلى فلم يكن للحزب الوطنى نفوذ يذكر .

ولقد تميز برنامج الحزب الوطنى بالوضوح ورتب مطالبه الوطنية حسب اهميتها فأعطى للجلاء الاولوية على الدستور ، وبذلك كان حزب التعبير عن الواقع مما كفل له تأييد اغلبية الجماهير فكان له اعظم وزن فى الحركة السياسية المصرية فى تلك الفترة<sup>(٣٨)</sup> .

وقد اثمرت دعوة الحزب الوطنى فى جمع شمل المصريين حول مطلب الجلاء الذى اقترن بفكرة الحياة الدستورية ، ولما اتضح ان ذلك لا يتم الا بالارتقاء بأفراد الأمة اهتم الحزب الوطنى بنشر التعليم كما نادى برفع الغبن عن الطبقات الكادحة من ابناء الشعب<sup>(٣٩)</sup> .

ومما يؤخذ على الحزب الوطنى موقفه من القضايا الاجتماعية ، ورغم ان مؤسسه تعلم فى اوربا فقد ظل متمسكا بالقديم أشد استمسك . فهاجم قاسم أمين عندما أصدر كتابه تحرير المرأة واتهمه بخالفه الدين<sup>(٤٠)</sup> كما هاجم الشيخ على يوسف لموقفه من قضية الزوجية .

ويمكننا ان نرجع ذلك الى أن مصطفى كامل حاول التقرب الى الشعب فبما هو عزيز لديه من عادات وأوهام لاستغلاله فى الغايات السياسية .

ويؤخذ على الحزب الوطنى أيضا أنه لم يكن له دور بارز داخل القرية المصرية فاعتمد على الطبقة المثقفة مع أن الحركات الجماهيرية لا تتعمق جذورها الا بالاعتماد على القوى الفلاحية التى تمثل غالبية افراد المجتمع كما يؤخذ عليه أنه لم يطرح على جماهير الشعب المصرى تصورات لآفاق جديدة مثل التى طرحتها الأحزاب الأخرى<sup>(٤١)</sup> .

ولعل الخديو عباس الثانى كان محقاً فيما قاله عن مصطفى كامل بأنه لم يكن منوطاً فى عصره وإن أفكاره كانت أقرب الى انتقاليـد الشرقي<sup>(٤٢)</sup> يضاف الى ذلك ما ذكرته جوليت آدم من أن مصطفى كامل

كان يشفع أعماله بالتقاليد العربية الأصيلة حتى يرضى شمم عنصره الذى لا يقبل فى ذلك الوقت الا أن يسترد ما أعاره لأوربا (٤٣) .

وعلى كل حال فقد أسس مصطفى كامل حزبا ذو تنظيم اتسم بالقوة والثبات أمام الضربات التى وجهت اليه وصار يؤدى واجبه فى حركة النضال الوطنى حتى يمكن القول أنه كان صاحب الفضل فى تهيئة الطريق أمام ثورة ١٩١٩ .

### ٣ - محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى

حياة محمد فريد الزعيم الثانى للحزب الوطنى مليئة بالتضحيات فى سبيل المبادئ من أجل الدفاع عن حرية مصر وحقوقها المسلوبة . فقد انضم فريد الى قافلة المجاهدين بعد أن أتم تعليمه ، وبدأ حياته السياسية بالاستقالة من وظيفته كوكيل للنائب العام بعد موقفه الوطنى فى قضية التفجرات ، ثم ضحى بعمله فى المحاماة لكى يتفرغ للجهاد ، كما ضحى بأمواله لمساندة الحركة الوطنية فباع كل ما تركه والده من أرض زراعية من أجل تمويل الحزب الوطنى حتى يقف على قدميه ثابت الأركان ، ورفض الاشتراك فى أى وزارة . أو تولى أى منصب طاملا للاحتلال جائئا على صدر الوطن يضاف الى ذلك أنه ضحى براحته وحريره ف تعرض للسجن والنفى ومات بعيدا عن الوطن الذى أحبه وعمل من أجله .

ورغم الظروف السياسية التى أحاطت بفريد عقب توليه رئاسة الحزب الوطنى ورغم ما تعرضت له الحركة الوطنية من ضربات متلاحقة ، سواء من الخديو أو من الاحتلال نتيجة سياسة الوفاق التى اتبعها الانجليز لاجتذاب الخديو الى صفهم واحتواء الحركة الوطنية فقد ظل فريد متمسكا بمبادئه متحملا للمصاعب والعقبات التى واجهته بكل عزيمة وجلاد ليس فقط من جانب الانجليز والخديو ، ولكن أيضا من جانب بعض أعضاء الحزب الوطنى وبوجه خاص من على نهى كامل . شقيق مصطفى كامل .

تبعده وفاة مصطفى كامل اتجهت انظار الوطنيين الى محمد نريد ليخلفه في تحمل أعباء زعامة الحزب الا أن الخديو كان له موقف آخر وهو رغبته في احتواء الحزب الوطنى عن طريق ترشيح من يتوسم فيه السر في ركابه خلفا لمصطفى كامل في زعامة الحزب ، ولما كان الخديو يدرك أن فريدا ليس بالرجل الذى يسير طوع ارادته ، أو ممن يدينون بالطاعة أو الولاء له فقد حاول منع انتخابه رئيسا للحزب الوطنى وذلك عن طريق تقريب أعضاء الحزب منه وإملاء ارشاداته وتوجيهاته عليهم ، ودرس دساتيره لانتخاب من يكون طوع ارادته ، فأوعز الى على فهمى كامل أن يرشح نفسه لرئاسة الحزب الوطنى ووعده بالمساعدة المادية والأدبية على أساس انه أحق الناس بوراثته أخيه في زعامة الحركة الوطنية ، ورغم أن مصطفى كامل كان قد رشح فريدا بأن يكون رئيسا للحزب من بعده فإن على فهمى كامل حبذ فكرة الخديو ، وعمل من أجل تحقيقها ، ولكنه رأى التيار داخل الحزب في صالح نريد فتراجع عن موقفه ، ويتضح ذلك مما كتبه نريد فى مذكراته فقال « كان يريد أن ينتخب بصفته أخ اليقيد وجهاز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ووزعها على بعض الحاضرين ، وأدخل فى محضر الاجتماع الكثيرين من غير الأعضاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لما رأى التيار قويا ضده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بناء على جواب كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيه بانتخابى لو فاجأه القدر المحتوم (٤٤) » .

وعلى كل حال فقد فشلت محاولات الخديو فى إسقاط نريد خصوصا بعد أن وقف الأستاذ عثمان صبرى صهر مصطفى كامل ، ومدير جريدة ذى الجبشان استاندارد والقى خطبة أوضح فيها أن نريد هو المرشح الوحيد لرئاسة الحزب بعد مصطفى كامل ، وقد وجدت هذه الفكرة ترحيبا من أجمع الحاضرين ونودى بنريد رئيسا للحزب الوطنى (٤٥) مما قلب خطط الخديو رأسا على عقب .

ولما علم الخديو بما حدث حاول ألا تغفل الأمور من يده أكثر من ذلك فطلب من نريد تليفونيا مقابلته بسرأى عابدين ، وهناك هنأه على على انتخابه وكان من ضمن عباراته له « أن وجود مملك على كرسى

الحركة الوطنية مفيدا جدا لأنك لست محتاجا ، ولا طالبا للمال ، ولأنك من عائلة خدمت البلاد .. ولا يمكن للانجليز أن يقولوا عنك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفة « (٤٦) كما عرض الخديو على فريد استعداده للمساعدة بالمال ، ولكن فريد رفض ذلك بشدة حتى لا يكون مرتبطا بالولاء لأحد .

وهكذا نجح رجال الحزب الوطنى فى احباط محاولات الخديو بمنع انتخاب فريد ، واحداث انشقاق ونزاع بين أعضاء الحزب فغضوا على المؤامرة فى مهدها ، ورأبوا الصدع ، وتم انتخاب فريد رئيسا للحزب الوطنى ، وكذلك حدد فريد فى اول لقاء له مع الخديو بعد انتخابه استقلاله عنه ، ورفض أمواله حتى لا يسير طوع ارادته مما زاد من اصرار الخديو على ضرورة اسقاطه ، ووضع العقبات أمامه .

وقد حمل فريد زعامة الحزب الوطنى وسط مصاعب جمة فلم تسر الأمور على المنوال الذى سارت عليه رئاسة مصطفى كامل للحزب، ويرجع ذلك الى أن فريد تولى زعامة الحزب فى وقت ظهرت فيه سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال فصارت الحركة الوطنية بزعامة فريد هدفا لحرب شديدة من جانب الاحتلال والخديو معا (٤٧) مما جعل فريد يضاعف من جهاده .

وقد أخذ فريد يشرف على تحرير جرائد الحزب الثلاثة ويوجه سياستها كما أنشئ فى أوائل عهده بالرئاسة نادى الحزب الوطنى ، وتولى هو رئاسته .

وقد حدد فريد مطالب الحركة الوطنية فى مطلبين هما الجلاء والدستور وبذلك كان متفقا فى خطته مع مصطفى كامل الا أنه أبرز دعوة المطالبة بالدستور وجعل منها حركة عامة دعا إليها الأمة ، ووجهها الى مطالبة الخديو بالدستور بكتابة العرائض الى قصر عابدين (٤٨) ، وقد أعد الحزب الوطنى عرائض لتقديمها الى الخديو بطلب مجلس نيابى (٤٩) واعادة دستور ١٨٨١ الذى ألغى بعد هزيمة العربيين .

ويبدو أن فريدا كان قد اتفق الخديو بضرورة منح الأمة المصرية مجلسا نيابيا ، وأن الخديو وافق على كتابة العرائض بطلب الدستور حتى اذا سافر الى انجلترا يتكلم مع الملك ادوارد بخصوص منح المصريين الدستور ويثبت ذلك ما كتبه محمد فريد في مذكراته « كان المشروع فى هذا العمل بالاتفاق مع الخديو حتى اذا سافر الى انجلترا يتكلم مع الملك ادوارد فى ذلك ويظهر له ان الأمة المصرية تطلب الدستور وأنه يوافق على ذلك لأنه من حقوقها » (٥٠) .

وعلى كل حال فقد أخذ الحزب الوطنى يجمع التوقيعات بطلب المجلس النيابى حتى وصل الى حوالى خمسة وسبعين ألف توقيع، ولما تبلورت خطورة هذه الحركة داخل البلاد سعى الاحتلال لاحتلالها فأعلن وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم أن الخديو لا يمكنه أن يمنح بلاده دستورا أو مجلسا نيابيا الا بعد استشارة الحكومة البريطانية ، وقد احتج الحزب الوطنى على ذلك بشدة وانتقد ما تخوله انجلترا لنفسها من الحق غير الشرعى فى التدخل بين الأمة والخديو صاحب السيادة فى منح امته الدستور (٥١) فذكر فريد بأنه خير لنا أن نبقى بلا دستور من أن نناله بالاعتراف بأن للانجليز حقنا أو شبهه حق فى بلادنا .

وعلى الرغم مما أبداه الخديو من ارتياح فى بداية الأمر الى تقديم العرائض فإنه قابل اتساع هذه الحركة بالفتور ثم تغير موقفه حيالها وبوجه خاص بعد أن أظهر الاحتلال استيائه وأعلن جورست ان الشروط اللازمة لاقامة مجلس نيابى فى مصر غير متوفرة والتفكير فيها يعتبر ضربا من حماقة والجنون فخشى الخديو أن تتعرض سياسة الوفاق بينه وبين الانجليز للخطر يضاف الى ذلك أن فريدا اشترط أن يضع احكام الدستور المنتظر مجلس منتخب من الأمة مما جعل الخديو يتردد فى الامر .

ورغم ذلك فان الحزب الوطنى استمر فى مطالبته بالدستور ، وجدد اساليبه فى مطالبته به فبعد ان كانت المطالبة تقتصر على العرائض اتبع الحزب أسلوب المظاهرات الشعبية ، فكان يجمع فى حديقة الجزيرة الآلاف ثم تسيير المظاهرة الى قلب القاهرة منادية بالدستور ، وكان دور



الطلبة خصوصا طلبة المدارس العليا بارزا في هذه المظاهرات ففى محطة طنطا قام الطلبة بمظاهرة وطنية اثناء مرور الخديو بها يطالبون بالدستور ، كما تظاهر الطلبة اثناء مرور موكب الخديو فى القاهرة هاتنين « الدستور يا افندينا »<sup>(٥٣)</sup> وكان طلبة الحقوق يصعدون على سطح مدرسة مجاورة لقصر عابدين يرددون الهتاف للدستور<sup>(٥٣)</sup> ولم يتوقف الامر عند ذلك الحد فقد تعقبت هذه الدعوة الخديو خارج مصر ايضا فقد طالبه المصريون الموجودون فى تركيا بالدستور اثناء زيارته للسلطان وعلا هتافهم « الدستور يا افندينا » كما طالبه به الطلاب المصريون بانجلترا اثناء زيارته لها<sup>(٥٤)</sup> .

وقد تزايدت الهتافات بالدستور فى كل مكان حتى أصبحت اقرب الى نشيد وطنى لا يظهر الخديو فى أى مكان عام الا ويواجه بها وأحيانا تختلط هذه الهتافات بزغاريد النساء<sup>(٥٥)</sup> .

يضاف الى ذلك ان الحزب الوطنى حاول اتباع اساليب الضغط والتهديد مع الخديو حتى يمنح الامة الدستور وذلك بان يقدم اعضاؤه عريضة للخديو يطلبون فيها الدستور ، واذا لم يتحقق مطلبهم فى مدة شهر يتوقف المصريون كافة عن دفع الضرائب للحكومة<sup>(٥٦)</sup> ولم يقتصر الامر على ذلك بل قام بعض رجال الحزب الوطنى بارهاب الخديو فأرسلوا له خطابات تهديد بنسف موكبه كما قاموا بوضع عوائق امام القطار الخاص الذى كان يقوده الخديو بنفسه من مريوط الى الاسكندرية ، ولكن الخديو تمكن من ايقاف القطار بصعوبة .

وبالرغم من ان حركة المطالبة بالدستور لم تسفر عن اعلانه بسـل زادت من تقرب الخديو لقصر الدويارة فانها غرست فى نفوس المصريين التعلق بالحكم الدستورى والكراهية للحكم الاستبدادى<sup>(٥٧)</sup> كما انها زادت من متاعب رجال البوليس فى حفظ النظام فى شوارع القاهرة<sup>(٥٨)</sup> مما سبب تلقا لسلطات الاحتلال .

وبالرغم من احساس فريد بخطورة التصدى للخديو والانجليز معا فانه لم يجد بدا من التصدى لهما دون أن يبالى بغضبهما

أو تحالفها ضده فانتقد زيارات جورست المستمرة لقصر عابدين ، وأعلن عن تخوفه من النتائج السلبية التي تعود على الحركة الوطنية من جراء توثيق العلاقات بين الخديو والمعتمد البريطاني وكتب مقالات في اللواء تحت عنوان « ماذا يقولون » بدأ أولها في ١١ أبريل ١٩٠٨ وفيها عرض بالخديو وسياسته وذكره بمواقفه السابقة من الانتصار للحركة الوطنية والدستور<sup>(٥٩)</sup> كما فتح باب المناقشة في سياسة الوفاق يضاف الى ذلك أنه سافر الى فرنسا في مايو ١٩٠٨ للدفاع عن القضية المصرية والتقى ببعض رجال السياسة والقلم هناك كما سافر الى إنجلترا ، وقابل المستر بلنت وبعض أعضاء البرلمان الإنجليزي<sup>(٦٠)</sup> وهناك طالب بالجلء وإعادة الدستور ، وأوضح أن الحركة الوطنية لم تبت بوفاة مصطفى لأنها لم تكن قائمة على أشخاص بل لها أسس وجذور في داخل الشعب المصري ، ومهما تغيرت الأشخاص فالمبدأ ثابت لا يتغير وهو جلء الانجليز عن مصر .

ولما حاول بعض النواب الانجليز اقناع فريد بالتخلي عن مطلب الجلء في سبيل بحث اعطاء مصر الدستور ، رفض ذلك الطلاب بشدة وأوضح أنه لا مساومة في موضوع جلء المحتلين عن مصر<sup>(٦١)</sup> .

وقد تضايق الخديو من محاولات فريد افساد سياسة الوفاق فحاول ابعاده عن الاتصال بالجماهير وتخريب الندوات السياسية التي يقيمها الحزب الوطنى فعندما سافر فريد الى الزقازيق مع بعض رجال الحزب لالقاء خطبة بمناسبة دخول انجليز مصر تصدى لهم انصار الخديو بالمحطة وحاولوا منع الاحتفال ، ولكن لم يتحقق مسعاهم .

وقد جاهر الخديو بعدائه لفريد بعد أن فشل في احتوائه فزماه وانصاره بالتسرع في حديث له مع مكاتب جريدة الطمان الباريسية فقال « لقد اشتغلت دائما في ترقية بلادى وتقدمها في الحضارة ، ولكن للأسف وجد قوم متسرعون جدا اخروا تقدمها الطبيعى بالحقهم نسي مطالب سابقة لأوانها ومصحوبة بالضوضاء » وعرج في حديثه على الاحتلال وجورست فقال « ولى وطيد الأمل في القيام بمهمتنا بمساعدة البلد الذى يؤيد مصر تأييدا عظيما في رفع شأنها وتدينها ، وان وجود مثل هذا البلد السير الدون جورست بيننا يعتبر وثيقة لنا لتحقيق ذلك »<sup>(٦٢)</sup> .

وقد رد فريد على ذلك بمقالتين تحدث فيهما عن خطر سياسة الوفاق على القضية المصرية وانتقد الخديو له بالتسرع .

وعلى كل حال فانه يتضح من أحاديث الخديو انتقاده للسياسة العدائية التى كان يجرى عليها الحزب الوطنى ضد الانجليز وتبسمكه بسياسة الوفاق التى سار عليها جورست .

ولم تقتصر المضايقات الموجهة الى فريد على الخديو والمحتلين فحسب بل شاركهم فى ذلك على فهمى كامل وبعض المنشقين على سياسة فريد ، فقد عمل على فهمى كامل على تعطيل جريدة اللواء لاحراج مركز فريد فحرض عمال الجريدة على الاضراب عن العمل فى نوفمبر ١٩٠٨ حتى تتحقق مطالبهم ، ولما لم ينجحوا فى مسعاهم فى تعطيل الجريدة أو السيطرة عليها قاموا بانشاء جريدة مصر الفتاة لتعبر عن آرائهم وتنتقد سياسة فريد وتحارب اللواء ، ومع كل ذلك فقد تذرع فريد بالصبر ودعا كافة أعضاء الحزب الى ضرورة لم الشمل والتضامن لمجابهة الدسائس التى تحاك ضد الحزب .

وقد تدفعنا مضايقات على فهمى كامل لحجد فريد الى التساؤل عن سبب الخلاف الاساسى بينهما .

الواقع ان الخلاف كان يكن فى علاقة كل منهما بالخديو ففريد كان يمثل التيار المتشدد تجاه الخديو بينما على فهمى كامل كان يتمسك ببدا الموالاة الشديدة له يضاف الى ذلك ان على فهمى كامل كان يعتبر انه احق من فريد برئاسة الحزب الوطنى ، وان فريدا اختلسها منه لذلك كان يحاربه فى الباطن بينما يظهر له الود كما ان حب على فهمى كامل الشديد للمال جعل من السهل على الخديو اجتذابه الى صفه ضد محمد فريد ومحاولة اظهاره بمظهر عدم القدرة على ادارة الحزب وصفايته .

ورغم كل هذه العقبات التى اعترضت فريد فقد سار فى برنامجه الوطنى لتحقيق الجلاء والدستور ، ومن اجل ذلك عمل فريد على تعليم الشباب حتى يتعرف على حقوقه وواجباته فطالب بنشر التعليم الابتدائى

بين جميع طبقاته فقيرها وغنيها ، وأن يكون هذا التعميم الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية حتى يشب التلاميذ على حب المساواة ، ويعرفون منذ نعومة اظفارهم الا تفاوت بين الناس الا بخدمة الوطن كما تبني فريد مع نادى المدارس العليا فكرة انشاء مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا ، وقد عرفت هذه المدارس باسم مدارس الشعب ، وبدأت الدراسة بأولها وهى مدرسة بولاق فى نوفمبر ١٩٠٨ وعهد بالتدريس فيها الى رجال الحزب الوطنى وانصاره فكان المحامى والطبيب والمهندس وغيرهم يخصصون من أوقاتهم ساعة أو أكثر كل مساء يقفون فيها فى حجرة ضيقة خشنة يعلمون الفقراء مبادئ القراءة والكتابة ، وجغرافية بلادهم وتاريخها وقوانين المعاملات اليومية والأخلاق والآداب وغير ذلك من العلوم ، ومن داخل هذه المدارس نبتت بذور فكرة انشاء نقابة الصنائع اليدوية من أجل حماية العامل والفلاح من الفقر ، ومساعدته عند الشيخوخة ، ورغم أهمية هذه المدارس فى القضاء على الجهل والامية فإن الحزب الوطنى اقتصر على افتتاحها فى القاهرة ولم يكن للاتقاليم منها نصيب .

وقد دعا فريد الى وضع التشريعات لحماية العمال والعناية بشئونهم وتحديد ساعات العمل بالنسبة لهم ، وتحريم اشتغال الأطفال الذين تقل أعمارهم عن تسع سنوات فى محالج القطن ، وتحريم عملهم فى كافة المصانع ليلا ، كما عنى بتأسيس النقابات للدفاع عن حقوق العمال والمطالبة بترقية أحوالهم المادية والمعنوية فانشئت ببولاق عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال فى مصر باسم نقابة عمال الصنائع اليدوية ، كما دعا الى ايجاد النقابات الزراعية لتتف ضد الظلم الفادح الذى يتعرض له الفلاح من الحكومة والملاك والمرايين كما طائب بتخفيف الضرائب عن الأتليان ، وتحسين حالة الفلاح المسكين الذى يعمل هو وزوجته وأولاده ورغم ذلك لا يحصلون الا على القوت الضرورى .

وقد سرت فكرة تأسيس النقابات فى عاصم الأقاليم فانشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على غرار نقابة القاهرة .

ونتيجة لدعوة فريد بالاهتمام بالعمال والفلاحين ذكر البعض أن الحزب الوطنى أيام فريد كانت به لمسات اشتراكية ، ولكن الواضح أن مخطط الحزب الوطنى كان يفتقر الى مثل هذه اللمسات الحقيقية لأنه لم يقدم على سبيل المثال منهجا عمليا للاسهام فى حل مشاكل الشعب الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يتعد دفاعه عن العمال والفلاحين الخلب والمقالات بهدف جذبهم اليه وبث روح النضال الوطنى فيهم ، وتنظيمهم ليكونوا ركيزة للعمل الوطنى الى جانب المثقفين من أبناء الطبقة المتوسطة ولم يقتصر دور فريد الوطنى فى الكفاح على ذلك بل شجع على تأسيس جمعيات للطلاب المصريين الذين يدرسون فى الخارج بهدف الدفاع عن قضية استقلال مصر<sup>(١٣)</sup> ثم عقد المؤتمرات فى أوروبا لشرح حقيقة القضية المصرية يضاف الى ذلك الاشتراك فى المؤتمرات التى تعقد فى أوروبا لاثهار حقوق الشعوب المغتصبة بهدف تكوين رأى عام ينصر القضية المصرية .

وفى محاولة للحد من نشاط فريد الثورى والقضاء على الروح الوطنية قامت حكومة بطرس غالى بتقييد حركة الصحافة فأعادت نى مارس ١٩٠٩ العمل بقانون الصحافة القديم الصادر فى نوفمبر ١٨٨١ والذي يخلو لوزارة الداخلية حق انذار الصحف وتعطيلها مؤقتا او نهائيا دون محاكمة او دفاع ، كانت حجة الوزارة فى ذلك هو ردع الجرائد التى تتجاوزت الحدود ، ووقف الفوضى التى تتعرض لها البلاد .

وقد احتج الحزب الوطنى على اعادة هذا القانون الذى يكبح أمواه الوطنيين وظهر ذلك واضحا فى المظاهرات التى قامت نى القاهرة احتجاجا على تقييد حرية الصحافة ، وفى برقيات الاحتجاج التى ارسلت الى الخديو والوزراء وعلى كل حال فقد حوكم الشيخ جاويش بمقتضى هذا القانون لنشره مقالا باللواء تحت عنوان « ذكرى دنشواى » اعتبرته النيابة طعنا فى حق بطرس غالى رئيس المحكمة المختصة التى حاكمت المتهمين ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة شهور ، كما ائذرت جريدة اللواء لنشرها مقالا عن شاب هندى يدعى (دنجرا) عذتها تحريضا على ارتكاب انجرائم والاخلاق بالامن والنظام كما اعمت الحكومة فى عدوانها على شخصيات الحرية الشخصية فاصدرت

ما يعرف بقانون النفي الإداري وبمقتضاه يكون الحق للحكومة أن تنفى الأشخاص الذين تسمى فيهم خطورة على الأمن العام ولم تقتصر جهود الحكومة البطرسية على الامتثالات على حقوق الأفراد بل حاولت أيضا الامتثالات على حقوق الأمة بمد فترة امتياز قناة السويس الذي كان ينتهى العمل به عام ١٩٦٨ أربعين عاما أخرى في نظير مبلغ أربعة ملايين سن الجنيهاً تدفعها انشركة لها ، ورغم أن هذا المشروع قد ظل في طي الكتمان حوالى سنة فان محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة المشروع في أكتوبر ١٩٠٩ ونشرها في جريدة اللواء موضحا مدى الغبن الذى ستعرض له مصر من ورائه وكان ذلك بمثابة صيحة الخطر فاهتمت الأمة بطوائفها وصحافتها بهذا الموضوع فראت الاحزاب ضرورة الانشقاق على طريقة واحدة (٦٤) كما طابيت الصحافة بعرض المشروع على الجمعية العمومية قبيل البت فيه ونظرا لخطورة المسألة اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى في ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩ وهاجمت قيمة المشروع السياسية والمالية ، وطابيت الحكومة بأخذ رأى الأمة قبل تنفيذ المشروع (٦٥) كما أرسلت البرقيات الجماعية الى الخديو رغب فيها اصحابها تجديد امتياز القناة ، وطالبوا بعرض الموضوع على الجمعية العمومية (٦٦) .

ونظرا لما آلت اليه البلاد من الغليان حاول الخديو اقناع جورست بعرض المشروع على الجمعية العمومية ومع أن جورست لم يعترض على ذلك الا أنه اشترط أن توافق الحكومة على المشروع أولا ثم تترك امر تنفيذه لموافقة الجمعية العمومية (٦٧) على أن يدافع سعد زغلول عن المشروع امامها ونتيجة لذلك قامت الوزارة بدعوة الجمعية العمومية للانعقاد لاحالة المشروع عليها .

ولكى تتضح مخاطر المشروع أمام الرأى العام قام فريد بتوضيح ابعاده السياسية فقال « كيف يجوز لهذه الحكومة أن تتساهل فى أمر اطالة أمد هذه الشركة مع علمها أن هذه القناة كانت السبب فى ضياع استقلال مصر ، وأن كل مصرى يتوق لأن يراها ملكا لمصر » كما طالب فريد بحفظ مرافق الأمة فى أيدي ابنائها ، وهاجم تملك مرافق البلاد الى الشركات الانجليزية ، وناشد اعضاء الجمعية العمومية الاستقلال

فى الفكر والشجاعة الأدبية لأن مصالح الأمة فوق كل شىء كما دعا  
الحزب الوطنى الى القيام بمظاهرة وطنية عند اجتماع الجمعية العمومية  
للمناداة برفض المشروع .

وعندما افتتحت جلسات الجمعية العمومية برئاسة الأمير حسين  
كامل فى ٩ فبراير ١٩٠٩. لمناقشة هذا الموضوع حاولت الحكومة استمالة  
الشدة مع الاعضاء لى يوافقوا على المشروع فقد كان بطرس غالى  
يعتقد أن المشروع نافع للبلاد كما كان الأمير حسين كامل يؤيد المشروع (٦٨)  
ولكن الاعضاء اصروا على رفضه ، وفى ١٠ فبراير شكلت لجنة مكونة  
من خمسة عشر عضوا لدراسة المشروع وكتابة تقرير عنه ، وقد انتهت  
اللجنة الى عدة قرارات أهمها .

عدم قبول مشروع الاتفاق المعروض على الجمعية لانه ليس فى  
صالح البلاد بل يعد غيبا فاحشاعلى مصر ، ونظرا للمعارضة الشديدة  
للمشروع فى الجمعية العمومية لم يجد الأمير حسين كامل بدا من الاستقالة  
من رئاسة جلسات الجمعية خصوصا بعد أن فشل فى تحويل دفة المناقشات  
لصالح الحكومة .

واستمرت المناقشات فى الجمعية العمومية ، وفى النهاية تقرر  
رفض المشروع بأغلبية الآراء ، فكانت هذه المرة الأولى التى استطاعت  
فيها الجمعية العمومية نرض رأيها على الحكومة .

وهكذا نجح ضغط الراى العام المصرى فى اجبار الانجليز والوزارة  
على العدول عن مشروع له مساس كبير بالاقتصاد المصرى مما اطلق  
مضاجع الانجليز والحكومة فبدأوا فى تحيين الفرص لارهاب زعماء الحركة  
الوطنية ، ومهدت لذلك جريدة المقطم باتهامها لرجال الحزب الوطنى  
بالثورية المتطرفة التى تحتزن السلاح وتتحين الفرصة للقيام بثورة تطيح  
بالنظام القائم (٦٩) .

ونتيجة للارهاب السياسى الذى تعرض له زعماء الحزب الوطنى  
وانصاره تحولت سياسة الحزب الى تشجيع الافكار الارهابية (٧٠) وتدعيم

التنظيمات السرية ، كما أبرزت اللواء أساليب الكفاح الثورى فى الهند ،  
وأشادت بدور الطلاب الهنود فى مقاومة الاستعمار البريطانى (٧١) .

ويبدو أن فريدا قد شجع على أسلوب العنف الثورى فتألفت تحت  
رعايته جمعيات فى البلدان الأوربية التى بها طلاب مصريون للدعاية  
للقضية المصرية ، وقد استطاع هؤلاء الشبان أن يثيروا قضية مصر فى  
البلدان التى يقيمون فيها ، ومن خلال هؤلاء تكونت الجمعيات السرية ،  
وتدرب الطلاب على استعمال الأسلحة والمفرقات لتخليص بلادهم بالقوة ،  
وكان فريد يزورهم وقد أهدى اليهم فى إحدى هذه الزيارات مسدسات ،  
كما كان إبراهيم السوردانى وشفيق منصور يزوران هؤلاء الطلاب  
لتجديد العهد معهم كل عام (٧٢) .

ومع ازدياد نشاط هذه الجمعيات السرية الذى صحبه ازدياد فى  
شعبية الحزب الوطنى توقع البعض أنه كان من الممكن حدوث ثورة  
مسلحة فى البلاد ، ولكنها لم تحدث أمام سياسة الاضطهاد التى اتبعتها  
الانجليز والحكومة ضد الحزب الوطنى (٧٣) .

وعلى كل حال فقد ظل فريد متمسكا باستقلاله عن الخديو مما  
جعل العداء مستحكما بينهما حتى وصل الأمر بفريد أن رغب فى الوقوف  
إثناء عزف السلام الخديو فى حفل لرعاية الأبطال بدار الأوبرا مما استرعى  
انظار الحاضرين ، وأحدث ضجة فى داخل السراى ، ولما خاطب حسين  
رشدى محمد فريد فى هذا الشأن أجابه بأنه ليس هناك قانون يحتم عليه  
الوقوف ، وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان محمد فريد حربا عداوية  
ضد الخديو وخروجاً على التقاليد المرعية (٧٤) .

ولتمكن قبضة الحكومة من السيطرة على الموقف قام رجال البوليس  
السياسى بمراقبة أعضاء الحزب الوطنى ، وكتابة التقارير اليومية  
عن أحوال البلاد ، وذلك بناء على طلب اللورد كتشنر (٧٥) الذى أراد  
تصفية العناصر الوطنية ذات الميول المتطرفة عن طريق تعريضهم  
للمحاكمات والارهاب وشتى ضروب الاضطهاد .

ونتيجة لاغتيال بطرس غالى امعنت الحكومة فى محاربة الحركة



الوطنية فصدرت ثلاثة قوانين تعطى الصفة القانونية للحكومة و تصرفاتها المطلقة تجاه الصحافة والمطبوعات ، ومظاهرات طلاب المدارس ، وتعديل قانون العقوبات ، وقد استهدفت الحكومة من هذه القوانين التكيل برجال الحزب الوطنى وهذا ما حدث فعلا فقدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد فى أغسطس ١٩١٠ الى المحاكمة بتهمة كتابة مقدمة لكتاب وطنيتى الذى أنه الشيخ على الغاياتى وتضمن التنديد بالظلم وبحكم الفرد ، فقد تحدثت الغاياتى عن استسلام ملك فرنسا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمه وزوجته المرسمة المستبدة مارى انطوانيت التى كانت تحتقر الشعب الفرنسى ، كما بين هذا الكتاب ان ارادة الشعب كانت دائما فوق كل ارادة ، وان الويل دائما يلحق بالحكومات اذا غضبت عليها الشعوب<sup>(٧٦)</sup> .

كما تضمن هذا الكتاب تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرائه فكتب على الغاياتى يقول « يأخذ الحاكم المستبد أموال الأمة باحدى يديه ، ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى فهو يجبرها ليشبع ويفقرها ليفنى ، ويذلها ليعتز ثم يسد فى وجهها مناهل العلم لتنفس أممه مناهج الظلم » ثم هدد الحكام الظالمين بقوله « لكن يوم الظالمين يوم عصيب . هنالك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدير دفعة الحكم بيدها »<sup>(٧٧)</sup> .

ومع أن جميع القصائد التى احتواها الكتاب كان قد سبق للصحف نشرها فقد نهت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالكتاب فأمرت بمصادرته ووجهت تهمة التحريض على جريمة القتل السياسى والعيب فى حق الذات الخديوية ، والحض على كراهية الحكومة<sup>(٧٨)</sup> الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى ، ولما كان محمد فريد فى أوروبا فى ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية بمؤتمر السلام باستوكهولم فقد أجلت محاكمته لحين عودته بينسا حكم على الشيخ الغاياتى غيابيا ( وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الإسكندرية ) بالسجن لمدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالسجن ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفاً من الحكم عليه ، فإنه نفى هذه الشائعة وهو في أوروبا وعاد الى مصر بعد أن كتبت كبرى بناته الآنسة فريدة خطاباً تذكر له فيه الشائعات وتطلب منه العودة الى بلاده بقولها « ولنرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش فذلك أشرف من أن يقال انكم هربتم وما تحلتم الهوان في سبيل وطنكم وباسم الوطنية والحرية التي تضحون بكل عزيز في سبيل نصرتها أن تعودوا وتحملوا آلام السجن <sup>(٧٩)</sup> .

وعاد فريد الى مصر بعد أن جاهد في أوروبا في سبيل الدفاع عن قضيتها ، وبدأت النيابة التحقيق معه في ٤ يناير ١٩١١ وقد تولى استجوابه محمد توفيق نسيم ، ونظرت القضية أمام محكمة الجنايات بالقاهرة في ٢٣ يناير ١٩١١ ، وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمدة ستة شهور مع النفاذ ، فقابلت الأمة من كبيرها الى صغيرها هذا الحكم بالاستياء الشديد .

وعند مراجعتنا للمقدمة التي كتبها محمد فريد لكتاب الشيخ الغاياتي وهي بعنوان « تأثير الشعر في تربية الأمم » والتي حكم عليه بسببها بالسجن ستة أشهر نجد أنها لا تمثل أى مسئولية قانونية فقد تحدث فريد عن اثر الشعر في ايقاظ الأمم من سباتها ، وهاجم استبداد حكومة الفرد لامانتها للشعر الحساسى دون أن يذكر اسم هذه الحكومة ودعا الشعراء الى عدم تلقى الامراء والتقرب من الوزراء لأن « الحكام زائلون والامة باقية » <sup>(٨٠)</sup> . وهذا التعبير ربما لا يختلف فيه اثنان .

ويبقى لنا أن نتساءل لماذا حكم على فريد بستة شهور وحكم على الشيخ جاويش بثلاثة مع أن التهمة الموجهة اليهما واحدة .

والواقع ان محاولة الحكومة التكيل بفريد وارهابه حتى يعدل عن موقفه العدائى من الاحتلال كانت السبب وراء هذا الحكم الذى لا يتناسب مع التهمة الموجهة اليه فمسئولية فريد في نظر لحكومة لا تتف عند المقدمة التى كتبها لكتاب وطنيتى بل ترجع الى خططه المناوئة لها ، والى مبادئه التى نشرها والى خطبه التى أثرت في نفوس الكثيرين وقد

يسأل البعض أن القضاء وليس الحكومة هو الذى حكم على فريد بذلك. الحكم الجائر اقول ان احالة الحكومة لجنح الصحافة الى محكمة الجنايات مع حرمان المتهم من الضمانات ربما تكون هى التى ادت الى مثل هذا! الحكم الجائر .

وعلى كل حال فانه بعد صدور الحكم على فريد تم عمل استفتاء فى جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القانون عن السبب فى الحكم على فريد بستة شهور بينما حكم على الشيخ جاويش بثلاثة شهور مع ان التهمة واحدة فكانت الحجة ان فريد يعرف القانون اكثر من الشيخ جاويش .

ولقد تلقى فريد الحكم برباطة جأش ودخل السجن ، وهناك بدأت مساومته فوعده بعض انصار الاحتلال والخديو بالعفو عنه اذا وعد بتغيير خطته فرفض بكل شمم وقضى مدة الحبس فى سجن الاستئناف بسبب الخلق صابرا ثابتاً<sup>(٨١)</sup> وبعد خروجه من السجن كتب مقالا عنوانه من سجن الى سجن عبر فيه عن شعوره وهو فى السجن عند خروجه منه فقال « مضى على ستة أشهر فى غيابات السجن ، ولم استشعر أبداً بالضيق الا عند اقتراب أجل خروجى لعلمى انى خارج الى سجن آخر هو سجن الامة المصرية الذى تحده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال » . كما أعلن فريد أن حبسه لم يؤثر فى نمو الحزب الوطنى وانتشاره ومبادئه بين طبقات الشعب .

وهكذا كان مسلك فريد قبل وبعد دخوله السجن تشريفاً للوطنية المصرية ، ومثلاً ينير طريق المجاهدين ، فرغم أنه سليل الاغنياء والامراء فقد دخل السجن وتحمل مشاقه ، ولم يقبل مساومة الخديو وانصاره ، وخرج من السجن وهو اقوى صلابة .

والجدير بالذكر أنه فى اثناء سجن فريد تصدعت سياسة الوفاق وبوفاة المعتمد البريطانى جورست فى ١٢ يولية ١٩١١ وتعيين كتشنر الذى لم يكن من انصار سياسة الوفاق ونتيجة لذلك سعى الخديو الى الحزب الوطنى ليعمل من موقفه حياله ، ولكن فريدا رفض أن يجعل للحزب اية صلة به ، ورغم الاضطهاد الذى تعرضت له جرائد الحزب خصوصاً صدور

الأوامر بغلقها بحجة سلوكها المناوئ للحكومة فقد كان فريد يتغلب على ذلك بإصدار صحيفة أخرى في نفس اليوم الذى ينتقرر فيه غلق صحيفة الحزب تحت اسم آخر فأصدر الحزب الوطنى جريدة انشعب بعد أن أغلقت السلطات جريدة العلم ، كما استأنف فريد نشاطه فى أوروبا وتركيا دفاعا القضية المصرية .

وعندما التى فريد خطابه السنوى فى الجمعية العمومية للحزب الوطنى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ندد فيه باقتراح اللورد كتشنر انشاء صندوق توفير للزراع ، وطالب أن يكون ذلك بأيدى صراى البلاد كما طالب بالدستور وانتهى حديثه بقوله « اللهم طهر قلوبنا من ادراء النفاق ونق انثدتنا من جرائم الخنوع والاستسلام حتى ندرک أن لنسا كرامة تجب المحافظة عليها ، ووطننا يجب الدفاع عنه بالانفس والأموال وحقا فى الحرية تجب المطالبة به » .

ومع أن هذه الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطاب فريد السابقة فإن الحكومة التى كانت تقربص به رأت أن القاء فريد فى السجن يحد من نشاطه الوطنى ، ويرهب باقى الوطنيين لذلك أرسلت له اخطارا على يد ضابط بوليس يتضمن استدعاءه الى النيابة لاستجوابه عما ورد بخطبته ، ولما أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر فى مغادرة البلاد الى الخارج وقد أوضح ذلك فى مذكرة بقوله « ومن هذه اللحظة صميت على ترك مصر » (٨٢) .

ولما كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطنى للبلاد له خطورته فى التأثير على الحزب فقد استشار فريد أعضاء اللجنة الخاصة بمناقشة المسائل المهمة فى الحزب ، وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضان وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا قد شكلناها للداولة فى مسائل الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية ، وفى صباح يوم الاثنين نزلت بالقطار من محطة الحليمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون وقصدت منزل الدكتور صادق وأخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر فوافق واتفنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحليمية الجديدة بعد الاستجواب » .

وذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لببيب حسب الاتفاق ، وهناك قص على زملائه ما دار في التحقيق فقررُوا بالاجماع ضرورة مغادرته للبلاد<sup>(٨٣)</sup> .

وقد اوضح فريد الطريقة التى غادر بها ارض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا ان الوابور الروسى « الملكة اوجا » يسافر الى الاسكندنة وبيريه فى يوم الثلاثاء فقررنا السفر بالكيفية الآتية وهى ان اسماعيل لببيب يقطع تذكرة لنفسه للاسكندنة وانا مسافر من مصر يوم الثلاثاء باكسبريس الصباح الساعة السابعة كائى مسافر الى الاسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة ثم ارافقه الى الوابور فان ضبطت او تعرف البوليس على اقول بانى حاجز اوداعه وبها انى ساكون بمفردى بلا شئط او ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لاحد ان يظن بانى مسافر .

ومع ان الوقت كان ضيقا امام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع فى العمل لان الحكومة كانت جادة فى استصدار امر بالقبض عليه فان امرا هابا كان يشغل باله وهو الطريقة التى يمكنه عن طريقها ابلاغ زوجته بما اعتزم عليه فقد حرص على عدم ازعاجها ، ولكنه لم ير بدا من ان يفضى اليها بالامر فانهمها بضرورة سفره واوصاها بالصبر والجلد وطلب منها ان لا تخبر اولاده ولا احدا من أسرته بما اعتزم عليه حتى لا ينزعجوا .

وفى صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطار فقابله كثيرون من اخوانه واصدقائه فاعبرهم انه ذاهب الى الاسكندرية للترافع فى قضية بالمحكمة المختلطة ، وقد رافقه فى القطار اسماعيل لببيب وتغذيا بالاسكندرية ثم قصدا الباهرة الروسية المزمع ركوبها ، وكان اسماعيل لببيب قد اشترى لنفسه تذكرة السفر اما محمد فريد فقد ركب بدون تذكرة حتى لا يعرف احد عزمه على السفر فيحجزوه<sup>(٨٤)</sup> .

واحتجب فريد فى محل الادب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش الباهرة فلم يلحظ احد وجوده<sup>(٨٥)</sup> وبعد تحرك الباهرة دفع فريد ثمن

التذكرة معتذرا بأنه لم يجد الوقت الكافى لادائه فى مكتب انشركة  
بالاسكندرية<sup>(٨٦)</sup> .

وعلى كل حال فقد خرج فريد من مصر واختلف الكتاب والباحثون  
حول طبيعة هذا التصرف فمنهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئا لأن مكان  
المناسل يجب أن يكون فى أرض المعركة لا فى خارجها وأن خروجه من مصر  
قد عزل قيادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتها من مركز اشعاع  
الى الآستانة ودول اوربا ، وأنه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به  
ومنح التأييد لحزبه ما لم يمنحه لى حزب آخر وكان يجب عليه الا يترك مصر  
لأنها مركز الجهاد الحقيقى وأن دخوله السجن غيسه تعبئة للرأى العام  
وايتاظها لهمم الناس ، وشحذا لوطنيته<sup>(٨٧)</sup> وأنه كان من الممكن الافراج  
عنه بقوة الضغط الشعبى .

ومن الكتاب والباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كان تصرفا  
صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة شل حركته وإبقاؤه رهن السجن بواسطة  
سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث اذا خرج من سجنه تدبر له تهمة  
جديدة يدخل بسببها السجن ثانية كما أن خروج فريد من مصر سيتيح له  
متابعة جهاده فى الخارج ويمكنه من أن يسمع العالم صوت مصر ، ويدافع  
عن قضيتها فى عالم الحرية حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى نههم  
واضح لأبعاد القضية المصرية ، كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت  
فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر<sup>(٨٨)</sup> .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة امرأة  
فرنسية كان يحبها وهى « دى روشبرون » .

ومن وجهة نظرنا فإن نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج رغم أنه  
يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتاليا للرأى العام الأوربى على الانجليز  
فانه قد أضر بالحركة الوطنية فى الداخل ، واصاب حركة الانبعاث الثورى  
بالانكماش والعنف لأن مكان الزعيم لابد أن يكون فى قلب المعركة لا فى خارجها  
جهما كانت ضراوة المؤامرات أو قسوة الاضطهاد .

وعلى كل حال فقد تابع فريد جهاده في الخارج وكان اول عمل بارز هناك هو حضوره مؤتمر السلام في جنيف في ٢٢ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجلء الانجليز عن مصر ، واقناع اعضاء المؤتمر بأن الجلاء عن مصر هو خدمة للسلام العالمى ، وقد اقر المؤتمر بوجوب الجلاء عن مصر وعدم مشروعية الاحتلال .

والجدير بالذكر انه بعد خروج فريد من مصر سادها جو من الارهاب وكثرة الوشائيات ، واستهدف الوطنيون لشتى ضروب الاضطهاد فأخذت الحكومة في مطاردة الحركة الوطنية وضرب نطاق من التجسس حولها كما انها أخذت تراقب تحركات فريد بأوربا فأرسلت محمد بدر رئيس قلم الضبط بوزارة الداخلية لراقبته ، خصوصا وانها كانت تخشى تأثيره على الطلبة المصريين في أوربا<sup>(٨٩)</sup> .

وكان طبيعيا بعد هجرة فريد من مصر وماتبه من هجرة العشرات من قادة الحزب الوطنى أن تبذدت جهود الحركة الوطنية فتوقفت حركة انشاء النقابات ومدارس الشعب ، وانقسمت اللجنة الادارية للحزب على نفسها . فقد زاول الحزب نشاطه في مصر دون قيادة مباشرة مما ادى الى تدهور احواله ويتضح ذلك جليا من الرسالة التى بعث بها أحمد وفيق أحمد اعضاء الحزب الى فريد اذ يقول فيها « أما نوم الحزب من بعد سبتمبر ١٩١٢ ... فقد كان عميقا فاذا سمحت لى أن اقول أن النوم ابتداء بعد مشاركتكم لهذه البلاد التعمسة ، وانى اقسم لك انى لو كنت أعرف أن مصر حركتنا سيكون كذلك بعد هجرتكم لكنك اول من التى القبض عليك<sup>(٩٠)</sup> .

وقد صار الحزب يتدهور من سوء الى اسوأ فقد بيعت ائتمنة نادى الحزب الوطنى بالمزاد العلنى في ٢٢ مايو ١٩١٣ وفاء للديون المستحقة على ايجار المبنى ، وبدا أن الحزب قد صفى ، ولم تبق الا جريدة الشعب التى كان محرروها لا يبحثون الا عما يسد رمقتهم<sup>(٩١)</sup> .

ويبدو أن فريدا قد شعربفداحة خطأ خروجه من مصر ففكر في العودة اليها ، وطلب من مدام روشبرون السعى له لدى كتشنر والحكومة المصرية للسماح له بالعودة الى مصر<sup>(٩٢)</sup> ولكنها لم توفق في مساعها .

وفي الوقت الذي كان فيه فريد في منفاه بأوربا يدافع عن القضية المصرية دبر بعض عملاء الخديو من اللجنة الادارية للحزب الوطني مؤامرة لاقصائه عن رئاسة الحزب بعد هجومه العنيف على الخديو في الصحف الاوربية واتهامه بالاتفاق مع بريطانيا على اعلان الحماية على مصر وفصلها عن الدولة العثمانية في مقابل تعيينه خليفة للمسلمين .

ومن أجل هذا الغرض عقدت اللجنة الادارية للحزب اجتماعا استنكرت فيه مقالات فريد ضد الخديو ، وقررت مساعده فيما نسب اليه ولما بلغ فريدا ذلك ارسل برقية الى على فهمي كامل وكيل الحزب يعلن فيها استقالته بشرط عرض هذا الامر على الجمعية العمومية للحزب ، ولكن على فهمي كامل لم يجرؤ على دعوة الجمعية العمومية لبحث استقالة فريد فنشلت المؤامرة<sup>(٩٣)</sup> .

ونتيجة لمحاولات كئشنة المستمرة لسلب حقوق الخديو والغض من شأنه سعى الخديو لاستعادة علاقته بزعماء الحزب الوطني حتى يتمكن من مواجهة تسلط المعتد البريطاني فبدأ اتصالاته بمحمد فريد سرا خشية عيون الاحتلال ، ولكن فريد تشكك في نوايا الخديو ، ورفض ان يجعل للحزب الوطني اية صلة به .

وتعددت المساعي من أجل التوفيق بين فريد والخديو فتقابلت مدام روشيرون مع فريد في محاولة لاقتناعه بالصلح مع الخديو وقد أخبرها فريد بأنه يقبل الصلح بشرط أن يكون الكلام بينه وبين الخديو بدون وسيط<sup>(٩٤)</sup> ولما كان الخديو يخشى أن يصل نبالا مقابلته لفريد الى عيون الاحتلال تأخر اتمام الصلح وارسل الخديو الى فريد أحد أصدقائه منذ عهد الدراسة وهو توفيق بك زاهر القاضى لمفاتحته في موضوع الصلح بينهما ، ولما عرض الأمر على فريد ذكر انه لا يعارض في اتمام الصلح بشرط أن يتصل الخديو برجال الحزب الوطني في مصر ويقبل شروطهم .

واستمر الخديو يبذل محاولاته لجذب فريد الى صفه فأرسل بعض رجاله لهذا الغرض ، وأخيرا وافق فريد على الصلح مع الخديو بشرط أن يوافق الخديو على اعلان الدستور .

وقد تمت المقاتلة بين فريد والخديو في الاستانة حيث تم الصلح



بينهما ووعد الخديو باصدار مرسوم يعلن فيه دستور كما عبر عن ارتياحه للصلح مع فريد الذى وصفه بأنه رجل مبادئ لا يتقير مهما قاسى في سبيل المحافظة على مبادئه ، وتنفيذا لوعده الخديو اصدر منشورا في ١١ نوفمبر ١٩١٤ باعلان الدستور الكامل في مصر<sup>(٩٥)</sup> ولكن قيسام الحرب واعلان الاحكام انعرفية وعزل عباس الثانى حالت جميعا دون تنفيذه .

وكان طبيعيا بعد أن أعلن الانجليز حمايتهم على مصر وتمسكوا باحتلالها أن ينضم فريد الى الجانب المعادى لانجلترا ، وكان عليه أن يستعين بالقوى الدولية المناوئة لهم وبوجه خاص تركيا والمانيا ، ولما اتفقت مصلحة كل من تركيا والمانيا مع مصلحة الحزب الوطنى على ضرورة ارسال حملة عسكرية الى مصر بقصد طرد الانجليز منها تشكك فريد في نوايا الأتراك اذا ما نجحت الحملة مما دفعه الى أن يطالب زعماء الأتراك أن يعلنوا ان هدفهم من الحملة هو استقلال مصر وجعلها ولاية ذات طابع خاص كما أن فريدا كان يتشكك ايضا في نوايا الألمان نحو الوطنية المصرية وعلى كل حال فقد فشلت الحملة التركية على مصر كما حالت الحرب بين فريد ومن بين نشاطه الوطنى في أوروبا ، وذلك لتوقف معظم الصحف عن الصدور ، وصعوبة اتصال الدول ببعضها ، وانشغال الناس بأخبار الحرب يضاف الى ذلك ان الدعم المادى الذى كان يصل الى فريد من مصر قد توقف فقد كان يصله قبيل نشوب الحرب من عائلته مبلغ عشرين جنيها شهريا ، ولكن نشوب الحرب ادى الى انقطاع هذا المبلغ عنه فاشتدت به الضائقة المالية لدرجة انه رهن بعض ثيابه لدى المرابين اليهود في المانيا ، كما كان يقتصد من نفقاته فسكن في غرفة واحدة ، وكان يتغذى بفرنك واحد ثم يأكل غذاءه بكوز من الذرة المشوى وذلك اقتصادا في النفقة<sup>(٩٦)</sup>

كما انه لم يجد العناية الطبية الكافية عند اصابته بمرض الاستسقاء لقلته ثقله ، واشيع انه كان يحتطب لكسب قوت يومه وانه كان يلبس بدلة مرتفعة<sup>(٩٧)</sup> .

وهذا لا يعيب فريدا في شيء ، ولا يخلجنا أن نذكره ففريد الذى ولد كما يولد أبناء الأمراء ، وعاش في بداية حياته كما كان يعيش أبناء

الحكام وصل به الحال كما ذكرنا من أجل مصر ، ومن أجل التمسك بالمبادئ ، وهذا شرف كبير ليس لشريد فحسب بل يعتبر حالة فخار للوطنية المصرية أيضا .

ولما وضعت الحرب أوزارها في نوفمبر ١٩١٨ وعقد الصلح في باريس أرسل محمد فريد تقريرا في ٥ ديسمبر ١٩١٨ الى الرئيس الأمريكى ويلسون يطلب فيه استقلال وادى النيل وضرورة تمثيل مصر في مؤتمر الصلح وقبولها في عصبة الأمم .

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ لاحت على شفتى محمد فريد ذلك الزعيم الغائب عن وطنه وأمه وأهله وزوجته ابتسامة الأمل ، ووجه لأمته من بعيد أعظم تحية لثورتها <sup>(٩٨)</sup> فقال « نشكر الله على هذه النتيجة الحسنة التى دلت على أن ما أنقاه مؤسسوا الحركة الوطنية من البذور فى تلك الأراضى الخصبة قد نبت وترعرع ساقه ثم ازهر وظهرت ثماره <sup>(٩٩)</sup> .

كما أرسل فريد يطلب من مؤتمر الصلح التدخل لتقرير مصر الأمة المصرية والاعتراف باستقلال وادى النيل استقلالا تاما ، ومنع عسف المحتلين بمقدرات الشعب المصرى .

وعندما سافر الوفد المصرى الى باريس برئاسة سعد زغلول لم يتصل احد من اعضاءه بفريد رغم تأييده لهم وكتابه برقية الى سعد يتبنى فيها التوفيق والنجاح للوفد فى مهمته فان سعدا لم يرد عليه ، وقد يرجع ذلك الى سببين :

١ — رغبة سعد فى الا تعرقل مساعى الوفد فى مؤتمر الصلح بسبب انحياز فريد الى جانب الامان خلال الحرب .

٢ — ما بين سعد وفريد من حزازات قديمة ، وان كانت الوطنية الحقنة تجعل الافراد يتركون حزازاتهم جانباً فى مواجهة الاخطار التى يتعرض لها الوطن .

وبعيدا عن الأهل والوطن اشتدت علة المرض بفريد حتى وافته الأجل فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، وكان رجلا الوفد فى باريس فى ذلك الوقت

معرض بعضهم على سعد زغلول السفر الى المانيا لنقل رفات فريد الى مصر وعمل اللازم نحو تكريمه ، ومشاركة الامة في احزانها فكان رد سعد هو رفض طلبهم باصرار بحجة ان اموال الوفد يلزم ان تصرف على القضية المصرية لا على جنازات الافراد .

ولم ينل شرف نقل رفات فريد أحد من رجال الوفد بل نال هذا الشرف الحاج خليل عفيفى أحد التجار بالزقازيق فنقل رفاتة على نفقته الخاصة ، ووصل جثمان فريد الى القاهرة في يونيو ١٩٢٠ (١٠٠) .

وهكذا كانت حياة فريد سلسلة من التضحيات في سبيل مصر فقد احتل الفقر وهو ابن الاثرياء ، وقضى زهرة حياته في سبيل مصر ، وضى بمستقبله من اجلها ، ولم يتحول عن مبادئه بالرغم من التهديد والوعيد ، وكانت آراؤه توضح بعد نظره السياسى وكرهه الناضج في النواحي الاقتصادية والاجتماعية فقد ابتكر اساليب جديدة فى الكناح لم تكن موجودة ايام مصطفى كامل فهدى فروع الحزب فى الاقاليم حتى تزداد شعبيته فى انحاء البلاد ، وطرح افكارا سياسية واجتماعية جديدة فنادى بالعدل الاجتماعى والاهتمام بأحوال العمال والنلاحين ، وحاول الربط بين حركة المثقفين والطبقة العاملة فى مواجهة الاحتلال ، وعمل على انشاء مدارس الشعب الليلية لتعليم العمال بالمجان ، ولم يترك منبرا عاليا الا وارتقاها ولا هيئة داعية لنصرة الشعوب والامم الا وتعاون معها .

وكان فريد أول من ربط حركة الوطنية فى مصر بحركة السلام العالمى فاعتبر ان الجلاء عن مصر خدمة للسلام العالمى كما ربط استقلال مصر بقضية الاشتراكية الدولية بعد ان ارسل لينين رئيس الحكومة الروسية تلغرافا الى دول العالم يطلب فيه تحرير مصر والهند (١٠١) .

يضاف الى ذلك تنظيمه للعمل الوطنى بين الطلبة المصريين فى أوروبا ومع ذلك فالزعماء بشر وكل زعيم عرضة لان يصيب وأن يخطئ فى آرائه وقراراته وفريد كان يفتقر فى زعامته الى المرونة السياسية فقد تظفر الى الخديو بمنظار اسود فى كل الامور ، ولم يستطع ان يستثمر

الجوانب المفيدة منه للحركة الوطنية كما فعل سلفه مصطفى كامل كما انه لم يستطع واد الخلفاء التي نشبت داخل الحزب بل كان تشدده في بعض المواقف يزيد من حدتها لدرجة أن استقال من اللجنة الادارية بعد توليه الرئاسة بعض مؤسسي الحزب مثل أحمد غانق ومحمود أنيس وعمر سلطان وويصا واصف يضاف الى ذلك أن خروجه من مصر ، ونقل مركز الكفاح الى أوروبا كان خطأ فادحا أدى الى عزل الحركة الوطنية عن جماهيرها كما أدى الى انحسار دور الحزب الوطنى فى قيادة الأمة .

وعلى كل حال فان ذلك لم يقتل من تضحيات غريد من أجل مصر ، فهو الذى ضحى بكل ما هو عزيز لدى الانسان ، فجعل حياته فداء لوطنه ، وقضى عمره يزكى روح الوطنية فى البلاد ، وينفخ فى رمادها حتى تأججت نيران ثورة ١٩١٩ .

### الزعامة الوطنية بين مصطفى كامل ومحمد فريد

هذان الزعيمان كل منهما جاء من نبع وكان يمثل طبقة معينة تختلف كل منها عن الأخرى اختلافاً بينا : مصطفى كامل مصرى صميم أجساده من الفلاحين وأبوه نشأ فى بلد كثافة القاب من أعمال مركز طنطا ، وعمل موظفاً صغيراً فى خدمة الحكومة المصرية وربما نجد بين أفراد أسرته من يحملون اسم حفيظة ، وست الدار ، وشلبى ، ونفيسة ، وحسين ، ومحمدين ، ونعناعة ، وخضرة .

أما غريد ابن الذوات فقد نشأ فى بيت عز وجاه وسلطان فجده الأعلى عثمان أفندى قدم الى مصر مع الفتح العثمانى لها ، وتولى أرفع المناصب بها وكان أبوه ناظراً للدائرة السنية ، وكان من بين أفراد أسرته من يعرف التركية ويتحدث بها بطلاقة .

ورغم هذا التباين الطبقي بين هذين الزعيمين ، ورغم أن نشأة فريد العائلية كانت تؤهل للعيش بمنعاه فانه ترك انتباهه الطبقي ، واقتحم ميدان الجهاد ، وتحمل مشاقه ، واتصل بمصطفى كامل وتوثقت الصداقة

بينهما منذ عام ١٨٩٥ حينما التقيا ببباريس ونسقا معا خطط الكفاح من أجل اجلاء المحتلين عن مصر .

والشيء المثير للتساؤل واندھشة هو ان فريد الاستقراطى النشأة والذي كان يمكنه ان يأمر فيطاع انضوى تحت زعامة مصطفى كابل الأصغر منه سنا ، والاقل طبقة رغم ان المجتمع في ذلك الوقت كان يفضل دائما الأكبر سنا باعتباره أكثر خبرة ودراية .

والواقع ان فريد وجد في مصطفى كامل الاخلاص للقضية الوطنية ، ذلك الاخلاص الذى كان ينشده ويبحث عنه بين زملائه فلم يجده الا نادرا ، ومن هنا التقيا معا في الكفاح دون النظر الى الزعامة او المكانة .

وقبل ان نتطرق الى موضوع زعامة كل من مصطفى كامل وفريد للحركة الوطنية المصرية تطرح عدة أسئلة علينا نفسها : هل طبيعة المناخ السياسى والاجتماعى في مصر بعد الاحتلال هو الذى أتاح لزعامة كل من مصطفى كامل وفريد الانبثاق والظهور ؟ وهل ترتبط الزعامة دائما بالمواقف والأزمات التى يتعرض لها الوطن ؟ هل التفيرات التى يحدثها الزعيم تستبد مقوماتها منه أم من البيئة التى يعيش فيها ومن ظروف الأجيال التى انحدر منها ؟

الواقع ان ظروف مصر بعد انكسار العربيين في التل الكبير واستيلاء الانجليز على البلاد ، والجو لفسى الكيب الذى عاش فيه أبناء الوطن هو الذى هيأ المناخ لوجود زعامات من الطبقة المثقفة أمثال مصطفى كابل ومحمد فريد . فالهزيمة العسكرية غيرت من واقع المجتمع المصرى الذى كان على شفا الانهيار ، ومن أجل ذلك انتقلت القيادة الوطنية من طبقة العسكريين أمثال عرابى وزملائه الى طبقة أخرى من طبقات المجتمع المصرى كانت قادرة على امتصاص روح الهزيمة من نفوس أبناء الشعب ، وإدارة طريق الكفاح أمامه وهى طبقة المثقفين المواقف الذى طرا على البلاد فمرض زعامة من نوع معين زعامة تتسق مع ملاسبات وظروف المجتمع المصرى الذى كان في حاجة الى من يرسم له طريق الخلاص ويستطيع التعبير الحقيقى عن آرائه ، وهنا كان المفتاح الرئيسى لقيام زعامة مصطفى كامل ومحمد فريد .

مصطفى كامل كان يمثل جيل ما بعد الثورة العربية ، وهو انجيل للذي حاول أن يتجاوز كل مظاهر الاحباط والكآبة التى حدثت نتيجة للهزيمة ، هذا الجيل كان يتميز بالحس الثقافى والفكرى والقدرة على استيعاب خبرات الماضى وطرح رؤية جديدة تحدد مسار الأمة المهيضة الجناح ، وهكذا تزعم الحركة الوطنية المصرية لأول مرة رجال ينتمون الى الصفوة العلمانية المثقفة التى تمزج بين الفكر السلفى وانفكر الليبرالى ، وهذا ما يختلف عن الزعامات المصرية السابقة كعمر مكرم باعتباره من الصفوة الدينية المستتيرة او كاحمد عرابى بصفة احد زعماء العسكريين (١٠٢) .

وهكذا فان دور المجتمع فى تكوين الزعيم يبدو واضحا عند نظرنا الى التطورات الطارئة التى لحقت به ، وجعلته فى حاجة الى زعامة معينة تلعب دورها وهى متأثرة بالظروف التى يمر بها هذا المجتمع يضاف الى ذلك أن ظروف المجتمع هى التى تحدد الطريق للزعيم حتى يصبح عنصرا مؤثرا فيه تارة ومتأثرا به تارة اخرى فانزعيم الحق هو الذى يعنى بثاقب نظره ما يعانى به مجتمعه ، ويعرف المتطلبات التى ترفع عن كاهله هذه المعاناة ويعمل من أجل تحقيقها او يحاول ايجاد الحلول الملائمة لها ، وبعبارة اخرى فان الانسان الذى تتاح له فرصة الزعامة لم يولد زعيما بل أن الظروف والمتغيرات التى يتعرض لها المجتمع هى التى تؤهله لتولى الزعامة وهى التى تتيح الفرصة لابرار قدراته اذ كانت لديه الاستعدادات اللازمة لذلك . ومن هنا يكون الزعيم هو الشخصية التى يتجه او يتطلع اليها الوطن لحاجته الماسة لها او لشعوره بان هذه الشخصية هى التى تحقق امانيه (١٠٣) ، وقد وجد الشعب المصرى فى مصطفى كامل الزعيم الشاب الذى يستطيع انتشاله من وهدة الهزيمة ومن براثن الذل والهوان الذى تعرض له ، ونظرا لأن النفوس كانت متعطشة الى نغمة جديدة تجدد فيها الامل بحياة حرة كريمة بعد ان عسرب اليأس اليها . لذلك اعتبر الشعب مصطفى كامل رسول الوطنية الذى جاء لتثبيت العزائم بعد ان خارت قواها أو قربت من ذلك ، ومن أجل هذا اقبل عليه بحماس وآزره فى كل مواقفه وتعلق به .

وقد يدفعنا هذا الى ان نتساءل هل كان مصطفى كامل الشخص الوحيد الذى كانت لديه القدرة على تحمل الرسالة بعد انكسار العربيين؟ الواقع انه كان يوجد بين المصريين من يستطيع حمل هذه الرسالة ومن هم اكثر نضجا من مصطفى كامل وتفكيره ، ولكن ما هى متطلبات المجتمع فى الرجل الذى يستطيع ان يتحمل عبء الزعامة فى ذلك الوقت ؟

ان متطلبات المجتمع كانت تنحصر فى شخص لديه الاقدام والشجاعة وحماية الشباب ، شخص يستطيع ازالة آثار اليأس الكريهة التى عشت على المجتمع باتباع أسلوب جديد يشمل حماس الناس ويخاطب شعورهم واحاسيسهم ، وكانت هذه الصفات تنطبق على مصطفى كامل .

مصطفى كامل يختلف عن غيره فى انه كان لديه الاقدام ، كما كانت لديه حمية الشباب الملهية يضاف الى ذلك انه كان لديه أسلوب جديد فى الخطابة ، وهو الأسلوب الوجدانى الذى يخاطب عواطف الناس وقلوبهم قبل ان يخاطب عقولهم هذا الأسلوب الذى يعتمد على الجمل الضخمة التى تثير شعور الجماهير دون روية للوصول الى الغاية التى تنشدها وتنهاها (١٠٤) .

هذا هو الذى فرض مصطفى كامل كزعيم دون غيره لأن الظروف التى كانت تمر بها مصر كانت تتطلب مواصفات زعامته .

وهنا يمكننا ان نتساءل مرة اخرى هل الزعيم المؤسس لاي حركة يكون اقدر من يأتى بعده فى زعامة هذه الحركة أم العكس .

هناك رأى يرى ان الزعيم المؤسس للحركة يكون اكثر دراية وتجربة ومعرفة بحركته من يأتى بعده لأنه هو الذى وضع نواة حركته وعمل على ابرازها ، وهناك رأى آخر يرى ان الزعيم الذى يخلف غيره فى زعامة الحركة يكون اكثر معرفة باخطاء سلفه واكثر دراية بها ولذلك يستطيع تصحيح مسيرة الحركة .

وعلى الرغم من وجهة كل من الرايين فالواضح ان الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة التى تعرض لها الوطن ثم ظروف تكوين الزعيم

هى التى تؤثر فى حركة الزعامة اكثر من اى شئ آخر ، وعلى سبيل المثال فظروف زعامة مصطفى كامل تختلف عن ظروف زعامة محمد فريد ، فمصطفى استفاد من نزاع الخديو مع كرومر وحاول عن طريق ذلك تحقيق بعض الاهداف الوطنية ، كما انه اعتمد على استقلال التناقض بين انجلترا وفرنسا من اجل اجلاء الاحتلال اما فريد فقد جاءت زعامته بعد ان تغيرت كل هذه الظروف فقد تولى الزعامة مع سياسة الوفاق التى اتبعها جورست مع الخديو ، والتى ادت الى ضرب انحرىة الوطنية من كلا الطرفين فكان فريد هدفا لحرب مزدوجة لم يتعرض لها مصطفى كامل كما ان زعامة فريد جاءت بعد وفاق انجلترا وفرنسا لذلك كان من الصعب استقلال التناقض القائم بينهما كما فعل مصطفى كامل فى أول الامر ، ومن هنا اختلفت سياسة محمد فريد عن سياسة سلفه يضاف الى ذلك ان فريدا الزعيم الثانى للحزب الوطنى بدا من حيث انتهى مصطفى كامل ، فالمعروف أن مصطفى كامل لم يضع منهاجا واضحا فى طريقته كفاحه السياسى فقد اعتمد على تناقض مصالح فرنسا وبعض الدول الاربية مع انجلترا من اجل تحقيق الجلاء واثبت الاتفاق الودى انهيار هذا الأساس كما اعتمد مصطفى كامل على الدولة العثمانية والخديو واتضح أن لكل منهما مصالحه الخاصة التى يفضلها عما عداها وانتهى به الامر الى الاعتماد على الراى العام اما فريد فقد اعتمد على الشعب المصرى منذ أن تولى رئاسة الحزب ولم يقتصر اعتماده على المثقفين كما فعل مصطفى كامل بل جذب اليه الكوادر العمالية والفلاحية ثم حاول الربط بينها وبين حركة المثقفين فى مواجهة الاحتلال ، ومد فروع الحزب الى الاقاليم لتزداد شعبيته كما قام بتنظيم الطلبة المصريين فى اوربا .

ومن هنا لا نستطيع أن نقول أن الزعيم الأول افضل ممن يأتى بعده او العكس بل نقول ان ظروف المجتمع هى التى تحدد مسار الزعامة ولما كان لكل زعامة من معلم او مثل أعلى يحتذى به فهل نبقت زعامة مصطفى وفريد من فراغ أم أن كلا منهما تلقى دروس الوطنية من احد زعماء الجيل الذى سبقه وعاصر تجارب النجاح والفشل التى تعرض لها الوطن حتى يستطيعا استيعاب خبرات الماضى .



الواقع ان مصطفى كامل قد تأثر بمبدأ الله النديم خطيب الثورة العربية واستطاع بصحبة هذا التأثير التعرف على حقيقة التيار السياسى فى مصر ، وكيف شوه رجال الاحتلال مبادئ العربيين وخططهم كما نعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا <sup>(١٠٥)</sup> يضاف الى ذلك ان مصطفى كامل كانت صلته وثيقة بعلى باشا مبارك .

اما فريد فقد كان لمعايشته وهو فى سن الرابعة عشر - ولد عام ١٨٦٨ - النكبة انى حلت بالبلاد اثر هزيمة التل الكبير ، وما سمعه عن المآسى التى حدثت لمصر من جراء الاحتلال اكبر الاثر فى تكوين نزعة الوطنية يضاف الى ذلك انه حضر مجالس لطيف باشا سليم ، وتعلم منها المبادئ الوطنية ، وورث عنها مبدأ معارضة التعامل مع الخديو .

وعلى كل حال فهناك عدة سمات تميز انزعامة ، ولما كانت سمات زعامة كل جيل تختلف عن غيرها من الأجيال الأخرى فسنقصر حديثنا على سمات زعامة جيل مصطفى كامل وفريد .

الواقع أن الايمان المطلق بالقضية الوطنية ، والثبات على المبدأ والشجاعة ، وقوة الإرادة ووعيتها ، وسعة الأفق والقدرة على التأثير فى الجماهير بالخطابة والصحافة ، واحترام مشاعر الناس ومعتقداتهم كانت من أهم سمات الزعامة فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فان مصطفى وفريد لم يكونا متفقين فى كل هذه السمات او غيرها بل كان هناك أوجه اتفاق بينهما كما كان هناك أيضا أوجه اختلاف وفيها يلى نعرض لأوجه الاتفاق .

اذا كانت كثرة القراءة وسعة المعلومات والامام بدقائق المسألة التى يتبناها الفرد او يدافع عنها هى احدى سمات الزعيم الناجح فمما لا شك فيه أن مصطفى وفريد قد تميز بهذه الصفة ، وكان لقراءة كل منهما للتاريخ بل والتأليف فيه اكبر الأثر فى اكسابهم خبرات الآخرين وتعميق كوامن الوطنية فى نفسيهما فقد قرأ مصطفى كامل تاريخ الأمم الأوربية ودرس تاريخ القضية المصرية ، وله مؤلفات تاريخية تشهد بقدرته على استيعاب التاريخ منها كتاباه « المسألة الشرقية » و « الشمس المشرقة » .

أما فريد فله الى جانب مذكراته المخطوطة عدة كتب تدل على اهتمامه بالتاريخ منها كتاب « البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » ومنها كتاب « تاريخ الدولة العثمانية » وكتاب آخر من « تاريخ الرومان » ومن يتفحص هذه الكتب يتضح له مدى النضج الفكرى وسعة الاطلاع والامام بالوسائل السياسية القومية والدولية لكل من مصطفى وفريد واذا كانت زعامة تلك الفترة تقتضى عمل الزعيم بالصحافة حتى يكاد يبدو لمن يقوم بالتاريخ لزعامة اواخر القرن الماضى واولائل القرن الحالى ان الزعامة والصحافة شئ واحد فقد كان زعماء تلك الفترة يقودون بأفكارهم ومقالاتهم الصحفية كافة أبناء الشعب<sup>(١٠٦)</sup> ، فقد وعى كل من مصطفى وفريد ذلك فعبرا في كتاباتهما بالصحف عن افكارهما التى قادت الجماهير وأشعلت الكراهية للمحتلين .

وقد عمل مصطفى كامل منذ صباه في الكتابة الصحفية فأسس مجلة المدرسة ونشرت له الأهرام والمؤيد بعض المقالات ثم أسس بعد ذلك اللواء التى كانت قلعة من أكبر قلاع الوطنية ، ومدرسة يتلقى فيها الشعب المصرى على اختلاف طبقاته درسا في الوطنية ، ولم يكن مصطفى كامل بذلك بل أسس صحيفتين احداها بالانجليزية والأخرى بالفرنسية حتى يتضح للراى العام العالمى حقيقة المسألة المصرية .

أما فريد فكانت له الكثير من المقالات المستفيضة في الصحف فقد راسل انصحف منذ تخرجه من مدرسة الحقوق فكتب عدة مقالات في مجلة الاداب والموسوعات والمؤيد ثم في اللواء وصحف الحزب الوطنى الأخرى مثل العلم والشعب وكانت هذه المقالات تجمع بين النضج الفكرى وغزارة المادة .

واذا كانت سمات الزعامة تتركز في الايمان المطلق بالقضية الوطنية فان كلا من مصطفى كامل وفريد قد آمن بالقضية المصرية ايمانا مطلقا بل وضحى في سبيلها بكل شئ وبذل النفس والنفيس من أجلها ورسم كل منهما لنفسه خطة المقاومة المستمرة للاحتلال وهى مقاومة لا ضعف فيها ولا هوان ولا تراجع وظل كل منهما ثابتا في جهاده رغم جنوح معظم رجالات مصر الى اللواء للاحتلال واكتساب رضاه والامثلة على

ذلك كثيرة منها أن ناشودة كانت بمثابة الضربة القوية لحركة مصطفى كامل كما كانت أحد عوامل اليأس في نفوس معظم الوطنيين ، ومع ذلك فإن مصطفى كامل لم ييأس ، ولم ينخفض صوته ولم تفتر عزيمته بل كان رده هو مضاعفة الجهاد والكفاح كلما زادت المصاعب والعقبات .

وعندما وقعت إنجلترا الاتفاق الودى في ٨ أبريل ١٩٠٤ لم يتزعزع يقين مصطفى كامل في الجهاد وبذلك برهن على ثبات وطنيته ، وأن الأحداث لا تزيدها إلا صلابة .

ولا يعنى هذا أن مصطفى كامل لم ييأس طوال أيام كفاحه الوطنى فالواقع أن صاحب دعوة لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس اعتدته عوامل اليأس في بعض الأحيان حتى وصل به الأمر في بداية كفاحه الوطنى الى التفكير فى الانتحار ويتضح ذلك من الخطاب الذى أرسله من باريس الى صديقه فؤاد سليم والخاص بشكواه من ضيق ذات يده بعد أن كف الخديو عن إرسال نقود له فيقول مخاطباً صديقه « اليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمد سالم أن يرسلوا لى سنويا أربعمائة جنيه ماداموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرون جهودى الوطنية ، وإذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود الى مصر يائساً فاقد الأمل ليس من أجل الجلاء فحسب بل من أجل مستقبل الأمة المصرية، وتأكد يا صديقى العزيز انى لم أمكث فى مصر بعد عودتى دون أن أرى القبر ( أكيدا ) سوف انتحر ولا أعيش وسط أمة جاحدة (١٠٧) .

الواقع أن هذا الخطاب وضعنا فى حيرة وطرح عدة أسئلة تتطلب الإجابة : هل حدة المزاج يمكن أن تخرج الإنسان عن طوقه إذا تعرض لبعض الضغوط لدرجة أن يفكر فى التخلّى عن مبادئه التى آمن بها ونادى الناس بالتمسك بها ، وكلنا يعرف أن وطنية مصطفى كامل كانت متميزة بحدة المزاج .

وهل كان مصطفى كامل مطالب بأن يبيع فى أمته الحياة ، وينبذ فيها فكرة اليأس بعد أن أوشكت على الفرق فيه رغم أن هذه الفكرة غير متمكنة منه ؟ .

الواقع أن اليأس الذى انتاب مصطفى كامل كما يتضح من خطابه لم يكن ثابت الجذور في نفسه بل كان يأسا طارئا زال بزوال المؤثرات التى أدت اليه ، فعندما تعرض مصطفى كامل للضغوط المالية الشديدة خرج عن طوقه وكان ذلك في أوائل عهده بالزعامة ، وبمعنى آخر في ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ أى في وقت لم تكن حركته قد وصلت الى الانتعاش الذى وصلت اليه بعد ذلك أو بعد أن صقلته الزعامة وحكته التجارب وصهرته الصعاب فقد أصبح أصلب عودا وواجه العقبات بثبات .

أما فريد فبائرغم مما تعرضت له الحركة الوطنية من ضربات متلاحقة سواء من الخديو أو من الاحتلال نتيجة سياسة الوفاق فقد ظل متمسكا بمبادئه متحيا للمصاعب والعقبات دون كلل ، وكلما زادت الأمور صعوبة كلما ضاعف فريد من جهاده .

ومن كلماته الماثورة في هذا الصدد قوله « لا ينتظر أحد منا أن نحيد عن مبدئنا مادام فينا عرق ينبض أو تجرى في أجسامنا نقطة دم » لذلك فإن فريد لم ينثن عن مقاومة الاحتلال أو كل من يلوذ به أو يحالفه حتى لو كان ذلك أكبر رأس في البلد وقتذاك وهو الخديو فرغم آلام السجن رفض فريد مساومة الخديو له بأن يخفف في لهجته في نظير الوعد بالافراج عنه ، وآثر السجن على التساهل في مبادئه ورغم انقضاء بعض انصار فريد عنه وانحيازهم الى جانب الخديو فإن الضعف أو اليأس لم يعرف الى قلبه سيلا فقد أعلن أن سياسته لم تتغير حتى لو ظل وحده » (١٠٨) وقدم حياته طائعا مختارا من أجل تحرير مبادئه .

وبما أن الزعيم لابد أن يكون واضح الأهداف محدد المبادئ فإن مصطفى كامل جعل لنفسه هدفا واحدا هو الجلاء ، وعدوا واحدا هو الاحتلال أما فريد فإنه لم يختلف مع مصطفى كامل في خلته هذه وإن كان قد أبرز معها دعوته للمطالبة بالدستور واعداد العرائض لانشاء مجلس نيابى (١٠٩) .

وإذا كان الزعيم الناجح هو الذى يبتعد عن إثارة احساس الناس ولا يحاول هز معتقداتهم أو عاداتهم بل يحاول استمالة العواطف الموجودة

في نفوسهم فإن كلا من مصطفى كامل وغريد قد عمل على تحقيق هذه الغاية فمصطفى كامل ربط بين دعوته لحب الوطن وبين معايير مجتمعه متمسك بالتقاليد ، وكان متحفظا على المبادئ الاوربية في تربية البنات ودافع عن سياسة الحجاب واعتبرها عصبة للنساء ثم عارض فكرة تحرير المرأة بوضحا « ان قواعد الشرع والادب تقضى بفرض الحجاب على النساء فليس لهن ان يستخدمن بالمصالح كالرجال وانما يكفى انهن يدبرن شؤون المنزل ويهذهن اولادهن » يضاف الى ذلك ان مصطفى كامل كان خصما لدودا لكتاب تحرير المرأة الذى اصدره قاسم امين عام ١٨٩٩ كما كان خصما لدودا ايضا لصاحبه فحمل عليه حملات ضارية في اللواء (١١٠) ورفض فكرة سفور المرأة .

ولما اثيرت قضية زواج الشيخ على يوسف من ابنة الشيخ السادات رغم ارادة والدها وقف مصطفى كامل ضد صاحب المؤيد مهاجبا اياه ومؤيدا للتقاليد الموروثة ومتمسكا بها ، وكانت فرحته شديدة عندما طلبت المحكمة ابطال هذا الزواج ، ويبدو ذلك واضحا في رسالته الى جوليت آدم بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩٠٤ حيث قال « ازف اليك نبأ عظيما .. ان محكمة الاستئناف ايدت حكم اول درجة القاضي بابطال زواج ذلك الصحافي المسكين الذى حدثتك عنه ، وعلى الباغى تدور الدوائر .. ولعظيم فرحى وعلمى ان ما يسرنى يشرح غؤاذك اسرعت الى مكاتبك » (١١١) .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل انتقد مصطفى كامل الخديو لموقفه المؤيد للشيخ على يوسف في هذه القضية مما ادى الى القطيعة بينهما وقد ايد غريد مصطفى كامل في كل هذه المواقف وسار على منوالها طوال زعامته للحزب .

وقد يستغرب البعض هذه المواقف من كل من مصطفى كامل ومحمد فريد خصوصا وأن ثقافتهم فرنسية وانهما تلقيا العلم بعض الوقت فى اوروبا وكانا من بين المعجبين بالمدينة والحضارة الاوربية .

يرجع الدكتور هيكل ذلك الى أن كل من مصطفى وغريد حاولوا التقرب الى الشعب فيما هو عزيز لديه من عادات واوهام لاستغلاله في الغايات السياسية (١١٢) لدرجة ان مصطفى كامل فضل ان يخسر الخديو

على ان يخسر الراى العام نضيف الى ذلك ان قوة الاتجاه الاسلامى لدى كل منهما جعلها يناديا بالا تقلد مصر اوربا تقليدا اعمى بل يجب ان تظل متمسكة بمبادئ الاسلام هذا بالاضافة الى ان فكرة الاصلاح الاجتماعى لدى كل منهما كانت تجيء فى المرتبة الثانية بعد تحقيق الجلاء .

واذا كانت التضحية بالنفس والنفيس وايتار الذات فى سبيل الوطن احدى سمات الزعيم الناجح فان كلا من مصطفى وغريد قد تميز بهذه الصفة ولم ينظر اى منهما الى اتخاذ العمل السياسى وسيلة لتحقيق النفوذ والجاه والدلة على ذلك متعددة نذكر منها :

بالنسبة لمصطفى كامل فرغم انه كان قيد اسمه فى جدول المحامين وقررت لجنة انتخاب المحامين قبوله<sup>(١١٣)</sup> فانه لم يحترف المحاماه بل تفرغ لقضية واحدة هى قضية مصر ، ورغم انه كان ضعيف الصحة وفى حاجة الى الراحة فانه لم يعط لبدنه حقه من الراحة بل واصل الجهود فى سبيل مصر ، واخذ على عاتقه مهمة ايقاظ الشعور الوطنى ، وبث الدعاية للقضية المصرية فى الخارج فواصل حملاته ضد احتلال ، ولم تغريه باريس بمغانها وجمالها بل كان يقطع شوارعها وحواريها ليلحق سياسيا قبل ان يترك مكتبه او خطيبا قبل ان يقف على منصة الخطابة ليشكو اليه احوال مصر فى ظل الاحتلال<sup>(١١٤)</sup> ورغم انه حورب فى شخص اقرب الناس اليه وهو اخوه ليعدل عن موقفه فكان رد مصطفى انه مهمل حورب فى شخصه او شخص اقرب الناس اليه فان ذلك لم يحل نون جهاده ، ولما طلب السير كامبل باترمان رئيس الوزارة البريطانية من مصطفى كامل تكوين وزارة بمعرفته رفض قائلا « ان وطنيتى تفرض على رفض كل مركز فى الحكومة طالما ظل الاحتلال جائئا على صدر مصر »<sup>(١١٥)</sup> يضاف الى ذلك انه عندما علم مصطفى كامل برغبة فريد فى تأليف لجنة بقصد عمل اكتاب عام لدعوته الى وليمة وتقديم هدية له بعد جهوده التى بذلها فى الخارج من اجل مصر بعد احداث دنشواى اقترح مصطفى كامل تحويل هذه الهدية لفرس آخر قائلا ان « خير هدية اقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز والامة المصرية ان تقوم اللجنة التى شكلت بدعوة الامة كلها ، وطرق باب كل مصرى لتأسيس كلية اهلية تجمع ابناء الفقراء والاغنياء على السواء »<sup>(١١٦)</sup> .

هذا عن بعض توضيحات مصطفى كامل من أجل مصر . أما من توضيحات فريد فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال توضيحته بمنصبه في النيابة حيث استقال من وظيفته بعد موقفه الوطنى من قضية انتلغراف ثم توضيحته بعمله في المحاماة لكى يتفرغ للجهاد ، وتوضيحته بأمواله لمساندة الحركة الوطنية بأن باع كل ما يملكه من اراض زراعية بعد أن تولى رئاسة الحزب الوطنى<sup>(١١٧)</sup> .

وكما رفض مصطفى كامل الاشتراك في انوزارة رفض أيضا فريد ذلك عندما عرض عليه محمد سعيد باشا الاشتراك في وزارته قائلا « كيف تطلب منى ان اشترك في حكم البلاد في ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان » .

وقد تكررت هذه المحاولة مع فريد بعد ذلك فعقب مؤتمر بروكسل في أكتوبر ١٩١٠ قابل فريد في باريس مبعوثا من قبل الحكومة الانجليزية يعرض عليه احدى الوزارات ومساعدته ماليا بعد ان تحرج مركزه المالى فكان رد فريد الرفض قائلا « ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبادئى ، وانى ارفض اى مركز في الحكومة مادام الانجليز في مصر »<sup>(١١٨)</sup> .

ولما عرضت الحكومة العثمانية على فريد بعض المناصب ومنها عميد كلية الحقوق بالآستانة اعتذر حتى يحتفظ باستقلاله في جهاده بقونه « اننى لم اخرج من بلادى للبحث عن وظيفة انما خرجت لخدمتها ، وسأبقى كذلك حتى اموت »<sup>(١١٩)</sup> .

يضاف الى ذلك ان فريدا ضحى براحته وحرية ، فاستهدف للسجن والنفى ، وكان يتلقى المحن والشدائد بكل رضا فكان رجلا مبادئ لم يتغير مهما قاسى في سبيل المحافظة على مبادئه فقد ضحى بشروته من أجل الحركة الوطنية حتى أصبح المال قليلا معه فلم يجد العناية الطبية الكافية عند اصابته بمرض الاستسقاء لعدم توافر المال اللازم لعلاجيه كما ركب القطار لأول مرة في حياته في الدرجة الثالثة وهو بأوروبا للدفاع عن حقوق مصر رغم برد الشتاء وذلك لقلة النقود معه<sup>(١٢٠)</sup> ووصل فريد الى اقصى حالات الضنك بسبب قيام الحرب الاولى ، واتخذ

المورد المالى الذى كان يصله من أسرته لدرجة انه لم يجد قوت يومه الا بصعوبة ، كما انه لم يملك ثمن الدواء ، ومع ذلك لم يعرف فريد فى الوطنية لبنا أو هودة ، ولم يضعف أمام الوعيد ولم يعبأ بأى وعود .

وبما أن الزعيم الناجح هو الذى يعى متطلبات مجتمعه ، ويحاول النهوض بشعبه فإن كلا من مصطفى وفريد اهتم بتعليم الشعب المصرى ، واستنهاض همته وتذكيره بعزته القومية وكرامته الوطنية فبعد أن رأى مصطفى كامل عقم سياسة الاقتصار على نشر الدعوة فى أوروبا وحدها والاعتماد على الدول لاجلاء انجلترا عن مصر<sup>(١٢١)</sup> أحس بضرورة الاهتمام بتعليم الناس وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم خصوصاً وأن الشباب المتعلم هو أساس تقدم الوطن ، وأن سياسة الاحتلال التعليمية تحول بين تربية انشائين والشباب تربية وطنية صحيحة فكان أساس مناهجها التربوية المغنبة بالخضوع والمذلة<sup>(١٢٢)</sup> ومن أجل ذلك ضاعف مصطفى كامل من جهوده لتنشيط حركة التعليم فى البلاد فطالب بإنشاء المدارس الأهلية بعد أن أغلقت سلطات الاحتلال بعض المدارس الحكومية وألغت مجانية التعليم كما طالب بأن يشمل التعليم أبناء الأسر الفقيرة وألا يقتصر على طبقة الأغنياء فقط .

ونتيجة لجهود مصطفى كامل فى هذا المجال افتتحت مدرسة ابتدائية بالتاهرة حملت اسمه وذلك فى عام ١٨٩٩ ثم كون نادى المدارس العليا الذى كان أول تنظيم للطلاب وخريجى المدارس .

وقد سار فريد على منوال مصطفى كامل فى الدعوة لنشر التعليم مقد طالب بنشر التعليم الابتدائى بين كافة طبقات الشعب فقيرة وغنية وأن يكون هذا التعليم الزامياً ومجانياً لكل مصرى ومصرية كما تبنى فريد مع نادى المدارس العليا فكرة إنشاء مدارس ليلية لتعليم العمال ومن يرغب من الفقراء مجاناً ، وقد عرفت هذه المدارس باسم مدارس الشعب ، وعهد بالتدريس فيها الى رجال الحزب وأنصاره .

هذا عن دور مصطفى كامل وفريد نحو التعليم العام أما عن دورهما نحو التعليم الجامعى فالمعروف أن مصطفى كامل نادى بإنشاء جامعة



فأموال الأمة تتيح للمصريين إبراز مواهبهم ورفع شأنهم كما سار فريد على منوال سلفه وزاد على ذلك أنه كان ضمن الأعضاء المؤسسين للجامعة الأهلية وعضواً بمجلس إدارتها وسكرتيراً للجنة إنشاء الجامعة وعضو المساهمين من أجل انشائها فقد اكتسب بمائتي جنيه ، وبمثل هذا المبلغ سنوياً .

هذا عن أوجه الاتفاق بين مصطفى كامل وفريد ، وقبل أن أنتقل إلى أوجه الاختلاف بينهما ينبغي أن نذكر أنه إذا كانت إحدى سمات الزعيم السياسى مساومة الآخرين ومراوغتهم من أجل الحصول على مطالبه ومطالب شعبه فإن كلا من مصطفى وفريد لم يستعمل هذا الأسلوب فى كتابه بل كانا واضحين فى مطالبهما دون لف أو دوران .

أما بالنسبة لأوجه الاختلاف بين الزعيمين فنجد أنه بالرغم من أن مصطفى وفريد كانا متفقين فى أساسيات حركة الكفاح الوطنى فإن الظروف السياسية التى لازمتها وبوجه خاص أثناء زعامة كل منهما للحزب الوطنى حتمت على كل منهما اتباع سياسة مخالفة لسياسة الآخر فمع أن زعامة مصطفى كامل للحركة الوطنية كانت تمثل المرونة السياسية فإن زعامة محمد فريد كانت تمثل الصلابة العقائدية<sup>(١٣٣)</sup> فمصطفى كاما ، كخطيب استطاع تحريك الجماهير وإثارتها دون أن يقدم لها برنامجاً فكرياً واضحاً<sup>(١٣٤)</sup> ، وقد أتاح له رصيده السياسى استخدام الأسلوب المرن من أجل الوصول إلى هدفه فلجأ إلى الكتابة والخطابة فى التشهير بالاحتلال واستطاع أن يخاطب عدوه القوى باللغة الهادئة التى تستند إلى العقل والمنطق ولم يلجأ إلى الأساليب الثورية فى حركته .

أما فريد فقد دفعته ظروف سياسة الوفاق وقلة رصيده السياسى بالإضافة إلى الخلافات التى نشبت داخل الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل إلى التشدد فى مواقفه واللجوء إلى تحويل المجتمع إلى قوة ضاربة فانتقل من الخطابة مع المثقفين وطلاب المدارس إلى تنظيم الحزب وتطويره ومد مروعه إلى الأقاليم كما لجأ إلى القوى الاجتماعية الأخرى القادرة على مقاومة الاحتلال بالعنف مثل العمال والفلاحين يضاف إلى ذلك أن فريداً دعا إلى المظاهرات الشعبية المنظمة للمطالبة بحق مصر فى

الدستور فكان يجتمع في حديقة الجزيرة عشرات الآلاف ثم يسرون الى قلب القاهرة هاتنين بمطالبيهم مشتبكين بالبوليس مضحين بالعشرات<sup>(١٢٥)</sup> فقد رأى فريد أن الزعيم الناجح هو الذى يعتمد على كافة طبقات شعبه في حركة الكفاح وهنا يبرز لنا تناقضا غريبا وهو أنه بالرغم من أن مصطفى كامل ينتمى الى طبقة الفلاحين وصفار الموظفين وفريد ينتمى الى الطبقة الارستقراطية فان موقف كل منهما من الفلاحين والعمال كان على عكس انتباهها الطبقي فقد حصر مصطفى جهوده في اول الامر على الطبقة المثقفة في المدن ، ولم يجذب اليه طبقة العمال والفلاحين ، ولم يكن لهم في مقالاته أو في برنامج حزبه شأن كبير ، كما ان دعوته للالتفاف حول الدولة العثمانية جعلت الفلاحين يعتمدون عنه بعض الوقت حتى وقعت أحداث دنشواى فانضم الفلاحون اليه وتغنوا بأعماله . اما فريد فقد فطن الى ضرورة جذب العمال والفلاحين اليه منذ بدء زعابته فأصبح رجلا جماهيريا يتسم بطابع البساطة ، ويفضل العيش بين الجماهير ومشاكلها<sup>(١٢٦)</sup> فبدأ بالربط بين حركة المثقفين وطبقة العمال والفلاحين حتى يتحول المجتمع المصرى الى قوة ضاربة في مواجهة الاحتلال .

وقد اهتم فريد بأحوال العمال ، وطالب بوضع قوانين لحمايةهم وتحديد عدد ساعات العمل لهم ، كما اهتم بالنقابات والأندية العمالية لترقية احوال هذه الطبقة والدفاع عن مصالحها ومنع استغلالها فانشئت في عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال في مصر وهى نقابة عمال الصنائع اليدوية .

اما عن الفلاحين فقد طالب فريد بانشاء نقابات زراعية تحميهم من جشع المرابين ، وتعمل على ترقية احوال الزراعة ، وتحسين احوال الفلاح المصرى الذى وصفه فريد بأنه أتعس فلاح في العالم .

وهكذا كان لاهتمام فريد بمشاكل العمال والفلاحين أكبر الأثر في زيادة رصيده الشعبى في الكفاح الوطنى وهذا ما لم يتوفر لسلفه مصطفى كامل ومع أن فريدا كان أقرب في عثمانيته من ناحية الدم والصلة والقرابة من مصطفى كامل فان فكره كان أكثر مصرية من مصطفى كامل الذى كان شديد الامتزاج بالعثمانية فمزج عقيدته الوطنية بعقيدته الدينية ويكفى

للتدليل على ذلك أن فريدا أحدث تغيرا في مبادئ الحزب الوطنى العشرة بعد وفاة مصطفى كامل لدحض الاتهامات التى نسبت للحزب بتغليب ولائه التركى على ولائه المصرى فعند المبدأ الأول للحزب من « استقلال مصر كما قررتة بمعاهدة لندن ١٨٤٠ وضمتهن الفرامانات السلطانية ذلك الاستقلال انضمام عرش مصر لعائلة محمد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد » ليصبح استقلال مصر مع سودانها استقلالا تاما غير مشوب بأية حماية او وصاية او سيادة اجنبية او اى قيد يقيد هذا الاستقلال .

يضاف الى ذلك أن فريد رفع شعار مصر للمصريين فى أخرج ظروفه خصوصا بعد خروجه من مصر فقد وضع على جاكته شارة مرسوم عليها أبو الهول ومكتوب عليها مصر للمصريين مما اثار الاثراك وهددوه اما ان ينزع هذه الشارة من على صدره أو أن يغادر الآستانة فآثر فريد مغادرة العاصمة العثمانية على خلع شارته .

حقيقة أن مصطفى كامل كان له هدفه من التقرب الشديد للعثمانيين ، ولكنه أيضا كانت له مواقف فضل فيها المصلحة العثمانية على مصلحة مصر ويكتفى أن نذكر موقفه من مسألة طابة وإذا كانت ملكة الخطابة ، والقدرة فى التأثير على الجماهير احدى سمات الزعامة فإن مصطفى كامل كان خطيبا بارعا فى الارتجال اذا خطب الناس بعباراته البليغة وبيانته الواضح وحججه المدعمة بالمنطق والاسانيد لذلك كان قادرا على استمالة الجماهير واقتناعهم كما كانت كلماته تعبيرا حيا عما يجيش فى صدور أبناء وطنه .

أما فريد فقد كان يفترق الى هذه الصفة من سمات الزعامة فانتهى لم يكن خطيبا فى بلاغة مصطفى كامل بل كان غالبا ما يتلو خطبه (١٢٧) .

وتبدو ديمقراطية فريد واضحة فى رفض اختياره رئيسا للحزب مدى الحياة كما حدث مع مصطفى كامل فطالب بتعديل لائحة الحزب التى تقضى بانتخاب الرئيس مدى الحياة ، وان يقتصر انتخابه على فترة محددة ولكن ذلك الموقف من فريد لم يستمر طويلا فبعد انتهاء فترة الثلاث سنوات الأولى لزعامة فريد للحزب الوطنى عقدت الجمعية العمومية

للحزب اجتماعا انتخبت فيه فريدا رئيسا للحزب مدى الحياة ، ولم يعترض فريد على ذلك بعد أن اتضح له ضرورة استمرارية الزعامة فيه باعتبار أن استمراريته فيها هي استمرار لمبادئ الحزب .

أما بالنسبة لعلاقة كل من مصطفى وفريد بالخدوي فقد كان هناك اختلاف واضح بين كل منهما في علاقته به فقد اعتمد مصطفى كامل على الخديو في إمداده بالمصروفات الكبيرة التي يتطلبها العمل الوطني الذي تصدى له خصوصا وأن نشاطه الاجتماعية المتوسطة لم تمكنه من مقابلة هذه المصروفات مما أوجد نوعا من العلاقة الخاصة بين الرجلين<sup>(١٢٨)</sup> وجعل مصطفى كامل يرتبط بالخدوي في بعض المواقف أحيانا ، ورغم ذلك فإن علاقة مصطفى كامل بالخدوي لم تستمر على هذا المنوال طويلا خصوصا بعد أن رأى ضرورة استقلال الحركة الوطنية عن الخديو نتيجة للسياسة المتقلبة التي كان يتبعها تجاهها .

أما فريد فإنه لم يرتبط بالخدوي بأية روابط تقيد من حركته أو تفرض عليه مواقف معينة ، فبحكم انتهائه لطبقة كبار الملاك استطاع إمداد العمل الوطني بالمال دون أن يلتزم بأى موقف مع الخديو ، لذلك اتخذ طابع الخلاف بينه وبين الخديو إبعادا واسعة نتيجة لرغبه إيجاد علاقة معه شبيهة بالعلاقة التي كانت قائمة بين الخديو ومصطفى كامل .

لقد ورث فريد مبدأ معارضة التعامل مع الخديو من لطيف باشا سليم الذى كان يرى في الخديو رجلا أنانيا يفضل منفعتيه الشخصية على الصالح العام .

مما سبق يتضح أنه إذا كان الخديو قد أمد مصطفى كامل بالمال فإن ذلك لم يحدث مع فريد حتى في أخرج اللحظات الا في أواخر حياته ، فمع أن فريد نفى الشائعات التي قيلت بأن الخديو ورئيس الوزراء محمد سعيد قد أرسلوا اليه ثلاثمائة جنيه لمساعدته على الخروج من مصر ، واستغرب مثل هذا الأمر بقوله في رسالة له الى الخديو : « انى اترفع عن قبول أية مساعدة منكم ولو كنت في أخط دركات الفقر .. وانى لا أقبل منكم أية مساعدة مادامت مهمتى هي الجهاد في تحرير البلاد من الانجليز ومن كل من يعاونهم على توطيد أقدامهم في مصر كائنا من كان »<sup>(١٢٩)</sup> .

ومع ذلك فان الظروف التى أحاطت بفريد فى أواخر أيامه جعلته يقبل مساعدة الخديو له بالمال ، ويبدو ذلك واضحا فيما كتبه فى مذكراته تحت عنوان « من أين أعيش » انه أخذ نقودا من الخديو ، ولا عيب فى ذلك « لأنه خديونا الشرعى ، ولا يعتبر أخذ الفلوس منه خيانة » (١٣٠) .

يضاف الى أوجه الاختلاف السابقة بين مصطفى كامل وفريد أن مصطفى كامل جمع بين زعامة الحزب وإدارة جرائده واستطاع أن يديرها بكفاءة أما فريد فقد تفرغ لقيادة الحزب وترك إدارة اللواء للشيخ عبد العزيز جاويش ، كما أن جريدتى الحزب الانجليزية والفرنسية قد أغلقتا .

هذا عن دور مصطفى كامل ومحمد فريد فى زعامة الحزب الوطنى وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ، والتى يتضح منها أن كلا منهما كان مثالا للتضحية والاخلاص من أجل القضية الوطنية فقد عبر كلاهما عن ارادة الأمة المصرية خير تعبير ، وقام بتوجيه الجماهير المصرية فكريا ونفسيا ، واضاء لهم الطريق الذى مهد لقيام ثورة ١٩١٩ .

## مراجع الفصل الخامس

- (١) تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ص ٢٧ .
- (٢) د. المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .
- (٣) كون هذه الجمعية على الروبى فى عام ١٨٧٦ اى بعد هزيمة الجيش المصرى فى حرب الحبشة .
- للتفاصيل انظر : الياس الايوبى . تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ١٨٦٣ — ١٨٧٩ المجلد الثانى ص ٤٧ .
- (٤) جمعية سرية ضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات اذرافضة لسياسة رياض باشا .
- (5) Ninet : Arabi Pacha. Egypt 1800 — 1883 Paris, 1884 .
- (٦) جريدة مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩ .
- من خطبة جمال الدين الافغانى فى قاعة زيزينيا بالاسكندرية .
- (٧) محافظ الثورة العرباية : محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف ٢٢٢ وثيقة رقم ١١٩١ الثورة العرباية — قضايا المتهمين .
- (٨) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ص ٣٩ .
- (٩) اللواء الجديد : العدد الخامس فى ١٠/١٢/١٩٤٤ « حديث لطفى السيد باشا » .
- (١٠) محافظ الثورة العرباية . محفظة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب عربى .
- (١١) اللواء فى ١٠ اكتوبر ١٩٠٧ .
- (١٢) مصطفى كامل : ( المسألة الشرقية ) القاهرة — الطبعة الاولى ١٨٩٨ ص ٢٥٩ .
- (١٣) عباس العقاد : محمد عبده ص ١٧٨ .
- (١٤) أطلق عليه حزب الاحرار فيما بعد .
- (١٥) اللواء فى ٢ يولية ١٩٠٠ تحت عنوان « حزب وطنى حر فى مصر »

- (١٦) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ( ١ ) الجزء الاول — القسم الاول ص ١ .
- (١٧) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل ص ٢٧٣ .
- (١٨) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٢٦٢ .
- (١٩) جوليت آدم : المرجع السابق ص ٢٧٣ .
- (٢٠) نفسه .
- (٢١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٧ .
- (٢٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال للبريطانى القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٧٠ ص ٥٧ .
- (٢٣) مذكرات سعد زغلول — كراس رقم ٦ ص ٢٩١ — ٣٠٠ .
- (٢٤) تقرير الحزب الوطنى عن سنة ١٩٠٧ القاهرة — مطبعة اللواء ١٩٠٨ ص ٢١٦ — ٢٢١ .
- (٢٥) اللواء فى ٣١ اكتوبر ١٩٠٧ تحت عنوان « الحزب الوطنى والاستقلال » .
- (٢٦) ادخل الحزب الوطنى تغييرا على نص هذا البند ليصبح « استقلال مصر مع سودانها استقلالا تاما غير مشوب باية حماية او وصاية او سيادة اجنبية او اى قيد يقيد هذا الاستقلال » .
- د. يونان لبيب : مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى ص ١٠٠ .
- (٢٧) محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية . القاهرة — مطبعة السياسة ص ١٦١ .
- (٢٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٦٠ .
- (٢٩) محمد على علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية ص ٢٨٨ .
- (٣٠) د. يونان لبيب : المرجع السابق .
- (٣١) محمد عبد السلام الزيات : الاتجاهات المعاصرة فى التنظيم السياسى القاهرة — الانجلو المصرية ص ١٤٧ .
- (٣٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص ٥٥ .
- (٣٣) محمد توحيد : كيف يبعث الوطنى فى مسألة الاحزاب السياسية فى مصر ص ٩٠ .

- (٣٤) د. يونان ليبب : المرجع السابق ص ٥٦ .  
(35) Alexander, J. The Truth about Egypt P. 229 .
- (٣٦) محمد شفيق غريال : المرجع السابق ص ٢٧ .  
(37) Landau, J. Parliaments and Parties in Egypt. New York, 1954 p. 135 .
- (٣٨) د. يونان ليبب : المرجع السابق ص ٥٩ .
- (٣٩) فتحي رضوان : كناحنا الوطنى فى نصف قرن ص ٦١ .
- (٤٠) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٢٧ .
- (٤١) للتفاصيل انظر د. يونان ليبب : المرجع السابق ص ٥٣ .
- (٤٢) المصرى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .
- (٤٣) جوليت آدم : المرجع السابق ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
- (٤٤) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم (١) الجزء الأول — القسم الأول  
ص ٣ .
- (٤٥) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية .  
القاهرة — النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٤٨ ص ٤٥ .
- (٤٦) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ملف رقم (١)  
ص ٤ .
- (٤٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٦ .
- (٤٨) دار الوثائق : محافظ عابدين . ديوان خديو . التماسات جماعية  
محفوظة رقم ١٢ .
- (٤٩) كانت صيغة هذه المرائض ما يلى :
- مولاي « اننا بكل اخلاص وثقة بامبالكم السامية نلتمس من لدنكم ان  
تمنحوا رعايتكم المخلصة ما منحه ابوكم الكريم لها عام ١٨٨١ وهو انشاء  
مجلس نيابى يكون عوناً لحكومته السنية على نشر العلوم والمعارف ،  
وانت يا مولاي الامير خير من يقدر الدستور قديره لانك نشأت نشأة  
عصرية ضاعفت محبتك لرعايتك التى رقيها من اجل امينتك » .
- دار الوثائق : تقارير الامن العام — الداخلية تحت عنوان : عرائض  
وطلبات من الاهالى بشأن انشاء مجلس نيابى عام ١٩٠٨ .



- (٥٠) مذكرات محمد فريد . القسم الأول — الجزء الأول ص ٤ .
- (٥١) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ .
- (٥٢) نفسه ص ٦٢ .
- (٥٣) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣٢ .
- (٥٤) أوراق محمد فريد . مخطوط رقم ٢٣ .
- (٥٥) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ .
- (٥٦) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص ١٧٦ .
- (٥٧) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٢ .
- (٥٨) تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية فى مصر والسودان ١٩٠٨ مرفوع من جورست الى جراى . المخطوط ١٩٠٩ .
- (٥٩) اللواء فى ١١ أبريل ١٩٠٨ تحت عنوان « ماذا يقولون » .
- (٦٠) مذكرات محمد فريد رقم (١) ص ٥ .
- (٦١) مذكرات فريد كراس رقم (١) ص ٥ .
- (٦٢) الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٥ .
- (٦٣) منبر الشرق فى ١٥/٨/١٩٥٢ تحت عنوان الحلقة العاشرة من مذكرات الشيخ الغياثى .
- (٦٤) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٧ .
- (٦٥) اللواء فى ٣ أكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان « اجتماع اللجنة الإدارية للحزب الوطنى » .
- (٦٦) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خديو . التماسات —
- تلفراغات محفظة رقم (١) .
- (٦٧) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٧ ص ٨٩٥ .
- (٦٨) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٨ ص ٨٢٤ .
- (٦٩) المخطوط فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٠ .

(70) F.O. 407/174, No. 836, Lowther to Grey, Terapia Oct ., 11, 1909 .

(٧١) انظر على سبيل المثال :

اللواء في ٣ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « الثورة على حدود الهند الانجليزية » وايضا عدد ٧ مايو تحت عنوان « الثورة في الهند الانجليزية » .

(٧٢) صبرى ابو المجد : محمد فريد . ذكريات ومذكرات . القاهرة كتاب الهلال . ص ١١٤ .

(٧٣) د. زكريا سليمان : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ — ١٩٥٣ ص ١١٧ .

(٧٤) احمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ . القسم الثانى ص ٢٦٨ .

(٧٥) العلم فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٢ .

(٧٦) على الغيايتى : وطنيتى — القاهرة . مطبعة منبر الشرق — الطبعة الثالثة ص ٢٦ — ٢٧ .

(٧٧) نفسه : ص ٣٣ .

(٧٨) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الثانى ص ٣٢ .

(٧٩) الرافعى : المرجع السابق .

(٨٠) على الغيايتى : المرجع السابق ص ١١ — ١٥ .

(٨١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٣٧ .

(٨٢) مذكرات محمد فريد . الجزء الاول — القسم الاول ص ١٤ .

(٨٣) نفسه .

(٨٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٨٥) مذكرات محمد فريد ج ١ القسم الاول ص ١٧ بينما يذكر الرافعى أن فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحى من المرور .

(٨٦) الرافعى : المرجع السابق ٢٧٦ .

(٨٧) رفعت السعيد : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٣٨٠ .

- (٨٨) الجمهورية : العدد ٥٧٧٥ في ١٦/١٠/١٩٦٩ مقال للدكتور محمد أنيس تحت عنوان كتحاح فى المنفى .
- (٨٩) مذكرات محمد فريد . ملف رقم (١) ص ٢٠ — ٢١ .
- (٩٠) أوراق محمد فريد : مطروف رقم ١٣ من أحمد وفيق الى محمد فريد فى ١٧ يونية ١٩١٤ .
- (٩١) مصطفى النحاس : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية القاهرة — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ١٨٣ .
- (٩٢) الاهرام فى ١٥ سبتمبر ١٩٧٢ تحت عنوان « مذكرات مسدام روشبرون » .
- (٩٣) صبرى أبو المجد : المرجع السابق ص ١٥٠ .
- (٩٤) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ٢ ص ٦٤ .
- (٩٥) عن نص هذا المنشور انظر : الراعى — محمد فريد ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .
- (٩٦) روز اليوسف : العدد ١١١٨ فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ .
- (٩٧) مجلة الهلال . مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان « مثال البذل والجهاد محمد بك فريد » .
- (٩٨) فتحى رضوان : مشهورون منسيون . القاهرة ص ٢٤ .
- (٩٩) الراعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ٦٧ .
- (١٠٠) محمد على علويه . ذكريات اجتماعية وسياسية . مخطوط بدار الوثائق ص ٨٨ .
- (١٠١) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١٠ ص ٢٦٧ .
- (١٠٢) د. عاطف فؤاد : الزعامة السياسية فى مصر — عرض تاريخى وتحليل سسيولوجى . القاهرة — دار المعارف ١٩٨٠ ص ١٠٥ .
- (١٠٣) محمد على الفتيت : الزعيم . العبقريّة والزعامة السياسية . القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٩ .
- (١٠٤) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٥٦ .
- (١٠٥) للتفاصيل انظر كتابنا عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية . القاهرة — دار الكتاب الجامعى ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

(١٠٦) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . المجلد العشرين . الجزء الأول مايو ١٩٥٨ مقال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « الطور الصحافي من أطوار الحركة الوطنية أو العصر الذهبي لصحافة القتال في مصر » .

(١٠٧) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى مؤاد سليم الحجازي . القاهرة — دار النهضة المصرية ١٩٦٩ خطاب رقم ١١ ص ٥٨ .

(١٠٨) الرافعي : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٤٤١ .

(١٠٩) للتفاصيل انظر : دار الوثائق . تقارير الأمن العام — الداخلية تحت عنوان « عرائض وطلبات من الاهالى بانشاء مجلس نيابى ١٩٠٨ » .  
(١١٠) انظر على سبيل المثال اللواء عدد ٣١ يناير ١٩٠١ وايضا عدد ٢٤ فبراير ١٩٠١ .

(١١١) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية . القاهرة ١٩٠٩ ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(١١٢) د. محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٥٦ .

(١١٣) المؤيد في ٣١ ديسمبر ١٨٩٤ .

(١١٤) على فهمى كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا الجزء السادس ص ١٢٦ .

(١١٥) أحمد رشاد : مصطفى كامل . حياته وكتابه ص ٣٢٣ .

(١١٦) مذكرات محمد فريد . ملف رقم (١) خطاب مرسل من مصطفى كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ ص ١٣ .

(١١٧) مذكرات محمد فريد . مظلوف رقم ٣٠ .

(١١٨) الرافعي : محمد فريد ص ٤٥٤ .

(١١٩) الهلال : مجلد ١٩٣٠ مقال للأستاذ طاهر الطنحاني تحت عنوان « مثال البذل والجهاد محمد بك فريد » ص ٣٣١ .

(١٢٠) مذكرات محمد فريد ملف رقم (١) ص ٢١ .

(١٢١) د. محمد حسين هيكل : المرجع السابق ص ٥٥ .

(١٢٢) المؤيد : في ٨/١٠/١٨٩٨ .

(١٢٣) د. يونان لببيب : الحياة الحزبية في مصر ص ٨٥ .

(124) Safran, Nadav : Egypt In search of Political community  
pp. 62 101 .

(١٢٥) احمد بهاء الدين : ايام لها تاريخ . القاهرة روزاليوسف ص ٧٣ .

(١٢٦) عصام ضياء الدين . الحزب الوطنى والنضال السرى . رسالة  
ماجستير غير منشورة ص ١٠٩ .

(١٢٧) محيد على علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية . مخطوط  
ص ٢٨٩ .

(١٢٨) د. يونان لببيب : الحياة الحزبية في مصر ص ٨٤ .

(١٢٩) مذكرات محيد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ص ٢ .

(١٣٠) نفسه : ملف رقم ٧ ص ١٩٦ .

## الفصل السادس

مصر من ثورة ١٩١٩ الى معاهدة ١٩٣٦

- أولا : مقدمات الثورة وأسبابها :
- ثانيا : أحداث الثورة وتطوراتها .
- ثالثا : نتائج الثورة .
- رابعا : تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .
- خامسا : المفاوضات المصرية البريطانية في أعقاب تصريح فبراير .
- سادسا : حكومة صدقي ١٩٣٠ .
- سابعا : معاهدة ١٩٣٦ .



## أولا — مقدمات الثورة وأسبابها :

### ( أ ) مقدمات الثورة :

نتيجة لانضمام الدولة العثمانية الى ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ عملت بريطانيا على ضمان سيطرتها على مصر ، واتخذت من الاجراءات العسكرية والسياسية ما يحقق اهدافها الحربية ويجعل من مصر قاعدة لها في الشرق الأوسط ، ولكي يتحقق لها كل ذلك همت بضم مصر الى الممتلكات البريطانية ثم اضطرت الى العدول عن هذا القرار واعلنت حمايتها على مصر ١٩١٤م <sup>(١)</sup> وقطعت آخر العلاقات انتى تربطها بالدولة العثمانية وحلت الجمعية التشريعية واخضعت البلاد لحكم يمارسه المنسوب اسامى البريطانى والمستشارون الانجليز <sup>(٢)</sup> .

وخلال سنوات الحرب عانت مصر الكثير من المتاعب والصعوبات خصوصا وان الانجليز كانوا قد أعلنوا الأحكام العرفية ، وتشددوا في تطبيقها ، وتحكوا في موارد مصر الاقتصادية ، وجندوا العديد من المصريين للخدمة في الحرب ، كل ذلك أدى الى اشتداد مرحلة الغليان بين أبناء الشعب المصرى ، وازدياد القلق بينهم .

وعندما أعلن الرئيس الأمريكى ويلسون مبادئه الاربعة عشر التى كان مفروضا ان تتخذ أساسا لمفاوضات الصلح وعقد معاهدة السلام وجد المصريون شعاعا من الأمل وخيطا يتمسكون به ، ولذلك بدأوا يتحركون للمطالبة بحقوقهم وتصدر الزعماء البارزون في ذلك الوقت ومنهم سعد زغلول فكرة تأليف وفد لايضاح قضيتهم أمام زعماء العالم في مؤتمر الصلح بفرساي ، وخلصا القول أن مصر قبيل ثورة ١٩١٩ كانت مكبلة بالعديد من القيود ، كما كانت تعاني الكثير من المشاكل التى فجرت بعد ذلك ثورة ١٩١٩ م .

### ( ب ) أسباب الثورة :

تعددت الأسباب التى أدت بالمصريين الى القيام بثورة ١٩١٩ م وانتهى



كان منها اسباب غير مباشرة ، واسباب مباشرة ، وفيما يلى نعرض لهذه الاسباب .

### الاسباب غير المباشرة :

#### ١ — الاسباب الاقتصادية :

تدهورت احوال مصر الاقتصادية نتيجة لانخفاض اسعار القطن بعد اعلان الحرب العالمية الاولى وما صاحبه من ارتفاع فى الاسعار نتيجة لتدهور العملة ، وتوقف البنوك عن عملية التسليف ومطالبتها بالانقساط المقررة على انغلاحيين مما دفعهم الى بيع حليهم من انذهب لتسديد ما عليهم للحكومة .

وكان لارتفاع الاسعار اثر كبير وخاصة على الفقراء الذين لم يستطيعوا ان يؤمنوا حاجاتهم من حبوب واقمشة وغيرها ، وفى نفس الوقت كانوا يرون ان السلطات العسكرية البريطانية تصدر ارزاقهم ودوابهم وغيرها كما كانوا يرون الاجانب وهم يتزور ثروات المصريين وارزاقهم .

#### ٢ — الاسباب الاجتماعية :

ساعدت ظروف الحرب العالمية الاولى على نمو المجتمع المصرى ، وتطلعه الى مراقي التقدم خاصة بعد انتشار التعليم وما صاحبه من نهضة ادبية وعلمية مما جعل الشعب المصرى يحس بشخصيته المتميزة ويشعر بضرورة اعتراف الانجليز بحقوقه المشروعة .

#### ٣ — الاسباب السياسية :

منذ ان احتلت بريطانيا مصر فى عام ١٨٨٢ وهى تعانى من هذا الاحتلال فى نواح شتى من اهمها الضغط والكبت السياسى ، واجبار العناصر الوطنية على مفاداة البلاد وتعيين مستشارين انجليز فى العديد من المصالح الحكومية وزيادة عدد الموظفين الاوربيين فى كل الادارات وتمطيل الجمعية التشريعية ، وشل دور الحكومة وحرمان مصر من الاتصال المباشر بدول العالم ومحاولات الانجليز فصل السودان عن مصر وتحلل الشعب متاعب السلطات العسكرية البريطانية فى ظل احكام عرفية شديدة الصرامة .

ونتيجة لضغوط الحركة الوطنية المصرية بدأ الانجليز في اعطاء الوعود البراقة للمصريين ، ولما اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى اعلنت بريطانيا حمايتها على مصر ، وبدأت في الضغط على مقدرات المصريين ، الذين تطلعوا الى الاستقلال وراقتهم تصريحات الرئيس الأمريكى «ولسن» التى اعلنتها في عام ١٩١٧ وذكر منها حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ولا فرق في ذلك بين شعب قوى وآخر ضعيف (٣) .

### الاسباب المباشرة :

يرجع السبب المباشر في قيام ثورة ١٩١٩ الى اعتقال الوفد المصرى الذى تم تأليفه للدفاع عن حقوق مصر في مؤتمر الصلح بباريس حيث تقدم سعد زغلول وعبد العزيز فهمى ، وعلى شعراوى الى دار الحماية البريطانية وطلبوا من السير « ريجنالد ونجت » انسمح لهم بالسفر الى المؤتمر الا ان السلطات الانجليزية رفضت السماح للوفد المصرى بالسفر ، ومنعت اعطائهم جوازات للسفر بموجب الاحكام العرفية (٤) . مما اغضب سعد زغلول وجعله يحتج لدى دار الحماية ولدى رئيس الوزراء البريطانى جورج لوييد ولما اصر رجال الوفد على ضرورة سفرهم القت السلطات البريطانية في التاسع من مارس ١٩١٩ القبض على كل من سعد زغلول ، ومحمد محمود ، وحمد الباسل ونقلتهم الى بور سعيد ومنها تم تفيهم الى مالطة مما فجر قيام الثورة .

والسؤال المطروح هو لماذا رفضت بريطانيا السماح للوفد بالسفر الى المؤتمر ؟

الواقع ان بريطانيا كانت ترى ان كبريائها لا يسمح لها بأن يقوم الشعب المصرى بعرض قضيته ضدها امام الدول الكبرى ، يضاف الى ذلك ان المؤتمر اذا وافق على اشتراك مصر فى جلساته فعليه أن يسمح لغيرها من الشعوب وهذا ما ترفضه الدول الاستعمارية (٥) .

### ثانيا : أحداث الثورة وتطوراتها :

جاءت هذه الثورة نتيجة للشحنة الكبيرة الكامنة في نفوس المصريين

ضد الاحتلال ، وقد جاء اعتقال الوفد المصرى من قبل السلطات انبريطانية ليكزن الشرارة التى اشعلت فتيل هذه الثورة .

فما أن علم الشعب المصرى باعتقال اعضاء الوفد ونفيهم الى مالطة ، حتى هب افراده فى مسيرات ثورية ضد الاحتلال حيث بدأت المظاهرات فى اقاهرة يوم ٩ من مارس اى فى اليوم التالى لاعتقال سعد (٦) . وقد اوقد طلاب المدارس شرارة الثورة حيث اضرَبوا عن الدرس ، وخرجوا من مدارسهم فى مظاهرات سلمية تتقدمهم اعلامهم وهم يهتفون بحياة مصر (٧) والوفد المصرى وسعد زغلول وسقوط الحماية الانجليزية .

وقد بدأ الاضراب بمدرسة الحقوق ثم انتقل الى مدارس الزراعة ، والطب ، والتجارة ، وعند تحرك الطلاب فى ميدان السيدة زينب ، قبض الجنود الانجليز على حوالى ثلاثة مائة طالب ، وساقوهم الى القلعة ، ولما وصل الى الازهرين اخبار الثورة اضرَبوا عن الدراسة وساروا فى مظاهرات هائلة لم يستخدم فيها العنف وفى يوم ١٠ مارس تطورت أحداث العنف بين الطلاب والانجليز ، وتطورت الامور الى قيام الجنود الانجليز باطلاق النار على الطلاب (٨) .

واستمرت الثورة فى اشتعالها وانتقل صدها الى بعض المدن الكبرى مثل الاسكندرية وطنطا واسيوط والبحيرة ، ولم يمض خمسة اشهر على قيامها الا وسقط حوالى الف قتيل .

وازدادت الامور تدهورا بمشاركة العمال فى الثورة فقام عمال الترام والسكك الحديدية الذين يزيد عددهم على اربعة آلاف عامل بتعطيل قضبان السكك الحديدية واعمدت البريد والهاتف ، مما ادى الى تعطيل حركة المواصلات والاتصالات ، وانعزال مدينة القاهرة عن باقى المدن المصرية .

يضاف الى ذلك قيام المحاربين بمشاركة أبناء وطنهم فى القتال فاعلنوا الاضراب عن مزاوله اعمالهم احتجاجا على المذابح التى قام بها الانجليز لاصنع الثورة كما اغلقت المتاجر فى القاهرة (٩) .

ولم تقتصر ثورة ١٩١٩ على جهود الرجال بل شارك فيها النساء

أيضا متظاهرين في مسيرات — وهى يحملن اعلاما حمراء ولائعات كتب عليها « ايها الانجليز اخرجوا من بلادنا » « سعد زغلول هو زعيمنا » « اعيدوا سعد باشا الينا » « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » « تسقط الحماية البريطانية » « نموت ويحيا سعد » وكانت هذه اول مرة تخرج فيها المرأة فى الشرق الى الشارع فى مظاهرة مما اذهل العالم وجعل وكالات الانباء الاجنبية والمصاحفة تتحدث فى صدر نشراتها وصفحاتها عن هذه المظاهرة .

وكانت صفية زغلول زوجة سعد هى اول من اقترح ان تخرج نساء مصر الى الشارع محتجات على نفى الانجليز لزعيم الثورة ومضت المظاهرة النسائية فى شوارع القاهرة ، تلوح باعلام صغيرة وتهتف لسعد وتلعن الاحتلال الى ان وصلت الى ميدان قصر الدوبارة فى طريقها الى دار الحماية البريطانية فى جاردن سيتى .

وقد احاط الجنود المدججون بالسلاح بمظاهرة النساء المصريات ثم صوبوا اليهن البنادق ولم تتراجع النساء بل مضين فى طريقهن حتى اقتربت حراب البنادق من صدور النساء وتقدمت الصفوف احدى السيدات وقد كشفت صدرها وصاحت بالانجليزية فى وجه احد جنود الاحتلال اطلق بندقيته ايها الجندى ه هنا على هذا الصدر ، لتجعلوا فى مصر مس كافل<sup>(١٠)</sup> ثانية .

وحاصر الانجليز النساء المصريات ، وطلبوا منهن التفرق والعودة الى بيوتهن ، ومنعهن من الوصول الى بيت سعد زغلول ، وتحدثت النساء المصريات هذه الاوامر ، ومضت ساعة كاملة فى يوم شديد الحرارة والنساء صامدات ، واخيرا توسط السفير الامريكى فى الأمر ، وانصرف الجنود الانجليز ، وسارت مظاهرة النساء الى بيت صفية زغلول، (١١) .

واعقب ذلك مرحلة من عدم التعاون مع الانجليز ومقاطعة بضائعهم ، ورفض المصريون الاشتراك فى أية حكومة كى يحملوا الانجليز كامل المسؤولية عن الاحداث .

وقد ادت هذه الاحداث الى انزعاج السلطات الانجليزية مما جعلها

تشكل محاكم عسكرية للمتظاهرين الذين القى القبض عليهم وكان يحكم عليهم بالحبس أو الجلد أو الغرامة ، ولكن ذلك لم يزد الثورة الا اشتعالا وازاء ، اصرار الشعب المصرى على الثورة حتى يتم الافراج عن افراد الوفد المعتقلين اضطرت السلطات البريطانية الى الافراج عن سبعة وصحبه وسحت لهم بالسفر الى باريس لعرض مطالب بلادهم .

وقد سافر الوفد الى باريس ولكن بعد فوات الأوان حيث تمكنت بريطانيا من انتزاع اعتراف الدول الكبرى بحمايتها على مصر .

ونتيجة لذلك قرر الوفد الاعتماد على النفس والاستمرار فى حركة الكفاح الوطنى .

ولما هال بريطانيا استمرار الثورة وامتدادها الى جميع انحاء البلاد ، فكرت فى ايفاد لجنة للتحقيق فى اسباب غضب المصريين ، ومحاولة التوفيق بين امانى الأمة المصرية ومصالح بريطانيا وحقوق الاجانب (١٢) .

وعلى هذا الاساس شكلت لجنة برئاسة « اللورد ملنر » وريسر المستعمرات البريطانى فى ذلك الوقت .

وقد اتصف موقف الشعب المصرى من هذه اللجنة بالسلبية وعدم الرضا فقاطعها المصريون ، واعلنوا انهم لا يرضون بغير الاستقلال بديلا مما اضطر اللجنة الى العودة الى بريطانيا فى مارس ١٩٢٠ (١٣) ودعوة الوفد المصرى بعد ذلك للحضور الى لندن للتفاهم معها بشأن مستقبل القضية المصرية وهناك قدم « ملنر » مشروعه الذى اشتغل على ضمان بريطانى باستقلال مصر بشرط عدم عقد معاهدة مع أى دولة أخرى دون موافقة بريطانيا ، وعلى اعطاء بريطانيا حق ابقاء قوات عسكرية فى الاراضى المصرية ، وحق استعمال الموانئ والمطارات ، والزام مصر بتعيين مستشار مالى تكون له جميع الاختصاصات المالية ، هذا الى جانب حق بريطانيا فى التدخل فى شئون الاجانب .

اما مشروع الوفد فقد كان ينص على انهاء الحماية والاحتلال البريطانى ، واسترداد مصر لكامل سيادتها الداخلية والخارجية كدولة لها

نظام دستورى وان تسحب بريطانيا قواتها من مصر بعد مدة يتفق عليها الطرفان .

وللتوفيق بين المشروعين قدمت لجنة ملنر مشروعا آخر ، ولكنه كان لا يختلف عن مشروعاتها الاولى كثيرا حيث احتفظ باحتلال بريطانيا لمصر ، ووضع المصالح البريطانية في المقام الاول دون النظر الى مطالب مصر (١٤) ونتيجة لذلك رفضه الجانب المصرى مما دفع ملنر الى قطع المفاوضات ودفع الوفد المصرى الى مغادرة لندن الى باريس ، وعلى اثر قطع المفاوضات قدم ملنر الى حكومته تقريراً اقترح فيه عقد معاهدة بين مصر وبريطانيا تتفق مع مصالح الطرفين ، كما اوصى بضرورة ان تحصل بريطانيا على ضمانات بتواجد قوات عسكرية لها في مصر .

ونتيجة لاستمرار الاضطرابات في مصر اعلنت انجلترا عن رغبتها في استئناف المفاوضات مع الحكومة المصرية برئاسة « عدلى يكن » الذى كان قد الف وزارته في ١٧ مارس ١٩٢١ والتي سميت بوزارة الثقة فالف عدلى وفدا حكوميا برئاسة وعضوية رشدي باشا واسماعيل صدقي (١٥) وسافر الى لندن لمفاوضة اللورد كيرزون ، وقد استمرت المفاوضات طيلة الصيف واتضح منها ان بريطانيا لم تكن جادة في الغاء حمايتها لاصرارها على مرابطة قوة عسكرية بريطانية في مصر ، ونتيجة لذلك عاد الوفد الى ارض الوطن (١٦) وقدم عدلى استقالته من الوزارة .

ونظرا لتصاعد الحركة الوطنية ، وتزايد الكراهية ضد الانجليز ، ابقت السلطات البريطانية القبض على سعد زغلول وخمسة من اعضاء الوفد وهم « فتح الله بركات » ، و « عاطف بركات » ، و « مصطفى النحاس » و « مكرم عبيد » ، و « سينوت حنا » ، وقامت بنفيهم الى عدن ثم الى جزيرة سيشل ثم نقل سعد الى جبل طارق .

ونتيجة لذلك ازداد هياج الشعب المصرى ، واستمرت الاضطرابات وقاطع المصريون البضائع الانجليزية وتردد رجال السلطان في قبول منسب الوزارة في ظل الحماية البريطانية ، واصر المصريون على الغاء الحماية وعودة المنفيين وازاء هذا الموقف اضطرت الحكومة البريطانية الى تهدئة الموقف والتفاوض مع المصريين مما نتج عنه تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

## ثالثا : نتائج ثورة ١٩١٩ :

أسهب المؤرخون في الحديث عن نتائج ثورة ١٩١٩ فمنهم من قال بنجاحها خاصة وانها ايقظت مصر فنهضت تبحث عن شخصها وتعيد روحها وحضارتها بنفسها <sup>(١٧)</sup> دون اعتماد على حكامها ومنهم من قال بغير ذلك والحقيقة ان هذه الثورة لها نتائج ايجابية كما ان لها نتائج سلبية وفيما على نعرض لكافة هذه النتائج .

## ١ — في الناحية السياسية :

في الحقيقة ان ثورة ١٩١٩ لم تستطع انهاء النفوذ الانجليزى في مصر، ومع ذلك فانها وضعت حدا لسلطاته المطلقة التى كان يفرضها على المجتمع المصرى ، كما ان هذه الثورة قد حققت احد اهدافها الهامة الا وهو تقرير النظام الدستورى الذى كانت تصبو اليه قلوب المصريين ونفوسهم منذ اواخر عهد اسماعيل حيث امتزج مطلب الاستقلال الوطنى بمطلب البناء الديمقراطى . يضاف الى ذلك ان ثورة ١٩١٩ استطاعت ان تحل بريطانيا على الاعتراف بتصريح فبراير ١٩٢١ الذى يرى ان الحماية البريطانية اصبحت علاقة غير مرضية واعترف بمصر دولة ملكية مستقلة ذات سيادة ، وذلك يعتبر فى حد ذاته مكسبا دوليا لمصر خصوصا وان بريطانيا قد ابلغت دول العالم بالغاء حمايتها على مصر <sup>(١٨)</sup> ، يضاف الى ذلك ان هذه الثورة نجحت فى بسط سلطان الحكومة المصرية على الاجانب فى التشريع والادارة والامن .

## ٢ — في الناحية الاقتصادية :

نجحت ثورة ١٩١٩ فى زعزعة الخرافة القائلة بأن الاقتصاد الزراعى هو النوع الوحيد الذى يلائم مصر <sup>(١٩)</sup> كما وضعت حدا للحكم المطلق الذى كان يمارسه كبار الملاك تحت اشراف السلطات الاستعمارية ، والتي كانت قد اهللت النواحي الاقتصادية اهمالا واضحا ، فقد رافق الكفاح السياسى لثورة رغبة ملحة فى اقامة نظام اقتصادى لا يرتبط كل الارتباط بالمصالح الاجنبية ، وقد مهد الطريق لذلك دعوة طلعت حرب الى تأسيس بنك مصر فى عام ١٩٢٠ <sup>(٢٠)</sup> والذى كان النواة لنهضة اقتصادية ومالية فى مصر

بعد الحرب العالمية الأولى ، فقد كان أول بنك أسسه وإداره مصريون ، وكان رأس ماله مصريا خالصا وقد استقبل البنك بحماسة بالغة ، وسرعان ما كسب ثقة الطبقة الوسطى وتعضيدها .

ومنذ أن انشئ هذا البنك عنى بالمشاركة الجدية فى التجارة والصناعة ، فانشأ شركات للمواصلات والتأمين والتجارة وعددا من المؤسسات الصناعية وأهمها مصانع الغزل والنسيج (٢١) .

### ٣ — فى الناحية الاجتماعية :

اغفل رجال الثورة حركة التغيير الاجتماعى ، خصوصا وأنهم كانوا من طبقة كبار الملاك ( الأرستقراطية الزراعية ) التى كان من الممكن أن تؤثر نتائج الثورة على مصالحهم ومن هنا وقفوا ضد تحويل الثورة من ثورة سياسية الى ثورة اجتماعية ومع ذلك فقد نشطت الحركة العمالية خلال الثورة ، حيث طالب العمال بترقية شئونهم وتحسين أحوالهم مما اضطر الحكومة الى تأليف لجنة للتوفيق بين العمال وأصحاب العمل كما استجابت المرأة المصرية للشعور الوطنى فنزلت الى ميدان النضال السياسى لأول مرة فى تاريخها .

### ٤ — فى الناحية المعنوية :

كان لثورة ١٩١٩ أثر كبير من الناحية المعنوية حيث سادت بين الشباب روح التضحية والفداء والتمسك بالقيم الاجتماعية بين أبناء الشعب (٢٢) فى حين دب فى نفوس الانجليز روح التملل ، وأدركوا أن الشعب المصرى أصبح لا يقبل الذل ، وأنه ثورته ما هى الا عملية جراحية لجأ اليها بعد أن سدت فى وجهه كل السبل المتاحة واستطاع تحطيم المعوقات وشق طريقه الى الحياة السلمية ومما سبق يتضح مدى ما جناه الشعب المصرى من ثورة ١٩١٩ فى النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية .

### رابعا : تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ :

#### ( ١ ) فكرة اصدار التصريح :

عرض عدلى باشا فى مفاوضاته مع اللورد كيرزون فكرة التصريح وخلصتها هى أنه طالما أن بريطانيا قد أعلنت أن علاقتها مع مصر



عن طريق الحماية أصبحت علاقة غير مرضية ، وأنها مستعدة للتسليم ببعض مطالب مصر فلماذا لا يقوم الانجليز بالتسليم بهذه المطالب حتى يهدأ المصريون وتتوقف ثورتهم (٢٣) .

وبعد عدة مشاورات أصدرت بريطانيا هذا التصريح وقد جاء فيه :  
« بما أن حكومة جلالة الملك ، وعملا بنواياها التي جاهدت بها ، ترغب في الحال في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وبما أن للعلاقات بين حكومة جلالة الملك ، ومصر أهمية جوهرية للإمبراطورية فيموجب هذا تعلن المبادئ الآتية .

١ — انتهاء الحماية البريطانية على مصر وتصبح مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

٢ — حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات ( اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم السلطة العسكرية ) نافذ الفعل على جميع ساكنى مصر تلغى الاحكام العرفية التي اعلنت في الثانى من نوفمبر ١٩١٤

٣ — الى ان يحين الوقت الذى يتسنى فيه إبرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمور الاتى بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الفريقين ، تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور وهى :

١ — تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر .

٢ — الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء او تدخل أجنبى بالذات أو بالواسطة .

٣ — حماية المصالح الأجنبية وحماية الأقليات .

٤ — السودان .

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة على ماهى عليه (٢٤) .

وعند تحليلنا لهذه البنود الأربعة ، نجد أن مصر تحولت من الحماية البريطانية العلنية عليها الى الحماية المتقنعة فالتحفظ الاول يجعل لبريطانيا حق التواجد العسكرى فى مصر بصفة مستمرة بحجة تأمين المواصلات البريطانية والتحفظ الثانى يجعل لبريطانيا اليد الطولى على مصر عسكريا بحجة الدفاع عنها .

والتحفظ الثالث يعطى لبريطانيا فرصة التدخل المستمر فى شئون مصر الداخلية بحجة حماية المصالح الأجنبية والاعتليات اما التحفظ الرابع فبمعناه فصل السودان عن مصر وسيطرة بريطانيا على مقاليد الأمور فيه مما ادى الى ردود فعل لدى بعض الضباط السودانيين تمثلت فى قيام الملازم اول على عبد اللطيف باعلان حركة المقاومة ضد بريطانيا (٢٥) كما ادى ايضا الى ردود فعل لدى المصريين تمثلت فى مطالبتهم باستقلال مصر والسودان استقلالا غير مقيد بحماية او وصاية .

#### ( ب ) أسباب صدور التصريح :

١ — كان لرد الفعل القوى عند الشعب المصرى اثر اعتقال سعد زغلول وصحبه ، اكبر الاثر فى مراجعة بريطانيا لسياستها تجاه مصر ، فرات أن العقل والمنطق يفرضان عليها تهدئة الموقف والعمل على ايقاف الثورة والحد من المظاهرات العارمة ضدها ، وذلك لحماية مصالحها ومصالح الأجانب فى مصر (٢٦) .

٢ — بعد أن قدم عدلى باشا استقالته اثر عودته من بريطانيا بعد مفاوضاته مع « اللورد كيرزون » رفض المستوزرون قبول تأليف أى وزارة جديدة تضامنا مع الشعب المصرى ، واحتجاجا على اعتقال سعد وصحبه مما أخرج مركز السلطات البريطانية فى مصر (٢٧) واضطر الجنرال اللننى المنسوب السامى البريطانى فى مصر الى ان يصدر قرارا فى ٢٨ ديسمبر يخلو وكلاء الوزارات الانجليز سلطة الوزراء ، حتى يتم تأليف الوزارة .

٣ — فشل سياسة البطش والارهاب التى انتهجتها بريطانيا فى مصر ، وتصميم الشعب المصرى على استقلال بلاده (٢٨) مما دفع الساسة الانجليز الى الشعور بعدم جدوى القوة أمام شعب يضخى بدمائه ولا يهاب الموت

٤ - ربط تصريح فبراير بالمحافظة على مصالح بريطانيا في مصر  
جمل الانجليز لا يشعرون بأى ضرر على مصالحهم اذا اعلنوا هذا  
التصريح (٢٩) .

#### ( ج ) صدق صدور التصريح :

تنبه افراد الشعب المصرى لما ترمى اليه بريطانيا من وراء هذا التصريح  
الذى لم يمه الحياه ، نتيجة للتخلفات الأربعة التى تضمنته وقد عبر عن  
ذلك الأستاذ عباس العقاد بقوله انه التصريح المنسوب الى هذا انتابخ  
( فبراير ) لأن أحدا لم يستطيع أن يسميه تصريح إلغاء الحماية او تصريح  
الاستقلال أو ما الى ذلك من الصفات ، لا غرق في ذلك بين انصاره المرحبين  
به ، وخصومه المعارضين عليه (٣٠) .

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاحقت هذا التصريح فان  
الحكومة المصرية اخذت في تنفيذه .

#### ( د ) نتائج اصدار التصريح :

في الحقيقة ان اصدار هذا التصريح على الرغم مما فيه من قيود كان  
خطوة في سبيل استقلال مصر ، خصوصا وان المصريين لم يستطيعوا قبل  
ذلك استخلاص أى اعتراف من بريطانيا بانتهاء الحماية ، كما انه اتاح لهم  
فرصة الحصول على قدر اكبر من ادارة حكم بلادهم بأنفسهم وتولى العديد  
من أمورهم فبعد اعلان التصريح قام « عبد الخالق ثروت » بقاليف وزارة  
جديدة (٣١) شملت بين اجنحتها وزارة للخارجية التى كانت قد انغيت في  
ظل الحماية ، وتولى ادارة شؤونها رئيس الوزراء بنفسه (٣٢) وبذلك تحقق  
لمصر ادارة شؤون كيانها الخارجى وتمثيلها السياسى والقنصلى ومن نتائج  
التصريح كذلك تحول مصر من سلطنة الى ملكية واعلان السلطان فؤاد ملكا  
على مصر في الخامس عشر من مارس ١٩٢٢ (٣٣) والاعتراف بمصر كدولة  
مستقلة .

يضاف الى ذلك ان من أهم النتائج التى تمخضت عن تصريح فبراير ،  
كان اعلان الدستور ، فقام رئيس الوزراء بتأليف لجنة في الثالث عشر من

ابريل ١٩٢٢ لوضع مسودة الدستور ، ولما تمت هذه اللجنة مهمتها قدمت مشروع الدستور الى ثروت باشا في الثانى والعشرين من اكتوبر ١٩٢٢ ، ولكن الملك فؤاد اعترض على بعض بنوده في محاولة لممارسة سلطته على حساب سيادة الشعب<sup>(٣٤)</sup> ، كما حاول الانجليز تعديل بعض نصوصه مما ادى فى النهاية الى استقالة وزارة ثروت ، وتولية محمد توفيق نسيم رئاسة الوزارة وقد حاولت هذه الوزارة ارضاء رغبات الملك فى تعديل الدستور بحيث يخلو تعين الشيوخ والحكام واعطاء النياشين واصدار المراسيم التى يكون لها قوة القانون وأن تكون للملك السلطة المطلقة على المعاهد التعليمية والدينية والاوقاف وغيرها ، ولكنها استقالت قبل أن تكمل مهمتها وتولت وزارة « يحيى باشا ابراهيم » مهمة مسخ الدستور ، وانتهى الأمر فى ١٩ من ابريل ١٩٢٣ بصدر الأمر الملكى باعلان الدستور الذى نص على ان مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وافر نظاها الملكى الوراى كما جعل الدستور الأمة هى المصدر الأساسى لجميع السلطات ، كما أقر الدستور مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات بين المصريين أمام القانون ، واعطاهم الحرية المطلقة فى الاعتقاد ، وحرية ابداء الراى أمام الجميع<sup>(٣٥)</sup> وتناول الدستور البرلمان الذى أصبح يتكون من مجلسين أحدهما للشيوخ والآخر للنواب ومدة العضوية فيهما .

ونتيجة لذلك استبشر الناس بهذا الدستور خيرا واعتبروه فاتحة خير على مصر والمصريين ، وكان أول عمل أجرى بعد صدور الدستور هو اجراء الانتخابات العامة التى فاز فيها الوفد بأغلبية ساحقة .

#### **خامسا : المفاوضات المصرية البريطانية فى اعقاب تصريح فبراير ١٩٢٢ :**

نتيجة لضغط الحركة الوطنية واصرار المصريين على الافراج عن سعد رأت بريطانيا انه ليس من الحكمة ابقاء سعد زغلول وصحبه فى المنفى فأصدرت قرارها بالافراج عنه فى ٢٧ مارس ١٩٢٣ بحجة سوء احواله الصحية<sup>(٣٦)</sup> ونتيجة لذلك غادر سعد منفاه الى اوربا ثم عاد الى مصر فى سبتمبر ١٩٢٣ حيث دخل معركة الانتخابات التى أسفرت عن فوز حزب الوفد بأغلبية ساحقة ، وبعدها قام سعد زغلول بتسليم الوزارة فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ وأعلن عن استعداد حكومته للدخول فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية .

## مفاوضات سعد مع مكدونالد :

وعلى اثر ذلك بدأت مفاوضات سعد زغلول رئيس الوزراء المصرى مع مكدونالد رئيس وزراء بريطانيا <sup>(٣٧)</sup> حيث سافر سعد الى لندن على رأس وفد مكون من مصطفى النحاس باشا وزير المواصلات ، ومحمود فخري باشا وزير مصر المفوض في باريس وبعض النواب وعلى الرغم من ارتياح سعد زغلول لتفاوضه مع مكدونالد وسعاداته لفوز حزب العمال في بريطانيا فقد كان هناك تباعد كبير بين اهدافهما ففى حين كان سعد ينفذ تحقيق الاستقلال لمصر ، كان مكدونالد يسعى لتثبيت اقدام بريطانيا في مصر .

وعلى كل حال فقد اجريت المفاوضات بين الجانبين لمدة ثلاثة ايام قدم سعد زغلول خلالها مطالب مصر الاساسية وهى :

١ — أن تقوم بريطانيا بسحب جميع قواتها من الاراضى المصرية ، كما تقوم بسحب المستثمرين المالى والتضائى اللذان كانا موضع تذمر المصريين

٢ — زوال اى سيطرة انجليزية على علاقات مصر الخارجية بالدول الأخرى .

٣ — تخلى بريطانيا عن دعواها في احققتها لحماية الأجانب والاقليات في مصر ، ودعواها في الاشتراك لحماية قناة السويس .

٤ — ضرورة اعتراف بريطانيا بحق مصر في السودان وبانه جزء متمم لمصر <sup>(٣٨)</sup> .

ونتيجة لتمسك سعد بمطالبه فشلت المفاوضات بين الجانبين وعاد سعد الى مصر في اكتوبر ١٩٢٤ وخلال ذلك استغلت بريطانيا حادث اغتيال السير « لى ستاك » سردار الجيش المصرى وحاكم السودان في نوفمبر ١٩٢٤ في زعزعة الأوضاع في مصر والانتقاص من حقوقها واجبار وزارة سعد على التخلي عن الحكم ، فحلت بريطانيا وزارة سعد مسئولية الحادث، وطالبتها بدفع تعويض يبلغ نصف مليون جنيه تعطى لامرأة السردار على سبيل التعويض <sup>(٣٩)</sup> وسحب القوات المصرية من السودان ، ومع ان حكومة

سعد اعتذرت عن الحادث واعربت عن استعدادها لدفع التعويض المطلوب، فقد عمل الانجليز على اسقاط حكومة سعد فسارت القوات البريطانية من شوارع القاهرة واحتل الجنود الانجليز مباني الجمارك ، مما اضطر الحكومة الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٢٤ وادى الى تعطيل مجلس النواب .

### مفاوضات ثروت — تشميلين :

بعد استقالة وزارة سعد زغلول تالفت وزارة برئاسة زيور باشا وتم حل البرلمان وفى عهد هذه الوزارة استقال اللورد النبى وهل محله اللورد جورج لويدي، وكان موقف هذه الوزارة المتخاذل امام بريطانيا سببا فى اسقاطها فى السابع من يونيو من عام ١٩٢٦<sup>(٤٠)</sup> ، فشكلت وزارة برئاسة عدلى باشا يكن كان اعضاؤها من حزبى الوفد والاحرار الدستوريين ، ولم تكن هذه الوزارة احسن حالا من سابقتها فقدم عدلى استقالته فى التاسع من ابريل عام ١٩٢٧ وعهد الى ثروت باشا بتأليف وزارة جديدة . وفى عهد وزارة ثروت استؤنفت المفاوضات مع الحكومة البريطانية ، ولم يكن الجانب المصرى فى هذه المرة كسابقتها من حيث الاصرار على استخلاص حقوق مصر من بريطانيا بل كان على النقيض تماما ، فقد تساهل ثروت فى تفاوضه مع الانجليز وكانت بريطانيا هى المستفيدة الاولى والاخيرة حيث ركزت المفاوضات على الصداقة بين الجانبين<sup>(٤١)</sup> ووقوف بريطانيا بجانب مصر فى حالة تعرضها لاي اعتداء<sup>(٤٢)</sup> وأن يقوم الانجليز بتدريب الجيش المصرى كما طلبت بريطانيا ابقاء قوة عسكرية لها فى مصر ، بحجة حماية مصالحها ومواصلاتها فى الاراضى المصرية<sup>(٤٣)</sup> ، وتفضيل الموظفين البريطانيين على غيرهم فى الدوائر الحكومية المصرية هذا الى جانب مطالبة بريطانيا بتعيين مستشار مالى وآخر قضائى فى مصر حتى تحكم قبضتها على المالية المصرية والقضاء ، وأن يتقدم سفيرها فى مصر سائر سفراء الدول الاخرى هذا عن مصر . أما عن السودان فقد خلت المعاهدة من اى نصوص خاصة به .

وعند تحليلنا لنصوص المعاهدة يتضح لنا انها املتيت من طرف واحد وهو بريطانيا لأن معظم ما جاء فيها يخص بريطانيا ، ويتعلق بمصالحها ، ونتيجة لذلك فقد أخفى ثروت باشا بنود المعاهدة بعد عودته لمصر لفترة

بحجة انه لا يزال يرأسل « تشمبرلين » ، ولما اُفصح عنها في ٤ مارس ١٩٢٨ م وجد معارضة شديدة ضدها من مجلس الوزراء كما اعتبرتها جماهير الشعب المصرى امتهانا لحرق مصر واستقلالها ونتيجة لذلك قدم ثروت استقالته وخلفه مصطفى النحاس في ١٧ مارس ١٩٢٨ ولكن وزارته لم تستمر طويلا حيث أمر الملك باقالتها في ٢٥ يونيو ١٩٢٨ وعهد الى محمود محمود باشا بتأليف وزارة جديدة (٤٤) .

### مفاوضات محمد محمود — هندرسن :

بعد ان كلف محمد محمود بتشكيل الوزارة اسفرت الانتخابات فى بريطانيا عن فوز حزب العمال برئاسة الحكومة فالف المستر مكدونالد الوزارة ، وعين فيها ارثر هندرسن وزيرا للخارجية ، وكان اول اجراء قامت به وزارة مكدونالد هو اقالته للورد جورج لويد من منصبه كمندوب ساسى فى مصر ، والاعلان عن رغبتها فى تسوية المسألة المصرية واستعدادها لتفاوض مع الحكومة المصرية ، ونتيجة لذلك سافر محمد محمود الى انجلترا، واجتمع بالمستر هندرسن الذى طالبه بتحديد ما تريده الامة المصرية (٤٥) ، فاوضح له محمد محمود ان مصر ترغب فى الاستقلال غير المقيّد بشروط بحيث يكون لها حق السيادة عن اراضيها داخليا وخارجيا ، كما طالب بعودة مجوعات من الجيش المصرى الى السودان كما كان فى عام ١٩٢٤ (٤٦) وبعد مشاورات ومداولات اتفق على ان تقوم وزارة الخارجية البريطانية باعداد مشروع يتضمن جملة ما اتفق عليه الفريقان من مباحثات ، وقد تسلم محمد محمود المشروع البريطانى فى ٥ يوليو ١٩٢٩ والذى تضمن الموافقة على بعض المطالب المصرية التى طالما تناوشت بريطانيا من اجلها والتى من اهمها انتهاء الاحتلال العسكرى لمصر بواسطة القوات البريطانية وان كان قد ربط ذلك باهمية عقد معاهدة صداقة بين الطرفين تساعد على تنمية التفاهم الودى وحسن العلاقات والمشاركة فى رد اى اعتداء يقع على الدولة الأخرى ، بحيث اذا دخلت بريطانيا فى حرب يسمح لها باستخدام موانى مصر وارضياتها . واحتوى المشروع على امكانية انضمام مصر فى عصبة الأمم ، وحق مصر فى تسيير أمور الاجانب الذين يعيشون بها وتطبيق انتزاع المصرى عليهم (٤٧) .

يضاف الى ذلك ان بريطانيا تمسكت بأن يتم تدريب الجيش المصرى بواسطة ضباطها كما انها تمسكت بحقتها فى حماية قناة السويس ، وبتبعية السودان لها ، هذا بالإضافة الى احتية رعاياها فى مصر فى الوظائف الأجنبية، وأن يكون لسفيرها منزلة رفيعة على باقى السفراء . كما اتفق على انه ينتضى العمل بهذه المعاهدة . مدة خمس وعشرين عاما .

وعلى الرغم من الميزات التى حصلت عليها مصر فى هذه المعاهدة ، وعلان محمد محمود انه سيجرى انتخابات يعرض فيها المشروع على الأمة<sup>(٤٨)</sup> . فان الصحف الوفدية أحدثت ضجة شديدة ضد المشروع، وطالبت محمد محمود بالاستقالة ، مما كان منه الا أن قدمها فى ٢ أكتوبر ١٩٢٩ وقبلها الملك وعهد الى عدلى يكن بتأليف الوزارة وإجراء انتخابات عامة أسفرت عن فوز ساحق للوفد أدى الى قيام حكومة عدلى بتقديم استقالتها، فعهد الملك الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة فى الاول من يناير ١٩٣٠ باعتباره زعيم الأغلبية ، فتألفت الوزارة الثانية للنحاس لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الصراع مع بريطانيا من أجل الاستقلال .

### مفاوضات النحاس — هندرسن :

فى السادس من يناير ١٩٣٠ فوض مجلس الشيوخ والنواب وزارة النحاس بفتح باب المفاوضات مع بريطانيا للوصول الى اتفاق يوثق عرى الصداقة بين البلدين<sup>(٤٩)</sup> وقد وصل الوفد الى لندن فى ٢٠ من مارس ١٩٣٠ م وجرى المفاوضات فى ٣١ من مارس واستمرت الى يوم الثامن من مايو ١٩٣٠<sup>(٥٠)</sup> وانتهت بالاخفاق وعدم التوصل الى حل مقبول يرضى الطرفين . التمسك بريطانيا بالسودان . وعاد الوفد الى مصر ليجد الاحزاب قد استغلت فشله ، وتعمل على اسقاطه ، وانتهى الامر بتقديم مصطفى النحاس لاستقالته فى ٧ من يونيو ١٩٣٠ م .

وهكذا يتضح أن مفاوضات النحاس مع الانجليز اصطدمت بعقبة رئيسية وهى السودان مثلاً كمثل المفاوضات التى سبقتها ، وفى اعقاب هذه الفترة بدأت الأحوال فى أوربا فى التغير ، خصوصاً بعد ظهور هتلر وتربعه



على قمة الحكم في المانيا ، واحكام موسولينى لقبضته على ايطاليا ،  
 مما جعل بريطانيا تراجع حساباتها وترى انه من الصواب فتح باب  
 المفاوضات مع المصريين فى محاولة لكسب ودعم وتهدئة ثورتهم<sup>(٥١)</sup> .

### ساسا : مصر فى عهد حكومة صدقى :

فى اعقاب استقالة وزارة النحاس قام اسماعيل صدقى بتأليف الوزارة  
 فى ١٩ يونيو ١٩٣٠ ، وفى عهد هذه الوزارة بدأت مصر مرحلة جديدة من  
 مراحل الصراع الداخلى الا وهو مرحلة الدستور خصوصا وأن صدقى  
 باشا قام بإلغاء دستور ١٩٢٣ واخذ البلاد بالشدة والبطش .

وازاء هذه التطورات استطاع الشعب المصرى أن يثبت حيويته  
 وقدرته على مقاومة هذه الوزارة التى جاءت ضد ارادته<sup>(٥٢)</sup> فقامت الثورات ،  
 وحدثت المصادمات وكانت انجلترا هى المستفيد الوحيد من ذلك ، حيث  
 رأت فى هذا الصراع شاغلا للشعب المصرى عن مطالبتها بالاستقلال وخلال  
 ذلك أعلن صدقى باشا فى ٢٢ اكتوبر ١٩٣٠ عن إلغاء دستور ١٩٢٣ وحل  
 مجلس النواب والشيوخ وأعلان دستور ١٩٣٠ وقد جاء الدستور الجديد  
 فى أغلب بنوده كمنحة من الملك للشعب فى حين كان دستور ١٩٢٣ كتماعدا  
 بين الملك والأمة .

وقد حرم الدستور الجديد مجلس النواب والشيوخ من اقتراع  
 القوانين المالية وجعل هذا الحق للملك وأعطى للملك الحق فى ايهال أى  
 قانون يقره البرلمان كما أعطى للملك حق تعيين شيخ الأزهر وغيره من  
 الرؤساء الدينيين كما أعطاه الحق فى دعوة البرلمان للانعقاد فى أى وقت  
 يشاء فما كان من المعارضة الا أن وقفت بالمرصاد ضد هذا الدستور ،  
 وضد حزب الشعب الذى ألفه صدقى وزاد رجال صدقى فى تعسفهم ضد  
 الأعالى ، وشددوا على العبد والمشايع الذين رفضوا العمل بقانون الانتخاب  
 وظل صدقى يحكم البلاد حكما استبداديا لمدة ثلاث سنوات اضطر فى نهايتها  
 الى تقديم استقالته فى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ ، وجاءت على اثر ذلك وزارة  
 عبد الفتاح يحيى فلم تكن بأحسن حالا من سابقتها<sup>(٥٣)</sup> وقد استغل الانجليز  
 ضعف هذه الوزارة فى فرض هيمنتهم على مصر ، ونتيجة لذلك قدم يحيى

بأشيا لاستقالة وزارته في ٢ نوفمبر ١٩٣٤ فقام الملك بتكليف محمد توفيق نسيم بتأليف وزارة جديدة ، ولما كانت هذه الوزارة تدرك تماما الأحوال السيئة التي خلفتها الوزارتان السابقتان فقد عملت على إلغاء دستور ١٩٣٠<sup>(٥٤)</sup> وإعادة الحياة الدستورية ، وخلال ذلك بدأ المصريون يعدون العدة للتفرغ للكمّاح ضد الانجليز وانتهى الأمر بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ .

### سابعاً : معاهدة ١٩٣٦ والمفاوضات المصرية البريطانية :

جرت المفاوضات في شأن هذه المعاهدة في أواخر عهد الملك فؤاد بين المندوب السامي البريطاني اللورد كيلرن ومعاونه ، وهيئة التفاوض المصرية برئاسة مصطفى النحاس والمؤلفة من ممثلى الأحزاب السياسية عدا الحزب الوطنى الذى لم يقبل الاشتراك فى المفاوضات لمخالفتها لسياسته « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » .

وقد بدأت المفاوضات رسمياً بقصر الزعفران بالقاهرة فى الثانى من مارس ١٩٣٦ ثم انتقلت الى قصر «انطونيدس» بالاسكندرية وانتهى الأمر بتوقيعها فى قاعة « لوكارنو » التاريخية بوزارة الخارجية البريطانية فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦<sup>(٥٥)</sup> .

وكان الهدف من عقد هذه المعاهدة بالنسبة للجانب البريطانى هو اعطاء بريطانيا الصفة الشرعية لوضعها فى مصر التى كانت تفتقدها منذ احتلالها لها فى عام ١٨٨٢ ، وضمان مصالحها فى المستقبل .

أما بالنسبة للجانب المصرى فقد كان يتطلع الى الحصول على الاستقلال الكامل ، وقد صيغت المعاهدة بشكل أرضى طموحات كل من الطرفين والذي يمكن تلخيصه فى جملة واحدة هى ان الاستقلال التام لا يتعارض مع الحقوق البريطانية فى مصر . فقد اضطّر الجانب المصرى الى تقديم العديد من التنازلات بشأن مركز القوات البريطانية فى منطقة القتال ووضع موانئ ومطارات مصر تحت تصرف بريطانيا عند الحرب فى مقابل انسحاب بريطانيا من المدن المصرية الكبرى . مثل القاهرة والاسكندرية ، فقد أوضحت المادة الأولى من المعاهدة أن مصر غير محتلة ، عسكرياً بواسطة القوات البريطانية على حين أعطت المادة الثامنة لبريطانيا حق تواجد قواتها

في قناة السويس بهدف الدفاع عنها وتم تحديد هذه القوات بعشرة آلاف جندي في وقت السلم .

يضاف الى ذلك انه على الرغم من أن المادة الثامنة من المعاهدة تنص على أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر فانها ذكرت أن القناة طريق أساسى لمواصلات الإمبراطورية البريطانية ويجب أن تتعاون القوات البريطانية مع القوات المصرية لضمان الدفاع عنها على ألا يكون لهذه القوات صفة الاحتلال <sup>(٥٦)</sup> ، وأن يستمر الوضع على ذلك حتى يكون لدى الجيش المصرى القدرة على الدفاع عن القنال بمفرده ، وخلال ذلك تتعهد مصر ببناء مستوطنات القوات البريطانية في منطقة القنال هذا الى جانب أن المعاهدة ربطت مصر بتحالف أبدى مع بريطانيا وفيما عدا ذلك فقد أقرت المعاهدة بحق مصر في حماية الأجانب المقيمين بها ونصت على إلغاء الامتيازات الأجنبية <sup>(٥٧)</sup> .

وفيما يتعلق بالسودان فقد أصبح السودان بموجب معاهدة ١٩٣٦ بمثابة مستعمرة انجليزية تحرسها جنود مصرية تحت امرة الحاكم العام البريطانى ففى المادة الحادية عشرة اتفق الطرفان المتعاقدان على أن ادارة السودان تستمر مستعمدة من اتفاقيتى ١٩ يناير ، و ١٠ يوليو ١٨٩٩ اللتين انتزعتا السودان من مصر أن تكون السلطة العسكرية والمدنية في يد الحاكم العام البريطانى .

أما عن عملية الدخول في مفاوضات فيما بعد بشأن الرغبة في تعديل بنود المعاهدة فقد اتفق الطرفان في المادة السادسة عشرة على أن يدخل الطرفان المتعاقدان في مفاوضات بناء على طلب أى منهما بعد عشرين عاماً من تنفيذ هذه المعاهدة .

ومما سبق ان ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول وما أعقبها من تفاعلات

قد وصل بالبلاد الى نتائج سياسية تمثلت في تصريح ٢٨ نوفمبر بتحففظاته  
الاربعة ، ووضع دستور ١٩٢٣ .

ومع أن حزب الوفد كان اكثر الاحزاب جماهيرية فانه تعرض لانقسامات  
حاددة أدت الى تفسخ وحدته فخرجت منه المجموعة التي شكلت الاحرار  
الدستوريين ، وخرجت منه المجموعة التي شكلت الحزب السعدى ، كما  
خرجت منه فى النهاية المجموعة التي شكلت الكتلة الوفدية ، وبلغ به الارهاق  
الى الحد الذى دفعه الى توقيع معاهدة ١٩٣٦ .

## مراجع الفصل السادس

- (١) انظر خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ص ٤٣ .
- (٢) نجلاء عز الدين : العالم العربي — ترجمة محمد عوض ابراهيم وآخرون — القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٠ .
- (٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية — ترجمة امين فارس ومير البعلبكي — بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ، ١٩٧٩ ، ص ٧٢٣ .
- (٤) عباس العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، بيروت ، دار الشروق د.ت ص ٢٠٥ .
- (٥) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ، القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ص ٨٤ .
- (٧) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ١٩١٩ ج ١ القاهرة ، النهضة المصرية الطبعة الاولى ، ١٣٦٥ — ١٩٤٦ م ، ص ١٢٦ .
- (٧) خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ١٨٩ .
- (٨) الرافعي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .
- (٩) نجلاء عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .
- (١٠) هي ممرضة ايرلندية اسرها الانجليز وقتلوا رميا بالرصاص فهاجت لذلك دول العالم واعتبروا ما حدث وحشية ، وسلکوها في عداد الشهداء .
- (١١) مقال لمصطفى امين تحت عنوان « عندما خرجت المرأة المصرية الى الشارع » .
- (١٢) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٥ .
- (١٣) الرافعي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .
- (١٤) العقاد : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .
- (١٥) هيكل : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ .

- (١٦) غريال : المرجع السابق ، ج ١ ص ٩٠ — ٩١ .
- (١٧) توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسى فى مصر ١٩١٩ — ١٩٧٩م  
القاهرة ، مكتبة الآداب ، ص ٣٨٧ .
- (١٨) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .
- (١٩) نجلاء عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
- (٢٠) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
- (٢١) نجلاء عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .
- (٢٢) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .
- (٢٣) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
- (٢٤) راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية ج ١ ، القاهرة  
النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٩٥١ ، ص ١٢٨ .
- (٢٥) عبد الرحمن الرافعى : فى اعقاب الثورة ، القاهرة ، النهضة  
المصرية ١٩٤٦ ص ١٦١ .
- (٢٦) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
- (٢٧) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩ .
- (٢٨) هيكل : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
- (٢٩) محمد عبد الرحمن برج : قناة السويس — أهميتها السياسية  
والاستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصرية البريطانية ، القاهرة ، دار  
الكاتب العربى ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٨١ .
- (٣٠) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .
- (٣١) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٩ .
- (٣٢) هيكل : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
- (٣٣) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٩ .
- (٣٤) نجلاء عز الدين : المرجع السابق : ص ١٥٦ .
- (٣٥) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٥ .
- (٣٦) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص ٤٢٧ .

(٣٧) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ومحمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ، ص ١٤٩ .

(٣٨) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٣٩) مذكرات ابراهيم الهلباوى : ص ٢٢٦ .

(٤٠) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٤١) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٤٢) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٤٣) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٤٤) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٤٥) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٤٦) الرافعى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٤٧) البراوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٤٨) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٥٠) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٥١) هيك : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .

(٥٢) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٥٣) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٥٤) غربال : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٥٥) نشرت جريدة الاهرام نصوص هذه المعاهدة فى السادس من سبتمبر ١٩٣٦ .

والجدير بالذكر ان بريطانيا عقدت مع العراق وشرق الاردن معاهدات على نفس النمط الذى عقدت به معاهدة ١٩٣٦ واذا كانت هناك اختلافات فهو فى الشكل وليس فى المضمون .

(٥٧) عبد الوهاب بكر : الوجود البريطانى فى الجيش المصرى ، القاهرة دار المعارف ، ص ٢٠ .

(٥٨) فى عام ١٩٣٧ ألغيت الامتيازات الاجنبية طبقا لاتفاقية مونترو .

## الفصل السابع

مصر من الحرب العالمية الثانية الى  
ارهاصات ثورة ١٩٥٢

١ — مصر في الحرب العالمية الثانية .

٢ — مصر وحرب ١٩٤٨ .





## ١ - مصر في الحرب العالمية الثانية :

عند نشوب الحرب العالمية الثانية كانت مصر مكبلة بقيود معاهدة ١٩٣٦ التى تفرض عليها الاشتراك فى الحرب بجانب الانجليز ، ونتيجة لنصوص المعاهدة أعلن على ماهر رئيس الحكومة قطع علاقات مصر السياسية مع المانيا ، كما أعلن الأحكام العرفية ، ووافق على وضع الموانئ المصرية تحت رقابة السلطة البحرية البريطانية ، وفرض الرقابة على البريد والبرق والصحف ، ولكن بريطانيا لم تكف بتلك الاجراءات وطلبت من مصر دخول الحرب الى جانبها ولكن مصر رفضت القيام بهذا الدور وحاول ساستها تجنب البلاد ويلات الحرب (٢) .

يضاف الى ذلك أن الملك فاروق حاول انتهاز سياسة حذرة تجاه المعسكرين المتحاربين فى الظاهر ، ومساندة النازية والفاشية فى الباطن .

وعلى الجانب الشعبى فقد كان لكل من النظامين الهتلرى والفاشىستى معجبون فى مصر ويبدو ذلك واضحا من خلال امتداح اسماعيل صدقى لها علانية فى مجلس النواب فى ٢١ ديسمبر ١٩٣٨ ، كما بدأت تنتشر بين افراد الشعب المصرى فكرة ان انتصار المانيا هو السبيل الاكيد لتحرير مصر من الانجليز .

وعلى الرغم من ان معاهدة ١٩٣٦ كانت تحتم على بريطانيا احترام رغبة المصريين فى تسير امورهم فانها لم تغير من طريقة القهر السياسى الذى مارسه على مصر ، فقد استمرت سياسة الانجليز الخفية للتدخل فى شؤون مصر والععب بالحياة الدستورية فيها مما ادى الى توتر العلاقات بينهم وبين رئيس الوزراء على ماهر الذى تسانده المراه خصوصا وأنه رفض اعلان الحرب على ايطاليا بناء على طلب السفارة البريطانية واكتفى بقطع العلاقات معها وانتهى الامر باستقالته وتكليف حسن صبرى وهو من المستقلين بتشكيل الحكومة الجديدة فى ٢٨ يونيو ١٩٤٠ وفى عهد حكومته رفضت مصر مرة اخرى اعلان الحرب على قوات المحور حتى لا يؤدى ذلك

الى تصف الايطاليين لمصر ونتيجة لوفاة حسن صبرى المفاجئة عهد الملك فاروق الى حسين سرى بتولى الوزارة فى الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩٤٠ .

وقد تعرضت البلاد فى عهد هذه الوزارة لازمت اقتصادية عديدة منها أزمة التموين وشح الغذاء الأساسى للشعب وقيام المظاهرات المنادية بسقوط بريطانيا والمرددة الى الامام ياروميل ، ونتيجة لانفلات زمام الامور قدمت وزارة سرى باشا استقالتها فى الثانى من فبراير ١٩٤٢ وتطلع الناس من كل صوب تجاه القصر لمعرفة من سيقع عليه اختيار الملك ليؤلف الوزارة الجديدة (٣) .

وفى الثالث من فبراير استدعى الملك رؤساء الأحزاب وراى أن تكون الوزارة الجديدة ائتلافية تضم الأحزاب كلها قدر المستطاع ، ولكن النحاس باشا رفض الاشتراك فى هذه الوزارة ، وعندما علم مايلز لامبسون السفير البريطانى بذلك تدخل فى الأمر واخبر رئيس الديوان الملكى بضرورة تكليف النحاس زعيم الوفد بتأليف وزارة وفدية لأن الاوضاع العسكرية على الجبهة الغربية فى الصحراء لم تعد تحتل ، وكان رد رئيس الديوان بأن المسألة مازالت تبحث بين الملك ورؤساء الأحزاب وفى الرابع من فبراير دعى رؤساء الأحزاب الى الاجتماع بقصر عابدين (٤) ولما علم الملك بمحاولة السفير البريطانى التدخل فى اختصاصاته الدستورية ومحاولة فرض حكومة برئاسة النحاس باشا عليه وراى فى ذلك اعتداء صريحا على السيادة المصرية ولم يشأ طلبية رغبة السفير البريطانى ، مما دفع السفير الى ارسال انذار الى الملك جاء فيه « اذا لم اسمع قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف الوزارة فان جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج » .

ولما لم يكن القصر على استعداد للاستسلام ببساطة فقد قام الملك بدعوة رؤساء الأحزاب بما فيهم النحاس باشا لتبادل الراى فى هذا الموقف ، ولما تشاور المجتمعون حاولوا احراج النحاس كى لا يقبل تشكيل الوزارة فى مثل هذه الظروف ثم اتفقوا على تأليف وزارة قوية برئاسة النحاس ،

والاحتجاج على الانذار الموجه الى الملك ولكن النحاس رفض فكرة الوزارة القومية ، وكان عاقبة ذلك الرفض ما تعرضت له البلاد من احداث .

فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٤ فبراير حاصرت القوات البريطانية قصر عابدين بالندبابات واندفع بعض الجنود الانجليز الى القصر شاهرين مسدساتهم ودخل السير « مايلز لامبسون » وبصحبه الجنرال ستون رئيس البعثة البريطانية فى مصر ، الى باب القصر متوجها الى مكتب الملك حاملا ورقة بتنازل الملك عن العرش فانهار فاروق ، وكاد يوقع على التنازل لولا تدخل رئيس الديوان « أحمد حسنين » الذى اظهر استعداد الملك لقبول الانذار والرضوخ للاوامر البريطانية ، وانتهى الامر بتكليف النحاس بتشكيل الوزارة (٥) .

وعندئذ قال أحمد باهر فى حضرة الملك ان النحاس باشا يتولى الحكم مستندا على أسنة رماح الانجليز ، وكان رد النحاس على ذلك « لست أنا الذى يستند على أسنة الزمراح » فقال له اسماعيل صدقى « اظن أن رفعتكم وصلتم الى هنا بعد انصراف الدبابات وحتى لا تزيد حدة النقاش الى مالا تحدد عقباه طلب الملك من المتحدثين السكوت ، وكرر امره الى النحاس . وطلب انيه ان يذهب الى السفير البريطانى ويبلغه نأ تكليفه تأليف الوزارة

وبعد أن اجتمع النحاس ببعض اعضاء حزبه اتفقوا على ان يكتب النحاس الى السفير بسحب الانذار فاذا جاء الرد بسحبه شرع فى تشكيل الوزارة وقد قبل الانجليز هذا الحل خصوصا وأنه لا يعدون ان يكون حلا شكليا لا يجب ما وقع فعلا من تدخل سافر فى شئون مصر ، ونتيجة لذلك قام النحاس بتأليف وزارته .

وهكذا تدخل الانجليز فى شئون مصر بشكل مزمى واذلوا ملكها وكانوا جادين فى تهديدهم له خصوصا وانهم كانوا يعتقدون انه وبعض رجالات القصر لهم صلات بالمحور مما جعل الملك يخشى على عرشه من الضياع .

وقد اختلف المؤرخون فى تفسير وقائع هذا الحادث وآثاره فمنهم من اعتبره نهاية للوفد كحزب وطنى يستطيع التعبير عن الراى العام المصرى ،

ونهاية للنحاس كزعيم شعبي ، ومنهم من رأى فيه ردعا لسلطة القصر ، ومع كل ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أن ما حدث كان صدمة للمصريين جميعا الذين احسوا بالاهانة والاذلال لما حدث لملكهم الذى يمثل قمة السلطة فى وطنهم .

وفى اعقاب ذلك تمكنت قوات روميل من اجتياز الحدود المصرية واحتلال السلوم ودخول قوات المحور المدرعة « سيدى برانى » ومحاصرتها العلمين واقترباها من الاسكندرية بما لا يزيد على مائة كيلو متر ، واعلاناها احترام وضمان استقلال وسيادة مصر ، وطرد الانجليز منها مما شجع خصوم بريطانيا فى مصر على اظهار دعايتهم لصالح قوات المحور ، ولكن الرياح لا تاتى دائما بما تشتهى السفن ، فقد استطاعت بريطانيا ان تعد لهجومها المضاد بدقة ، وكسبت فى النهاية معركة العلمين وابعدت خطر قوات المحور العسكرية عن مصر (٦) .

وقبل ان تنتهى الحرب كانت افرازاتها على المسرح المصرى واضحة ، فقد شهدت مصر العديد من القلاقل السياسية والعنصرية ، ففى شهر يناير ١٩٤٥ شهد البرلمان المصرى مشهدا داميا حيث تقدم شاب يدعى محمود العيسوى من أحمد ماهر رئيس الوزراء المصرى واطلق عليه أربع رصاصات أردته قتيلًا بحجة أنه كان من الذين طالبوا بدخول مصر الحرب بجانب الحلفاء .

وهكذا تكلم الرصاص داخل ردهات البرلمان المصرى ، وارتفع الستار مخضبا بالدم ليعلن عن بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال .

وفى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، قدمت الحكومة المصرية برئاسة النقراشى باشا مذكرة الى الحكومة البريطانية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ وضحت فيها أن معاهدة ١٩٣٦ وقعت تحت ضغط حوادث وظروف دولية زالت بانتهاك الحرب ، وظهور ميثاق الامم المتحدة وانها تريد الدخول فى مفاوضات لتعديل معاهدة ١٩٣٦ على أن تتناول المفاوضات مسألة السودان ، ونتيجة لذلك عقدت مفاوضات بين الطرفين تمسكت فيها بريطانيا ببقاء قواعدها

العسكرية في مصر بينما أصر الجانب المصرى على ازالتها لما فيه من انتقاص لسيادة مصر على اراضيها .

ولما أصر الجانب البريطانى على ضرورة التحالف العسكرى بين مصر وبريطانيا في زمن الحرب أو في حالة التهديد به استتالت وزارة النقرائى لعدم قدرتها على مواجهة الموقف الداخلى ، وشكلت وزارة برئاسة صدقى باشا الذى سافر الى لندن في عام ١٩٤٦ للتفاهم مع المستر بيفن حول ايجاد تسوية ودية ، ونتيجة لذلك اعدت المشروعات الاولى التى عرضت فيها بعد باسم « مشروع صدقى - بيفن » <sup>(٧)</sup> والتى نصت على جلاء القوات البريطانية عن مصر نهائيا في سبتمبر ١٩٤٩ غير ان الاتفاق لم ينفذ بسبب اختلاف الراى بين الطرفين على وضع السودان وعلى الدفاع المشترك <sup>(٨)</sup> ، وانتهى الامر باخفاق المفاوضات وبسقوط حكومة صدقى وتاليف حكومة جديدة برئاسة النقرائى .

ونتيجة لفشل المفاوضات بين مصر وبريطانيا تقدم محمود حسن باشا السفير المصرى في واشنطن بمذكرة الى الامين العام في منظمة الامم المتحدة في ١١ يونية ١٩٤٧ يطالب فيها مجلس الامن الدولى باقرار جلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان في أسرع وقت ممكن ودون أى شرط ، وتمسكت مصر في مطلبها بتطبيق احكام ميثاق الامم المتحدة ، كما اوضحت أن خلافا مع بريطانيا قد يؤدى الى تعريض السلم والامن في هذه المنطقة للخطر .

ولما بدأ مجلس الامن في دراسة القضية المصرية في الخامس من أغسطس ١٩٤٧ استعرض النقرائى باشا قضية بلاده في خطاب اوضح فيه مطالب مصر والمتمثلة في الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقد رد عليه مندوب بريطانيا بتمسك بلاده بالمعاهدة .

ولما اقترح المندوب البرازيلى استئناف المفاوضات المباشرة بين الدولتين ثقة منه ان بالامكان ايجاد طريقة مباشرة بينهما لحل القضية على ان تقديما الى مجلس الامن نتائج ما توصلتا اليه ، اعرب النقرائى عن تشاؤمه من استئناف المفاوضات .

وقد أيد المندوب السوفيتى موقف مصر . وبعد مشاورات ومداولات، ونتيجة لاختلاف وجهات النظر أخفق مجلس الأمن فى اتخاذ قرار بشأن النزاع المصرى الانجليزى قام بتأجيل النظر فى القضية (٩) .

## ٢ - مصر وحرب ١٩٤٨ :

كان قرار مصر بدخول حرب فلسطين مفاجئا لكثير من رجالات العرب والمصريين فبعد أن أعلن محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء عن عدم استعداد مصر لدخول الحرب خصوصا وأنه ليس من المنطقى أن تدفع مصر جيشها الى فلسطين فتكون القوات البريطانية المرابطة على قناة السويس حائلا بينه وبين أرض الوطن (١٠) . وبعد أن أعرب بعض كبار رجالات الجيش المصرى عن افتقار الجيش المصرى الى العتاد الذى يمكنه من دخول الحرب (١١) ، وبعد أن طلبت الحكومة المصرية من المركز العام للاخوان المسلمين فى القاهرة سحب متطوعيه من فلسطين (١٢) جمع النقراشى أعضاء مجلس الشيوخ والنواب واقتنعهم بالموافقة على قرار الملك المرتجل بدخول الحرب بحجة مساندة الراى العام ورفض وجود دولة صهيونية على حدود مصر .

والسؤال المطروح ما هى الدوافع والأسباب التى جعلت ملك مصر يغير موقفه فجأة من عدم الموافقة على دخول الحرب الى دخولها دون استعداد .

الواقع ان الملك وجد فى مسألة فلسطين ما يمكنه من استرداد بعض سمعته التى انهارت فى سنوات حكمه الاخيرة ، وان يدعم بدخول الحرب هيئته يضاف الى ذلك حرصه على أن يبنى لنفسه زعامة عربية يستطيع ان ينافس بها الأسرة الهاشمية المالكة فى العراق وشرق الأردن لدرجة انه كان يتردد ان الملك فاروق كان يتسابق مع الملك عبد الله فى أيهما يصلى الجمعة أولا فى المسجد الأقصى (١٣) .

وفى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨ أصدر محمود فهمى النقراشى أوامره الى الجيش المصرى باجتياز الحدود وكان ذلك الأمر باسم الملك فاروق بوصفه القائد الأعلى للجيش ، وجاء فى البلاغ الرسمى الأول الذى أذاعته

الحكومة المصرية « ان عمليات فلسطين مجرد حملة لتأديب العصابات الصهيونية » (١٤) .

ولم تكن القوات المصرية التى أعدت لهذه المهمة تزيد عن مجموعة لواء مشاة (١٥) مدعم ببعض الوحدات المدرعة التى تم تجميعها فى منطقة العريش بطريقة سريعة دون أن يتاح لها التدريب المشترك تحت قيادة موحدة (١٦) ، كما أن كميات الذخيرة التى كان يمتلكها الجيش المصرى كانت غير كافية ، ولا توجد خطط واضحة للعمليات الحربية المزمع القيام بها ، كما كانت المعلومات بالنسبة لطبيعة الأرض وقوات العدو ضئيلة لدرجة جعلت رجالات الجيش المصرى يشعرون بالعجز وبأن العملية ليست سوى حرب سياسية أكثر منها عسكرية (١٧) .

ومع ذلك قامت القوات المصرية بواجبها بحماس شديد وواصلت أهدافها بنجاح فبعد أن اجتازت حدود فلسطين قامت بحصار العديد من المستعمرات اليهودية واحتلت العوجة والعسلوج ودخلت مدينة بئر السبع واستطاعت السيطرة على الطريق المؤدى الى المستعمرات اليهودية الجنوبية ، وقطعت الطريقين الرئيسيين الممتدين من الشمال الى النقب ولم يبق الا الطرق الفرعية (١٨) .

وخلال الحرب اقترح محمود فهدى النقراشى فى يوليو ١٩٤٨ ايجاد حكومة فلسطينية تتولى عبء المسؤولية وتنطق باسم فلسطين امام المجتمع الدولى (١٩) وتسعى لعرقلة اعتراف العالم بدولة يهودية فى منظمة الامم المتحدة ويترك لها أمر المفاوضة مع الهيئات الدولية وغيرها ونظرا لاعتراض الأردن على هذه الفكرة رأى مجلس الجامعة العربية الاكتفاء بتعيين مديرين لتولى أمر ادارة فلسطين ، وقد تم تعيين هؤلاء دون أن يمارسوا أى عمل حقيقى .

وبعد ثلاثة أيام من القتال بين الطرفين سارع الوفد الأمريكى فى الامم المتحدة بتقديم مشروع قرار الى مجلس الأمن بوقف القتال أملا فى انقاذ اليهود من هزيمة محققة ونتيجة لضغوط دولية توقف القتال لمدة أربعة أسابيع خرق اليهود اثناءها شروط الهدنة أكثر من مرة وجاءتهم النجذات ،



كما اعدوا تنظيم قواتهم وتعزيزها بالطائرات والدبابات على حين انصرف التادة المصريون الى اعداد التقارير الضافية عن المعارك الى ان فرضت الهدنة الاولى ، ووصف حماس الجنود الذين كانوا كلما اقتحموا مستعمرة يهتفون بحياة قائدهم الاعلى فاروق الاول (٢٠) .

وبعد ان استؤنف القتال على الجبهة المصرية فوجئت مصر بانسحاب القوات الأردنية من الد والرملة (٢١) ، واستيلاء الصهاينة عليها مما أدى الى انكشاف ميعة الجيش المصرى وانفراد اليهود بواجهته وانسحابه من المواقع التى كان يحتلها وفى مقدمتها بئر السبع والنقب ومحاصرته فى الفالوجا وهزيمته ، وتقدم القوات اليهودية صوب الحدود المصرية ونتيجة لذلك فرضت الهدنة ثانية فى التاسع عشر من يوليو (٢٢) .

وقد جنت مصر لعقد مباحثات مع اليهود باشراف هيئة الامم المتحدة وبدأت المفاوضات بين مصر واسرائيل فى جزيرة رودس فى الثانى عشر من يناير ١٩٤٩ واستمرت حتى الرابع والعشرين من فبراير وقد مثل الوفد المصرى فيها القائمقام محمد ابراهيم سيف الدين والقائمقام محمد كامل الرحمانى ومثل الجانب الاسرائيلى والتر ايتان والقائمقام ايجال يادين وحضر المفاوضات الدكتور الف بانئش القائم بأعمال الوسيط الدولى لفلسطين والجنرال و.ا. رايلى ممثلين للامم المتحدة .

وانتهت بتوقيع هدنة دائمة تعهد فيها كلا الطرفين بعدم القيام بأى عدوان الطرف الآخر ، كما وافق الطرفان على اقامة خطوط للهدنة لا تتخطاها قواتهما على الا تعد هذه الخطوط حدودا سياسية او اقليمية .

كما قضت الاتفاقية باحتفاظ مصر بالسيطرة على الممر الساحلى الممتد من قرية رفح على الحدود المصرية الفلسطينية الى نقطة تبعد ثمانية أميال الى الشمال من غزة (٢٣) .

وقد ترتب على هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسطين نتائج هامة نذكر منها :

١ — ضياع هيئة المسؤولين وامتهان النظام برمته وتفكك كيان الحكومة (٢٤) .

٢ — افساح الطريق امام الضباط الاحرار وتبلور انكارهم حول القضاء على نفوذ السراى ، وطبقة الاقطاعيين واصحاب المصالح ومحاربة الفساد بشتى صوره واشكاله والعمل على تحقيق الامانى الوطنية والقومية مما عجل بقيام ثورة ٢٣ يوليو .

٣ — زيادة الكراهية للدول الاستعمارية التى ساعدت على قيام اسرائيل .

٤ — تطور الشعور القومى العربى ، والاعتناع بجمعية الوحدة العربية .

## مراجع الفصل السابع

- (١) مارسيل كولوب : تطور مصر : ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ص ١١٦ .
- (٢) رأى مجلس النواب عدم اشتراك مصر في الحرب الا في حالات ثلاث هي غزو الاراضي المصرية ، والاغارة على المدن والقرى ، وضرب الموانع العسكرية المصرية .
- (٣) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ، ج ٢ ، القاهرة ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .
- (٤) الرافعي : في أعقاب الثورة ، ج ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية، ص ١٠١ — ١٠٢ .
- (٥) هيكل : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- (٦) مارسيل كولوب : تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ — ترجمة زهير الشايب ، ص ١٣٩ — ١٤٢ .
- (٧) شاكرا الدبس : الدول العربية في منظمة الأمم المتحدة . دمشق مطبعة الانشاء ، ١٩٤٨ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .
- (٨) نجلاء عز الدين : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .
- (٩) الدبس : المرجع السابق ، ص ١٠٨ — ١١٥ .
- (١٠) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ، ج ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٤١ .
- (١١) الأهرام في ٢٤ مايو ١٩٥٣ حديث للفريق عثمان المهدي رئيس لركان الجيش المصرى .
- (١٢) سبق الاخوان الجيش المصرى في دخول فلسطين حيث اجتاز فريق منهم قناة السويس الى سيناء واخذوا في التسلل الى فلسطين ووصلت طلائعهم في فبراير ١٩٤٨ بقيادة البكباشى احمد عبد العزيز، وابلوا بلاء حسنا في المعارك . ولم يقتصر التطوع من اجل انتقاذ فلسطين على الرجال من الاخوان بل تعدى ذلك الى السيدات المسلمات ايضا .

(١٣) طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ٤٥ — ١٩٥٢ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

(١٤) عارف العارف : النكبة ، ج ٢ ، ص ٣٨١ .

(١٥) يقول عبد الناصر في مذكراته عن حرب فلسطين أنه لم تكن على الحدود سوى ثلاث كتائب : الكتيبة الأولى ورئيس أركانها زكريا محي الدين ، والكتيبة السادسة ورئيس أركانها جمال عبد الناصر ، والكتيبة التاسعة ورئيس أركانها عبد الحكيم عامر ، انظر آخر ساعة العدد ١٠٦٣ في ٩ مارس ١٩٥٥ .

(١٦) محمد فيصل عبد المنعم : اسرار حرب ١٩٤٨ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

ويبدو أن الحكومة المصرية كانت تعتقد ان الاشتباكات بين المصريين واليهود ستكون بمثابة مظاهرة سياسية أكثر منها عملاً حربيًا وأن الأمم المتحدة سوف تتدخل في الأمر .

(١٧) آخر ساعة : العدد ١٠٦٣ في ٩ مارس ١٩٥٥ تحت عنوان مذكرات عبد الناصر .

(١٨) وزارة الحربية : مكتب المشير ، محفوظة رقم ٩ ج ١ .  
(19) Middle East Journal ( Washington ) 3 January 1949

p. 74 .

(٢٠) انظر مذكرات عبد الناصر عن حرب ١٩٤٨ ، آخر ساعة العدد ١٠٤٦ في ١٠ مارس ١٩٥٥ .

(٢١) حاول الملك عبد الله تحديد فترة الهدنة والتقيد بقرارات الأمم المتحدة ولكن الحكومة المصرية رفضت هذه الفكرة بحجة معارضة الرأي العام العربى لها .

(٢٢) حسن يوسف : القصر ودوره في السياسة المصرية ٢٢ — ١٩٥٢ ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية بالاهرام ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٤ .

والجدير بالذكر ان الشعب المصرى ظل جاهلا بتطورات الامور وفسرت اليه اخبار هزيمة قواته بالتدريج للتفاصيل انظر :  
John, Marlowe : Anglo Egyptian Relations p. 330 .

(٢٣) فلاح خالد : الحرب العربية الاسرائيلية ٤٨ — ١٩٤٩ وتأسيس دولة اسرائيل ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٢٧٦ .

(24) Lacouture : Egypt in Transition p. 103 — 104.



## الفصل الثامن

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وابرز التطورات السياسية في مصر حتى انتصار اكتوبر ١٩٧٣

أولا — الاوضاع السياسية في مصر قبيل الثورة :

ثانيا — مقدمات الثورة :

ثالثا — الثورة وعلان الجمهورية :

رابعا : الثورة والتعليم :

خامسا : عبد الناصر وحرب ١٩٥٦ •

سادسا : الوحدة المصرية السورية •

سابعا : حرب الخامس من يونيو ١٩٧٧ •

ثامنا : حرب اكتوبر ١٩٧٣ •



ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

### الأوضاع السياسية في مصر قبيل الثورة :

وفي أوائل عام ١٩٥٠ أعيد فتح المفاوضات ، واستمرت ثمانية عشر شهرا وقد تركزت حول انسحاب القوات البريطانية ، ولما طالّت المفاوضات واتضح مراوغة الانجليز في الانسحاب ازداد قلق الرأي العام المصري وشكّه في النوايا البريطانية فاقدمت الحكومة المصرية ازاء هذا الضغط الشعبى على الفء معاهدة ١٩٣٦ في الثامن من اكتوبر ١٩٥١ بحجة ان هذه المعاهدة تتعارض مع روح ميثاق الأمم المتحدة الذى نص على مبدأ التساوى بين الدول الأعضاء ، ويتعارض مع قرار منظمة الأمم المتحدة الصادر في ديسمبر ١٩٤٦ والذي نص صراحة على عدم بقاء قوات أجنبية على أرض دولة من الدول الأعضاء بدون موافقة هذه الدولة .

وقد قوبل الفء المعاهدة بالابتهاج الحماسى في مصر فترك العمال المصريون أعمالهم في المعسكرات البريطانية بالآلاف ، وترك الشبان مدارسهم وجامعاتهم ليلتحقوا بحرب العصابات ضد انقوات البريطانية ، واعتقد الانجليز أن اتخاذ الاجراءات العنيفة سيؤدى الى اخمد المقاومة .

وقد قصد من معركة الاسماعيلية التى وقعت بين قـرـات البوليس المصرى وبين القوات البريطانية في ٢٥ يناير ١٩٥٢ أن تؤدى هذا الغرض غير انها زادت من حماس المواطنين فخرجت المظاهرات الساخطة في اليوم التالى بالقاهرة ، وقد بدأت بجنود بلوكات النظام بالعباسية ثم انضم اليها طلاب الجامعة وبعض الاهالى وبينما حاولت الحكومة مقاومة السلطات الانجائزية رأت المخابرات البريطانية والقلم السياسى بوزارة الداخلية الذى كان يعمل لحساب القصر الملكى فى حرق القاهرة فرصة لاقالة الحكومة فاندس بين المواطنين فئة من المأجورين وقاموا باشعال النيران عمدا في كثير من المحلات التجارية والفنادق الفخمة واماكن اللهو وبعض الشركات



والمؤسسات ، ولم تستطع السلطات أن توقف ما حدث بل تراخت في الأمر .  
 مما كان له اكبر الأثر في النهاية التاريخية للنظام الملكي في مصر وللقوى  
 السياسية والاجتماعية التي تعاونت معه فيعجل الضباط الاحرار باعلان  
 ثورتهم قبل الموعد المحدد لها .

## ٢ — مقدمات الثورة :

بعد أن عاد جمال عبد الناصر وزملاؤه الذين اشتركوا في حرب ١٩٤٨  
 وكانوا محاصرين في الفالوجا الى أرض الوطن في مارس ١٩٤٩ تبلورت في  
 ذهنهم فكرة اجتثاث الفساد من أرض الوطن ، والتخلص من الاستعمار  
 وأعدائه ، ومن ثم أخذ عبد الناصر يعمل على اعادة تنظيم جماعة الضباط  
 الاحرار بعد أن تفرق شملهم بقيام حرب فلسطين واستشهد منهم من استشهد  
 في هذه الحرب ولما كانت توجد داخل الجيش منظمة سرية أخرى تضم  
 جماعة من الضباط الساخطين فقد عمل عبد الناصر على توحيد جهود  
 هاتين الجماعتين في مجموعة واحدة <sup>(١)</sup> هي تنظيم الضباط الاحرار الذى  
 صدر منشورهم الاول في فبراير ١٩٥٠ ، وكان هذا ايذاً ببدء مرحلة جديدة  
 من العمل الوطنى الثورى داخل الجيش .

وفي أعقاب ذلك تشكلت للضباط الاحرار قيادة تأسيسية ضمت جمال  
 عبد الناصر ، وحسن ابراهيم ، وخالد محى الدين ، وكمال الدين حسين ،  
 وعبد المنعم عبد الرؤوف ، وعبد اللطيف البغدادي ، وعبد الحكيم عامر ،  
 وصلاح سالم ، وجمال سالم ، وأنور السادات .

وقد حرص عبد الناصر على استقلالية الضباط الاحرار عن أى تنظيمات  
 حزبية حتى لا يكون لهذه الاحزاب أى تأثير على موقفهم .

وبعد أن رتب الضباط الاحرار صفوفهم أخذوا في متابعة الموقف الداخلى  
 وتحين الفرص المناسبة استعداداً لساعة الخلاص وبينما كان السياسيون  
 يواصلون خلافاتهم الحزبية ورجال القصر يواصلون مخططاتهم لاحكام  
 سيطرتهم على مقدرات الأمور في البلاد أعلن الضباط الاحرار ثورتهم في ٢٣  
 يوليو ١٩٥٢ فقامت فرق الضباط الاحرار باحتلال المراكز الهامة بالجيش .

واعتقال كبار القادة العسكريين ثم تم الاستيلاء على المرافق الهامة والمواقع الاستراتيجية بانقاهرة وتم احتلال مبنى الاذاعة في الساعة الرابعة من صباح الثالث والعشرين من يوليو . وفي الساعة والنصف من نفس اليوم اعلن على الشعب البيان الاول باسم القائد العام للقوات المسلحة وكان موجزا مقتضبا لم يتضمن الا الدعوة الى تطهير الجيش ثم صدر البيان الثاني في اليوم التالي ليشير الى ان القادة ينشدون التطهير والاصلاح في البلاد ورفع لواء الدستور ثم توالى الاحداث التى مكنت رجال الثورة من السيطرة على زمام الامور في البلاد .

### ٣ — الثورة و اعلان الجمهورية :

وجاءت حركة الجيش في صبيحة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعلن نداء الثورة ، وتصر على ضرورة تنازل الملك فاروق عن العرش ، ومغادرته للبلاد فوجه رجال الجيش الى الملك انذارا نصه « من الانسواء اركان حرب محمد نجيب .. باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك .. انه نظرا لما لاقتة البلاد في العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعيثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب .. فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الامير احمد فؤاد .. على ان يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، والجيش يحمل جلالتم كل ما يترتب على عدم النزول عن رغبة الشعب من نتائج <sup>(٢)</sup> .

وقد صاحب هذا الانذار ارسال بعض المدرعات والدفعية لدعم قوات الثورة بالاسكندرية استعدادا لعملية عزل الملك بالقوة لو رفض الانذار <sup>(٣)</sup> ، ولكن الملك فاروق رضخ للانذار وصدر امر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ يعلن التنازل عن العرش لولى العهد الامير احمد فؤاد .

ولما اعلنت الاذاعة المصرية خبر تنازل الملك عن العرش ومغادرته للبلاد كان الخبر مفاجأة لجماهير الشعب المصرى الذين اعلنوا عن فرحهم وسعادتهم للتخلص من هذا الملك الذى اصبحت مبادئه وسهراته مضفة

في الأقواء فنزل الكثيرون منهم الى الشوارع مظهريين سرورهم وسعادتهم لهذا الخبر السار <sup>(٤)</sup> فقد احسوا ولاول مرة انهم تخلصوا من الملكية . واصبح حكامهم لاول مرة مصريين لحبا ودبا وروحا وتفكيراً . <sup>(٥)</sup>

وكانت اول قضية واجهت قادة الثورة هى قضية الوصاية على العرش ، وتعيين مجلس لها ، وهى قضية دستورية اذ تنص المادة ٥١ من الدستور على أن « لا يتولى اوصياء العرش عملهم الا بعد أن يؤدوا لدى مجلس النواب والشيوخ اليمين » <sup>(٦)</sup> الذى يتضمن احترام الدستور وقوانين الأمة المصرية والمحافظة على استقلال الوطن وسلامة اراضيه <sup>(٧)</sup> والملك حق اختيار هؤلاء الاوصياء على أن يقر المجلسان اختيارهم ، ولما كان مجلس النواب منحلاً وجب أن يعود للاجتماع أو تجرى انتخابات جديدة <sup>(٨)</sup> ولما كانت الانتخابات ستستغرق وقتاً غير قليل ، ورجال الثورة لا يرغبون في دعوة المجلس لتقديم استقر الأمر على ايجاد نظام مؤقت للوصاية يؤلف من ثلاثة تتولى بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء سلطة الملك الى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة <sup>(٩)</sup> .

وشكلت هيئة الوصاية من الأمير محمد عبد المنعم وبهى السيدين بركات باشا والقائم رشا منها من ضباط المدفعية <sup>(١٠)</sup> .

ولما كان في تشكيل مجلس الوصاية عودة الى النظام الملكى ، واستبعاد فكرة اقامة جمهورية في مصر فقد ناشد الدكتور طه حسين رجال الثورة اعلان الجمهورية موضحاً أن مصر « سئمت النفاق من الملوك ... وأن لها أن تستقبل حياة سياسية سحة لا نفاق فيها » وذكر أن السبيل الى ذلك هو أن تخلص مصر من الملكية ومن الأشخاص الذين لا يسألون ولا ينتقدون ثم وضع أن المستقبل أصبح للنظام الجمهورى ، وأن الملكيات الباقية أصبحت آثاراً وتقاليد لا أكثر كما انها أصبحت كابوساً في مصر يجثم على صدر الشعب كله ، ثم طالب رجال الجيش باعلان الجمهورية ، وأعرب عن امله في قيام الشعب المصرى باعلان الجمهورية اذا تردد رجال الجيش في ذلك <sup>(١١)</sup> .

وعندما سئل الدكتور طه حسين عن نوع الجمهورية التى تتلاءم مع

مصر قال « انا اميل شخصيا الى الجمهورية الاوربية التى لا يحكم فيها الرئيس ، وانما هو رمز للدولة ليس غير ، وجائز أن نصل بعد تطور يبعد الى الجمهورية كما هى فى الولايات المتحدة ، ولكن يحسن ألا يكون هذا الا بعد أن يتم النضج السياسى للشعب » (١٢) .

ولنا أن نتساءل هل كان فى فكر قادة ثورة ٢٣ يوليو فى بداية حركتهم رؤية واضحة عن تغيير الحكم فى مصر من ملكى الى جمهورى ؟ يذكر اللواء محمد نجيب أن رؤية قادة الثورة فى أول الأمر لم تكن قد وصلت الى حد اقامة الجمهورية بل اكتفوا بعزل الملك واحلال ولى العهد محله (١٣) .

ويذكر الرئيس جمال عبد الناصر انه فى « يوم ٢٣ يوليو لم يكن فى خاطرنا بأى حال من الاحوال أن نستولى على الحكومة ، ولكن كنا نعبر عن أمل الشعب فى القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم اعوان الاستعمار ، ولكن لم يكن فى خاطرنا أبدا أن نحكم » (١٤) كما وضح انه بعد خروج الملك طلب مجلس قيادة الثورة من حزب الوفد أن يستعد لتولى الحكم (١٥) وقد أوضح الدكتور عبد العظيم رمضان ذلك فذكر أن ثوار ٢٣ يوليو لم يستهدفوا فى أول امرهم أكثر من القيام بانقلاب محدود لاستقاط حكم فاروق واجراء بعض التطهير والاصلاح فى الحياة السياسية مع الاحتفاظ بنظام الحكم السابق الذى ارساه دستور ١٩٢٣ (١٦) .

والواقع أن تطور الاحداث يؤكد ذلك فقد ابقى قادة ٢٣ يونيو دستور ١٩٢٣ فى بداية الأمر ليكون القاعدة المنظمة لشئون الحكم بعد الثورة . مما جعلنا نتساءل لماذا لم يتجه قادة ٢٣ يوليو الى الدعوة للجمهورية مباشرة فى بداية حركتهم ؟

تؤكد الوثائق أن قادة الثورة تريثوا فى الموقف أول الأمر ترقباً للاحوال ، فكان موقفهم تكتيكياً حتى تستقر لهم الأمور فتجربة الثورة العربية كانت ماثلة فى اذهانهم حيث تدخل الانجليز عسكرياً فى مصر بحجة الحفاظ على الحقوق الشرعية للخديو توفيق ، فموضوع الشرعية

للملكية كان في اذهانهم ولكى يكسبوا اعتراف اندول الكبرى بحركتهم تريثوا في الموقف وخصوصا وان القوات الانجليزية كانت لا تزال موجودة على ضفاف القتال ويمكنها التدخل بحجة حماية الحقوق الشرعية للملك ، كما ان رجال الثورة ارادوا الا يعطوا الفرصة لآخرين في الداخل وخصوصا وان معظمهم كان ضد حزب الوفد لتأليب الاوضاع الداخلية ضددهم يضاف الى ذلك مخاوفهم مما يترتب على الغاء الملكية ، فقد كانت هذه العملية في تصورهم كثيرة المخاطر ، ولكن الامور كانت اسهل مما توقعوا .

ولما رأى قادة الثورة انه من الصعب عليهم تحقيق التغييرات الثورية لأسس العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المصرى في ظل دستور ١٩٢٣ قرروا الغاءه في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، وتأليف لجنة تضع مشروع دستور جديد ، حيث اصدر مجلس قيادة الثورة في ١٣ يناير ١٩٥٣ مرسوما بتأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد يتفق مع اهداف الثورة <sup>(١٧)</sup> وتألفت هذه اللجنة من خمسين عضوا من مختلف الكفاءات والاتجاهات والاحزاب <sup>(١٨)</sup> وقد عقدت هذه اللجنة جلساتها في مساء ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ بقاعة مجلس النواب بالقاهرة وانتخب على ماهر رئيسا لها كما انتخبت لجنة فرعية من ١٥ عضوا سميت لجنة الخطوط الرئيسية لمشروع الدستور تنزع منها لجنة من خمسة اعضاء <sup>(١٩)</sup> لكى تبحث نظام الحكم في مصر هل يكون ملكيا او جمهوريا ، وقد قدمت اللجنة الخماسية تقريرها ويتضمن قرارها بالاجماع على ان يكون نظام الحكم جمهوريا ، وان يكون تقرير هذا النظام عن طريق استفتاء الشعب <sup>(٢٠)</sup> .

واخذ رجال الثورة يروجون لفكرة الجمهورية في الصحف ففى ١٧ يونيو ١٩٥٣ ادلى جمال عبد الناصر بحديث لمدوب الاهرام اعلن فيه عن رايه في نظام الحكم الذى يجب ان تقوم عليه مصر الحديثة فقال « انى ارى ان النظام الملكى قد تاكل وانتهى بعد ان اتى سوس الفساد والخيانة على عرشه ولن تقوم لهذا النظام قائمة ثانية . وان الجمهورية آتية لا ريب فيها » <sup>(٢١)</sup> .

وفي ١٨ يونية ١٩٥٣ أعلن عن إسقاط أسرة محمد على ، وخلع الملك أحمد مؤاد الثانى ، وقيام النظام الجمهورى ذلك الحدث الهام انذى جاء ثمرة لتطور كفاح الشعب على تعاقب السنين ، كما قرر مجلس قيادة الثورة تولى اللواء محمد نجيب رئاسة الجمهورية ، وأن يكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية ، واختيار شخص الرئيس حيث أعلن باسم الشعب :

١ — إلغاء النظام الملكى ، وإنهاء أسرة محمد على مع إلغاء الانقلاب من أفراد هذه الأسرة .

٢ — إعلان الجمهورية وتولى اللواء محمد نجيب رئاسة الجمهورية مع احتفاله بسلطاته الحالية فى ظل الدستور المؤقت .

٣ — يستمر هذا النظام طول فترة الانتقال ، ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى نوع الجمهورية ، واختيار شخص الرئيس عند الاقرار على الدستور الجديد (٢٢) .

وصار يوم ١٨ يونية من كل عام عيداً وطنياً من الأعياد الرسمية سمي « عيد الجمهورية » وخصص قصر عابدين ليكون مقراً لرئاسة الجمهورية وأطلق عليه « القصر الجمهورى » (٢٣) .

ولكى يكسب قادة الثورة اعترافاً دولياً بما حدث أعلن البكباشى جمال عبد الناصر « ان قيام النظام الجمهورى فى مصر لا يعنى أن مصر تعادى النظام الملكى فى أى بلد من البلاد » (٢٤) كما علقت جريدة الاخبار على ذلك بأن مصر اذ تعلن النظام الجمهورى لا تنظر الا لمصالحها ووظروفها (٢٥) .

وقد استقبل الشعب المصرى إعلان الجمهورية بحماسة بالغة حيث أحس واول مرة فى تاريخه الطويل انه تحرر من الملكية والملوك الذين اذلوه واستقلوه ، وأصبح حكامه لأول مرة مصريين لحماً وروحاً وتفكيراً (٢٦) .

وقد عبرت مختلف طبقات الشعب عن فرحتها باعلان الجمهورية بإرسال آلاف البرقيات للتعبير عن مباركتهم لما حدث. (٢٧) ومع ذلك فإن الاستاذ محمد زكى عبد القادر حذر في مثاله « نحو النور » من انحراف قيادة الثورة الى المظاهر التى تقرب الجمهورية من الملكية ، وطالبهم بأن يكونوا اسوة حسنة لمواطنيهم ، فقال « إن تربية الشعوب تكون بالاسوة الحسنة واشعارها بأن انحكم يحترمها » (٢٨) كما أوضح الاستاذ كامل الشناوى فى مقال له « ان نجاح الجمهورية التى هى كسب عظيم للشعب يتطلب من الشعب جهادا شاقا فى تربية نفسه تربية جمهورية فلا ينبغى ان يعامل رئيس الجمهورية كملك او حاكم مطلق بل يجب ان ينظر اليه كعبد عادى يحاسبه على الخطأ ويصره بالصواب » (٢٩) .

ولقد كان للتأييد الساحق الذى منحه الشعب للواء محمد نجيب اكبر الأثر فى جعله يصدق انه زعيم الثورة الفعلى بينما كان عبد الناصر ورفاقه يتصرفون على انه واجهة للثورة ، وسرعان ما أخذت تتباين وجهات النظر بين نجيب ورفاقه حول كثير من الأمور (٣٠) منها الاجراءات التى اتخذها ضباط القيادة لمحاسبة السياسيين القدامى وتشكيل محكمة الثورة ، ولما أحس مجلس قيادة الثورة ان محمد نجيب يشكل عتبة فى طريقهم انتهزوا فرصة الغاء النظام الملكى واعلان الجمهورية فقرروا ابعاده عن قيادة القوات المسلحة (٣١) وأصدروا قرارا بتعيين الصاغ عبد الحكيم عامر قائدا عاما ، وترقيته أربع رتب مرة واحدة ليصل الى رتبة اللواء ، وقد اعترض محمد نجيب على هذه القرارات كما اعترض على اعلان النظام الجمهورى دون استفتاء شعبى ، ووصل الامر بينه وبين رجال الثورة الى درجة التحدى (٣٢) ولم تلبث الامور ان تدهورت بين الفريقين حين أخذ مجلس القيادة يتجاهل اللواء محمد نجيب فى جلساته فقدم نجيب استقالته فى ٢٣ فبراير ١٩٥٤ الى مجلس قيادة الثورة فكان ذلك بمثابة الفجر الحقيقى لازمة مارس ١٩٥٤ (٣٣) .

ونظرا لما احدثته استقالة محمد نجيب من تأثير فى الراى العام ورغبة من قيادة الثورة فى احتواء الأزمة ولو بصفة مؤقتة وحفاظا على وحدة الأمة أعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء محمد نجيب بعد ان تم الاتفاق معه بخصوص ذلك .

وعاد محمد نجيب الى رئاسة الجمهورية ولكن بدون سلطات ، ومضى في مهاجمة مجلس قيادة الثورة والدعوة الى الديمقراطية ، وكان واضحا أن نجيب سيمضى في هذا التيار ما دام بعيدا عن السلطة ، وشعر عبد الناصر أن تحدى نجيب للثورة سوف يعرقل مسيرتها لذلك قام بمناورة بارعة اذ تقدم باقتراح الى الاجتماع المشترك لمجلس الثورة ومجلس الوزراء بعودة الأوضاع الى ما كانت عليه قبل استقالة نجيب واسناد رئاسة مجلس قيادة الثورة ورئاسة مجلس انوزراء الى رئيس الجمهورية مرة أخرى وبذلك ضمن عبد الناصر التهدئة مع نجيب خلال تلك المرحلة المصرية التي تجتازها الثورة ، وفي نفس الوقت كان الهدف الآخر الذى يسعى اليه نجيب هو طرح رئاسة الجمهورية للاستفتاء الشعبى لأنه كان يشعر انه رئيس جمهورية بالتعيين (٣٤) . كما كان له عدة مطالب هي :

- ١ — أن يكون له كل سلطات رئيس الجمهورية البرلمانية في حالة عدم وجود برلمان .
- ٢ — أن يستفتى الشعب على النظام الجمهورى قبل اقرار الدستور الجديد .
- ٣ — أن ينتخب الشعب رئيس الجمهورية قبل اقرار الدستور أيضا بالانتخاب المباشر .
- ٤ — أن يعود الضباط الى صفوف الجيش (٣٥) .

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٤ وبمناسبة الاحتفال الاول بعيد الجمهورية ألقى اللواء محمد نجيب كلمة ذكر فيها أن الحكم الجمهورى هو حكم الشعب للشعب ولصالحه ، وأنه التطور الطبقي نحو احقاق العدل والمساواة بين الناس ، كما أوضح أن مصر قبل اعلان الجمهورية كانت سبعة يرثها الابناء على آباءهم مهما كان الأب جاهلا أو كان الابن ظالما ومستبدا (٣٦) .

ولما ثبت من التحقيقات في قضايا الاخوان المسلمين ان اللواء



محمد نجيب كان على اتصال بهم منذ ابريل ١٩٥٤ ، وأنه معتزما بمعد نجاح انقلابهم تأييد حركتهم ودعوة الجمهور للانضمام اليهم قرر مجلس قيادة الثورة في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ اغفاءه من جميع المناصب التي كان يشغلها ، وأن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغرا ، وأن يستمر مجلس قيادة الثورة في تولى كافة سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر حتى يتم انتخاب رئيس الجمهورية .

وفي السادس عشر من يناير ١٩٥٦ تم اعلان الدستور مدعما برنامج الثورة وهو :

- ١ — القضاء على الاستعمار واعوانه .
- ٢ — انقضاء على الاقطاع .
- ٣ — القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
- ٤ — اقامة جيش وطنى قوى .
- ٥ — اقامة عدالة اجتماعية .
- ٦ — اقامة حياة دستورية سليمة .

واعلن الدستور ان النشاط الاقتصادى الخاص حر بشرط الا يضر بمصلحة المجتمع ، ونص على مساواة المصريين فى الحقوق والواجبات .  
كما اعلن حرية الاعتقاد ، وحرية التعبير عن الراى فى حدود القانون ، وجعل التعليم حقا لكل المصريين .

وفي ٢٢ يونيو ١٩٥٦ انتخب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية بالاستفتاء ، وبذلك تم ولأول مرة فى تاريخ مصر انتخاب الشعب فى استفتاء عام رئيسا لجمهورية مصر .

وبانتخاب جمال عبد الناصر حل مجلس قيادة الثورة ، واصبح جمال عبد الناصر هو المسئول عن مصر سواء من ناحية السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ، وبذلك دخلت مصر فى طور جديد من حياتها السياسية .

وافتتحت الثورة عهدا جديدا ، فبدأ نضالها لاقتلاع جذور الاستعمار في مصر ونجحت في عقد معاهدة الجلاء في ١٩ من اكتوبر ١٩٥٤<sup>(٣٧)</sup> ، كما انتهجت سياسة عدم الارتباط بالاحلاف العسكرية أو بمشروعات الدفاع المشترك ، ورفضت أى قيود على تحركاتها الدولية ولما رفض الغرب بيع السلاح لها لتسليح جيشها عقد عبد الناصر صفقة الاسلحة التشيكية في ٢٥ سبتمبر ١٩٥٥ ضاربا عرض الحائط باحتجاجات الغرب مما كان له ابلغ الاثر في تغيير ميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط وتغير نظره امريكا تجاه استثناس عبد الناصر وانسحابها مع بريطانيا من مشروع تمويل السد العالي ، وكان رد عبد الناصر على هذه الضربة هو تأميم شركة قناة السويس في السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦ .

#### ٤ — ثورة ٢٣ يوليو والتعليم :

وبقيام ثورة ٢٣ يوليو تغير نظام التعليم في مصر ، ودخل مرحلة جديدة مؤثرة في حياة الانسان المصرى ، وكان من اول مشروعات اصلاح التعليم التى تبنتها الثورة ، وعمل على تنفيذها المرحوم اسماعيل القباني عندما تولى امر وزارة التربية عام ١٩٥٢ الغاء ثنائية التعليم في المرحلة الاولى لكى تزداد الفرص المتاحة لجميع الشعب ، ولقد كان هذا الاصلاح يتفق مع الفلسفة الجديدة للمجتمع ، وقد زادت الحكومة من ميزانية التعليم وعلى غرار ذلك ازداد عدد المدارس بطريقة واضحة ففى العام السابق للثورة بنيت في مصر ثلاث مدارس جديدة بينما بنى في السنوات الخمس الاولى للثورة ١٢٣٥ مدرسة بمعدل ٢٤٨ مدرسة في كل عام ، وانشئ بجانب المدارس الاعدادية العامة انواع من المدارس الاعدادية الفنية زراعية وصناعية وتجارية ، واهتمت الثورة بالتعليم الفنى<sup>(٣٨)</sup> .

وقد عمدت حكومة الثورة الى تغيير اسم الوزارة التى تقوم بمهمة التعليم من وزارة المعارف الى وزارة التربية والتعليم ، وسارت السياسة التعليمية يحدوها الامل في نشر التعليم ، وانتهى الامر الى ان ست سنوات تعليمية هى الاساس المنطقى لتعليم شعبى تنهيا فيه الفرص المتكافئة لجميع المواطنين ، وبذلك تقرر ان يكون التعليم الابتدائى اجباريا مجانيا لمدة ست سنوات ، وان يعاد النظر في السلم التعليمى بحيث يتلاءم ومراحل التعليم واعمار

المتعلمين وانشئت لذلك مرحلة جديدة هى المرحلة الاعدادية بين المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية . وقد هدفت السياسة التعليمية فى عهد الثورة الى ما يلى :

- ١ — تعميم التعليم الابتدائى وتدعيمه .
- ٢ — تكافؤ الفرص لجميع المواطنين فى جميع مراحل التعليم .
- ٣ — تخطيط التعليم فيما بعد المرحلة الاولى على اساس احتياجات البلاد وامكانياتها .
- ٤ — التوسع فى التعليم الفنى بأنواعه ، وخاصة فى المرحلة الاعدادية الفنية .
- ٥ — التوسع فى تعليم البنات .
- ٦ — تدعيم التعليم العالى والجامعى ورفع مستواه وتشجيع البحث العلمى .
- ٧ — مسايرة التطور العالى فى العلوم والآداب والفنون حتى يتمكن المواطنون من الاستفادة بنتائج الفكر العالى فى كل الميادين ، مع الحرص على تراثنا القديم فى كل العصور وحمايته .
- ٨ — التعاون الثقافى مع جميع الدول الصديقة فى العالم .
- ٩ — زيادة اواصر الوحدة الثقافية مع البلاد العربية (٢٩) .

ولما كان النظام التعليمى فى اى بلد يعكس الفلسفة الاجتماعية السائدة به ، فقد كان للقوانين الاشتراكية التى اعلنت فى مصر عام ١٩٦١ تأثيرها الفعال على التعليم فى مختلف مراحله حيث اعلنت مجانية التعليم فى كافة مراحله بعد أن درج التعليم المصرى منذ سنوات طويلة على أن يكون تعليميا طبقيا بمعنى أنه كان هناك نوع من التعليم للأغنياء وآخر للفقراء ، فالتمت المصروفات واتسع مجال التعليم أمام جميع فئات الشعب ، وتزايد عدد المقبولين عاما بعد عام ونشأ عن ذلك تكافؤ فى الفرص ، كما أصبح المجموع الكلى لدرجات الطالب الفيصل فى قبوله بالجامعات وغيرها.

وعلى الرغم من الظروف المريعة التي مرت بها مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ فإن برامج تطوير التعليم لم تتوقف فقد سار برنامج العمل الوطنى الصادر فى عام ١٩٧١ خطوة أبعد فى مجال رسم السياسة الواجب اتباعها فى مجال التخطيط التعليمى .

وقد أكد البرنامج على المبادئ التالية :

١ — أن تلتزم المرحلة الأولى من التعليم فى نهاية العشر سنوات ١٩٨٢/٧٢ بقبول جميع الملمزمين .

٢ — التمهيد لرفع سن الانزام الى ١٥ سنة .

٣ — الارتفاع بمستوى التعليم وتطويره بما يتلاءم وانجازات العلم الحديث .

٤ — الارتفاع بمستوى اداء الخدمة التعليمية .

٥ — ربط التعليم باحتياجات المجتمع .

٦ — القضاء على الأمية .

وقد هدفت هذه الخطة الى تحقيق الفرصة المتكافئة . والمساواة الكاملة لابناء الشعب ، ورفع مستوى التعليم ، وتوفير الرعاية التربوية والصحية للطلاب ، ووضع برامج توعية لمحو الأمية والاهتمام بالبحث التربوى ، وتطوير نظام الامتحانات ، وتحقيق التنسيق بين الاجهزة المعنية بالتعليم فى مستوياته المختلفة .

وتجىء ورقة اكتوبر لتركز على أن أهم ما طرأ على منطق التعليم والبحث فى العالم هو زوال المسافة بين الفكر والعمل ومعنى ذلك أن التعليم والتثقيف العام صار لهما هدفان :

١ — ايجاد الفرد المتعلم المستنير .

٢ — تزويده بخبرة متقدمة محددة تمكنه من القيام بدور يتناسب مع هذه الخبرة ، وتحقيق ذلك يستلزم عدة أمور منها عدم حبس التعليم

في قوالب جامدة ومنها ربط انواع معينة من التعليم بالبيئة ، ومنها توثيق الصلة بين الجامعات والمعاهد على اختلافها ، ومنها القضاء على فكرة الفارق الاجتماعي في التعليم وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلتها حكومة الثورة لاصلاح التعليم وما تم احرازه من تقدم فى كثير من المجالات فانه يمكن انقول بأن التعليم فى مصر يحتاج الى اعادة النظر والاصلاح وتجىء هذه الصيحات لا من جانب المربين ورجال التعليم والمشرنين على امره فحسب ، ولكنها تصدر أيضا من آباء التلاميذ والمسؤولين عن التخطيط للتمية الاقتصادية والاجتماعية ، والجميع يؤمن ان اصلاح التعليم هو الأساس الذى تقوم عليه تنمية الثروة البشرية لاسعاد الناس وتقدم المجتمع .

ونحن نأمل أن تتمخض جهود المخلصين عن اصلاح حقيقى فى التعليم يشل ثورة حقيقية فى التعليم المصرى تتفق مع الآمال الكبيرة المعقودة عليه فى جميع الأوساط التعليمية والفنية والسياسية ، علما بأن اقامة اصلاح التعليم على أسس من البحث العلمى والتخطيط السليم هو الضمان لاستقرار هذا الاصلاح من جهة وديناميته من جهة أخرى .

يضاف الى ذلك ان اصلاح التعليم يحتاج الى توفير مصادر التمويل الكافية لمتطلبات هذا الاصلاح يتناسب مع الزيادة السكانية الضخمة فى كل عام واستيعاب جميع الاطفال والاستعانة بالوسائل التكنولوجية الحديثة فى التعليم يتطلب المزيد من الاتفاق عليه بما يتناسب مع الاهمية التى ينظر اليه بها فى حياة الأمة المصرية .

### — عبد الناصر وحرب ١٩٥٦ :

ادار الرئيس عبد الناصر حرب ١٩٥٦ على المستوى الوطنى والاقليمى والدولى ، وعلى المستوى العسكرى والسياسى والنفسى فى ظروف شديدة التعقيد ، وفى مواجهة توازن متشابك وخطر استفادت مصر من خلاله انعديد من الدروس بخلوها ومرها وغيا يلى نعرض لهذه الحرب واسبابها ودور الرئيس عبد الناصر فى ادارة خيوطها حتى تحقق له فى نهاية الامر قطع ذيل الاسد البريطانى وكسر اسنانه .

وعقب اعلان قرار الولايات المتحدة وبريطانيا سحب عروضها الخاصة بالمساهمة في تمويل بناء السد العالى بحجة أن قدرة مصر المالية لا تتحمل توفير المال اللازم للمساهمة فى بناء السد<sup>(٤٠)</sup> .

راى جمال عبد الناصر أن الرد المناسب على ذلك يكن فى تأميم شركة قناة السويس ، خصوصا وأن هذا التأميم بالإضافة الى انه يحقق له إمكانية بناء السد العالى فانه يلبى حقا مصريا يراود أحلام كل المصريين ، ويؤكد استقلال الإرادة السياسية المصرية ، ويضيف الى مصر أهم أرضيتها الاستراتيجية ومن أجل ذلك دعا عبد الناصر الى اجتماع مشترك بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء بكامل هيئته . . وفى الاجتماع طرح عبد الناصر فكرة التأميم ، ولما وجد من بعض المجتمعين من يحذر من احتمالات الخطر وتعدد مصادره أوضح أنه سيتحمل وحده مسئولية القرار<sup>(٤١)</sup> .

وأمام مؤتمر شعبى حاشد وقف عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ليعلن تأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية ، ونقل جميع ماله من أموال وحقوق ، وما عليها من التزامات الى الدولة<sup>(٤٢)</sup> مما تسبب فى حدوث أصداء واسعة ارتجت لها مصر خاصة وان القناة كانت جرحا فى ضمير كل مصرى ، وكان استعادتها لمصر حلما من الأحلام ، كما ارتج لها العالم الذى هزته هذه الخطوة الشجاعة .

ونتيجة لأن معظم التوقعات كانت ترى أن بريطانيا وفرنسا وربما دول أخرى لن تسكت على هذه الضربة التى قوضت هيئة الغرب وحطمت هيئته وكانت بمثابة الكابوس لاحتكاراته<sup>(٤٣)</sup> . وان هذه الدول قد تصعد الأمر الى درجة التدخل العسكرى فقد راى عبد الناصر ضرورة تنادى قيام حرب غير متوازنة عن طريق تكثيف العمل السياسى المصرى ، وتكثيل الجوى الدولى لصالح مصر حتى يتم تفويت فرصة استعمال السلاح على الذين يفكرون فيه ، ويتم كسب الوقت حتى تبرد الأزمة وتهدأ نارها خصوصا وأنه كان يتصور أن احتمال التدخل العسكرى سوف يكون محققا بنسبة ٨٠٪ خلال الاسبوع التالى للتأميم فإذا انقضت هذه الفترة الحرجة تناقصت احتمالات التدخل واتحصرت فرصته<sup>(٤٤)</sup> وتمكنت مصر من بسط سيطرتها

على القناة . والى حد كبير نجح عبد الناصر في جذب انظار العالم نحو حق مصر في تأميم القناة فأكّد أكثر من مرة أن مصر تتعهد باحترام الوضع الدولي للقناة وتم ابلاغ السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة بذلك كما عمل على أن تستمر كفاءة الحركة الملاحية في القناة دون أى معوقات بعد انسحاب المرشدين الأجانب منها <sup>(٤٥)</sup> حتى لا يحس العالم بأى تقصير .

والى جانب ذلك كان عبد الناصر يشعر انه يمسك معظم الأوراق الرابحة في الأزمة بكلتا يديه فمع انه كان لا يستبعد قيام بريطانيا بعمل عسكري ضد مصر فانه كان يرى أن أيّدن لم تكن لديه قوات جاهزة في الشرق الأوسط للقيام بأعمال عسكرية فورية ، وان الأمر يحتاج لبعض الوقت لتجهيز هذه القوات ، وخلال ذلك يمكن تكتيل الرأي العام العالمى لصالح مصر ، وتكثيف الجهود السياسية مما قد يؤدي الى تفويت فرصة التدخل المسلح .

ومع انه كان لا يستبعد قيام الحكومة الفرنسية بمغامرة عسكرية ضد مصر للتخلص من قيادتها التي كانت تهدد الثوار الجزائريين بالسلاح والدعم المعنوي ، فانه كان يرى أن تورط فرنسا عسكريا في الجزائر ، وفقدانها السيطرة على العديد من المناطق التي يتركز بها الثوار الجزائريين ، وشبح هزيمتها في « ديان بيان فو » ( الهند الصينية ) قد يجعلها تتردد في القيام بعمل عسكري ضد مصر <sup>(٤٦)</sup> .

الأمر الذى استبعده عبد الناصر ، واستحال وقوعه هو أن تلجأ بريطانيا وحدها أو بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا الى الاستعانة بإسرائيل في أى عملية ضد مصر لاستعادة القناة بالقوة خصوصا وان ذلك سيعرض مركزهم ومصالحهم في الشرق الأوسط للخطر ، ويكون وحده كفيلا بإسقاط كل النظم الموالية لانجلترا وفرنسا في المنطقة ، كما يترتب عليه الدعوة الى خروج العراق من حلف بغداد ، وزيادة النخبة على فرنسا في شمالى إفريقيا <sup>(٤٧)</sup> .

وحول موقف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من الأزمة فقد كان تقدير عبد الناصر أن واشنطن وموسكو ستكونان بعيدتين عن أى مساندة عسكرية أو سياسية للمعتدين خصوصا بعد أن اظهرت الولايات المتحدة عدم

استجابتها للاشتراك في أى عمل عسكرى ضد مصر ، ورفضت فكرة تقديم أى مساعدة استراتيجية أو سياسية لدول العدوان وفضلت تسوية المشكلة سلميا ، وبعد أن أظهر الاتحاد السوفيتى رغبته في عقد تسوية سلمية للمسألة وأعلن عن تعاطفه مع موقف مصر الذى تدافع فيه عن سيادتها .

والى جانب ذلك فقد تعاطفت دول مؤتمر باندونج ، ومعظم الدول العربية تجاه موقف مصر ، فأعلنت الهند والصين تأييدهما لموقف مصر وقضيتها ، كما تجلت وحدة المشاعر والعاطفة العربية من الشعوب العربية تجاه مصر وأعلنت الدول العربية التى تتحكم في إنتاج وضخ البترول تأييدها ومساندتها لموقف مصر .

والسؤال المطروح هل تحققت كل استنتاجات عبد الناصر تجاه الأزمة أم ان تطورات الأحداث قلبت توقعاته رأسا على عقب .

الواقع أن تقدير عبد الناصر للموقف قد جانبه الصواب فقد وقع العدوان على مصر بعد ثلاثة شهور وكان عبد الناصر يستعبده اذا تأخر شهرا ، واشتركت انجلترا وفرنسا في العدوان على مصر مع اسرائيل مع أنه كان يستبعد ذلك ولا يتوقعه (٤٨) . اذا ما هى الأسباب التى قلبت توقعات عبد الناصر وأفسدت حساباته ؟

الواقع أن بريطانيا وفرنسا كانت لها حسابات أخرى فقد كانا يريان أن انهماك الحكومة الامريكية في انتخابات الرئاسة وتطاحن الاحزاب من أجل الوصول الى السلطة قد يبعد الولايات المتحدة عن التفكير في الأزمة او اتخاذ مواقف محددة تجاهها لذلك لم يخبرها أحد بخطة العدوان ، بل حاول الانجليز والفرنسيين تشويش الأمور أمامها وتضليلها حتى لا تتدخل في المسألة . والى جانب ذلك فقد توقعنا عدم اهتمام السوفيت بالمسألة خصوصا وان أمور القناة كانت لا تهمهم كثيرا ، كما أنهم كانوا منهمكين في مشاكل المجر والتطورات الجارية فيها .

وعلى أى حال فقبل حدوث العدوان عملت بريطانيا وفرنسا على تعبئة الرأى العام العالمى وإخفاء نواياهم العدوانية على مصر وذلك باصدار التعريجات المتلاحقة بالرغبة في حل المشكلة بالطرق السلمية ، والقبام



بشن حرب دعائية عنيفة ضد مصر وشخص عبد الناصر بالذات ، والشكوى الى مجلس الأمن بأن مصر استولت تعسفا على قناة السويس خرقا للاتفاقات الدولية مما يعرض الملاحة في هذا الممر الحيوى لخطر داهية ، والدعوة الى وضع القناة تحت ادارة دولية <sup>(٢٩)</sup> والتشجيع على انعتقاد نادى المنتفعين لبحث المسألة . وخلال ذلك كانت خطط العدوان قد وضعت وحشدت القوات لفزو مصر <sup>(٣٠)</sup> ، ورسمت الخطة على الوجه التالى :

تقوم القوات الاسرائيلية بشن هجوم واسع النطاق على القنات المصرية فى سيناء امام نقطة الكونتلا فى التاسع والعشرين من اكتوبر ١٩٥٦ بهدف قطع مواصلات الجيش المصرى والوصول الى منطقة قناة السويس ، وبعدها توجه الحكومتان البريطانية والفرنسية نداء بالتوازى الى الحكومتين المصرية والاسرائيلية يتضمن وقف جميع الاعمال الحربية ، وسحب كل القوات المسلحة من الطرفين الى مسافة عشرة اميال بعيدا عن القناة وقيام القوات الانجلو فرنسية مؤقتا باحتلال مواقع رئيسية فى كل من بور سعيد والاسماعيلية والسويس لضمان حرية المرور بها ، والقيام بالفصل بين المتحاربين حتى يتم الوصول الى ترتيبات نهائية واذا لم تستجيب القوات المتحاربة لهذا النداء خلال اثنتا عشرة ساعة تنتهى فى تمام الساعة السادسة والنصف من صباح الاربعاء الموافق ٣١ من اكتوبر فان القوات البريطانية والفرنسية سوف تستخدم القوة اللازمة لتنفيذ شروط الانذار <sup>(٣١)</sup> .

والمتمحصر لشروط هذا الانذار يتضح له ان التحرك الاسرائيلى والانذار كان خيوطا مشتركة فى نسيج واحد فالانذار لم يوضع بهذه الصيغة الا لى ترفضه مصر خصوصا وانه كان يحمل بين جنباته شبح التواطؤ وسوء النية ، والرغبة فى طعن مصر من الخلف . فليس من المنطقى ان تسحب مصر قواتها الى مسافة عشرة اميال غرب القناة ، وتوقف كافة الاعمال الحربية لصد القوات الاسرائيلية الغازية لارضها ، ثم تكافئ اسرائيل باحتلال سيناء والابتعاد فقط مسافة عشرة اميال شرق القناة بل المنطق العادل كان يحتم انذار اسرائيل بالعودة الى ما وراء الحدود ، والرجوع من حيث اتت ، ودعوة مصر الى وقف الاعمال الحربية حتى لا يحدث تعطيل لسير الملاحة فى قناة السويس ولكن بريطانيا لم تكن تريد وقف العدوان الصهيونى ، بل

كان هذا العدوان جزءاً لا يتجزأ من الخطة المرسومة للغزو الثلاثى لمصر ،  
وللاطاحة بنظامها (٥٢) .

وفى جلسة لمجلس الوزراء المصرى بتاريخ الثلاثين من اكتوبر ١٩٥٦  
انتهى الرئيس عبد الناصر الى رفض الانذار البريطانى الفرنسى شكلاً  
وموضوعاً لانه لم يكن مقبولاً بضياىع استقلال مصر الوطنى وعودة النفوذ  
البريطانى الى المنطقة (٥٣) .

ونتيجة لرفض مصر الانذار تزايدت احتمالات الخطر وبدأت موجات  
التقصف الجوى على مدن مصر وقراها وامتد جسر من اسراب الطائرات تعمل  
ليل نهار من بريطانيا الى شرق البحر المتوسط مما ادى الى تخريب العديد  
من المنشآت والمرافق .

وحتى يحقق العدوان اهدافه ويتم وضع العالم امام الامر الواقع قبل  
ان تستحل الامور وتتشابك ، رأى قادة الغزو ان تكون الحرب سريعة  
وحاسمة بحيث يتم كل شئ فى خلال ثلاثة او اربعة ايام تحتل فيها مصر ،  
وتسقط حكومة عبد الناصر وتحل محلها حكومة تقبل كل شئ يطلب منها  
حتى لا يجرؤ احد على الاعتراض . مادامت الحكومة الجديدة قد تكونت  
وباركت الغزو .

ونتيجة للتطورات المتلاحقة دعا عبد الناصر الى اجتماع مع القادة  
العسكريين وبعض اعضاء مجلس قيادة الثورة لتقييم الموقف واعادة النظر فى  
خطط مصر العسكرية بعد ان اتضحت نوايا العدوان . وفى هذا الاجتماع  
كان الجو مشحوناً بالقلق والتوتر واختلاف وتضارب الآراء ففى حين تبنى  
عبد الحكيم عامر موقف حتمية القتال ومواجهة المعتدين حتى آخر طلقة والى  
آخر رجل رأى صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ان حجم القوى  
المعتدية لا قبل لمصر بمواجهته ، وانه لا خيار امام عبد الناصر سوى ان يذهب  
الى السفىر البريطانى ويسلم نفسه له وبسرعة قبل ان يتمكن الطيران المعادى  
من تدمير مرافق مصر الحيوية وتزيق جيشها (٥٤) والحاق كارثة محققة  
بالبلاد . ولكن عبد الناصر الذى لم يفقد اعصابه خلال الاجتماع نجح فى  
سحب البساط من تحت اقدام المنشائمين ، ومضى فى شرح وجهة نظره

موضحا ان المستهدف هو مصر وشعبها واذا لم يقف الشعب المصرى بكافة ثنائه فى مواجهة المعتدين فان مصره سيصبح معرضا للضياع .

وفى اعقاب ذلك قرر عبد الناصر سحب قوات مصر الرئيسية من سيناء وارتدادها الى غرب القناة حتى لا تتعرض من الخلف لضربات القزاة ، وتصبح هدفا للتطويق ، وحتى يمكن ان يشكل منها اداة ضاربة واحدة استعدادا لمواجهة هجوم بريطانى فرنسى على مصر قادما عبر البحر المتوسط فى اتجاه الاسكندرية او بور سعيد لذلك صدرت الاوامر بعودة مرقتين من سيناء احداها مدرعة والاخرى مشاة (٥٥) ، كما صدرت الاوامر ايضا بتوزيع السلاح على المواطنين حتى لا تصبح البلاد عزلاء عديمة المقاومة .

ولحفز همم العالم على سرعة التدخل فى الموقف ، صدرت الاوامر بتعطيل الملاحة فى قناة السويس (٥٦) مما ادى الى نقص واردات اوربا الغربية من البترول بمقدار ٣٠٠ الف برميل يوميا ، ووضع دول العالم امام واقع جديد ، وتسبب فى خسارة فادحة لحركة التجارة العالمية . وتفايدا لتاثير الاحداث على الشعب المصرى ، وعلى الرغم من فداحة الخطر ذهب عبد الناصر لتأدية صلاة الجمعة فى الاول من نوفمبر بالجامع الازهر ، وتحرك فى سيارة جيب مكشوفة بين هتافات الجماهير ، ووقف على منبر الازهر ليعلن بصوت مشحون بالانفعالات « اننا جميعا سوف نقاتل ولن نستسلم ابدا ... ساقاقل معكم ضد اى غزو والى آخر نقطة دم .. وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا .. وسينتصر » .

وبعد ان اعلن عبد الناصر عن انشاء جيش التحرير الوطنى وفتح باب التطوع انام المواطنين ، هبت جموع الشعب للذود عن حياض الوطن ، وتكاثفت ثوى الشعب والقوات المسلحة للدفاع عن مصر وتم تشكيل جيش التحرير الوطنى من قوات الحرس الوطنى والفدائيين ، ووحدات المقاومة الشعبية ، وكثائب الشباب (٥٧) .

وعلى الرغم من تزايد شعبية عبد الناصر بين الناس الذين وجدوا فيه بديلا ثوريا للتعبير عن ارادتهم فقد برزت امامه صعاب جديدة تمثلت فى اجتماع عدد من رجالات الاحزاب واتفاقهم على مطالبته بالنتجى عن منصبه

نظرا لأن العدوان يستهدفه أكثر مما يستهدف مصر . ولكن عبد الناصر الذى لم تن له قناة أصدر أوامره باعتقال الذين حضروا هذا الاجتماع وهم سليمان حافظ ومحمد صلاح الدين وغيرهم ، كما أمر باعتقال عدد من السياسيين ومنهم فؤاد سراج الدين وإبراهيم مرق حتى لا يستطيع هؤلاء التأثير فى الروح المعنوية لدى الجماهير أو بث روح الدعاية المناهضة لعبد الناصر (٥٨) .

وعلى أى حال فبعد أن استمرت موجات القصف الجوى على مدن مصر وقراها طوال الفترة من ٣١ أكتوبر الى ٤ نوفمبر بدأت قوات المظلات البريطانية الفرنسية تهبط ابتداء من اليوم الخامس من نوفمبر فوق المنطقة الشمالية من قناة السويس ، وتشبك مع القوات المصرية والأهالى فى معارك بالأسلحة الصغيرة بينها كانت مدافع الاسطول الانجليزى افرنسى تطلق نيران قنابلها الضخمة على مدينة بور سعيد وما حولها .

وفى فجر الخامس من نوفمبر تقدمت حاملات الجنود البريطانية وفرنسية تحت حماية مدافع الاسطول ، وبدأت موجاتها تنزل على الشاطئ وتتمسك الى مدينة بور سعيد كى تصطدم معها قوات المقاومة الشعبية التى كانت بمثابة الوجه المشرق للشعب المصرى .

وخلال ذلك كثفت مصر جهودها السياسية لكشف وفضح حقيقة العدوان ونواياه فطالبت بعقد جلسة لمجلس الأمن للنظر فى وقف العدوان (٥٩) واثبتت لدول العالم مدى بشاعة العدوان ضد المدنيين الأمتين . كل ذلك أدى فى كل دول العالم الى اجتياح موجة من الغضب والسخط ضد المؤامرة، فهوجمت المنشآت والسفارات البريطانية والفرنسية فى معظم العواصم الافريقية والآسيوية ، وتعرضت مصالح المعتدين للخطر فى العالم العربى واشتعلت نيران الغضب فى كل قارات العالم ضد العدوان والى جانب ذلك تبنى البرلمان الانجليزى معارضة قوية لتتريص بحكومة ايدن الدوائر ، وتوجه اليها التهم (٦٠) ، ووصلت المظاهرات ذروتها فى لندن وباريس تهتف بسقوط ايدن وجى موليه كما وقفت الحكومة السوفيتية موثقا حازما من العدوان . وخلال ذلك كان منبر الأمم المتحدة يشهد اعنف المناقشات .

وخشية من استفحال الامر ، واتساع مسرح العمليات بتدخل اطراف اخرى فى النزاع وقفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى معا اثناء التصويت ضد المعتدين حتى تم الاتفاق على مشروع القرار الكندى الذى يقضى بوقف العمليات الحربية ، وانشاء قوات طوارئ دولية لاعادة الامور الى نصابها ، ومراقبة عملية انسحاب قوات العدوان ثم للمراقبة على خطوط الهدنة لمنع تجدد الاشتباكات بين مصر واسرائيل .

ومع ان قرار مجلس الأمن (٦١) نص على انسحاب المعتدين فى مدة لا تزيد عن الشهر فقد تجاهلت القوات المعتدية الامر واخذت فى توسيع امكان احتلالها وتثبيت اقدامها بمركز الفرنسيون وجودهم فى بور فؤاد ، والانجليز فى بور سعيد ، وأعلن القائد البريطانى ان انسحاب قواته فى هذه الفترة القصيرة لا يتفق مع الكرامة العسكرية ، وانه لابد من قيام قواته بتطهير القناة .

ونتيجة لذلك طلبت الحكومة السوفيتية من الولايات المتحدة القيام معا باخراج المعتدين من مصر بالقوة ولما لم تستجب الولايات المتحدة لهذا الطلب بعث الرئيس السوفيتى بولجانين كتابا الى رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا واسرائيل يدين العدوان ويطالب بتنفيذ قرارات الامم المتحدة بوقف القتال وسحب المعتدين فوراً حتى لا تتحول الامور الى حرب عالمية ثالثة ، كما انه اشار بكل وضوح بان الحكومة السوفيتية مصممة على اخراج المعتدين فوراً ودون ابطاء وهدد بان لندن وباريس ليستا بعديتين عن مدى الصواريخ النووية السوفيتية (٦٢) .

والى جانب ذلك أعلن الاتحاد السوفيتى عن استعدادده لارسال متطوعين الى مصر لانهاء الاحتلال (٦٣) .

وخشية من انفلات الامور ، اتخذت الامم المتحدة قراراً مجدداً فى الرابع والعشرين من نوفمبر يقضى باجلاء المعتدين فوراً عن مصر . ونتيجة لكل ذلك وجدت الدول المعتدية نفسها واقفة ضد ارادة المجتمع الدولى وان عليها الانسحاب فوراً ، لذلك بادرت قواتها بالانسحاب من بور سعيد ، وتم جلاء آخر فوج من القوات المعتدية فى مساء الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٥٦ بعد ان قضت فى احتلالها ثمانية واربعين يوماً لم تنعم فيها بالراحة ،

يل كان يؤرقها دائما جهاد الفدائيين المصريين وهجماتهم ، وارتفع العلم المصرى فوق بور سعيد وأصبح يوم الثالث والعشرين من ديسمبر يوما تحتفل فيه مصر كل عام بانتصارتها على المعتدين .

أما عن اسرائيل فانهما تحدثت قرار الانسحاب معلنة انها لن تنسحب الا اذا اخذت ضمانات لحرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة ، وعدم استخدام غزة كقاعدة ضدها ، وقد رفضت مصر أى شرط للانسحاب ، وتدخلت الحكومة الامريكية فى الامر فضغطت على اسرائيل للانسحاب ، وضغطت على مصر لتبقى قوات طوارئ دولية فى شرم الشيخ حتى لا تتاج للقوات المصرية مستقبلا مفرصة اغلاق خليج العقبة ، ومنع الملاحة فيه (١٤) . واخذت اسرائيل فى الانسحاب بعد تدمير وتخريب كل ما يصل اليها من منشآت سيناء .

وهكذا انتهى العدوان الثلاثى بالفشل الذريع ، وتحسرت مصر من شبهة التحالف مع الغرب ، وبدأت فى تطهير القناة حتى اعيد افتتاحها فى التاسع والعشرين من مارس ١٩٥٧ .

### نتائج العدوان الثلاثى على مصر وزعامة عبد الناصر :

وضعت حرب السويس العالم بأسره امام مرحلة جديدة من العلاقات الدولية ، وازدادت حدة المنافسة بين المعسكرين الغربى والشرقى ، وظهرت مصر كدولة لها ثقلها الكبير فى المنطقة العربية وفيما يلى نعرض لاهم النتائج :  
١ — من الناحية السياسية :

١ — كان تأميم شركة قناة السويس بمثابة انقلاب تاريخى عالى ونقطة تحول كبرى فى تاريخ التحرر العملى للشعوب ، حيث انهار مركز انجلترا وفرنسا فى الشرق الأوسط ، وتزايدت عوامل السخط ضدها فى العالم العربى ، واستطاعت مصر انهاء كافة التزاماتها مع بريطانيا طبقا لاتفاقية الجلاء التى أبرمت فى ١٩ من اكتوبر ١٩٥٤ (١٥) ، كما استطاع عبد الناصر ان يعلم شعوب العالم الثالث كيف تكون شجاعة الثورة .

٢ — ازدياد ثقة الشعب المصرى بقادته ، والتكاتف الكامل بين قوى الشعب واصراره على مواجهة شتى المواقف الصعبة .

٣ - ظهور القومية العربية كعامل مؤثر في صنع الاحداث ، واثبات قدرة الأمة العربية على مواجهة التحديات ، اذا توفرت لها استراتيجية موحدة وسياسة عامة (٦٦) .

٤ - هيا النصر السياسى فى جولة السويس ١٩٥٦ الدور القيادى لمصر لقيادة حركة التحرر فى امريكا ، والوقوف مع القوى الثورية ضد الاستعمار فى اى بلد واى مكان الامر الذى ادى الى انهك القدرات المصرية فى معارك مستمرة ضد الاستعمار (٦٧) .

٥ - بروز جمال عبد الناصر كشخصية دولية لها تأثيرها على سرح الاحداث وازدياد مركزه داخل مصر وخارجها وارتفاع شعبيته الى مستوى لم يحصل عليه زعيم عربى فى العصر الحديث لدرجة ان اسمه اصبح يتردد فى الافاق العالمية كرمز للوطنية المصرية والقومية العربية ، وحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

٦ - كشف حقيقة اطماع اسرائيل التوسعية امام العالم العربى .  
( ب ) من الناحية الاقتصادية :

١ - تحرير الاقتصاد القومى المصرى بتمصير الشركات والمؤسسات الاجنبية .

٢ - ازدياد رصيد مصر من العملات الصعبة بتحصيل رسوم المرور بالقناة .

٣ - فتح أسواق تجارية مع دول الكتلة الشرقية وآسيا .

٤ - انشاء اسرائيل خط انابيب من ايلات الى جنوب حيفا .

٥ - ضياع ارباح ضخمة من عائدات الاسهم التى تملكها الحكومتين البريطانية والفرنسية .

٦ - اهتمام مصر بمرافقها العامة والبدء فى بناء السد العالى (٦٨) .

( ج ) من الناحية العسكرية :

١ - فشل قوات العدوان فى احتلال مصر ، وزعزعة حكم عبد الناصر ، وتحطيم الجيش المصرى ، والاستيلاء على قناة السويس .

٢ — استمرار مصر في استكمال تسليحها من دول الكتلة الشرقية والتوسع في تعميم التدريب العسكرى خصوصا وان انتصارها في المعركة كان سياسيا وليس عسكريا .

٣ — تسابق دول الغرب على التسلح الذرى والصاروخى بعد الانذار السوفيتى ، واتجاه بريطانيا لتخفيض قواتها في منطقة الشرق الاوسط .

وفي النهاية يمكن القول ان العدوان الثلاثى على مصر انتهى بلا كسب سياسى او عسكرى لأطراف العدوان بل حقق لمصر سيادتها واعاد لها كرامة حقوقها ، وعصفت بايدن وجى موليه وغيرها من قادة العدوان .

حقيقة لقد انتصرت مصر سياسيا ، ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر أن إسرائيل أيضا حققت مكسبا هاما بالنسبة لها وهو حقها في المرور بخليج العقبة .

#### ٦ — الوحدة المصرية السورية ونشأة الجمهورية العربية المتحدة :

مصر وسورية من الاقطار العربية التى جمعت بينهما عوامل مشتركة وثيقة الارتباط منها التاريخية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والتى كانت تحتم ضرورة ايجاد صيغة عمل مشتركة ، واستراتيجية تعاون بين البلدين .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتمسك مصر بالنضال ضد الاستعمار ودعوتها الى التمسك بالقومية العربية ازدادت عوامل التقارب بين البلدين ، واتفقا على التصدى لحلف بغداد ، وكافة الاحلاف العسكرية التى تؤدى الى ربط البلدان العربية بفلك الاستعمار ، كما اتفقا على تكوين قيادة عسكرية مشتركة واقامة تنظيم دفاعى بينهما ونتيجة لذلك عقد اتفاقا عسكري بين الدولتين فى الحادى والعشرين من اكتوبر ١٩٥٥ وبمقتضاه تقرر ان اى اعتداء على احدهما يعد موجها ضدهما معا ، ولتحقيق ذلك اتفقت مصر وسوريا على انشاء مجلس اعلى ، ومجلس للحرب ، وقيادة مشتركة وابرمت هذه الاتفاقية لمدة خمس سنوات وتاكدت بتوقيع اتفاقية التضامن العربى فى التاسع عشر من يناير ١٩٥٦ (٢٩) .



ويعد قيام الرئيس عبد الناصر بتأميم شركة قناة السويس وما تلاه من عدوان ثلاثى غادر على مصر تأكيداً لأواصر الوحدة والمصر المشترك بين البلدين فوكتت سورية بجانب مصر تشدد من أزرها وتناصرها بشتى السبل والإمكانات فوضعت موانئها ومطاراتها وقواتها تحت تصرف القيادة المصرية، كما قام العمال السوريون بنسف أنابيب البترول التى تمر عبر بلادهم وتعمل لحساب الدول المعتدية واتى تسير فى فلكها .

ونتيجة للتعاون المشترك بين البلدين خلال العدوان الثلاثى ومرورا بالحصار الاقتصادى على مصر ثم نهاية بمشروع ايزنهاور فى عام ١٩٥٧ تعرضت سورية لضغوط قوية هددت أمنها وسلامتها ، فحشدت تركيا قواتها على حدود سورية ، ودبرت حكومة نورى السعيد فى العراق وحكومة كميل شمعون فى لبنان المؤامرات ضد سورية بهدف زعزعة الحكم الوطنى وابعادها عن التيارات التحررية ومن هذا المنطلق شعرت سورية ومصر بالحاجة الماسة لتوطيد كافة أواصر التعاون بينهما لمواجهة المد الاستعمارى والصهيونى الذى يسعى الى السيطرة على مقدرات الأمة العربية ونتيجة لذلك استمرت المحادثات بين الطرفين فقام وفد مصرى بزيارة دمشق والاشتراك فى مباحثات مع الحكومة السورية لوضع اسس الوحدة الاقتصادية بين البلدين ، كما توصلت لجنة الشؤون العربية فى مجلس الأمة المصرى ، ولجنة الشؤون الخارجية فى مجلس النواب السورى الى قرار بشأن قيام الوحدة بين البلدين تحقيقاً لارادة الأمة العربية . والى جانب ذلك اجتمع مجلس القيادة فى الجيش السورى وتبنى الضباط الوندويون والبعثيون طلب الوحدة . وعلى الطريق لتحقيق الوحدة بعث الرئيس السورى شكرى القوتلى برسالة الى الرئيس عبد الناصر يطلب فيها باسم الشعب السورى الاسراع فى تنفيذ الوحدة الاندماجية بين الشعبين المصرى والسورى ، كما قرر مجلس الوزراء السورى ايفاد صلاح الدين البيطار على رأس وفد الى القاهرة لاجراء المباحثات مع الحكومة المصرية حول تحقيق الوحدة .

وقد استقبل الرئيس عبد الناصر هذا الوفد واستمرت المباحثات والمراسلات بين القاهرة ودمشق حول ذلك الموضوع كما حضر الرئيس القوتلى الى القاهرة لبحث كافة التفاصيل الخاصة بموضوع الوحدة . ومع ان عبد الناصر كان يرى عدم الاسراع فى قيام وحدة اندماجية بين البلدين ،

فانه وافق في نهاية الامر على قيام الوحدة متخليا بذلك عن كل الدراسات التى اشارت الى التريث فى الامر وان كان قد وضع شروطا لقيام الوحدة اهمها :

١ - حل الاحزاب السياسية القائمة فى سورية اسوة بالاوضاع القائمة فى مصر .

٢ - اعتماد ضباط الجيش عن الاشتغال بالسياسة او ممارستها .

وفى الثامن والعشرين من يناير ١٩٥٨ اعلن الرئيس القوتلى فى دمشق « انه ليسعدنى ان احقق رسالة العرب القومية فاسلم الامانة الغالية بدا بيد الى الرئيس جمال عبد الناصر الشاب المثلئ عروبة وحماسة واخلاصا للامة العربية » .

وفى الحادى والثلاثين من يناير ١٩٥٨ اجتمع مجلس الوزراء المصرى والسورى فى القاهرة لاتهام موضوع الوحدة ، وفى الاول من فبراير ١٩٥٨ اعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة كخطوة اولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وفى الثانى والعشرين من فبراير وافق مجلس الامة المصرى ومجلس النواب السورى على قيام الجمهورية العربية المتحدة كدولة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة تتكون من اقليين هما سورية ومصر على ان يكون لها علم واحد ، ويتولى السلطة التنفيذية فيها رئيس الجمهورية يعاونه وزراء يكونون مسئولين امامه كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد يطلق عليه مجلس الامة وان تكون القاهرة هى العاصمة .

وبعد ان تم الاستفتاء على الوحدة التى الرئيس شكرى القوتلى بياننا اعلن فيه ترشيح جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ، وصعد مجلس النواب السورى على ذلك الترشيح بالاجماع .

ولقد كان لخبر اعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة صدى كبير فى الاوساط العربية والعالمية بين مؤيد ومعارض ففى حين ابتهجت شعوب الامة العربية بهذا الاعلان واعتبرته الطريق الى الوحدة العربية الشاملة انزعجت العناصر الرجعية داخل العالم العربى من هذه الخطوة

واعتبرتها بداية الطريق للقضاء على نفوذها وامتيازاتها واستعانت بالدول الاستعمارية من أجل القضاء على هذه الدولة الناشئة ، والى جانب ذلك رأت اسرائيل في قيام هذه الوحدة عائقا قويا امام اهدافها التوسعية .

وعلى اى حال فقد كان قيام الجمهورية العربية المتحدة بداية لتكوين كيان اقتصادى وسياسى وعسكرى قوى زاد من شعور العرب بعزيتهم وكراحتهم ونجح فى احكام طوق الحصار على اسرائيل .

ونتيجة للحماس العربى المتزايد الذى صاحب قيام الوحدة تقدمت اليمن تطلب الانضمام الى الوحدة الجديدة فى امور التمثيل السياسى والدفاع والصحة والتعليم وتم توقيع ميثاق الاتحاد بين الطرفين فى الثامن من مارس ١٩٥٨ على اساس قيام اتحاد كونفدرالى<sup>(٦٩)</sup> وعلى ان تكون رئاسة مجلس الاتحاد سنوية بالتناوب بين الدول الاعضاء .

والجدير بالذكر ان الوحدة الاندماجية بين مصر وسورية لم تعمر طويلا فللاسباب الآتية :

١ — تریص الاستعمار والصهيونية بهذه الدولة الناشئة ومحاولاتها الايتاع بها .

٢ — ان هذه الدولة كانت تفتقد الى الوحدة الجغرافية فمصر وسورية لا يربط بينهما حدود برية مباشرة مما دعم عوامل الانفصال وجعل الاتصال بينهما غير كامل .

٣ — الاستعجال فى تحقيق خطوات الوحدة ، قد اوقعها فى العديد من الثغرات والاطفاء .

ونتيجة لذلك وقع الانفصال فى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٦١ .

## ٧ — حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ :

قبل يونيو ١٩٦٧ كان العرب لا يسمون اسرائيل بالقدر الذى كانت تعرفهم به مما ادى الى نجاح الصهاينة فى تحقيق انتصار على العرب اكبر

مما كانوا يستحقون وجعل الأمة العربية تصاب بهزيمة فادحة اكبر من كل التوقعات .

حقيقة لقد كانت الفجوة واسعة بين الجيوش العربية التي كان قادتها يتخذون من وظائفهم طريقا للحياة السياسية والجيش الاسرائيلي الذي كان يطبق مبادئ الحرب الحديثة وحقيقة كانت الخلافات على أشدها بين القادة العرب كما ان توقيت ما حدث كان غير موات للدخول في مغامرة غير مأمونة العواقب سواء على الجوانب العسكرية او السياسية خصوصا وان القوات المصرية كانت في معظمها مشغولة في حرب اليمن التي استنزفت معظم قدراتها ، وان المواقف المتناقضة بين القيادتين المصرية والأمريكية كانت واضحة ومع كل ذلك فان ما حدث كان مفاجأة مذهلة للإنسان العربي الذي تم شحنه بالشعارات المثيرة والزائفة ثم وجد نفسه نجاة أمام انسداد هزيمة عسكرية حطمت آماله وانهت رجاله ومعداته .

وطبقا لسيناريو الأحداث نذكر أن مصر طبقا لاتفاقية الدفاع المشترك هبت لمساندة سورية ضد الحشود الاسرائيلية على حدودها وفي مواجهة الصيحات التي كانت تتهددها بالغزو على لسان ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل وبعض قادته العسكريين فأعلنت حالة الاستعداد القصوى للقتال في السادس عشر من مايو ١٩٦٧ وبدأت القوات المصرية تتجمع في سيناء استعدادا لخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرضت سورية لاي عدوان ، كما كلفت القيادة السياسية في مصر الفريق أول محمد فوزي رئيس أركان حرب القوات المسلحة — في ذلك الوقت — بارسال خطاب الى الجنرال الهندي ( ريكي ) قائد قوات الطوارئ الدولية — التي كانت موجودة في سيناء لتكون فاصلا بين مصر واسرائيل منذ خروج القوات الاسرائيلية من سيناء بعد عدوان ١٩٥٦ — بسحب هذه القوات وانهاء وجودها على الأراضي المصرية . وبعد اتصالات تمت بين مصر والمستر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة اجيب مصر الى طلبها وبدأ الجنرال ( ريكي ) في سحب قواته ، وتسلمت القوات المصرية مواقعها في منطقة شرم الشيخ المطلة على خليج العقبة وغيرها من المناطق .

ولم يتوقف تصعيد الموقف عند هذا الحد بل أعلنت الحكومة المصرية

فى الثالث والعشرين من مايو اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية، وحظر مرور البضائع الاستراتيجية الى اسرائيل ولو كانت على بواخر غير اسرائيلية ، ومنع ناقلات البترول المتجهة الى ميناء ايلات على اختلاف جنسياتها ، وصدرت التعليقات المفصلة الى كل السفن والبواخر القادمة الى خليج العقبة باتباع القواعد التى تقرها السلطات المصرية حفاظا على سلامتها خاصة وان بعض المواقع داخل مياه مصر الاقليمية قد وضعت فيها الغام بحرية . ونتيجة لذلك تحول الصراع مع اسرائيل من قضية تهديد لسوريا وحشد القوات المصرية فى سيناء الى قضية اغلاق أحد الممرات البحرية فى وجه الملاحة الاسرائيلية ، واتخذ هذا انبأ مكان الصدارة فى صحف العالم مقترنا بحملة اعلامية مضادة ضد مصر وهيا لاسرائيل الأسباب والمبررات التى استندت اليها فى اتخاذ قرار الحرب فقد اتهم رئيس وزرائها ليفى اشكول مصر بخرق القانون الدولى ، وأوضح ان اسرائيل لا تستطيع قبول هذا القرار ، وانها سوف تحارب دفاعا عن كيانها وباغفل تشككت وزارة حرب فى اسرائيل عين فيها « موسى ديان » وزيرا للدفاع ، كما أعلنت التعبئة العامة فى اسرائيل وتم استدعاء المتطوعين اليهود فى الولايات المتحدة وأوربا للمشاركة فى التعبئة .

وقد ردت مصر على ذلك بأنها على استعداد للحرب ومواجهة اسرائيل، وانها سوف تضرب بكل قوة أى حركة عدوانية فى أى اتجاه ، وفى أى ميدان ، كما بدأت أجهزة الاعلام المصرية تدق طبول الحرب وتواصل الهاب مشاعر الجباهير معلنة أن مصر ستدمر اسرائيل لو بدأت بالعدوان .

وفى محاولة للحد من تدهور الموقف ، وحتى لا تصبح الحرب امرا لا مفر منه قام سكرتير عام الأمم المتحدة بزيارة لمصر فى الرابع والعشرين من مايو وقابل الرئيس عبد الناصر كما قابل محمود رياض وزير الخارجية بقصد البحث عن طريق للسلام ، ولكنه لم يوفق فى مساعيه .

وفى الثانى من يونيو عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعا بمكتب المشير عامر بالقيادة العليا للقوات المسلحة بمدينة نصر حضره كبار قادة القوات المسلحة وبعض السياسيين وخلال ذلك تم استعراض الموقف السياسى والعسكرى وتوقع عبد الناصر قيام الحرب مع اسرائيل بنسبة مائة فى المائة

وأوضح أن إسرائيل ستبدأ بالهجوم خلال يومين أو ثلاثة أي في الرابع أو الخامس من يونيو ، وأنها ستبدأ هجومها بضربة جوية مفاجئة بهدف شل قدرات قوات الطيران المصري ودفاعات مصر الجوية ، وأوضح أنه لاعتبارات سياسية يتحتم على مصر أن تترك المبادأة للعدو ، وتستعد لتلقى الضربة الجوية ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها حتى يمكن بعد ذلك توجيه ضربة جوية رادعة ضد إسرائيل . وعلى الرغم من ذلك لم يأخذ القادة العسكريون توقعات عبد الناصر مأخذ الجد وفي ضربة مباغتة قامت القوات الجوية الإسرائيلية بغارات مكثفة على المطارات المصرية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ نجحت خلالها في تدمير معظم الطائرات المصرية وهي جاثمة على الأرض ، وفي أعقاب ذلك أصيبت جبهة القتال في سيناء بانهيار شامل ، ودبت حالة من الفوضى العارمة بين القوات نتيجة لصدور أوامر من المشير عبد الحكيم عامر في السادس من يونيو ١٩٦٧ بالانسحاب دون وضع خطة تكتيكية منظمة له فانسحب الجيش المصري من سيناء انسحابا باهظ ألحق به هزيمة منكرة في منظره ونتائج وآثاره بل كان عبارة عن مجزرة بشرية رهيبة خاصة وأن الأمر بالانسحاب السريع لجيش كبير انتشر في الصحراء ، واتخذ مواقعه بمعداته الثقيلة تحت وأبل من نيران العدو يعد بمثابة قرار أهوج غير مدروس مما أدى إلى تحول الجيش النظامي إلى شراذم مبعثرة لا هدف لها سوى النجاة بأنفسها دون أية محاولة للصمود أمام العدو ، تاركة أسلحتها ومعداتها غنية للقوات الإسرائيلية دون إطلاق طلقة واحدة وإلى سيطرة العدو على قطاع غزة والزحف على سيناء والوصول إلى الضفة الشرقية من قناة السويس .

وعلى جانب الجبهات العربية تمكنت القوات الإسرائيلية من الاستيلاء على هضبة الجولان السورية ، والسيطرة على مدينة القدس العربية والضفة الغربية لنهر الأردن ونتيجة للاحاق من مصر ، ومحاولات مستمته من الدول الصديقة للعرب تم دعوة مجلس الأمن لعقد دورة استثنائية عاجلة بحث خلالها الموقف وصدر القرار رقم ٢٣٤ في السابع من يونيو الذي يطالب بالوقف الفوري لإطلاق النار .

وفي أعقاب ذلك ووسط شماتة الأعداء وذهول الصديقاء لما حدث مع مجلس الأمن لايجاد حل جذري للمشكلة . وبعد مشاورات ومداولات

وخلافات بين أعضاء المجلس تمكن المجلس في نهاية الأمر من إصداره قراره رقم ٢٤٢ في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ والذي يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلت وانتهاء حالة الحرب بين دول المنطقة واحترام السيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة ، وحققها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، كما نص القرار على ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية وتسوية مشكلة اللاجئين وان يقوم الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين ممثل خاص له للذهاب إلى الشرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف الوصول إلى اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية عملية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ التي تضمنها انقرار (٧٠). ولتحقيق ذلك تم تعيين الدكتور جونار يارنج سفير السويد في موسكو ممثلاً خاصاً للسكرتير العام للقيام بالاتصالات المناسبة في محاولة لتسوية المشكلة غير أن جهوده لم تكفل بالنجاح وتوقفت مهمته نتيجة لرفض إسرائيل التعمد بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها وإعلانها عن رغبتها في الاحتفاظ ببعض هذه الأراضي تحت دعوى الحدود الآمنة لها (٧١) .

والسؤال المطروح لماذا تصر إسرائيل على عدم تطبيق القرار ، وتجد بعض الأذان الصاغية في المجتمع الدولي تساندها ؟

الواقع ان القرار ٢٤٢ حمل بين طياته بعض عناصر الإبهام واختلفت فيه الآراء مما جعل إسرائيل تستغل ذلك إلى أبعد الحدود فإسرائيل ترى ان القرار ربط تعليق الانسحاب من الأراضي العربية بتحقيق ما يكفل لها حدوداً آمنة خلافاً لوضعية الأراضي العربية التي تم احتلالها في عام ١٩٦٧ ، وان القرار يطالبها بالانسحاب من أرض عربية وليس كل الأراضي المحتلة مستندة في ذلك إلى النص الإنجليزي للقرار الذي يقول :

With drawal of Israeli armed Forces Form territories occupied in the recent Conflict .

وترجمته انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضي احتلت في القتال الأخير . في حين تصر الأطراف العربية على أن القرار يعني استرداد كل الأراضي التي تم احتلالها في عام ١٩٦٧ .

وعن موقف المجتمع الدولى من القرار فانه يربط استرداد الاراضى العربيه باقامة سلام دائم مع اسرائيل يكفل وجودها ، اما ما يتردد حول هل ينبغى اعادة كل او بعض الاراضى المحتلة ففى تصورنا ان اغتصاب اراضى الغير بالقوة يتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة ، كما يتنافى مع كل الاعراف الدولية ويكتفى لدحض هذا الادعاء ان نذكر ما ورد فى مقدمة القرار من ان مجلس الأمن يؤكد عدم جواز الاستيلاء على اراضى الغير عن طريق الحرب ، كما ان نصوص اللغات غير الانجليزية التى حرر بها القرار تؤكّد ان الانسحاب يشمل جميع الاراضى .

وهكذا تسببت حرب يونيو ١٩٦٧ فى مهانة للامة العربية لا نزال نتجرع من كأسها ، وتحصد ما جنته ايدى قادتها الذين لم يقدرُوا عواقب تسرعهم وانفعالاتهم وخططهم غير المدروسة وحتى تكون الاستفادة مما حدث نبراسا للاجيال الحاضرة يمكننا ان نرجع اسباب الهزيمة فيما يلى .

١ — ان الامة العربية خاضت المعركة من خلال واقع الصراعات والتجزئة التى كانت تفترق بين قادتها وتبدد قواها وتهدد طاقتها فلم تكن هناك جبهة عربية موحدة ، ولم تستغل امكانات العرب العسكرية جميعها فكانت معظم القوات المصرية منهكة القوى فى حرب اليمن ولم تكن هناك خطة عسكرية متكاملة قابلة للتنفيذ على مستوى العالم العربى بحيث تستغل الامكانات العربية سواء اكانت عسكرية او اعلامية او جغرافية او اقتصادية بطريقة سليمة .

٢ — ان العرب كانوا يواجهون عدوا يعرف عنهم اكثر مما يعرفون عنه ، وانه تلقى امدادات عسكرية وتكنولوجية تفوق قدراتهم وان هذا العدو تصرف فيما حصل عليه من امكانات ببراعة ومقدرة فائقة ، والى جانب ذلك فان هذا العدو اختار ان يفاجننا بالتحدى فى ظروف غير مواتية للامة العربية من الناحيتين السياسية والعسكرية واستطاع استدراج قادتنا الى مصيدة يونيو وان يحشد كل الأوراق بين يديه لينزل بنا ضربة عسكرية قاسية ، وليفرض على قواتنا خوض معركة غير متكافئة .

ونتيجة لما حدث ، وعلى الرغم من محاولات الجانب المنتصر املاء شروطه وبث روح القنوط واليأس فى الجانب العربى ، وبالرغم من مشاعر



الألم التي انتابت الشعب المصرى ، وانفترت حالكة السواد التي عاشتها مصر فى أعقاب الحرب فقد فشلت كل محاولات الإحباط فى التسرب إلى نفوس المصريين ، فرفض الإنسان المصرى الهزيمة وأصر على الصمود والنضال من أجل استرداد الحق المسلوب ، وإعادة الكرامة التي أهدرت ، وكانت مشاعر الألم التي انتابته بمثابة الوقود الذى دفعه للعمل من أجل محو العار الذى ألم بالامة فدخل إلى القوات المسلحة ما يزيد عن مليونى شاب دربوا على السلاح وتعرضوا لتجارب الحياة القاسية فى الصحراء وصهرتهم التدريبات الشاقة واثقين أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة مما مهد لقيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

#### ٨ - حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

كان أول درس من دروس هزيمة حرب ١٩٦٧ هو ضرورة تجنب المفاجأة والتعرف على العدو بشكل أوضح ، والاصرار على الصمود والنضال لاسترداد الحق بالقوة فما أن انتهت المعركة حتى راحت الدول العربية تكثف جهودها السياسية والدبلوماسية واسعة النطاق لرفض الهزيمة وإيجاد تسوية مقبولة للنزاع وفى نفس الوقت بدأت دول المواجهة مع اسرائيل تعيد بناء قواتها المسلحة بكل اصرار وعزيمة فجرت عملية بناء القوات المسلحة بكفاءة هائلة انتظارا ليوم الحسم وبمفهوم جديد يتناسب مع المهام المنتظرة ونتيجة للتعنت الاسرائيلى ورغبته فى فرض الامر الواقع بكل ما يحمله من اجحاف تحطمت شتى جهود التسوية السلمية ففشلت جهود جونار يارنج فى ايجاد حل سلمى لازمة ، كما لم يستطع مشروع السلام الذى قدمه الاتحاد السوفيتى فى يناير ١٩٦٩ اقناع اسرائيل بتسوية النزاع بالطرق السلمية . ونتيجة لاصرار العدو على فرض شروطه على العرب فى اطار مفاوضات مباشرة معهم رأت مصر تحريك جلود الموقف بشن حرب استنزاف مع اسرائيل فيما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠ ، وقد استطاعت القوات المصرية أن تشن هذه الحرب عبر قناة السويس بنجاح هوجت ضربات مستمرة فى أماكن متفرقة على خط المواجهة لدرجة ارتفعت فيها خسائر اسرائيل من الأفراد والمعدات بشكل ملحوظ ، كما صدقت القيادة السياسية على البدء فى الخطة المعروفة لدى العسكريين جرائنت رقم ( ١ ) وهى الخطة التي تم رسمها لعبور القوات المصرية للقناة على خمسة

محاور (٧٣) وث مواجهة هذا الموقف بدأ العدو في تركيز نشاطه الجوى على العمق حتى مشارف القاهرة بهدف تحطيم الجبهة الداخلية .

ونتيجة لتصاعد الموقف تقدم المستر روجرز وزير الخارجية الأمريكى بمبادرة فى الخامس من يونيو ١٩٧٠ بهدف إيقاف حرب الاستنزاف والبحث عن حلول جديدة للسلام فنصت المبادرة على نقطتين هما الانسحاب ووقف إطلاق النار لمدة تسعين يوما يجرى فيها وسيط الأمم المتحدة المفاوضات بين الاطراف المعنية من أجل تسوية المشكلة ، وعلى الرغم من قبول عبد الناصر للمبادرة ، فان جهود روجرز تحطمت أمام الضغوط الإسرائيلية، وبدأت حالة اللا سلم واللا حرب تسود المنطقة .

وبعد وفاة عبد الناصر وتولى انور السادات رئاسة الجمهورية بدأ التفكير فى تحريك القضية سلميا بمبادرة تقوم بها مصر فاعلن الرئيس السادات فى الرابع من فبراير ١٩٧١ انه على استعداد لفتح قناة السويس للملاحة العالمية مقابل انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية كمرحلة أولى من الانسحاب الكامل تبدأ مصر خلالها فى تطهير القناة واعادتها للملاحة (٧٣) .

وعلى الرغم من ترحيب العالم بهذه الفكرة فقد رفضتها اسرائيل وأعلنت عن تمسكها بالأراضى المحتلة ، ورغبتها فى أن يكون الاتفاق على إعادة فتح قناة السويس منفصلا عن موضوع الصراع العربى الاسرائيلى .

وفى حين استمرت مصر فى جهودها لتحقيق سلام عادل فى المنطقة عن طريق مطالبة المجتمع الدولى بتحمل مسؤولياته عازمت اسرائيل على فرض سياسة الأمر الواقع والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة مما جعل القيادة المصرية تتيقن صحة المبدأ القائل « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » وأن جمود الموقف لا يكسره الا استخدام السلاح لتحرير الأراضى وتحقيق السلام العادل المنشود (٧٤) . ومن أجل ذلك أعدت مصر خططها المنشودة للحرب فاستمرت القوات المسلحة المصرية فى تدريباتها الشاقة العنيفة فى ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد خاصة وان اسرائيل كانت تمارس كافة ضغوط الارهاب النفسى ضدها وتحاول التشكيك فى قدرات مصر

وامكاناتها لدفعها الى التخلّى عن واجبها الوطنى ، والى جانب ذلك كانت القوات الاسرائيلية لا تزال تتمتع بميزة التفوق الجوى وتتزود بأحدث اسلحة الحرب الانكرونية يضاف الى ذلك أن وجود خط بارليف والساتر الترابى كان يشير الى صعوبة مهمة المقاتل المصرى .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد اقتنع افراد القوات المسلحة المصرية بأن القتال ضرورة حتمية لاسترداد الحقوق المغتصبة واسترجاع الأرض المحتلة ، ومحو عار الهزيمة وان ذلك لا يتأتى الا بالتركيز على واقعية التدريب ، واستيعاب السلاح ورفع قدرة المقاتلين للسيطرة الكاملة عليه والى جانب ذلك بدأت القيادة المصرية فى اعداد الجبهة الداخلية لتقليل التضحيات ، وحماية الخطوط الخلفية للقوات المسلحة وحتى يمكن تهيئة الراى العام العالمى التى تأثرت رؤيته للصراع بحرب يونيو ١٩٦٧ قامت القيادة السياسية بتكثيف جهودها خصوصا بعد أن تأثرت القضية بتطور علاقات التفاهم بين القوى العظمى بعد زيارة الرئيس الأمريكى نيكسون للصين والاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٧٢ وما أسفر عنهما من رغبة فى استرخاء الموقف العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط والتهوين من شأن العرب ، ووضع قضاياهم على الرف (٧٥) .

وبعد أن تكاملت صورة الموقف ، وبذلت كافة الجهود السياسية والعسكرية بدأت القيادة المصرية بالاشتراك مع القيادة السورية فى اعداد خطط الهجوم لتحرير الأرض فى اطار من السرية المطلقة ، وقد صاحب ذلك العمل خداع استراتيجى وتعبوى شاركت فيه كافة الجهات صاحبة الاختصاص وفى اعقاب ذلك تم دراسة عملية اختيار التوقيت المناسب لتحديد ساعة الصفر بالنسبة للجبهتين المصرية والسورية معا وفى اجتماع تم بالاسكندرية فى اغسطس ١٩٧٣ اختير «يوم كيبور» أى يوم الغفران أو التكبير عند اليهود وكان يوافق السادس من اكتوبر موعدا لعبور القناة وتحرير الأرض العربية . ويرجع اختيار هذا اليوم بالذات الى انه اليوم الذى تصاب فيه الحياة فى اسرائيل بشلل شبه تام ، كما انه فى نفس الوقت يوافق العاشر من رمضان ذلك الشهر صاحب التأثير المعنوى القوى على المسلمين .

فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة حيث يصوم فيه المسلمون ولا يتوقع العدو فيه قيام القوات المصرية بالهجوم عليه وزيادة في خداع العدو حتى تكتمل المفاجأة اخير قلب النهار وفي وضحه بداية للعبور وليس كما هو متبع في الحروب اول ضوء في الشروق أو آخر ضوء في الغروب فتحددت الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر كساعة للصفر حيث انطلقت الشرارة وبدأت خطة « بدر » حسب تعبير العسكريين<sup>(٧٦)</sup> ، وكانت المفاجأة للعدو في الجو والبحر فقامت مائتا طائرة على ارتفاع منخفض جدا بالضربة الاولى على جميع مواقع ومطارات العدو المؤثرة في سيناء ، ومائة طائرة بالضربة الاولى على الجبهة السورية ، وقامت المدفعية تهدر بطلقاتها المتلاحقة على امتداد الجبهة للتمهيد للعبور ثم بدا الهجوم الأول بنزول اطلق مقتناص الدبابات الى الماء وصرخة الايمان المدوية « الله اكبر » تهب الاجواء ثم اخذت باقى القوات المصرية تنزل الى قوارب المطاط وغيرها وتعبر الى سيناء تحت ساتر من النيران ، ولم تنجح مقاومة العدو من نقاطها الحصينة بخط بارليف في صد الهجوم بل اذهلتها المفاجأة ، واخذت القوات المصرية تواصل اقتحامها للنقط الحصينة للعدو بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وتحررها وتقوم برفع الاعلام المصرية عليها وخلال ذلك تمكن سلاح المهندسين من بناء الجسور التى عبرت عليها الدبابات خصوصا في قطاع الجيش الثانى، وتحركت القوات البحرية لضرب الاهداف البحرية الاسرائيلية على شواطئ البحرين المتوسط والاحمر ، وبدأت انقوات المصرية في تعميق وتوسيع وضم رؤوس الكبارى حتى تزايد عدد الجنود العابرين للقناة الى اكثر من خمسين ألف مقاتل . وقد نجحت مظلة صواريخ الدفاع الجوى في صد هجمات العدو الجوية ، كما فشلت هجمات العدو المضادة لوقف زحف القوات المصرية<sup>(٧٧)</sup> مما أفقد العدو المتفطرس توازنه ، وزاد من ارباكه واعاد للامة الجريحة شرفها بعد أن سيطرت القوات المصرية على الجانب الشرقى للقناة ونجحت في عبور سيناء .

وبعد التقاط العدو لانتفاسه بدأ في هجومه المضاد واسرع في طلب النجدة من يهود اوربا والولايات المتحدة وبدأت اسرائيل تجد نفسها ولاول مرة تخوض حربا دفاعية ضد القوات المصرية على طول جبهات القتال .

وخلال ذلك ازداد تماسك الجبهة الداخلية في مصر واستمرت في العمل لزيادة الانتاج واستعدت لتقبل التضحيات مما كان له اكبر الاثر على حفز طاقات المقاتلين ، كما كان لوحدة الصف والتآزر بين الدول العربية الذي تجاى في اروع صورة خلال المعركة اكبر الاثر في تمكن الامة العربية من اثبات ذاتيتها امام العالم . فقد هبت الامة العربية للمساهمة في المعركة بجنودها وسلاحها ودعمها ، كما استخدم العرب سلاح البترول بفعالية لأول مرة مما نقل القضية من الجمود الى الحركة السريعة ، وجعل العرب يستردون ثقتهم في انفسهم ويستعيدون كبرياءهم وخلال ذلك عقد مجلس الامن دورة طارئة في الثامن من اكتوبر لمناقشة الموقف ، وبعد مداوات طويلة وبمقتدة توصل المجلس الى اصدار القرار رقم ٣٣٨ في الثامن والعشرين من اكتوبر ١٩٧٣ والذي تضمن وقف القتال ودعوة الاطراف المعنية الى بدء المفاوضات فمرا بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وفي محاولة من اسرائيل للتقليل من شأن ما حدث حاولت قواتها التسلل لاحتلال بعض المواقع المصرية غرب القناة والاقتراب من مدينة الاسماعيلية وقد تمكنت القوات المصرية من ايقاف تقدم العدو كما تمكنت بالتعاون مع عناصر الدفاع الشعبي وقوات الشرطة والاهالى من حصر قوات العدو في قطاع ضيق ملاصق للقناة شمال البحيرات المرة وفي مناطق الاشجار والاحواش .

والى جانب ذلك قامت قوات العدو في الثالث والعشرين من اكتوبر بخرق اتفاقية وقف اطلاق النار ودفعت جماعات صغيرة من الدبابات والمشاة الميكانيكية عبر المسالك الجبلية والمدقات وحاولت اقتحام مدينة السويس والاستيلاء عليها ، وعلى الرغم من توغل دباباتهم الى قلب المدينة فقد كانت المقاومة ضدها عنيفة جدا حيث تكاثف شعب السويس بكل طوائفه وطبقاته وبمختلف اعمارهم مع قواته المسلحة في الذود عن حياض المدينة ببسالة منقطعة النظير ، وكبد العدو خسائر فادحة مما اضطره الى التراجع (٧٨) وجعل وضعه في غرب القناة بمثابة رهينة في قبضة القوات المصرية ثم جاء اتفاق

الفصل بين القوات ، وانتهت عملية الثغرة التى اطلق عليها أغلب المحللين انها لم تكن انجازا عسكريا بقدر ما كانت عملا اعلاميا يشبه الدعاية التلفزيونية .

وفى النهاية يمكن القول ان الانجاز الضخم الذى حققته القوات المسلحة المصرية باجتيازها أصعب مائى وتحطيمها لخط بارليف لسوف تظل على امتداد الاجيال القادمة موضع فخر واعتزاز وتقدير لانها عكست وبحق ارادة وتصميم المقاتل المصرى ، واثبتت قدرته على استخدام الأسلحة الحديثة بمقدرة ومهارة هذا الى جانب ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ اثبتت فشل نظرية الأمن الاسرائيلى ، واسطورة اسرائيل التى لا تقهر وجعلت الاسرائيليين يدركون ان الحدود الآمنة قد لا تضمن بالضرورة أمنهم ، كما اظهرت للعرب أن التنسيق فى المواقف بينهم يمكنهم من تحقيق أهدافهم وان قوتهم انذاتية هى الضمان الوحيد لاسترداد حقوقهم فقد تمكنوا من قلب الموازين العالمية رأسا على عقب بعد توقفهم عن تصدير البترول ، فتفجرت مشكلة الطاقة وانقلبت أحوال سوق المال العالمية وشغل العرب مكانهم تحت الشمس . ونتيجة لذلك نشطت فعاليات هيئة الأمم المتحدة بعد حرب اكتوبر فدعت الاطراف المعنية الى حضور مؤتمر دولى بمشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وقد اختيرت مدينة جنيف السويسرية كمقر لانعقاد المؤتمر . وخلال ذلك اعربت مصر عن استعدادها لتنفيذ كل الالتزامات المترتبة على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . هذا وقد تم الاتفاق بين مصر واسرائيل فى الثامن عشر من يناير ١٩٧٤ على فك الاشتباك بين القوات المصرية والاسرائيلية فى سيناء باعتباره خطوة أولى نحو التسوية الشاملة ، ثم عادت الدولتان وابرمتا اتفاقية فك اشتباك ثانية فى اول سبتمبر ١٩٧٥ باعتباره خطوة جديدة لاقامة سلام دائم فى المنطقة .

ونتيجة لاختلاف وجهات نظر بعض الاطراف العربية حول السلام وامكانيات مؤتمر جنيف على تحقيقه وانعدام الثقة المتبادلة بين اطراف الصراع فى المنطقة قام الرئيس السادات بزيارة القدس فى التاسع عشر

من نوفمبر ١٩٧٧ بهدف تحريك مساعى السلام واثبات رغبة مصر في تحقيقه امام الزاى العام العالمى . وفى غضون ذلك استمرت الجهود الدولية من اجل تنشيط عملية السلام ، وبدأت الولايات المتحدة فى ممارسة ضغوطها على الطرفين لتحقيق نتائج ايجابية حتى انعقد مؤتمر « كامب ديفيد » فى سبتمبر ١٩٧٨ وصدر عنه وثيقتان سميت الاولى « اطار السلام فى الشرق الاوسط » وسميت الثانية « اطار لابرام معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » مما اثار ردود فعل واسعة النطاقى ، وبدأت منطقة الشرق الاوسط تدخل فى منعطف جديد .

## مراجع الفصل الثامن

- (١) أحمد فريد على : العلاقات المصرية الانجليزية واثرها في تطور الحركة الوطنية في مصر ١٤ - ١٩٥٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٧٣١ .
- (٢) سيد مرعى : أوراق سياسية ، ج ١ ، القاهرة - المكتب المصرى الحديث ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
- (٣) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ، القاهرة - دار الكتاب النموذجى ١٩٧٥ ص ٤٦ .
- (٤) عبد اللطيف البغدادي : مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، ج ١ ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ص ٦١ .
- (٥) الجمهورية ، العدد ١٩١ فى الجمعة ١٨ يونية ١٩٥٤ .
- (٦) الحكومة المصرية ، أمر ملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية ، القاهرة - المطبعة الأميرية ١٩٢٣ ص ٧ .
- (٧) نفسه ، المادة ٥٠ ص ٧ .
- (٨) دار الوثائق : محاضر جلسة لجنة الدستور . الدستور المصرى وقانون الانتخاب فى ٢٢ أكتوبر ١٩٣٠ ( المادة ٥٢ ) .
- (٩) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٦٤ .
- (١٠) عبد اللطيف البغدادي : المذكرات السابقة ص ٦٥ .
- (١١) روز اليوسف العدد ١٢٨٠ فى ١٢/٢٢/١٩٥٢ تحت عنوان « طه حسين يتكلم : لماذا ادعو الى الجمهورية - لقد سئمت النفاق » .
- (١٢) روز اليوسف : العدد السابق حديث للصحفى سامى داود مع الدكتور طه حسين .
- (١٣) محمد نجيب : المرجع السابق ص ٢٢ .
- (١٤) مصلحة الاستعلامات : مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الثالث فبراير ١٩٦٠ - يناير ١٩٦٢ خطاب فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦١ ص ٥٧٥ .



(١٥) نفسه .

(١٦) عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤ . القاهرة — روز اليوسف  
ص ١٢ .

(١٧) طعيمة الجرف : القانون الدستورى ومبادئ النظام الدستورى  
فى الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ص ٨٨ .

(١٨) عن هذه الاسماء انظر عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو  
١٩٥٢ ، القاهرة — النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ص ٦٦ — ٦٧ .

(١٩) هؤلاء الاعضاء هم : عبد الرازق السنهورى — عبد الرحمن  
الرافعى — مكرم عبيد — السيد صبرى — عثمان خليل عثمان .

(٢٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٧ .

(٢١) مصلحة الاستعلامات ، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات  
الرئيس جمال عبد الناصر — القسم الاول ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — يناير ١٩٥٨  
ص ٣١ — ٣٢ .

(٢٢) النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ٥٣٧ .

(٢٣) الرافعى : المرجع السابق ص ٨٧ .

(٢٤) الاخبار : العدد ٣١٣ فى الاحد ٢١ يونية ١٩٥٣ .

(٢٥) نفسه : تحت عنوان « كلمة اليوم » .

(٢٦) الجمهورية : العدد ١٩١ فى ١٨ يونية ١٩٥٤ .

(٢٧) الاخبار الجديدة : العدد ٣١٣ من السنة الثانية فى ٢١/٦/١٩٥٣  
تحت عنوان « فرحة الشعب باعلان الجمهورية » .

(٢٨) نفسه تحت عنوان « نحو النور » .

(٢٩) نفسه : العدد ٣١٤ من السنة الثانية فى ٢٢ يونية ١٩٥٣ .

(٣٠) د . عبد العظيم رمضان : المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٣١) انور السادات : البحث عن الذات ، القاهرة — المكتب المصرى  
الحديث ، مايو ١٩٨٠ ص ١٣٩ .

(٣٢) سيد مرعى : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٣٣) عن هذه الازمة وتطوراتها انظر : د. عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وازمة مارس ص ١٦٧ وما بعدها .

(٣٤) سيد مرعى : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٢٨١ — ٢٨٦ .

(٣٥) عبد اللطيف البغدادي : مذكرات عبد اللطيف البغدادي ج ١ ، القاهرة : المكتب المصرى الحديث ص ١٢٧ .

(٣٦) الجمهورية ، العدد ١٩١ فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ .

(٣٧) على الرغم من أن هذه المعاهدة انتهت عهد الاحتلال البريطانى فى مصر فقد تمسك الجانب البريطانى فيها بالاشراف على قاعدة قنسة السويس ، واحتفاظ بعدد من الفنيين للقيام بالاعمال الفنية بالقاعدة ، وعودة القوات البريطانية الى قناة السويس اذا ما تعرضت مصر أو احدى الدول الاعضاء فى جامعة الدول العربية المرتبطة بميثاق الضمان الجعاعى فى ذلك الوقت لأى خطر خارجى .

(٣٨) الرافعى : ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ . القاهرة . النهضة المصرية ١٩٥٩ ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

(٣٩) سجل العرب للعلاقات الثقافية والاقتصادية ص ٩٤ — ٩٥ .

(٤٠) يرجع السبب الحقيقى فى ذلك اطراد نمو العلاقات بين مصر ودول الكتلة الشرقية منذ توقيع صفقة الاسلحة التشيكية فى عام ١٩٥٥ واعتراف مصر بحكومة الصين الشعبية وهو الأمر الذى اعتبرته الولايات المتحدة بمثابة صفقة قوية لها .

(٤١) محمد حسين هيكل : ملفات السويس ، القاهرة ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٦ .

(٤٢) انظر خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ من يوليو ١٩٥٦ القاهرة ، ادارة الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم ص ٦٠ .

(٤٣) كان معنى قرار التأميم متفاوضا عند الدول التى تاترت مباشرة به وان كان مذاقه مريرا عندها جميعا .

(٤٤) هيكل : مرجع سابق ص ٤٦١ .

(٤٥) رفض ٦٠ مرشدا كانوا فى اجازات بالخارج العودة الى مصر من مجموع ٢٠٥ مرشدين ، وازداد ضغط الشركة وايماها للمرشدين مترك لعمل فى مصر ، فعرض رئيس الشركة جاك جورج بيكو مرتب ثلاث سنوات

مقدما لمن يرفض العمل من المرشدين تحت الادارة المصرية ، ثم هدد بفقدان المرشدين الباقين لمعاتهم أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو ج٢ ، مجتمع عيد الناصر بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨ ص ٩٧ — ٩٨ .

(٤٦) وزارة الدفاع : حرب العدوان الثلاثى على مصر ج ١ ، القاهرة ، هيئة البحوث العسكرية ، ص ٤٢ .

(٤٧) هيك : مرجع سابق ص ٥٣٢ .

(٤٨) مع ان كل الشواهد كانت تؤكد أن بريطانيا كانت تبني للعدوان على مصر فان عيد الناصر يذكر انه لم يعرف باشتراكها الا عند سماعه ازيز الطائرات البريطانية ، فصعد الى سطح منزله ليتأكد من ذلك بنفسه .

انظر : توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسى فى مصر ١٩١٩ — ١٩٧٩ ص ٣٧١ .

(٤٩) حمروش : مرجع سابق ج ٢ ص ٩٥ .

(٥٠) خلال الفترة من ١٢ الى ١٤ من اغسطس ١٩٥٦ بدأت الطائرات والسفن الانجليزية والفرنسية تحمل قوات العدوان الى قبرص ومالطة كما امتد جسر من اسراب الطائرات المخصصة لحلف شمال الاطلنطى تعمل ليل نهار من بريطانيا الى شرقى البحر المتوسط ، ودهنت الدبابات بلون اصفر مشابه لرمال الصحراء استعدادا للغزو المرتقب .

(٥١) وزارة الدفاع : مرجع سابق ص ٦٢ .

(٥٢) محمد عوض محمد : العدوان الثلاثى وعواقبه . مقال منشور بالمجلة . العدد الثانى فبراير ١٩٥٧ ص ٥ .

(٥٣) حمروش : مرجع سابق ج ٢ ص ١٠٣ .

(٥٤) هيك : مرجع سابق ص ٥٢٤ .

(٥٥) وزارة الدفاع : مرجع سابق ص ٤٨ .

ومما لا شك فيه أن قرار الانسحاب وان كان قد ساعد على سرعة تقدم القوات الاسرائيلية داخل سيناء ، واحتلالها شبه الجزيرة ، فانه قد ادى الى تلاحم الجيش والشعب فى الدفاع عن مصر وقناتها .

(٥٦) عندما صدر القرار بسد قناة السويس تحركت ست من سفن الشحن المحملة بالاسمنت الى منطقة البحيرات المرة وتم اغرقها .

- (٥٧) وزارة الدفاع : مرجع سابق ص ٢٥٤ .
- (٥٨) حمروش : مرجع سابق ج ٢ ص ١٠٨ .
- (٥٩) عجز المجلس عن اتخاذ قراره بسبب استخدام انجلترا وفرنسا لحق الفيتو ، مما دفع المستر داج هير شلد السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة الى التهديد بالاستقالة ، وجعل المنوب اليوجسلافى يتقدم بدعوة الجمعية العامة المتحدة الى اجتماع عاجل .
- (٦٠) محمد عوض محمد : المقال السابق ص ٨ .
- (٦١) صدر القرار فى السابع من نوفمبر ١٩٥٦ .
- (٦٢) هيك : مرجع سابق ص ٥٥٤ .
- (٦٣) مذكرات محمود رياض : البحث عن السلام والصراع فى الشرق الاوسط والجدير بالذكر انه عندما انزعجت بريطانيا من الانذار السوفيتى وطلبت مساعدة الولايات المتحدة كان الرد « على الذين تصرفوا منفردين دون الموافقة الصريحة للولايات المتحدة ان يتحملوا عواقب تصرفهم » .
- انظر هيك : مرجع سابق ص ٥٥٦ .
- (٦٤) حمروش : مرجع سابق ج ٢ ص ١١٨ .
- (٦٥) نصت الاتفاقية على عودة القوات البريطانية الى قناة السويس اذا ما تعرضت مصر او أحد أعضاء جامعة الدول العربية المرتبطة ببيئات الضمان الجماعى — فى ذلك الوقت — لآى خطر خارجى اثناء السنوات السبع التالية لتوقيع الاتفاقية .
- (٦٦) على الرغم من قيام سورية بنسف انابيب البترول المارة عبر اراضيها وقيام السعودية بوقف امداداتها البترولية لانجلترا وفرنسا ، واعلان الاردن وقوفها بجانب مصر فان موقف حكومة نوري السعيد فى العراق وكميل شمعون فى لبنان كان مزييا .
- (٦٧) احمد يوسف وآخرون : الاستقلال الوطنى ، القاهرة ، المركز العربى للبحث والنشر ، ١٩٨٢ ص ١٩٣ .
- (٦٨) محمد كمال عبد الحميد : معركة سيناء وقناة السويس ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ص ١٨٩ .
- (٦٨) مصطفى صفوت : مصر المماصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة النهضة العربية ، ١٩٥٩ ص ٢٨١ .

- (٦٩) بمعنى أن تظل كل دولة محتفظة بنظام الحكم القائم فيها  
وبؤسستها وبشخصيتها الدولية .
- (٧٠) د. إبراهيم العنانى : معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية في  
ضوء قواعد القانون الدولى ص ١١ .
- (٧١) السياسة الدولية عدد يوليو ١٩٧١ .
- (٧٢) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ، القاهرة ، مركز الاهرام  
للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ ص ٨٤ .
- (٧٣) أنور السادات : البحث عن الذات ص ٢٣٢ .
- (٧٤) لواء حسن البدرى وآخران : حرب رمضان ، الجولة العربية  
الاسرائيلية الرابعة ١٩٧٣ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٩ .
- (٧٥) الندوة الدولية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، المجلد الثانى ، القطاع  
السياسى ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٣٠ — ٣١ .
- (٧٦) الاهرام فى ١٨/١١/١٩٧٣ من حديث للفريق اول احمد اسماعيل
- (٧٧) موسى صبرى : وثائق حرب اكتوبر ، القاهرة ، المكتب المصرى  
للحديث ، ص ٥٤٨ .
- (٧٨) البدرى وآخران : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

## الفصل التاسع

### من منجزات مصر الحضارية

أولا — الإنجازات الاقتصادية والعمرانية :

- ١ — القناطر الخيرية .
- ٢ — قناة السويس .
- ٣ — إنشاء بنك مصر .
- ٤ — مديرية التحرير .
- ٥ — الوادى الجديد .
- ٦ — السد العالى .

ثانيا — الإنجازات العلمية والثقافية :

- ١ — المطبعة الأميرية .
- مجمع اللغة العربية .



## اولا - الانجازات الاقتصادية والمعمارية

### ١. - القناطر الخيرية

بعد ان وصلت الحيلة الفرنسية الى مصر في عام ١٧٩٨ رأى بعض علمائها ان نهر النيل عندما يصل الى رأس الدلتا ينفصل الى فرعين هما فرع رشيد ودمياط ، وان فرع رشيد رغم كبره يمر في بقاع معظمها لا يصلح للزراعة فيذهب معظم مائه هباء ، وبالنسبة لفرع دمياط فعلى الرغم من انه يخترق اراضى جيدة التربة فان مياهه لا تكفى للرى في زمن التحاريق ، كما ان صعيد مصر تشح فيه المياه في زمن التحاريق لارتفاع أرضه ، ولا ترتوى جيدا الا في زمن الفيضان . ومن هنا فكروا في البحث عن وسيلة للارتفاع بمياه فرع رشيد باضافة مياهه الى فرع دمياط عن طريق بناء قناطر على عرض الفرعين عند أول تفرعها عند رأس الدلتا ، وان يصنع لهذه القناطر ابواب من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء فاذا اقفلت قناطر أحد الفرعين انصرف جانب من الماء المنحدر اليه الى الفرع الآخر ، واذا كان الفيضان قليلا تغلق قناطر الفرعين فترتفع المياه في الصعيد حتى تروى اراضيه ثم ينصرف منها ما يلزم لرى الوجه البحرى (١) .

ونتيجة لعدم استقرار الامور للفرنسيين في مصر وخروجهم منها في عام ١٨٠١ تمثر تنفيذ المشروع حتى وصل محمد على الى اريكة الحكم في مصر وبدأ في تنفيذ مشروعاته الاقتصادية ادرك قيمة المياه التي تضيع هباء من النيل الى البحر المتوسط واخذ يفكر في السيطرة على زمام النيل والتحكم في مياهه والاستفادة منها في رى القطن والمحاصيل الصيفية مما يعود على مصر بالخير والرخاء وبدأ فعلا في انشاء قناطر صغيرة على ترعة بحر موريس لتوصيل المياه الى الشرقية وبعد ان نجحت الفكرة (٢) طلب محمد على مشورة مهندسى عصره فقاموا باعداد التقارير ورفعها اليه وكان من أبرز هذه التقارير تقرير كبير مهندسيه المهندس الفرنسى رينان الذى حاز مشروعه قبول والسى مصر ويتضمن مشروع



« رينان » انشاء قنطرتين كبيرتين عند رأس النيل أى بعد تفرعه وفى كل قنطرة عيون لتخرج منها المياه ، ويتم التحكم فى هذه العيون بانشاء البوابات والاهوسة والأحواض عليها فى كلا الفرعين بحيث اذا حجزت هذه القناطر المياه عن أحد الفرعين أرتفع منسوب المياه فى الفرع الآخر ، وبالتالي تمتلئ ترع هذه الفروع بالمياه التى تروى الأرض فى فصل الصيف حيث يتم الحاجة اليها فى زراعة القطن فى الوجهه البحرى الذى كان يعتقد عليه محمد على اعتمادا كبيرا ، كما يتم تصريف المياه الزائدة وفى وقت الفيضان يتم فتح هذه الأبواب وبالتالي تسير المياه فى مجراها الطبيعى .

ونتيجة لذلك اصدر محمد على فى الثانى من جمادى الآخرة عام ثلاثة وستين ومائتين وألف قرارا الى ديوان المالية بصرف مأكولات ولوازم الخمسمائة ألف عامل الذين سيتم تكليفهم بالعمل لانشاء القناطر الخيرية .

كما جاء فى صحيفة الوقائع المصرية تعيين المهندس الفرنسى لينان للإشراف على تنفيذ حفر الرياحات الثلاثة المراد حفرها وهى تسرعة المنوفية والشرقية والبحيرة لايصال ما تحجزه القناطر من مياه كما عين نظارا لإدارة أمور العمال وتنظيم أحوالهم بما يضمن انجاز العمل <sup>(٣)</sup> وقد بدأ الحفر فى الترع الثلاث فى ١٥ جمادى الآخرة ١٢٦٣ هـ ، ولأعبية المشروع أمر محمد على نجله ابراهيم باشا وحفيده عباس باشا بمتابعة العمل ، وسار انشاء القناطر بأسرع ما يستطاع من الهمة والنشاط <sup>(٤)</sup> وصدرت الأوامر بتسهيل كافة متطلبات المهندسين القائمين بالعمل فى المشروع <sup>(٥)</sup> ومع ذلك فقد تعرض المشروع لبعض العقبات خصوصا فى عام ١٨٣٥ نذكر منها :

١ — تعرض العمال المكلفين بالحفر للأوبئة التى قضت على معظمهم مما أدى الى بطء العمل فى المشروع .

٢ — تعرض مشروع رينان لمجموعة من الانتقادات الفنية مما أدى الى توقف العمل فيه .

ومع كل ذلك لم تفتقر همة محمد على فبعث بالمهندس الفرنسى موجيه

Mougel الذى كان يعمل فى خدمته الى باريس لاستشارة المهندسين المدنيين هناك فى الطرق المثلى لاقامة المشروع على أساس علمى سليم وبعد أن عاد موجيل الى مصر فى عام ١٨٤٢ وعرض على محمد على الأفكار الجديدة بشأن المشروع والتي من أهمها انشاء بعض الاستحكامات عند انتقاء غرعى النيل لتكون موضعا حربيا يصلح للدفاع عن مصر وافق محمد على على الفكرة وقرر المضى فى المشروع ، ووضع حجر الأساس لبناء القناطر الخيرية فى التاسع من ابريل من عام ١٨٤٧ وبدأ العمل فى حفر الرياحات الثلاثة الكبرى فى ٣١ مايو ١٨٤٧ وظل العمل ساريا حتى توفى محمد على وخلفه فى الحكم حفيده عباس الأول وفى عهده توقف العمل بالقناطر لفترة بحجة أنه يكلف الخزانة المصرية الكثير من الأموال التى ترهق كاهلها ، وارتأى عباس توفيراً للنفقات أن تؤخذ الأحجار اللازمة للبناء من الهرم الأكبر ، ولكن المسمى لينان أقنعه بخطأ هذا رأى بحجة أن اقتلاع الأحجار من الهرم يقتضى من النفقات ما يزيد عن نفقات اقتلاعها من المحاجر <sup>(٦)</sup> ، وسار العمل فى المشروع ببطء مما أغضب الباشا ودفعه الى عزل موجيل واسناد اتمام المشروع الى المهندسين المصريين مصطفى بهجت ومحمد مظهر بك ، واستؤنف العمل بالمشروع ولكن واجهته بعض الصعوبات ولم يتم بناء القناطر وانشاء رياح المنوفية الا فى عهد سعيد باشا <sup>(٧)</sup> .

وفى اعقاب ذلك لحق باساسات المشروع خلل هدد من اساسه ، ولما تولى اسماعيل باشا الحكم ووجه عنايته الى اصلاح الخلل فى المشروع <sup>(٨)</sup> عهد الى كبار مهندسيه من الاجانب والمصريين باتخاذ اللازم ولكن مقترحاتهم لم تخرج الى حيز التنفيذ .

وبعد أن تولى الخديو توفيق عرش مصر فى عام ١٨٧٩ تطورت الأمور فى البلاد لدرجة انتهت بها الى الاحتلال الانجليزى ، ومع ذلك فقد تم خلال عهده القيام بمجموعة من الأعمال والانشاءات لاصلاح هذا الخلل <sup>(٩)</sup> .

وفى عهد عباس الثانى استكملت بعض اصلاحات بحيث أصبحت القناطر من المئاة ما سمح لها بتأدية عملها بشكل واضح وفى اعقاب

ذلك وجهت الحكومة المصرية جهودها لاصلاح معظم الترع التى تستقى من القناطر ، كما عملت على تحسين الملاحة فى الترع ، وتسهيل سبل وصول السفن من الترع الى النيل ومد خليج القاهرة بمقادير كافية من المياه طوال ايام السنة .

وهكذا كان مشروع القناطر الخيرية من اهم اعمال الرى التى شيدت فى العالم فى ذلك الوقت .

### الفوائد التى حققتها القناطر الخيرية لمصر :

١ — زيادة مساحة الاراضى الزراعية من ٢ مليون فى عام ١٨٢١ الى ثلاثة ملايين وثمانمائة وستة وخمسين الف فدان فى عام ١٨٤٠ .

٢ — زيادة وتنوع الحاصلات الزراعية واتساع حركة النشاط التجارى .

٣ — تحويل نظام الرى فى الوجه البحرى ومصر الوسطى من رى الحياض الى الرى الدائم .

٤ — زيادة محصول القطن بالوجه البحرى بما يقرب من مليون وستمائة الف قنطار .

٥ — تخزين المياه فى وقت الفيضان للارتفاع بها فى رى الاراضى الزراعية وقت انخفاض منسوب النيل وزمن الجفاف .

٦ — رى معظم اراضى الوجه البحرى عن طريق ما تخزنه القناطر خلفها من مياه .

### ٢ — نشأة وتطور فكرة قناة السويس

فكرة ربط البحرين الاحمر والمتوسط لها تاريخ طويل ، مرتبط بتاريخ مصر على مر العصور ويرجع السبب فى ذلك الى وجود منطقة تفصل البحر الاحمر عن البحر المتوسط ، وتعرف ببرزخ السويس .

وقد دفعت فكرة ايصال البحر المتوسط بالأحمر العديد من ملوك مصر في عهد الفراغة الى البحث عن الطرق الموصلة الى ذلك وانحصر جل اهتمامهم أن يكون ذلك الاتصال عن طريق وادي النيل<sup>(١٠)</sup> ومن أشهر هذه المحاولات قيام سنوسرت الثالث ، أحد ملوك الأسرة الثانية عشر بربط البحرين بطريق غير مباشر عن طريق وادي النيل وغروعه فأصبحت السفن القادمة من البحر المتوسط تلزم السير في الفرع البيلوزي من النيل حتى تصل يوباستس ( الزقازيق الحالية ) ومنها تتجه شرقا الى تيخاو ( أبو صير الحالية ) ثم تعبر البحيرات المرة الى البحر الأحمر<sup>(١١)</sup> ولم تلبث هذه القناة أن ردمت الى أن أعاد فتحها الفرعون « نخاو الثاني » في عام ٦١٠ ق.م ولكنها أهملت .

وبعد أن حكم الفرس مصر اهتم دارا الأول ملك الفرس في عام ٥١٠ ق.م ببرزخ السويس حيث كان الطريق الموصل الى بلاد فارس فأعاد حفر القناة وادخل عليها بعض التحسينات ، ثم أهمل شأنها بعد ذلك . وعندما استولى الإغريق على مصر قام الملك الإغريقي بطليموس الثاني في عام ٢٨٥ ق.م ثم بطليموس الثالث في عام ٢٤٦ ق.م باصلاح مجرى القناة واعادة الملاحة اليها ، ولكنها أهملت على مر الأيام<sup>(١٢)</sup> وبعد أن وصل الرومان الى مصر اهتم الإمبراطور الروماني تراجان ( ٩٨ — ١١٧ م ) بحفر قناة جديدة عرفت بقناة تراجان<sup>(١٣)</sup> ولكنها أهملت في العهد البيزنطي وطمرتها الرمال الأمر الذي جعلها غير صالحة للملاحة<sup>(١٤)</sup> .

ولما وصل الفتح الاسلامي الى مصر أمر الخليفة عمر بن الخطاب قائده عمرو بن العاص بضرورة إعادة اصلاح القناة بعد اندثارها في العصر البيزنطي<sup>(١٥)</sup> وظلت القناة مفتوحة للملاحة بعد أن أعاد « عمر بن العاص » شقها في عام ٢٢ هـ ٦٤٢ م وسميت بقناة أمير المؤمنين ، واستمر الحال على ذلك ، حوالي مائة وخمسين سنة حتى أغلقت بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، حتى لا تستخدم في التمرد على سلطته .

ونتيجة لذلك قلت أهمية هذا الطريق خصوصا بعد قيام حركة الكشوف الجغرافية واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح .

هذا عن فكرة شق القناة في العصور القديمة والوسطى أما في العصر الحديث فقد بذلت أربع محاولات لإنشاء قناة تصل بين البحرين كانت أولها في عهد السلطان العثماني مصطفى الثالث الذى طلب من المهندس الفرنسى البارون دى توت انقيام بدراسة هذا المشروع ، ولكن وفاة هذا السلطان قد ادى الى عدم اتمام هذه المحاولة <sup>(١٦)</sup> وقد حدثت المحاولة الثانية عندها وصلت الحملة الفرنسية الى مصر حيث اهتم بوناپرت بفكرة حفر القناة ، وأوكل هذه المهمة الى المهندسين الذين رافقوه في حملته <sup>(١٧)</sup> ولكن نتيجة لمعلومات خاطئة اعتقد المهندس الفرنسى ليير وبعض زملائه بأن منسوب مياه البحر الأحمر تزيد بحوالى تسعة أمتار <sup>(١٨)</sup> عن مستوى سطح البحر المتوسط مما ادى الى توقف المشروع <sup>(١٩)</sup> .

وفي عصر محمد على نبئت المحاولة الثالثة لإنشاء المشروع حيث قامت جماعة النسان سيمونيين المشهورة بإنشاء جمعية الدراسات الخاصة بقناة السويس ، وارسلت هذه الجمعية بعثة لاقتناع محمد على بالمشروع ، ولكن محمد على لم يستجب لطلبهم ، بحجة انه يريد أن يقوم بهذا العمل بنفسه ، وبغير تدخل من أية شركة اجنبية ، ولكن بمعاونة مهندسين أوروبيين مهرة يلحقهم بخدمته ، مؤكدا أن القناة يجب أن تنشأ بمصر ، وأن تكون ملكا مطلقا لها ، وأن تظل بعد حفرها على الحياد المطلق تنتفع بها جميع الدول على قدم المساواة دون أن يكون لأية دولة منها امتياز على دولة أخرى ، وأنه في حالة موافقة الدول الكبرى على ذلك فإنه سيبدأ بتنفيذ المشروع <sup>(٢٠)</sup> .

وظل محمد على متمسكا بآرائه حول تنفيذ هذا المشروع حتى وفاته .

أما عن المحاولة الرابعة فقد حدثت في عهد سعيد باشا رابع أولاد محمد على الذى وافق المهندس الفرنسى فرديناند دى ليسبس على أهمية القيام بشق قناة السويس مما أغضب الحكومة الانجليزية التى كانت تخشى من امتداد النفوذ الفرنسى ، الا أن وزير الخارجية الفرنسى نسي صاة دى ليسبس بالحكومة الفرنسية وأعلن أن حكومته لا تهدف الى

تحقيق مصلحة خاصة من وراء هذا المشروع<sup>(٢١)</sup> ومع ذلك فقد بذلت بريطانيا جل جهودها لمنع الفرنسيين من الانفراد بهذا المشروع التي كانت تعدّه خطرا على سياستها فيما وراء البحار<sup>(٢٢)</sup> .

ولكنها لم تفلح في مساعيها حيث نجح دى ليبس<sup>(٢٣)</sup> في الحصول على امتياز حفر قناة السويس في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ وكان سعيد باشا سخيا مع صديقه الفرنسي فمنح شركته امتيازاً لاستغلال منطقة القناة ادة ٩٩ عاما تبدىء من يوم فتحه للملاحه ، وصحب ذلك منحه تسهيلات واسعة النطاق<sup>(٢٤)</sup> مما جعل هذه الشركة دولة داخل الدولة ثم أعقب ذلك الامتياز امتياز آخر في عام ١٨٥٦م كانت شروطه كما يلي :

١ — انشاء ترعة للمياه العذبة تأخذ مياهها من النيل وتتفرع الى فرعين احدهما يصل الى السويس والآخر الى بور سعيد .

٢ — تتنازل الحكومة عن جميع الاراضى المطلوبة لانشاء القناة للشركة مجاناً .

٣ — تتنازل الحكومة عن جميع الاراضى القابلة للزراعة لتقوم الشركة باستصلاحها وزراعتها .

٤ — انتزاع بعض الاراضى الملوكة للأفراد لمصلحة الشركة .

٥ — يحصل الأفراد الذين يريدون الانتفاع بمياه الترعة العذبة على ترخيص من الشركة ، ويدفعون تعويضا مقابل ذلك .

٦ — تعفى الشركة من دفع الرسوم والضرائب والتعويضات عن استغلال المناجم والمحاجر ، وكذلك الرسوم الجمركية والعوائد من الالات والمواد المستوردة من الخارج طول مدة الامتياز .

٧ — حدد أجل الامتياز بمدة ٩٩ عاما من افتتاح القناة ثم تؤول بعد ذلك الى الحكومة المصرية .

٨ — يحق للشركة أن تفرض ما تراه من الرسوم على السفن

المارة بالقناة أو الترع والمباني التابعة لها على ألا تزيد عن عشرة فرنكات عن كل طن وكل شخص من المسافرين .

٩ — في مقابل الأراضي والامتيازات تحصل الحكومة المصرية على ما نسبته ١٥٪ من صافي الأرباح السنوية .

١٠ — تعهدت الحكومة المصرية بمد الشركة بأربعة أخماس العمال الإنلازمين للحفر ، كما كلفت الحكومة موظفيها وعمالها بمساعدة الشركة<sup>(٢٥)</sup> .

وبنظرة فاحصة نستطيع أن نذكر أن شروط امتياز القناة كان ضررها نادحا بالنسبة لمصر خصوصا وأن آلاف الرجال الذين كانوا يعملون في الحقول سحبوا للعمل بهذا المشروع وفكت بهم الحمى ورواءة الجو والجوع ، على كل حال فقد تأسست الشركة برأسمال قدره ٢٠٠ مليون فرنك ، أي ما يوازي ٧١٥٠٠٠٠٠ جنيه مصرى وقسم هذا المبلغ على ٤٠٠٠٠٠ سهم ، وكانت القيمة الاسمية للسهم ٥٠٠ فرنك وقد خصصت الشركة لكل دولة من الدول عددا معيناً من هذه الأسهم وكانت حصة مصر منها ٩١.٩٦ سهما ، ولما لم تستطع خزنتها الوفاء بهذه الالتزامات استدانت ٢٨ مليون فرنك بفوائد باهظة .

ومع كل ذلك فإذا كانت مصر قد انفتحت أموالا طائلة لانجاح المشروع فمن المعلوم أن هذا المشروع أدى إلى فقدانها ما هو أعز من المال ألا وهو الاستقلال والحرية<sup>(٢٦)</sup> .

وفي الخامس والعشرين من أبريل ١٨٥٩ م ومن موضع مدينة غرما الأثرية ( بور سعيد حاليا ) كانت ضربة الفأس الأولى لحفر القناة الحالية الذي استمر حوالى عشر سنوات .

وبعد وفاة سعيد وتولية اسماعيل أريكة الحكم حاول أن يعدل من شروط الامتياز المجحفه التى وافق عليها <sup>سلفه</sup> أخوه مما جعل المهندس « دى ليسبس » يرغبى ويزيد ويطلب نجدة حكومته ، ونتيجة لذلك تدخلت فرنسا في الأمر لدى الحكومة المصرية . واسترضاء لفرنسا قبل الخديو اسماعيل تحكيم الامبراطور الفرنسى نابليون الثالث في هذا الموضوع .

وبدلا من مقابلة روح الود بمثلها استغل الامبراطور الفرنسى هذه الفرصة لتعويض الشركة بمبالغ طائلة من المال على حساب الخزانة المصرية فنص قرار التحكيم الصادر فى السادس من يوليو على دفع تعويض مقداره ٣٣٦٠.٠٠٠ جنيه مصرى للشركة فى مقابل تخليها عن الاراضى الزراعية الواقعة على جانبي القناة ، واعادة ملكية ترعة المياه العذبة الى الحكومة المصرية (٢٧) .

وعلى كل حال فقد استمر العمل فى حفر القناة فى ظل ظروف قاسية ، واجور منخفضة للعمال المصريين بشكل كاد يجعل هذا العمل اقرب ما يكون الى السخرة فحدد اجر العامل المصرى ما بين قرش وثلاثة قروش (٢٨) .

وبعد جهود وتضحيات من جانب العمال المصريين انتهى العمل فى القناة ، واتصلت مياه البحرين وبلغ طول القناة ١٦٤ كيلومترا وانشئت على شاطئها مدينتى بور سعيد والاسماعيلية وسميت القناة « قناة السويس » ، وافتتحت للملاحة العالمية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م .

وقد استعدت مصر للاحتفال بهذا الافتتاح بكل امكاناتها (٢٩) فسافر اسماعيل الى اوربا فى يوليو ١٨٦٩ لدعوة ملوك اوربا وملكانها لحضور حفل الافتتاح (٣٠) دون أن يخطر السلطان العثمانى بذلك الأمر أو حتى يدعوه للحضور . كما أمر باقامة ثمانية قصور للمدعوين . منها قصر الجزيرة ( فندق ماريوت الآن ) ونادى الجزيرة كان جزءا منه وقد اعده لاقامة اوجينى امبراطورة فرنسا وزوجة الامبراطور نابليون الثالث .

وقد أمر اسماعيل بوضع ٧٥ نوعا من الحيوانات ، ١٥٠ نوعا من الطيور وزرع النباتات الاسبانية لتكون تحت نافذة حجرة نوم الامبراطورة « اوجينى » الذى كانت اهم ضيوف حفل الافتتاح ووضع اهتمام خديو مصر بها (٣١) كما رأى اسماعيل أن ينشئ دارا للاوربا بمناسبة الافتتاح فتولى تصميمها مهندسان ايطاليان ثم عهد الى مارييت باشا مدير الآثار المصرية باختيار قصة موضوعها مصرى تدور حولها الاالحان فكانت اوبرا



عايدة التى احنها الموسيقار الايطالى المشهور « فيردى » فى نظير مبلغ ١٥٠ ألف ليرة ايطالية ذهبية <sup>(٣٢)</sup> . وقد احتفل بافتتاح القناة فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ بتلاوة من القرآن الكريم ، وبعدها اقام الخديو حفلا ساهرا فى مدينة الاسماعيلية حضره اكثر من ثمانية آلاف مدعو فى قصور وخيام وسط الصحراء <sup>(٣٣)</sup> . كل ذلك زاد الاخرانة المصرية ارهاقا حيث بلغ مجموع ما انفق على هذه الحفلات ما يزيد عن المليون والنصف من الجنيهات، وهو مبلغ يوازى حوالى سدس ايراد مصر فى سنة كاملة <sup>(٣٤)</sup> .

ونتيجة لاسراف الخديو اسماعيل وعدم قدرته على سداد ديونه قام ببيع أسهم مصر فى القناة الى انجلترا وعددها ١٧٦٦٤٢ بببلغ أربعة ملايين جنيه استرلينى وكان بنك روتشيلد هو الذى مول الصفقة، وكان هو فى نفس الوقت صاحب القسطنطينية الأكبر من ديون اسماعيل . وعندما شحنت أسهم مصر فى قناة السويس فى عدد من الصناديق الحديدية على ظهر الباخرة البريطانية « ملابار » فى شهر نوفمبر ١٨٧٥ أصبح واضحا أن مصر لم تعد تملك شيئا فى شركة القناة ، بل ان الشركة هى التى أصبحت بوسمها ان تحدد مصير مصر <sup>(٣٥)</sup> وتواصل دور الدولة داخل الدولة ، مما جر على مصر الويلات ، وأدى الى زيادة الاطماع الاوربية فيها ، وعلى الرغم من ذلك فقد ادى حفر القناة الى انتعاش الحركة العمرانية على جانبيها ، كما ادى الى زيادة الحركة الملاحية والنقل البحرى العالمى خصوصا بعد استخدام البخار ، وظهور الثورة الصناعية فى أوروبا <sup>(٣٦)</sup> .

كما ان قناة السويس قد اختصرت المسافة التى كانت تقطعها السفن التجارية بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وافقدت البلدان المطلة على البحر المتوسط كالبندقية وجنوة أهميتها التجارية <sup>(٣٧)</sup> .

وازدادت أهمية القناة بعد ظهور البترول لقربها من مناطق الانتاج .

واذا كانت القناة قد فقدت أهميتها السياسية والاستراتيجية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة للاستراتيجية النووية التى اختصرت المسافة وقصرت من بعد المكان ، وقللت من أهمية القناة فى الاستراتيجية العالمية فان

قيمة القناة الاقتصادية والتجارية قد بقيت ثابتة خصوصا بعد تزايد احتياج دول أوروبا وأمريكا الى البترول التى ينقل معظمه من الشرق الأوسط عبر القناة (٣٨) . هذا الى جانب ان عمليات التطوير المستمرة فى القناة ، وزيادة عمقها واتساعها قد جعل من الممكن مرور ناقلات البترول الضخمة والتى تزيد حمولتها عن ٤٥ مليون طن فى القناة (٣٩) .

### تأميم القناة والعدوان الثلاثى على مصر

بعد ان أجرت مصر مباحثات مع البنك الدولى للإنشاء والتعمير بخصوص عقد قرض بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار لإنشاء السد العالى وأبدت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا استعدادهما للمساهمة فى تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع أعلنت الحكومة الأمريكية فجأة تراجعها عن تمويل المشروع فى ١٩ يوليو ١٩٥٦ م وتبعته بريطانيا فى اليوم التالى ، وتذرعت الدولتان أن السبب فى ذلك هو التشكيك فى مركز مصر المالى وعدم مقدرتها على الوفاء بالتزاماتها . وكان رد مصر على ذلك هو اعلان جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى فى ميدان المنشية بمدينة الاسكندرية فى السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦ قرار تأميم شركة قناة السويس من أجل الافادة من دخلها فى تنفيذ مشروع السد العالى مما أحدث ضجة عالمية شديدة وكان بمثابة ادارة الزر لمجموعة متلاحقة من الأحداث تدافعت وكانها كانت حبيسة فى قفص ، فلم تكد تحس انه قد اذن لها فى الانطلاق حتى خرجت مندفعة الى الامام . فنتيجة لهذا القرار سحبت الدول الأوروبية مرشديها من القناة ، مما اعطى دفعة كبيرة للإدارة المصرية للقناة للقيام بدورها التاريخى حتى لا تعطى لدول الغرب فرصة التدخل فى شؤون مصر بحجة عدم قدرتها على ادارة الشركة ، واستعانت فى ذلك باستقطاب بعض المرشدين من الهند ويوجوسلافيا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بالاضافة الى المرشدين المصريين وتم ادارة الشركة باقتدار .

وقد ايدت معظم الدول العربية مصر وخاصة السعودية ، وسوريا ، الاردن ، ولبنان ، والعراق .

ونتيجة لفشل المفاوضات التي عقدتها بريطانيا وفرنسا بهدف بحث موضوع تأميم القناة اجتمع مجلس الأمن لبحث أعمال إنجلترا وفرنسا المهددة للسلام العالمى بالإضافة الى مناقشة طلب إنجلترا وفرنسا النظر في موقف مصر بالنسبة للقناة وبعد المناقشات السرية والعلنية تقرر ما يلى :

- ٢ — أن تحترم سيادة مصر على القناة .
- ١ — أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة للجميع دون تمييز .
- ٣ — أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات كل الدول .
- ٤ — أن تحدد رسوم القناة بالاتفاق مع المنتفعين .
- ٥ — أن تخصص نسبة عادلة للتحسينات والتطوير .
- ٦ — فى حالة النزاع يسوى الامر بالتحكيم (٤٠) .

وعلى الرغم من موافقة مصر على هذه القرارات فان بريطانيا وفرنسا رفضتها ، وبدأت استعداداتها العسكرية ، كما اتفق قادة كل من فرنسا وبريطانيا واسرائيل على القيام بعدوان ثلاثى على مصر بهدف القضاء على حكم عبد الناصر .

وكانت خطة الهجوم أن تشن اسرائيل عدوانها على سيناء حتى تشغل القوات المصرية بمواجهتها على أن تقوم بريطانيا وفرنسا بتوجيه انذار الى كل من مصر واسرائيل بوقف الاعمال الحربية والانسحاب عشرة اميال من ضفتى القناة كما اعلنا عن رغبتهما فى احتلال بور سعيد والاسماعيلية اذا لم تلبي مصر الانذار خلال اثني عشر ساعة (٤١) .

ومن هنا انكشفت المؤامرة ، وقد رفضت مصر الانذار واعتبرته اعتداء على حقوقها وكرامتها وطايت بانعتاد مجلس الأمن للنظر فى هذا العدوان الغاشم كما اعلنت التعبئة العامة وصيبت على القتال (٤٢) .

وقد عمدت القوات المصرية الى اسد مداخل القناة للدفاع عنها ،

في حين اخذت انجلترا وفرنسا تضرب مدينة بورسعيد بقنابل الطائرات وبطاريات البوارج الحربية كما انزلت كتائب من المظليين الى المدينة<sup>(٤٣)</sup> .

ونتيجة لذلك وقفت دول العالم الحر بجانب مصر كما تدخل مجلس الامن لوقف العدوان والدعوة لوقف اطلاق النار فوراً وسحب القوات الأجنبية من الاراضي المصرية فوراً ، كما ارسل مجلس الامن قوة من البوليس الدولي لمراقبة تنفيذ القرار والوقوف بين قنوت مصر واسرائيل درءاً لتجدد الاشتباكات<sup>(٤٤)</sup> .

وهكذا انتهى التآمر الثلاثى دون ان يحقق أهدافه فخرجت قنوت المعتدين تجر اذيال الخيبة والفشل بينما خرجت مصر منتصرة ، فالتفت كافة الاتفاقات المعقودة بينها وبين بريطانيا وفرنسا .

وفي أعقاب ذلك بدأت مصر في تطهير قناة السويس ، واشترفت الأمم المتحدة على عمليات التطهير التي تمت بسرعة فائقة وكفاءة ممتازة ، وعادت الملاحة في قناة السويس في التاسع من ابريل ١٩٥٧م واصبحت تحت اشراف الهيئة المصرية لقناة السويس .

ومنذ أن عادت قناة السويس الى أصحابها الحقيقيين بقرار التأميم وهم يديرونها بقوة وبكل جهد لتطويرها وتحسينها ، ونظرا لتطور حركة الملاحة العالمية والتطور الكبير في بناء ناقلات السفن كان لزاما دراسة تطوير القناة لتساير هذا التطور في بناء السفن ففي عام ١٩٥٨ بدأت هيئة قناة السويس بتنفيذ مشروع توسيع وتعميق القناة للوصول بمساحة القطاع المائي الى ١٨٠٠ مترا مربعا والفاطس المسوح به ٣٨ قدما .

وفي منتصف عام ١٩٦٦ قامت هيئة قناة السويس بعمل دراسات لتطوير القناة للوصول بمساحة القطاع المائي الى ٣٦٠٠ مترا مربعا والفاطس المسوح به ٦٠ قدما وذلك لاستيعاب الناقلات الضخمة .

ومع بداية عام ١٩٦٧ بدأت الهيئة تنفيذ المشروع ، ولكن توقف العمل فيه ، كما توقفت الملاحة بالقناة بسبب العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وكان للعدوان الاسرائيلى على مصر فى عام ١٩٦٧ اكبر الاثر على تعطيل حركة الملاحة بقناة السويس لمدة استمرت ثمانى سنوات كانت القناة خلالها تهمل مانعا طبيعيا يفصل بين الجيش المصرى والاسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة خطا دفاعيا سمي بخط بارليف ليخفى وراءه تحركاته ، ومن هنا تأثرت القناة تأثرا مباشرا ، ونتيجة لذلك قامت هيئتها بنقل غالبية معداتها وورشها ومخازنها الى مناطق بعيدة عن مدافع الاسرائيليين ، ومع ذلك فقد بلغت جملة خسائر قناة السويس من ايرادات وتلفيات حوالى ١٥٠٠ مليون جنيه ، كما كان لتوقف الملاحة اثره الواضح على التجارة والاقتصاد العالميين خصوصا وان وضعها الجغرافى يجعلها اقصر الطرق التى تربط بين الشرق والغرب ولقد قرر مؤتمر الامم المتحدة المنعقد فى جنيف فى اكتوبر ١٩٧٣ الخسائر التى أصابت الاقتصاد العالمى نتيجة لتوقف الملاحة بالقناة بحوالى ١٧٠٠ مليون دولار امريكى سنويا تتمثل معظمها فى زيادة تكلفة النقل .

ومع كل هذه المعوقات والخسائر فان هيئة القناة لم تفقد الامل فى عودة الملاحة الى وضعها الطبيعى فى القناة حتى تؤدى رسالتها فى خدمة الملاحة العالمية .

وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما حققه الجيش المصرى من عبور ناجح للقناة بدا التمهيد لتطهير القناة واعدادها لاعادة الملاحة فيها وقد تم ذلك فى ٥ يونيو ١٩٧٥ وكان لذلك اثره الكبير على المنطقة بصفة عامة .

ونتيجة لما تحطلته مصر من نفقات باهظة فى تطهير القناة وزيادة صلاحيتها لخدمة حركة الملاحة ، واعتزام الهيئة المضى قدما فى توسيعها وتعميقها بما ييسر حركة المرور فيها ، وبالنظر الى التغيرات الجذرية التى تعرض لها الاقتصاد العالمى فى السنوات الاخيرة رأت الحكومة المصرية ضرورة اعادة النظر فى رسوم استخدام مزرق القناة التى كانت سارية قبل اغلاقها ، وتجديد فئات رسوم جديدة تتفق وتلك المتغيرات (٤٥) وعن نظام المرور فى القناة فان السفن تمر بنظام القوافل ، وتدخل القناة ثلاث قوافل يوميا ، قافلتان من الشمال ، وقافلة من الجنوب،

وتخضع كل قافلة للنظام محدد من حيث موعد دخول القناة والسرعات والمسافات بين السفن في القافلة الواحدة وتسمح القناة بالمرور فى اتجاه واحد ، وتزدوج في ثلاث مناطق الأولى عند بور سعيد بطول أربعة كيلومترات ، والثانية عند البلاح بطول عشرة كيلومترات ، والثالثة في البحيرات المرة الكبرى عند كبريت بطول سبعة كيلومترات ، وذلك لربط قافلتى الشمال فيها للسماح لقافلة الجنوب بالعبور دون توقف حيث انها تضم سفن البترول المحملة .

ويتم ارشاد السفن من منطقة الانتظار حتى خروجها ، ويقدر الزمن في المتوسط الذى تستغرقه السفينة عادة منذ وصولها الى منطقة الانتظار حتى خروجها للبحر المفتوح بحوالى ٢٤ ساعة الى ٢٦ ساعة منها حوالى ١٤ ساعة عبور على (٤٦) .

ولم يقتصر نشاط هيئة قناة السويس على الملاحة عبر القناة فخط بل تقوم أيضا بتقديم الخدمات اللازمة للسفن العابرة للقناة وذلك عن طريق ترسانتى ( بور سعيد البحرية وبور فؤاد البحرية ) فى صورة اصلاحات خفيفة او عمليات كاملة .

وعن اثر قناة السويس في الاقتصاد العالمى فانها تختصر المسافة بين الشرق والغرب بين ١٧ ٪ و ٥٩ ٪ وتوفر اوقود بين ٥٠ ٪ و ٧٠ ٪ تبعا لحجم السفن وسرعتها ووجهتها ، ولا شك ان اى وفر في المسافة ينعكس كوفر في وقت الرحلة وفي تكاليف النقل علاوة على زيادة عدد الرحلات السنوية التى تعملها السفينة ، ومن كل هذا تعتبر قناة السويس خير مقياس للتطور الاقتصادى العالمى اذ ان البضائع التى تعبر القناة تمثل نسبة كبيرة من التجارة بين الشرق والغرب ، ومهما حاول بعض المغرضين التقليل من أهمية قناة السويس على انها لم تتمكن من اداء مهمتها بعد بناء الناقلات العملاقة ، فان هذه القناة اثبتت انها قادرة على استيعاب الناقلات العملاقة بعد تنفيذ مشروع تطويرها .

## ٣ - بنك مصر

كانت فكرة بنك مصر حلمًا راود الوطنيين المصريين منذ استبد الأجانب باقتصاديات البلاد في عهد الخديو اسماعيل فاجتمع كبار التجار في شهر إبريل ١٨٧٩ لتقرير « أمر يحاولون به تخليص الوطن من أسر الديون » التي أثقلته وهو الشروع في فتح بنك وطني يكون رأسماله أربعة عشر مليونًا من الجنيهات تجمع من سائر أبناء الأمة على أقساط . وتقدم هؤلاء إلى الحكومة بمذكرة تفسيرية عن هذا البنك ذكروا فيها أن إدارة البنك ستكون وطنية ونتيجة لاحتلال إنجلترا لمصر خمدت فكرة انشاء مثل هذا البنك إلى أن دعا طلعت حرب إلى انشاء بنك مصر ، وكان من نتيجة المقالات التي كتبها حول هذا الموضوع أن عرض المؤتمر المصري الذي انعقد في عام ١٩١١ لفكرة بنك مصر وقررت لجنة المؤتمر حاجة البلاد إلى انشاء بنك مصري وبانتهاء الحرب العالمية الأولى شمر طلعت حرب عن ساعديه يدعو إلى انشاء البنك بكل همة ونشاط حتى أعلن في ٧ مايو ١٩٢٠ تأسيس بنك مصر وخطب في المحتفلين قائلا ( بجانب البنوك الأجنبية أراد المصريون أن يكون لهم بنك يعمل عمل هذه البنوك ، ويخدم مصر كما يخدم كل منها بلدا آخر ، ويضع يده في يد كل ناهض بمصر إلى الأمام ، وكل مريد الخير لها ) .

والواقع أن تأسيس بنك مصر ونجاح رسالته كان امتحانا تأسيسيا لكفاءة المصريين ومقدرتهم ومدى تمسكهم بحقوقهم وغيرتهم على واجبهم . وكان المصريون جميعا أمام امتحان عسير يمثل الدفاع عن كرامتهم وسبعتهم كشعب يأبى الاستغلال الاقتصادي ولم يكن الموقف مقصورا على أولئك الـ ١٢٦ مصريًا الذين اشترخوا أسهم بنك مصر ودفعوا لطلعت حرب ثمانين ألف جنيه رأسمال البنك في عام ١٩٢٠ .

وتقدم طلعت حرب بقلب ثابت وإرادة قوية دفعت بالبنك إلى الأمام فبعد أن كان رأس مال البنك ثمانين ألف جنيه في عام ١٩٢٠ أصبح نصف مليون جنيه في ٢٦ يناير ١٩٢٥ ثم ارتفع إلى مليون جنيه في ٢٦ ديسمبر ١٩٢٧ .

وهكذا نجحت فكرة طلعت حرب فازدادت ثقة المصريين بأنفسهم  
لقد أوجد طلعت حرب طائفة من المصريين تحسن أعمال البنوك  
واستطاع أن ينشئ بنك مصر بعشرين موظفا فتح بهم البنك أبوابه  
وبدا معاملاته فإذا العشرون يصبحون مائة ضعف ويزيد يديرون أعمال  
البنك صغيرها وكبيرها .

ولم يقف الأمر عند بنك مصر في القاهرة ، فقد أصبحت له فروع  
ومكاتب في العاصمة ثم في سائر المدن المصرية ثم جاوز حدود مصر  
الى العواصم العربية مشيرا الى قوة العزيمة المصرية في مواجهة  
التحديات (٤٧) .

#### ٤ - مديرية التحرير

انشئت هذه المديرية لزيادة الثروة القومية بزراعة مساحات كبيرة  
من الصحراء ، ولكى تصبح مصدرا جديدا للإنتاج ، ولقد أصبح هذا  
المشروع حقلًا للتجارب الخاصة بزراعة الصحراء ، وبمثابة نقطة  
ارتكاز في استصلاح واستزراع وتعمير الصحراء .

وقد بدأ استصلاح الصحراء بتسوية الأرض حيث قام أسطول  
ميكانيكى ضخّم حتى لا تتجمع مياه الرى في الاجزاء المنخفضة دون غيرها  
واستخدمت في ذلك جرارات قوية ، وبعدها تم حرق الأرض وتخطيطها  
بالوسائل الميكانيكية الحديثة وامدادها بالسماد العضوى ثم زرعها .

وتم حفر الترع بواسطة كراكات ، ويبلغ طول ترعة التحرير  
الرئيسية والتي تستمد مياهها من الرياح البحرى حوالى ٢٠ كيلومترا،  
وهذا خلاص الترع الفرعية المبطنة التى يقدر طولها بحوالى عشرين  
كيلومترا كما أنه تم انشاء ١٩ محطة للرفع بها ٥٢ ماكينة من انواع  
مختلفة ، ولقد تم انشاء ٣٣٥ بئرا ، كما تم اقامة محطات للكهرباء  
بهدف الاستفادة من القوى الكهربائية فى ادارة محطات الرى كما تم  
انشاء أربعة كبارى على ترعة التحرير الرئيسية ، وكذا تم اقامة  
٢٢ قنطرة على فروع ترعة التحرير .



وكان الهدف الاول عند وضع السياسة الزراعية لمديرية التحرير هو بناء تربتها والحفاظة عليها وحمايتها من عوامل الارتداد ، وتمكين السكان من الحصول على دخل مناسب لهم ، وكذا توجيه الزراعة نحو الاكتفاء الذاتى مع التخصص فى الوقت نفسه ، ولذلك انشئ بالمديرية قسم لابعاث الأرض واقيم معمل كبير فى قرية ام صابر لتحليل التربة ، كما زرعت مصدات الرياح من الاشجار الخشبية على جوانب الطرق ، وحول الأرض المزروعة لحمايتها من العواصف الرملية . كما أنه تمت زراعة الفواكه والمواالح على اختلاف أنواعها ، ويزرع بالمديرية محاصيل صيفية وهى الفول السودانى والبرسيم والبطيخ والطماطم والذرة الهجين والخضروات ، ومحاصيل شتوية وهى القمح والشعير والفول البلدى والرومى والعدس والكتان والحلبة والبسلة كما تزرع أنواع من الثمام وكوز العسل والفراولة وغيرها واهتمت المديرية بالتوسع فى الانتاج الحيوانى ، ويضم قسم الانتاج الحيوانى بها سلالات ممتازة ، وأنواعا نادرة من الأبقار ، وتدر الواحدة منها حوالى ستة آلاف رطل لبن طول الموسم كما توجد بالمديرية قطعان كبيرة من الأغنام واكبر حظائر للدواجن والارانب من أنواع مختلفة .

وتتكون القرية من مبانى سكنية اعدت للموظفين والفلاحين وروعى فيها توافر الشروط الصحية ، وبنيت هذه المساكن من الطوب الاسمنت المرغ لعزلة عن العوامل الجوية من حر وبرد .

وقد اقيم بالمديرية مركز لتحقيق اغراض التصنيع الزراعى بالمديرية ولسد حاجتها بها يلزمها من صناعات مختلفة فاقامت مصانع الأغذية المحفوظة والطازجة لتصنيع منتجات المديرية الصناعية ، كما رودت بمبنى للتلاجات وغرف التبريد ، واقيم مصنع للطوب والواسير الاسمنتية ومصنع للصفائح وآخر للمياه الغازية والعديد من المصانع اللازمة للحياة الكاملة حتى بلغت المساحة الكلية المقام عليها هذه المصانع حوالى ١٢٠ فداناً (٤٨) .

## ٥ - الوادى الجديد

في الواحات الخارجة والداخلة وسيوة والفرافرة توجد مساحات واسعة صالحة للزراعة وتبلغ مساحتها ملايين الأفدنة ، وجموع هذه الأراضي اطلق عليه الوادى الجديد ، وقد اثبتت التقارير الفنية اننى أجريت صلاحية ٣٠ ألف فدان حول قرية باريس للزراعة وكذلك ١٧٥٠٠ فدان موزعة في منطقة الحاريق وعين الملك في الواحات الخارجة ، وقد بدأ الخبراء في زراعة ألف وثلثمائة فدان بصفة مبدئية . وتبين ان المياه متوافرة في باطن الأرض بكميات كبيرة ودرجة الملوحة بالمياه معتدلة بل أقل من ملوحة المياه الجوفية بوادى النيل نفسه .

ويزرع في منطقة الوادى حاليا القمح والذرة والارز والشعير والبطاطس والملوخية والخبيزة والبامية والسبانخ والطماطم والبصل وغيره ، ويبلغ الدخل الأهلئ من الانتاج الزراعى والحيوانى ٣٥٠ ألف جنيه سنويا .

وقد نجحت زراعة القطن في الوادى وانتج الفدان أربعة قناطر من القطن الأشمونى ، وبدأ تنفيذ مشروعات تحسين المراعئ .

وتوجد في منطقة الوادى حاليا من المعادن الشبه والملح الانجليزى ، وعلى يمين الطريق التى تربط الواحات الداخلة بالخارجة توجد تلال من الفوسفات طولها ستون كيلو مترا تقريبا ، ويؤكد الخبراء أن هذا الفوسفات يحتوى على خامات اليورانيوم ، ويوجد الحديد في الواحات الداخلة ، كما أن منطقة باريس غنية بالذهب ويوجد الفحم في الواحات الخارجة على عمق ستمائة متر تقريبا .

وقد تم تخطيط الوادى الجديد ، فخطت المنطقة الشرقية من الواحات الخارجة ، وانشئت المباني الحديثة ، وتم تركيب ماكينات الاضاءة لانارة المساكن ، كما تم رصف ما يزيد عن مائة كيلو متر لربط الوادى الجديد بوادى النيل (٤٩) .

## ٦ - السد العالى

ترجع فكرة انشاء السد العالى الى عام ١٩٠٢ عندما تقدم بعض المهندسين الايطاليين بمشروع لانشاء سد قرب اسوان<sup>(٥٠)</sup> يمكن عن طريقه السيطرة على مياه النيل ووقف خطر الفيضان ، ثم تجددت الفكرة فى عام ١٩٣٤ بعد ان تعذر تغذية خزان اسوان للمرة الثالثة ورؤى انشاء خزان آخر يمكن عن طريقه حجز المياه ويقع امام الخزان الحالى ، وقد قدرت تكاليفه وقتئذ بحوالى ستة ملايين جنيه .

وعلى الرغم من ان اللجان التى قامت بدراسة فكرة هذا المشروع دراسة علمية اوضحت ان النتائج المرجوة من انشائه ستكون عظيمة الاهمية وستؤدى الى زيادة الدخل فان انشاء السد العالى بجنوب اسوان لم يتم تنفيذه الا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ونظرا لضخامة المشروع وتكاليفه الكبيرة كان من الطبيعى ان تسعى مصر لطلب مساعدة من البنك الدولى للانشاء والتعمير ، ومن بعض الدول الغربية الكبرى وقد عرضت الولايات المتحدة وبريطانيا تقديم مبلغ ٧٠ مليون دولار مساهمة فى المشروع ، كما وافق البنك الدولى من حيث المبدأ على اقراض مصر ٢٠٠ مليون دولار لاستكمال الخطوات النهائية للمشروع وفجأة وبدون سابق انذار اعلنت الولايات المتحدة وبريطانيا سحب عروضهما لتمويل المشروع ، وغسرا هذا التراجع بانه ناجم عن التطورات السياسية الاخيرة وخاصة اقتراب مصر من بدان الكتلة الشرقية واعترافها بالصين الشيوعية وشراؤها للسلاح من دول الكتلة الشرقية بجزء كبير من محصول القطن المصرى مما يشكك فى مقدرة مصر الاقتصادية على اتمام المشروع بعد البدء فيه ، كما اعلن البنك الدولى سحب عرضه لتمويل المشروع لعدم ثقته فى قدرة الاقتصاد المصرى على اتمامه<sup>(٥١)</sup> ولما وجدت مصر فى ذلك تدخلا فى شئونها الداخلية ورغبة فى تعويق تقدمها اعلن الرئيس عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ حتى تتمكن مصر من الاستغناء عن القروض والهبات الاجنبية وتقوم بتنفيذ المشروع عن طريق وضع

مواردها الوطنية في خدمته ونشبت الحرب بحجة حماية القناة ، وبعد فشل العدوان الثلاثى على مصر بدأت القيادة المصرية في الاعبداد للمشروع خصوصا بعد اعلان الاتحاد السوفيتى عن استعدادة لتمويل المشروع بقروض طويلة الأجل ، وعلى أساس ما تم من دراسات مشتركة بين البلدين .

وفي السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٥٨ تم الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى على بناء المرحلة الاولى من مشروع السد العالى وقعه عبد الحكيم عامر عن الجانب الاول وبيتر نيكيتين والسفير السوفيتى في القاهرة كيسيليف عن الجانب الثانى وفيه تعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم المعونة الاقتصادية والفنية لمصر .

وتنص الاتفاقية عن ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بدافع من العلاقات الودية بين البلدين ورغبة في زيادة توطيد التعاون الاقتصادي والفنى بينهما على أساس من المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والاحترام الكامل للكرامة والسيادة القومية في كل من البلدين ونظرا لما لانشاء السد العالى بأسوان من عظيم الاهمية الاقتصادية القومية لحكومة الجمهورية العربية المتحدة فقد تم الاتفاق على البدء في المرحلة الاولى .

وفيا إلى نعرض لاهم شروط الاتفاق .

مادة ( ١ ) : تلبية لرغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة في تنمية اقتصادها القومى فان حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية تبدى موافقتها على التعاون مع حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى انشاء المرحلة الاولى من السد العالى بأسوان .

وتتضمن هذه المرحلة انشاء الجزء الامامى من قطاع السد الرئيسى ، والسد الخلفى ، وانشاء تحويل المياه والبوابات والمعدات اللازمة لهذه المشروعات كما تتضمن مشروعات تحويل رى الحياض واصلاح الاراضى وسيحدد مقدار المعونة التى سيقدمها الاتحاد السوفيتى بالتنسيق بين الطرفين لتنفيذ المشروعات .

مادة ( ٢ ) : تحقيقا للاتفاق المنصوص عليه في المادة الاولى من هذا الاتفاق تقوم حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية بما يلى :

١ — اعداد برامج تنفيذ الأعمال وكذلك الأبحاث والدراسات اللازمة التى يتفق عليها بين الجانبين طبقا للشروط والبيانات الموضوعه بمعرنة الجمهورية العربية المتحدة .

ب — تقوم وفقا لما يتفق عليه الطرفان بتوريد البوابات والآلات والمعدات مع قطع الغيار اللازمة لها .

ج — تقديم المعونة الفنية اللازمة للتشييد والانشاء .

مادة ( ٣ ) : تقوم جمهورية مصر العربية بتكوين هيئة خاصة لإدارة المشروع يعهد اليها بالشئون الادارية والفنية والمالية وتنفيذ الأعمال التى تطلبها حكومة الجمهورية العربية المتحدة للمرحلة الاولى من السد العالى الى مقاولين يتم اختيارهم بموافقة الطرفين وذلك على أساس استخدام المعدات السوفيتية والاستعانة بالخبراء والفنيين السوفيت .

مادة ( ٤ ) تكون الهيئات السوفيتية مسئولة عن الادارة الفنية لانشاء اعمال المرحلة الاولى من السد العالى على اتم وجه وصيانتها، ولهذا الغرض توفد الهيئات السوفيتية خبرا فنيا على مستوى عال مع المجموعة اللازمة من المهندسين والفنيين والعمال السوفيت ، ويتم الاتفاق فى تنسيق العمل بين الاخصائيين السوفيت والمصريين فى الاشراف الفنى على الاعمال المشار اليها .

مادة ( ٥ ) تقدم حكومة الاتحاد السوفيتى الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة قرضا مقداره ٤٠٠ مليون روبل وذلك لتغطية نفقات ما تقوم به الهيئات السوفيتية فيما يختص بوضع برامج تنفيذ المشروع واعمال البحث والدراسات وتسليم المعدات والآلات والمواد اللازمة وايضا نفقات سفر الخبراء السوفيت عند سفرهم .

مادة ( ٦ ) : تسدد الجمهورية العربية المتحدة البالغ المستحقة

عليها من هذا القرض على اثني عشر قسما متساوية تبدأ بعد عام من اتمام المرحلة الاولى للسد العالي بحيث لا يتأخر ذلك عن أول يناير ١٩٦٤ وان تكون سعر فائدة القرض ٢٥٪ سنويا .

مادة ( ٧ ) : تسدد حكومة الجمهورية العربية المتحدة القرض وفوائده بالجنيه المصرى عن طريق حساب خاص يفتح فى البنك المركزى بالجمهورية العربية المتحدة لصالح بنك الدولة لاتحاد الجمهوريات السوفيتية ، ويحسب سعر الروبل بالنسبة للجنيه على أساس سعر التعادل الذهبى بين العملاتين فى يوم الدفع وتستخدم الهيئات السوفيتية جميع المبالغ المدفوعة فى هذا الحساب فى شراء سلع من الجمهورية العربية المتحدة .

وقد افتتح العمل رسميا فى المشروع فى التاسع من يناير ١٩٦٠ عندما ضغط الرئيس عبد الناصر على زر أحمر فجر به أول شحنة من الديناميت بمجرى قناة التحويل فكان ذلك بدء العمل فى انشاء المرحلة الاولى للسد العالي وفى أعقاب ذلك تم حشد العدد الوفير من المهندسين والعمال والفنيين من جميع الحرف المختلفة وسار العمل قدما الى الامام بمعدلات عالية خصوصا وان ظمأ البنائين المصريين الى سرعة الانجاز كان واضحا .

ونتيجة لرغبة الحكومة المصرية فى ان تستمر مساندة الحكومة السوفيتية لتمويل بناء المرحلة الثانية من السد فقد اعلنت الحكومة السوفيتية انها ستنتظر بعين الود الى هذا الطلب ، وبعد دراسات ومشاورات تم فى السابع والعشرين من اغسطس ١٩٦٠ توقيع الاتفاقية الخاصة بتمويل المرحلة الثانية والتي تقضى بأن تقدم الحكومة السوفيتية قرضا فى حدود تسعمائة مليون روبل أى ما يوازى ٧٨ مليون جنيه مصرى يسدد على نفس الاسس الاقتصادية التى انطوت عليها الاتفاقية الاولى .

وقد انتهت المرحلة الاولى من السد بخلق مجرى النيل وتصويل المياه الى قناة جانبية فى ١٥ مايو ١٩٦٤ وقد بلغ جملة ما صرف عليها حوالى مائة مليون جنيه وفى أعقاب ذلك بدأ العمل فى المرحلة الثانية

وفي التاسع من يناير ١٩٦٨ احتفل بتشغيل التوربينات الثلاثة الاولى من محطة توليد الكهرباء ، وفي الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٠ تم تشغيل التوربين الثانى عشر وتمت اكمال السد ، وفي الخامس عشر من يناير ١٩٧١ احتفل رسميا بانتهاء العمل فى المشروع الذى تكلف حوالى ٢٤٠ مليون جنيه شملت انشاء السد والقناة ومبنى المحطة والتوربينات والخطوط الكهربائية هذا بخلاف الاعمال المترتبة على انشاء السد كالتوسيع الزراعى ، وتحويل رى الحياض الى رى دائم وانشاء الطرق والسكك الحديدية والاسكان وخلافه وتبلغ تكاليفها ٥٠٠ مليون جنيه<sup>(٥٢)</sup> .

والسد العالى عبارة عن سد ركامى على شكل هرمى يتكون من ركام الجرانيت والرمال والطى وهو مقام عبر نهر النيل جنوبى اسوان بحوالى سبعة كيلو مترات .

ويبلغ طول السد ٣٦٠٠ مترا عند القمة منها ٥٢٠ مترا بين ضفتى النهر ، ويبلغ عرضه ٩٨٠ مترا عند القاع ، ٤٠ مترا عند القمة اما ارتفاعه من قاع النهر فيصل الى ١١١ مترا ويصل اكبر ضاغط للمياه عليه الى ٧٨ مترا .

ويتكون السد من ثلاثة اجزاء رئيسية ، السد الجزئى الامامى ويبلغ طوله ٦٠٠ مترا وارتفاعه ٥٠ مترا فوق قاع النهر ، والسد الجزئى الخلفى بطول ٥٠٠ مترا وارتفاع ٣٠ مترا ينحصر بينهما السد الرئيسى بارتفاع ١١١ مترا .

والغرض من السدين الامامى والخلفى هو تحويل مجرى النهر الى قناة صناعية انشئت بالبر الشرقى . يعمل السد الامامى والخلفى على حصر منطقة العمل فى السد الرئيسى حتى ينشأ فى منطقة ساكنة لا حركة للمياه فيها .

وقد اشتمل السد العالى على مئبلتين رئيسيتين :

**الاولى :** حفر قناة بعمق ٨٠ مترا فى الجبال الجرانيتية الواقعة على الضفة الشرقية للنهر لتحويل مجرى النهر اليها بعد أن اُغفل

مجراه الأصلى ، وقد تخلل الجزء الاوسط من هذه القناة ستة انفاق محفورة فى الصخور الجرانيتية ومزودة ببوابات ضخمة للتحكم فى مياه النهر وتصريفها بالقدر المطلوب ، ويبلغ طول قناة التحويل ١٩٥٠ مترا (٥٣) .

**الثانية :** انشاء محطة لتوليد القوى الكهربائية فوق القناة عند مخارج الانفاق وتعتبر هذه المحطة من اكبر المحطات الكهربائية نسى العالم اذ تبلغ قدرتها الاجمالية ٢١ مائون كيلو مترات وتعادل طاقاتها الكهربائية عشرة امثال الطاقة الكهربائية التى كانت متوفرة لحصر حمام ١٩٥٢ .

الاثار الاقتصادية لمشروع السد العالى :

يعد مشروع السد العالى من أضخم المشروعات الهندسية التى سادت على مصر بفوائد عديدة أهمها :

١ — ضمان المياه الكافية لمواجهة احتياجات الري وتحصيل ٧٠٠ الف فدان من اراضى الحياض الى الري الدائم وزيادة الاراضى المنزرعة ارضا .

٢ — تأمين طاقة كهربائية رخيصة لخدمة الاغراض الصناعية مقدارها عشرة مليارات كيلو وات ساعة سنويا .

٣ — توسيع رقعة الارض الزراعية بمساحة جديدة قدرها ١٣٣ مليون فدان اى حوالى ٢٠٪ من مساحة الاراضى المصرية الصالحة للزراعة .

٤ — وقاية البلاد من اخطار الفيضان العالية التى تكلف الدولة اموالا طائلة كل عام فى انشاء الجسور وتقويتها .

٥ — تحسين الملاحة النيلية وجعلها ميسورة على مدار السنة .

٦ — زيادة الثروة السمكية فى بحيرة ناصر التى تعد من اكبر البحيرات الصناعية فى العالم .



### الآثار الجانبية للمشروع :

ادى انشاء السد العالى الى عدة آثار جانبية من اهمها ازدياد ملوحة التربة فى مصر ، وازدياد النحر فى مجرى نهر النيل وقروعه ، وانخفاض نسبة الطمي المخصصة للارض ، وتآكل شواطئ الدلتا ، وهجر السردين لشواطئ دمياط ورشيد وبورسعيد .

ومما سبق يتضح ان السد العالى يعد مفتاح استراتيجية السرى فى مصر ، ومن اهم المنجزات الاقتصادية فى تاريخ مصر الحديث التى تحكى مدى مثابرة وكفاح الشعب المصرى من أجل التقدم والبناء وفهر التخلف .

وعلى الرغم من ان السد العالى قد وفر لمصر الماء اللازم للزراعة والطاقة الكهربائية اللازمة للصناعة ، فانه قد ترك بعض الآثار الجانبية منها انه حرم الاراضى الزراعية من الطمي القادم مع ماء النيل ليزيدها خصوبة مما اثر على تركيبها وقوامها ، وغير من بعض خصائصها .

ومع كل ذلك فمما يذكر للسد العالى بالخير انه انقذ مصر وشعبها من كارثة الجفاف التى حدثت لأمريقية فى السنوات القليلة الماضية مما يجعلنا نجزم ان آثاره الايجابية تجاوزت آثاره الجانبية وسلبياتها .

### ثانياً — الانجازات العلمية والثقافية

#### ٧ — انشاء المطبعة الاميرية

يعود تاريخ انشاء المطبعة الاميرية فى بولاق الى عام ١٢٣٥ هـ . ١٨٢٠ م أى فى عصر محمد على ، وقد تم استيراد آلات هذه المطبعة وحروفها العربية وكذلك الورق من ايطاليا .

وكانت مهمتها قاصرة على طبع الكتب الحربية والمؤلفات العسكرية اللازمة للجيش ، ثم اتسع اختصاصها وتنوعت اعمالها فأصبحت تقوم فوق ذلك بطبع الكتب الأدبية والعلمية والمدرسية التى تحتاج اليها المدارس ، فساهمت بذلك مساهمة فعالة فى الحركة الفكرية فى البلاد .

وتعد المطبعة الأميرية أساسا للبعث الفكرى الذى قامت عليه نهضة مصر فى العصر الحديث ففيها صدرت الكتب الخاصة بالطب والهندسة والزراعة وفن الحرب والعلوم الطبيعية والرياضية والأدبية ، واستطاعت بذلك أن توجه تفكير المصريين نحو حاضر امتهم وثقافتها .

وأخذت المطبعة الأميرية تضىء الطريق أمام العلم والمعرفة وانفردت بمساعدة الحروف العربية التى تستخدمها منذ عام ١٩٠٦ فى صف الحروف اليدوية ، التى تمتاز بجمال خطها ، وحسن تركيبها .

ومنذ عام ١٩٢٥ والمطبعة تقوم بطبع المصحف الشريف مستخدمة فى ذلك الحروف المصنوعة يدويا والتى تفوق فى اتقانها وسهولة قراءتها ودقتها كل ما يطبع بطرق الطباعة الأخرى .

وبتوالى السنين ازداد حجم المطبوعات الحكومية ، فبدأ التفكير فى عام ١٩٢٦ بتوسيع مبانى المطبعة فى بولاق ، وأعدت لهذا الغرض عدة مشروعات لاقامة مبنى حديث لها فى السنوات ١٩٣٤ ، ١٩٣٩ ، إلا انه لم ينفذ أى مشروع منها بالرغم من ضيق مكانها القديم ، وازدياد عدد العمال الذى ارتفع من ٣٥٠ عاملا الى ما يقرب من ٢٨٠٠ عامل .

وظلت كذلك الى ان قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فكان لها النصيب الأوفى من رعاية الدولة فهيئت لها المبنى الضخم الذى تطلنه حاليا بابمباة ووفرت للعمال أسباب الأمن والاستقرار وفى ١٣ أغسطس ١٩٥٦ صدر القرار رقم ٣١٢ لسنة ١٩٥٦ بإنشاء الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية والحاقها بوزارة الصناعة ، ومنذ ذلك التاريخ شهدت الهيئة تحولا كبيرا نحر التقدم فى كافة المجالات فاستوردت العديد من الماكينات الحديثة وأوفدت الهيئة بعض مهندسيها وعمالها الى مصانع الطباعة بأوروبا لمتابعة فنون الطباعة هناك (٥٤) .

## مجمع اللغة العربية

منذ أوائل القرن التاسع عشر ، ومع بداية ظهور فجر النهضة المصرية أحس رجال أنفكر في مصر أن اللغة العربية انثى عايشة القرن الثامن عشر أصبحت لا تنى بأغراض هذه النهضة خصوصا بعد أن بدأ التفلفل الثقافي الأديبى يطفو على سطح الحياة المصرية .

ولما عباد طلاب البعثات التى أرسلها محمد على الى أوروبا لتنهل من علمها وتنقل عن الغرب والغربيين كل جديد قاموا بنقل ما درسوه من علوم الى اللغتين العربية والتركية ليسهل تدريسها فى المدارس الحديثة التى أسسها محمد على ، وكان من أبرز هؤلاء رفاعة الطهطاوى الذى قام بجهود هائلة فى نقل المعارف الأوروبية الى اللغة العربية ، وعمل على تعريب الأسماء الأجنبية مع الاحتفاظ باسمها الأصلى ، كما قام بوضع مصطلحات عربية تتقابل فى معناها مع المصطلحات الفرنسية، ووازن بين اللغتين كما دعا الى تبسيط علم النحو العربى ، وتيسيره على طلاب العلم .

وجاء بعد رفاعة الشيخ محمد عبده ، فحاول الاسهام فى تطوير اللغة العربية فجدد فى أسلوب التأليف ، وطالب بإنشاء مدرسة دار العلوم لأعداد المعلم الصالح والمساهمة فى تطوير اللغة .

ورغم كل ما بذل من جهود لتحديث العلوم والثقافة العربية ، فإن اللغة العربية لم تستطع مواكبة التقدم العلمى الهائل فى كافة مجالاته فاختلطت العامية بالكلمات العربية ، واستبدلت العامية بالنصحى ونتيجة لذلك أحس بعض العلماء ، وكبار الأدباء فى مصر بالخطر الداهم على اللغة العربية ، وخشوا أن يززع ما يحدث من أركانها ويسلبها بنيانها ، وفكروا فى إنشاء هيئة تحفظ لهذه اللغة حياتها ، وسلامة النطق بها والتعبير عن معانيها ، وتجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون .

وقد تعددت المحاولات والجهود الأهلية والحكومية فى ذلك فانشئت عدة نوادى وجمعيات من أجل هذا الغرض ، استمرت هذه المحاولات حتى صدر المرسوم الملكى بإنشاء المجمع اللغوى عام ١٩٣٢<sup>(٥٥)</sup> .

وقد ظل المجمع ولا يزال هيئة نابضة بالحياة ، تحرس اللغة العربية وتحافظ على سلامتها ، وقد امتد نشاطه الى نواحى اهمها تشجيع الانتاج الادبى والعلمى ، وتحرى السلامة فى اللغة وتيسرها يضاف الى ذلك جهوده فى الترجمة والتأليف والنشر العلمى .

ورغم كل ما قدمه المجمع للغة العربية من خدمات فلا تزال امامه مهام صعبة خصوصا وان الحياة فى تطور سريع ، وحاجة الناس الى مرونة اللغة تشتد كلما ازداد هذا التطور ، وعلى المجمع ان يطور اللغة طبقا واحتياجات كل عصر بحيث يحقق للناطقين بالفساد ما يحتاجون اليه من اليسر فى التعبير من غير مشقة فى الاداء وصعوبة فى التفكير .

## مراجع التوصل التاسع

- (١) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ج ٢ القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٥ ص ١٨١ .
- (٢) أمين سامى : ملحق تقويم النيل من الجسور والكبارى والخزانات على النيل وقروعه ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٣٦ ص ١ .
- (٣) دار الوثائق : محفوظات رقم (٤) أوامر مالية ، ترجمة الإرادة رقم ٢٨٨ أصل بتاريخ ١١ شعبان ١٢٦٣ هـ وأيضا القرار الصادر من المجلس العمومى رقم ١٧٩ .
- (٤) محمد فؤاد شكرى وآخران : بناء دولة مصر محمد على ، القاهرة دار الفكر العربى ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م ص ٤٩٢ .
- (٥) دار الوثائق : دفتر ٣٧٩ معية تركى ، ترجمة المكتبة رقم ٨٨٣ رقم أصلى ٧١ بتاريخ ١٤ ذى الحجة ١٢٦٠ هـ .
- (٦) أمين سامى : مرجع سابق ص ٨ .
- (٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٥٨١ .
- (٨) للتفاصيل انظر أمين سامى : مرجع سابق ص ٧٦ — ٧٨ .
- (٩) نفسه ص ٨٥ .
- (١٠) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ج ١ القاهرة ، مطبعة الهلال الطبعة الثانية ١٩١١ ص ٢٠٦ .
- (١١) وزارة الدفاع المصرية : حرب العدوان الثلاثى على مصر ، القاهرة ، مطابع الاهرام ص ١٣ .
- (١٢) فاروق عز الدين : جغرافية النقل ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨١ ص ٣٣٦ .
- (١٣) جورج كيرلس : قناة السويس . القاهرة — دار المعارف د.ت ص ٨١ — ٨٢ .
- (١٤) وزارة الدفاع : المرجع السابق ص ١٣ .

- (١٥) محمد فيصل عبد المنعم : قناة السويس ، القاهرة ، مطابع  
الاهرام التجارية ١٩٨٠م ص ١٢ .
- (١٦) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ،  
دار الجيل ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ص ٣١٤ .
- (١٧) وزارة الدفاع : المرجع السابق ص ١٤ .
- (١٨) عبد الرحمن الراعى : عصر اسماعيل ج ١ القاهرة ، الطبعة  
الاولى ص ٥٢ .
- (١٩) اسقط هذا القول البحث الذى أجرى فى عام ١٨٤٠م بواسطة  
بعض ضباط من الانجليز ، والدراسة التى قامت بها لجنة من المهندسين  
الفرنسيين فى عام ١٨٤٧ حيث تحقق أن مسطح البحرين متساو .
- انظر . محمد فريد : المرجع السابق ص ٣١٤ — ٣١٥ .
- (٢٠) للتفاصيل انظر . انجلو سامباركو : الحقيقة فى مسألة قناة  
السويس — ترجمة طه فوزى — القاهرة ١٩٤٠ ص ٢٧ — ٢٩ .
- (٢١) محمود صالح منسى : مشروع قناة السويس بين اتباع سان  
سيمون وفرديناند دى ليسبس ، القاهرة ، دار الاتحاد العربى للطباعة ،  
١٩٧١ ص ٢٦٧ .
- (٢٢) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، النهضة  
العربية الطبعة الثانية ١٩٧٥ ص ٣٥٥ .
- (٢٣) فاروق عز الدين : المرجع السابق ص ٣٣٨ .
- (٢٤) محمد فريد : المرجع السابق ص ٣١٥ .
- (٢٥) جورج كيرلس : المرجع السابق ص ٩٢ .
- (٢٦) عبد الرحمن الراعى : عصر اسماعيل ج ١ ، ص ٥٧ .
- (٢٧) محمد فريد : المرجع السابق ص ٣١٦ .
- (٢٨) زاهية قدورة : المرجع السابق ص ٣٥٦ .
- (٢٩) جورج كيرلس : المرجع السابق ص ٩٤ .
- (٣٠) محمد فريد : المرجع السابق ص ٣١٧ .
- (٣١) رآها الخديو اسماعيل لأول مرة فى باريس وفتن بها ، وأراد  
أن يضمها الى حريمه .

- للتفاصيل انظر : اخبار اليوم في ٢ — ١٢ — ١٩٨٩ مقال للاستاذ  
محسن محمد بعنوان : المشى فوق الاشواك .
- (٣٢) مثلت في القاهرة في عام ١٨٧١ .
- (٣٣) اخبار اليوم في ٢ — ١٢ — ١٩٨٩ .
- (٣٤) محمد فريد : المرجع السابق ص ٣١٩ .
- (٣٥) محمد حسنين هيكل : ملفات انيسيس ، القاهرة ، مركز  
الاهرام للترجمة والنشر الطبعة الاولى ١٩٨٦ ص ١٠٦ .
- (٣٦) محمد عبد الرحمن برج : قناة السويس ، اهميتها السياسية  
والاستراتيجية ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ١٩٦٨ ص ٥ — ٦ .
- (٣٧) محمود صالح منسى : مشروع قناة السويس ، القاهرة ،  
دار الاتحاد العربى ١٩٧١ ص ٢٦ .
- (٣٨) جمال حيدان : قناة السويس نبض مصر ، القاهرة ، عالم  
الكتب ص ٣٢ — ٣٤ .
- (٣٩) من المعروف ان طول قناة السويس يبلغ ١٦١ كيلو مترا وكان  
عرضها يتراوح ما بين ٦٠ الى ٧٥ مترا وبعد التوسعة وصل ما بين ١٦٠  
الى ٢٠٠ مترا اما عمقها فيصل الى ١٥٥٠ مترا .
- (٤٠) جورج كيرلس : المرجع السابق ص ١٢٦ .
- (٤١) ابراهيم علوان : مشكلات الشرق الاوسط والوطن العربى  
بيروت ، المكتبة المصرية ١٩٧٠ ص ٥٩ — ٦٠ .
- (٤٢) حمدي حافظ : العدوان الثلاثى على مصر ، القاهرة الانجلو  
المصرية دت ص ٦٣ .
- (٤٣) ابراهيم علوان : المرجع السابق ص ٦١ .
- (٤٤) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ص ١٤٨ .
- (٤٥) جمهورية مصر العربية : نشرة قناة السويس ١٩٧٥ .
- (٤٦) جمهورية مصر العربية : نشرة قناة السويس ١٩٧٦ .
- (٤٧) سجل العرب للعلاقات الثقافية والاقتصادية ص ٥٩ — ٦٢ .
- (٤٨) سجل العرب للعلاقات الثقافية ص ٨٢ — ٨٣ .

(٤٩) سجل العرب للعلاقات الثقافية والاقتصادية من المحيط الى الخليج ص ٣٨ .

(٥٠) كان اول خزان حقيقى يقام على النيل ، وقد بدأ العمل فيه فى عام ١٨٩٨ . وانتهى فى عام ١٩٠٢ ، وكانت سعة تخزينه للمياه مليار متر مكعب .

(٥١) الجدير بالذكر ان الدكتور القيسونى وزير مالية مصر فى ذلك الوقت كان قد تلقى خطابا من المستر بلاك مدير البنك الدولى يؤكد عزم البنك على تمويل المشروع ، مما يوضح اعترافه بقدرة مصر على سداد القروض ، ولكنه تراجع عن موقفه بعد انسحاب امريكا وبريطانيا من تمويل المشروع مما يثبت خضوع البنك الدولى لسيطرة ورغبات الدول الرأسمالية والى جانب ذلك يذكر السناتور فولبرايت عضو مجلس الشيوخ الأمريكى انه لم يكن هناك أى دليل على سوء حالة الانتصاد المصرى عندما قررت الولايات المتحدة سحب عرضها .

غليب جلاب : هل تهدم السد العالى ص ٤٧ .

(٥٢) عثمان أحمد عثمان : السد العالى من النواحي التاريخية والهندسية والاقتصادية ص ٣٧ .

(٥٣) الهيئة العامة للاستعلامات : السد العالى ص ١٦ وما بعدها .

(٥٤) وزارة الصناعة : الهيئة العامة لشنئون المطابع الأميرية . يوليو ١٩٧٣ .

(٥٥) د. عبد المنعم الجيمى : مجمع اللغة العربية — دراسة تاريخية ص ٧ — ٨ .





## الفصل العاشر

### دراسات في تاريخ مصر قبيل ١٩٥٢

- ١ — الأحزاب والممارسة الديمقراطية .
- ٢ — المرأة المصرية والتعليم الجامعي .
- ٣ — مجتمع القاهرة من خلال ثلاثة نجيب محفوظ .
- ٤ — الفيوم بين ثورتى عرابى وسعد زغلول .
- ٥ — سيناء في التاريخ الحديث والمعاصر .



(\*)

## ١ - الأحزاب والممارسة الديمقراطية في مصر

١٩٥٢ - ١٩٢٣

بصدور دستور ١٩٢٣ انتقلت مصر الى مرحلة جديدة من حياتها تقوم على قاعدة النظام الدستوري الذي هو أساس الدولة القانونية مع توزيع السلطات العامة بين الملك والوزارة والبرلمان . وعلى هذا الأساس انتهى التوكيل الشعبى الذى كان الوفد يتحدث بمقتضاه عن الأمة المصرية بما يلائم عهد الديمقراطية ليصبح حزبا برلمانيا يمثل أغلبية الأمة بعد أن كان وكلا لها ، فدخل الانتخابات ، ونال الأغلبية الساحقة وعلى أثر ذلك شكل سعد زغلول الوزارة وفيما يلى نعرض لمواقف بعض الأحزاب المصرية من الممارسة الديمقراطية ، وعلاقة ذلك بمواقفهم من الملك والانجليز ونخص بذلك الوفد ، وحزب الاحرار الدستوريين ، وحزب الاتحاد ، وحزب الشعب .

## اولا : الوفد

خرج الوفد من الانتخابات بتأييد شبه جماعى من الأمة ، ورأى نوابه ضرورة تنفيذ مبادئ الدستور وتطبيق أحكامه بروح تامة من الحرية والديمقراطية <sup>(١)</sup> ومع ذلك فقد أثبتت الأحداث أن دفاع الوفد عن الديمقراطية لم يستمر خلال تربيعة على أريكة الحكم ، بل تم استغلال الوفد للديمقراطية فى الحاق الهزيمة بأعدائه ونافسه فى بعض الأحيان والدليل على ذلك أنه بمجرد وصول الوفد الى الحكم كان يستبدل دكتاتورية خصومه بدكتاتوريته مع أنه خلال سنوات المعارضة كان يخوض معركته ضد الملكية باسم الديمقراطية والحيريات النيابية ، وينشط فى تقديم الالتماسات والعرائض الى الملك يطلب فيها عودة البرلمان وإعادة الحياة النيابية <sup>(٢)</sup> وفيما يلى نعرض لبعض هذه المواقف .

---

(\*) قدمت هذه الدراسة لمركز الدراسات السياسية بالاهرام فى عام

## ( ١ ) موقف الوفد من أحزاب المعارضة :

إذا كان فقهاء القانون يقولون أن أساس الحياة النيابية هو أن تحيا البلاد في جو من الحرية يظهر فيه اختلاف الآراء ، ويتمسك فيه الناس بما يتفق مع أهدافهم وميولهم ، وأن يدرك أبناء الأمة أنهم أبناء وطن واحد فيحق لنا أن نتساءل هل سار حزب الوفد على هذا المفهوم ، وتعامل مع أحزاب المعارضة بطريقة ديمقراطية ؟

الواقع أن سعد زغلول لم ينس خصوصته مع الأحرار الدستوريين ، فبعد أن ألف وزارته اندستورية الأولى رأى في وصوله إلى السلطة فرصة للتنكيل بهم وإبعادهم عن المراكز الهامة فمثلا لم يتردد سعد في أن تكون حكومته وغدية لحما ودما ، فبعد أسبوعين فقط من توليه الوزارة أقال بعض المديرين والعهد من أنصار الأحرار الدستوريين وقدمهم للحاكمية <sup>(٣)</sup> وولى مكانهم أنصاره بحجة أنه لم يبق على موظف لا يثق فيه تمام الثقة وقد أدى ذلك إلى تذمر بعض الأهالي في القرى لعزل عمدتهم ، وأظهروا عدم ثقتهم في العهد الجديد <sup>(٤)</sup> .

ولما حددت الحكومة يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ موعداً لافتتاح الدورة البرلمانية الأولى ، وحلف اليمين الدستورية دعيت جميع الصحف المدربة والأجنبية إلى هذا الافتتاح عدا جريدة السياسة التي كانت تمثل الأحرار الدستوريين <sup>(٥)</sup> مما يعد انتهاكا لحقوق المعارضة التي كان يتجاهلها سعد ويعتبرها طائفة هزيلة تكونت من رجال خوارج عن النضال الوطني <sup>(٦)</sup> .

والى جانب ذلك أخذت المظاهرات المدبرة بمعرفة الوفد تسير في مختلف الأقاليم تنادى بسقوط المعارضة ، وتذف منازل أعضاء حزب الأحرار الدستوريين بالحجارة ، كما عمل سعد زغلول على إسقاط عضوية مجلس النواب عن محمد محمود أحد قادة حزب الأحرار الدستوريين <sup>(٧)</sup> ولما نجح في ذلك وتقدم محمد محمود لإعادة ترشيح نفسه في دائرته بالسيوط عمل الوفد على إسقاطه علجاً وكيل المديرية بإعزاز من الوفد إلى تهديد العهد وأعضاء لجان الانتخابات المؤيدين

لمحمد محمود ، ولما احس محمد محمود بذلك تنبازل عن ترشيح نفسه محافظة على مصالح اهله وانصاره ففاز في انتخابات الدائرة رجل لم يكن معروفا لدى اهله .

وعندما اثرت قضية « في انشعر الجاهلى » امام مجلس النواب وكان المتهم هو الدكتور طه حسين المحرر الادبى لجريدة السياسة الناطقة باسم حزب الاحرار الدستوريين خصم الوفد العنيد اثار اعضاء الوفد وعلى راسهم سعد زغلول زوبعة في البرلمان ضده كما وصل الامر بسعد زغلول ان خطب في احدى المظاهرات التى قامت فطائب جراس الدكتور طه قائلا « هبوا ان رجلا مجنونا يهذى في الطريق فهل يضر العقلاء شئ من ذلك » (٨) .

ولم تتوقف تجاوزات الوفد للديمقراطية بعد وفاة سعد فعندما تولى النحاس رئاسة الحكومة لم تنج الجامعة من تدخل حزب الوفد في شئونها فبعد ان اعلنت كلية الآداب ارادتها في عام ١٩٢٨ بتعيين الدكتور طه حسين عميدا لها حدثت أزمة سياسية لأن حكومة النحاس لم تكن راضية عن ذلك التعيين لصلة الدكتور طه حسين الوثيقة بحزب الاحرار الدستوريين فطلب وزير المعارف من الدكتور طه ان يستقيل وحسبا للامر قبل الدكتور طه ان يستقيل بشرط اعتماد تعيينه أولا تنفيذا لارادة الجامعة فعين ووقع بعض الاوراق ، وفي المساء قدم استقالته (٩) .

يضاف الى ذلك ان الاتهامات التى اثارها خصوم الوفد ضده تضمنت ميله الى الاستبداد والتسلط والتدخل في حرية الانتخابات الصالح مرشحيه وتهديد منافسيه (١٠) والطموح الى الحكم الدكتاتورى عن طريق تنظيم حركات الشباب الوفدى في منظمات شبه عسكرية مثل القمصان الزرقاء وان الوفديين كانوا وهم في الحكم يقفون ضد الانجليز موقفا يغضى الى ازمت متوالية تنتهى دائما باستقالة الوزارة قبل الاوان ، فاذا ما اعتزلوا الوزارة وقفوا انفسهم على اقامة العراقيل في وجه الحكومات التى تليهم فيمنعونها من البقاء في الحكم اكثر من اشهر معدودة (١١) اما في البرلمان فان الخوف من الاغلبية الوفدية كان

السمة البارزة في جميع المناقشات ، وكان بعض الوفديين يؤلفون اللجان السرية لأرهاب كل من يجرؤ على انتقاد الوفد .

هذا عن الجانب غير الديمقراطي للوفد أما عن الجانب الديمقراطي فنذكر أن سعد زغلول لم يكن في مقدوره أن يتناسى أنه زعيم حزب سياسي كرس جهده للحصول على استقلال مصر والسيطرة على حراسة الدستور ولذلك فإنه لم يشأ أن يخرس الانتقادات التي كان بعضها يمس الوجود البريطاني في مصر بينما مس بعضها الآخر نفوذ القصر كما يصعب على أحد أن ينكر أن النحاس حاول تثبيت قواعد الدستور والحد من سيطرة القصر على الحكم بإنشاء وزارة للقصر وإدخال نظام وكلاء الوزارات البرلمانيين وذلك لتوطيد أواصر الثقة بين العرش والأمة ، وتوطيد النظام البرلماني على الأسس الديمقراطية<sup>(١٣)</sup> . كما أن وزارة النحاس أصدرت قانونا بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التي ارتكبت منذ يونيو ١٩٣٠ إلى مايو ١٩٣٦ عدا القتل العمد، كما ألغت قانون حماية الموظفين الذي كان يمنع رفع الدعوى عليهم مباشرة أمام محكمة الجنح .

### ثانيا : مواقف الوفد من الملك :

على الرغم أن الملك فؤاد قد أعلن عن سعادته لتأسيس البرلمان على المبادئ العصرية ودخول البلاد في دور التنظيمات النيابية التي قررها الدستور<sup>(١٣)</sup> فإنه اعتبر الدستور مصدرا عاج له ، ولم يكن على استعداد لقبول دور الملك الدستوري دون سلطات لذلك صمم على أن يملك ويحكم<sup>(١٤)</sup> وكان شغله الشاغل طوال عهده أن يبعد الوفد عن الحكم ، ولم يترك وسيلة من أجل ذلك إلا ولجأ إليها ووصل الأمر أن اتفق القصر مع أحزاب الأقليات على مناوئة حزب الوفد وعرقلة حكمه ، ولما لم يستطع هؤلاء مواجهة التيار الشعبي الجارف الذي يمثلته الوفدة لجأوا إلى تعطيل البرلمان لمدة شهر ثم بإصدار قرار بحل مجلس النواب فور انتهاء مدة التعطيل ، فإذا جرت انتخابات جديدة تخض عليها وصول الوفد إلى الحكم اضطرت القصر إلى تعطيل الحياة النيابية .

وقد شهد شهر نوفمبر ١٩٢٤ موند أول صراع بين الملك ومجلس الوزراء الوفدى فقد تصور سعد زغلول رئيس الوزراء أن في مقدوره باسم الدستور أن يفرض على القصر سلطة الاشراف على تعيين كبار موظفى الدولة وعندما رفض الملك ذلك قدم سعد زغلول استقالته ولكن البرلمان جدد ثقته به ، واجتاحت المظاهرات شوارع القاهرة متجهة الى قصر عابدين وهى تهتف سعد أو الثورة كذلك توجه وفد من أعضاء مجلس الشيوخ لمقابلة الملك الذى اضطر فى النهاية الى أن يرضخ لمطالب الوفد ، وان يقبل تقليص نفوذه الاوتوقراطى ليصبح مجرد حاكم دستورى تكون قراراته خاضعة للتصديق عليها من رئيس الوزراء والوزراء المختصين .

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الملك فؤاد فى محاولاته للإطاحة بالوفد لدرجة أنه من تاريخ النظام النيابى فى مصر فى يونيو ١٩٢٤ حتى وفاة الملك فؤاد فى ابريل ١٩٣٦ لم يصل الوفد الى منصة الحكم سوى مدة تقل عن عامين مرة برئاسة سعد زغلول من مارس الى ديسمبر ١٩٢٤ ومرة ثانية وعلى فترتين برئاسة مصطفى النحاس أولهما من مارس الى يونيو ١٩٢٨ والثانية من يناير الى يونيو ١٩٣٠ كما يلاحظ أن أى مجلس نيابى لم يستطع أن يكمل دورته ومدتها خمس سنوات كما جدها الدستور كما أنه كان من النادر أن تنتهى دورة برلمانية دون حدوث أزمة دستورية تنفضها فجأة قبل موعدها .

وعندما فشل الوفد فى تدعيم الدستور وصيانتة رأى وضع مشروع يتضى بمحاكمة الوزراء الذين يحاولون الاعتداء على الدستور بخرق أحد مواده أو تعطيلها بعقوبات قاسية تصل الى حد الاشغال الشاقة ولكن القصر انتقد هذا المشروع عن طريق جريدته البلاغ وحذر وزارة النحاس من المضى فيه لأن وضع مثل هذا القانون يعنى بأن هناك جهات معينة تتآمر على الدستور (١٥) .

وبعد وفاة الملك فؤاد سلمت مقاليد سلطات الملك الدستورية الى مجلس وصاية حتى يبلغ ابنه فاروق سن الرشد ، وكانت البلاد تسير فى ظل ائتلاف يمثل كافة الأحزاب . ولما اجريت الانتخابات



لم تتدخل فيها الحكومة ، وكانت نتيجهما فوز الوفد بالأغلبية فشكل  
النحاس الوزارة .

وخلال تولى النحاس الوزارة رأى الوفد أن الخطر على الديمقراطية  
ينبع من مصدرين هما الشعبية الكبيرة التي كان يكتسبها الملك فاروق  
بين الجماهير والديوان الملكي الذي كان مركزا للوشاية والدسياسة  
ضد وزارة الأغلبية ، وازاء ذلك كان خطة النحاس تتلوى على استغلال  
صفر سن الملك لوضعه تحت وصايته ، ثم ادخال الديوان الملكي في  
المسئولية الوزارية عن طريق تحويله الى وزارة باسم وزارة القصر ،  
وتعيين وزير باسم القصر يعين مع الوزارة ويستقيل باستقالتها من الحكم  
وبذلك يبقى تحت رقابة الأمة <sup>(١٦)</sup> .

### ثالثا : مواقف الوفد من الانجليز :

لقد كان الوفد باعتباره بطل التطلعات القومية للمصريين هو  
عدو الانجليز فثورة ١٩١٩ من صنعه كما أن زعماءه انكروا كل قيمة  
لتصريح ١٩٢٢ وظلوا يطالبون بالجلء ، واستقلال وادى النيل من  
الاستكدرية الى الخرطوم ومع ذلك فقد سعد زغلول مبدا المفاوضات  
وكانت العلاقة بينه وبين حكومة العمال في انجلترا تسير سيرا حسنا  
ولكن فشل المفاوضات التي أجراها سعد في لندن في عام ١٩٢٤  
والانذار البريطاني الذي اعقب اغتيال السردار قد أوضحا له مدى  
اتساع الخلافات في وجهات النظر بينه وبين الانجليز لدرجة أن سعد  
بتأييد ومساندة مجلس النواب اشتد في معاملة سلطات الاحتلال فقد  
انتهز سعد فرصة مناقشة الميزانية فصوت على قرار بالفاء مساهمة  
بحر في نفقات جيش الاحتلال مع مطالبة انجلترا بالجلء عن مصر  
وظلت علاقات الوفد بالانجليز يسودها التوتر حتى وصل الامر  
بانجلترا الى اتهام حزب الوفد بأنه يريد « تحويل الجيش الى سلاح في  
يده » <sup>(١٧)</sup> كما انتقد الوفد ما تردد من أن ممثل انجلترا في مصر يعمل  
معاملة رسمية قبل أن يقدم أوراق اعتماده <sup>(١٨)</sup> كما طالب بجلء القوات  
الانجليزية من أرض مصر والسودان خصوصا بعد أن أصبحت دولة ذات  
سيادة على أرضها بعد أن تنازات تركيا عن هذه السيادة .

ونتيجة لذلك فكرت إنجلترا في ابعاد سعد زغلول عن الحكم فقد ادركت أن استمراره في رئاسة الوزارة مع ما يتمتع به حزبه من أغلبية ساحقة في البرلمان يسبب مشاكل لها ولرجالها في مصر (١٩) .

ولما تولى النحاس رئاسة حزب الوفد جعل نصب عينية ضرورة تحقيق استقلال البلاد بإبرام معاهدة تحالف مع بريطانيا وكان نتيجة ذلك توقيع معاهدة ١٩٣٦ ولكن هل ظل موقف الوفد من الانجليز على هذا المنوال ؟

الواقع أن الوفد توهم أن معاهدة ١٩٣٦ ستتيح له فترة التقاط أنفاس طويلة ، كما أن الانجليز رأوا أن حكومة الوفد على الرغم مما تسببه لهم من متاعب إلا أنها كانت تقف موقفا صريحا ضد الفاشية بعكس القصر وعلى رأسه الملك (٢٠) .

ومع بداية الحرب العالمية الثانية اتبع الوفد سياسة معتدلة مع إنجلترا فلم يتردد في اعلان ارتباطه بقضية الديمقراطية وأكد أن مصر تمد يدها الى إنجلترا ، وأن الشرف يقتضى من كل مصرى أن يساعد الدولة الحليفة مما دفع إنجلترا الى ارغام الملك فاروق على اعادة النحاس الى الحكم (٢١) .

وقد استمر موقف الوفد من الانجليز بين متشدد ومعتدل حتى أعلن مصطفى النحاس في البرلمان في الثامن من أكتوبر قطع المحادثات السياسية بين مصر وبريطانيا بعد أن تبين بجلاء عدم جدواها والغاء معاهدة ١٩٣٦ . وبذلك دخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الوطنى ضد الانجليز .

وهكذا يتضح أن الوفد لعب دورا هاما في الحياة السياسية المصرية فقد حاول أن يجعل من الملك ملكا دستوريا يملك ولا يحكم كما هو الحال في دول أوروبا الغربية ، وقام بدور بارز في مواجهة أوتقراطية الملك وتسلط الانجليز على مقدرات البلاد ، ومع ذلك فإن مراقبه وعو في داخل السلطة لا تخلو في بعض الأحيان من الدكتاتورية .

## ثانيا : حزب الاحرار الدستوريين :

من المعروف أن هذا الحزب قد تم تكوينه في أكتوبر عام ١٩٢٢ من صفوف المصريين المعتدلين ذات الكيان الاجتماعى المتميز وكانت الرغبة فى الوصول الى السلطة وراء نشاط هذا الحزب ونتيجة لذلك تعامل مع القضية الوطنية باعتدال واعتبر المفاوضات بمثابة الأمل الوحيد لتحقيق مطالب مصر<sup>(٣٣)</sup> وفيما يلى نعرض لمواقف هذا الحزب من الأحزاب الأخرى ومن الملك والانجليز .

## ( ١ ) موقفه من الأحزاب :

نتيجة لمقتل انسرى فى ستاك فى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٢٤ توترت العلاقات بين مصر وبريطانيا الأمر الذى حمل الانجليز على أملاء شروطا اضطرت امامها وزارة سعد زغلول الى التخلّى عن الحكم فانهز الملك مؤاد الفرصة وعهد بتشكيل الوزارة الى أحد مؤيديه وهو « أحمد زيور » واشترك فيها حزب الاحرار الدستوريين . وقد استهلت وزارة زيور حياتها بانتهاك الديمقراطية فقبضت على عدد من النواب الوفديين على الرغم من حصانتهم البرلمانية ووجهت اليهم تهمة التواطؤ فى حادث السردار<sup>(٣٣)</sup> كما استصدرت مرسوما من الملك بضرورة تأجيل البرلمان شهرا ، ولما رفع الوفديون الالتماسات الى الملك بضرورة عقد البرلمان كان الرد هو حل مجلس النواب فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٢٤ وتأجيل موعد الانتخابات . واستمر زيور لمدة تزيد عن عام كامل يحكم البلاد فى غيبة عن البرلمان ، وعلى هامش الدستور .

والواقع أن الاعتداء على الحياة البرلمانية من جانب الملك يرجع لدافعين هما كراهية القصر امتلاك الوفد للأغلبية الساحقة فى البرلمان واجتماع الزعامة الشعبية ورياسة الحكومة فى يد سعد زغلول ، ثم خيق أصحاب المناصب الحكومية والسياسيين الذين تربوا فى مدرسة الوظائف بالحياة النيابية . ومما يؤخذ عن خصوم البرلمان الوفدى هو الوسائل التى اتخذوها لبلوغ أهدافهم فقد عطلوا الحياة النيابية بالتأجيل تارة ، وبالخل تارة أخرى ، ثم تعرضوا للحقوق والحريات

يطريقة لا ترضى العدالة ، وعلى وجه تتشعر له الأبدان أحيانا ،  
واغروا الناس بالوعد والوعيد على أن يتخذوا من مبادئهم سلما تباع  
وتشتري (٢٤) .

وقد لجأت وزارة زيور الى اتخاذ اجراءات استبدادية ضد الوفد  
وزعيمه (٢٥) حتى تسوقه الى هزيمة ساحقة في الانتخابات التي تقرر  
اجراؤها في عام ١٩٢٥ فحتمت عليه الحصول على اذن سابق قبل عقد  
اى اجتماع عام ، وكان هذا الاذن يرفض في اغلب الاحيان كما حرم  
على الزعماء الوفديين استقبال انصارهم في منازلهم ، واتخذت  
اجراءات غير شرعية للتأثير على الناخبين فوجهت التهديدات للفلاحين ،  
وتعرض الاغنياء للأغراء والمساومة ، ووضع اتباع الوفد تحت المراقبة ،  
واسيئت معاملتهم ، وفتش البوليس منازلهم كما أعادت حكومة زيور  
العمد المطرودين وعزلت بعض العمدة من انصار حزب الاتحاد والوند .  
ونتيجة لذلك ازدادت شكوى الأهالى الى الملك يوضحون فيها سوء  
الأحوال (٢٦) .

ولقد استفاد القصر من حادث مقتل السردار ، وأعلنها حربا  
على الوفد ، ولكن الأمة وقفت بجانب سعد في انتخابات رئيس مجلس  
النواب ولم يظهر مرشح الحكومة عبد الخالق ثروت بأكثر من خمسة وثمانين  
صوتا بينما بلغت أصوات المؤيدين لسعد مائة وثلاثة وعشرين .

وعلى الرغم من ذلك فقد اضطر الاحرار الدستوريون أحيانا الى  
الانضمام مع الوفد ضد القصر في محاولة لاعادة الحياة النيابية ،  
فاشتراك الحزبان في وزارة ائتلاف برئاسة عدلى في مايو ١٩٢٦ ، قبل  
سعد خلالها منصب رئيس البرلمان . ولم يستمر ذلك الوفاق طويلا  
فقد تجدد الخلاف بين الحزبين نتيجة لمحاولات الوفد الاستئثار بالامر ،  
وعلى اثر ذلك حل مجلس النواب والشيوخ وتم تأجيل الانتخابات (٢٧)  
والى جانب ذلك فان حزب الاحرار الدستوريين كان يقبل الحكم  
أحيانا بوسائل غير دستورية ، وكانوا يبررون ذلك أمام أنفسهم بأنهم  
يمثلون قسما هاما من الراى العام المصرى من حقهم ان يستأثروا بالحكم  
لأنه القسم الذى يضم اصحاب المصالح الرئيسية (٢٨) ووصل بهم

الأمر الى قبول الوزارة على شرط تعطيل الحياة الدستورية فبعد ان اقال الملك وزارة النحاس في عام ١٩٢٨ قبل محمد محمود تأليف الوزارة الجديدة من الاحرار الدستوريين والاتصاديين وهكذا عاد الحزبان الى التآمر على الدستور . ومع ان محمد محمود قال في كتابه الى الملك بعد قبول الوزارة « وسيكون رائدنا ان يظل الدستور في حمي جلالكم ركن الحكم الركين وعياده المتين » فانه لم يكن صادق الوعد متى قوله اذا كان اول عمل هام له هو تأجيل البرلمان شهرا ثم اعقب التأجيل حل البرلمان بمجلسيه وايفاف الحياة الدستورية ثلاث سنوات .

وقد قوبل تعطيل الدستور بالسخط والاستنكار في أرجاء البلاد خاصة وانه كان حرمانا للامة من حقوقها التي اكتسبتها خلال جهاد طويل (٢٩) ولما قابل الوفد تعطيل البرلمان بالاحتجاج اعتقلت الحكومة الكثير من معارضيه مستعينة في ذلك بقوات من الجيش والبوليس للقضاء على الديمقراطية ومع ان الرغبة في الحفاظ على كرسى الحكم كان يسي حزب الاحرار الدستوريين الممارسة الديمقراطية ، فان وجوده خارج الحكم كان يعيده الى صوابه . فعندما امتن صدقى ارادة الامة بالغاء دستور ١٩٢٣ قرر حزب الاحرار الدستوريين عدم الاشتراك في الانتخابات التي تقع خلال حكم صدقى (٣٠) كما اتفق مع حزب الوفد على مقاطعة الانتخابات ، وأصدر قرارا بهذا المعنى ، واشتركا معا في تأليف لجنة اتصال بينهما لتنفيذ قرار المقاطعة .

وبعودة الاحرار الدستوريين الى الحكم بعد اقالة وزارة النحاس عام ١٩٣٨ استصدر محمد محمود مرسوما بتأجيل انعقاد البرلمان شهرا ثم أصدر مرسوما آخر بحل البرلمان وأدخلت وزارته تعديلات كثيرة في الدوائر الانتخابية حتى أصبحت نتيجتها في صالح انصار الحكومة ، وبذلك لم يتحقق شيء من الوعود التي قالها محمد محمود بأنه سيجيء بنواب يحاسبون الحكومة ويراقبونها ، فاذا به قد جاء بمجموعة من المؤيدين لحكومته (٣١) .

وعلى الرغم مما أخذ على الاحرار الدستوريين من مأخذ غير ديمقراطية فان وزارة محمد محمود استصدرت مرسوما بقانون في العاشر

من فبراير ١٩٣٨ بالعفو الشامل عن بعض الجرائم التي وقعت في الفترة من مايو ١٩٣٦ الى ديسمبر ١٩٣٧ اى في عهد وزارة النحاس ، ومرسوما آخر بقانون بتاريخ الثامن من مارس ١٩٣٨ بحظر الجمعيات او الجماعات التي يكون لها صورة التشكيلات شبه العسكرية وقد طبق هذا على غرق القمصان الزرقاء الوفدية ، وغرق القمصان الخضراء التي انشأتها جماعة مصر الفتاة مما يعد في حد ذاته انتصارا للديمقراطية والحد من الارهاب .

### ب - موقفه من الملك :

سار الحزب مؤيدا من القصر ضد الوفد ، ونجح في انتخابات ١٩٢٥ ، وشكلت الوزارة بينه وبين حزب الاتحاد ، ولكن الملك فؤاد كان يعتبر هذا الحزب الوريث الشرعى لحزب الأمة الذى ورث فيما ورث عنه عداء رجالاته للقصر ولطفيناه ، كما اعتبر أن تاليف هذا الحزب كان من اجل مقاومة نزعة القصر الاوتوقراطية واندفاع عن مشروع الدستور ، لذلك فان الملك فؤاد لم يحذ الاستعانة بهذا الحزب كثيرا (٣٢) .

وسارت الأمور على هذا المنوال حتى أصدر على عبد الرزاق كتابه « الاسلام واصول الحكم » الذى ادخس فيه رأى القائل بوجوب انخلاق في الاسلام ، فغضب الملك عليه وتحرش به وبحزب الأحرار الدستوريين الذى ينتمى اليه كما اهتم الاتحاديون بتجريد الشيخ على عبد الرزاق من صفة العالمية ارضاء للقصر مما أدى الى انفصام الروابط بين حزبي الاتحاد والأحرار ، واعادة العلاقات بين الأحرار والوفد من أجل انديمقراطية ولخوض صراع ضد حكومة ليس لها من نفوذ داخل البلاد ، بل يتوقف استمرارها على تأييد الملك . واستعد الاتحاديون لخوض معركة الانتخابات منفردين وانتهى هذا الصراع بعودة الحياة النيابية الى البلاد واستقالة زيور . ومع أن سعد زغلول كان له الحق في رئاسة مجلس الوزراء بصفته رئيسا للحزب الذى حاز على اكبر المقاعد في مجلس النواب والشيوخ فانه ترك هذا المنصب لعدلى يكن تشكل عدلى الوزارة من الوفديين والأحرار الدستوريين وفي العاشر من يونيو ١٩٢٦ عقد البرلمان جلسته الافتتاحية ، وانتخب سعد زغلول

رئيسا لمجلس النواب الذى قرر الغاء كافة المراسيم التى أصدرتها الحكومة السابقة فى غيبة البرلمان<sup>(٣٣)</sup> .

والواضح أن القصر كان فى ذلك الحين قد ورط الأحرار الدستوريين فى كثير من المخالفات الدستورية التى كشفت زيف ماكانوا يدعونه من الحرص على اندستور والدفاع عنه والتظاهر بانهم من غلاة المحافظين مما اضعف مركزهم السياسى فى البلاد<sup>(٣٤)</sup> .

### ج - موقفه من الانجليز :

مما يؤخذ على حزب الأحرار الدستوريين انه وضع قاعدة التساهل مع الانجليز للوصول الى حل للقضية المصرية ، وكان أعضاؤه يفاخرون بهذه السياسة ويسمونها كياسة .

وقد حرص الحزب منذ تأسيسه على هذه السياسة حتى انه لم يذكر فى برامجهم كلمة الجلاء ، وكان وجود هذا الحزب موضع رضاء السياسة البريطانية فكانت تقوم على مساندته وتعضيده<sup>(٣٥)</sup> .

ومما سبق يتضح أن هذا الحزب لم يستند على مؤازرة الشعب نه بل ارتكن الى القصر بمعنى انه لم يكن حزبا شعبيا بل كان جل اعتياده يرتكن على قوة الحكم ، ومن هنا جاء تغليبهم لسلطة الحكومة على سلطة الشعب ، وميله الى اهدار سلطة الأمة كى يصل الى مناسب اتحكم لذلك يمكن القول ان اسم هذا الحزب لا يتفق مع افعاله ، فلا هو من نادوا بالجلاء حتى يتضمن اسمه الأحرار ، ولا هو حافظ على الممارسة الديمقراطية لىسمى بالدستورى .

### حزب الاتحاد :

قام القصر بتأليف هذا الحزب من بعض المنفصلين عن الوفد بقصد ايجاد نوع من التوازن بين الوفد والأحرار الدستوريين داخل مجلس النواب ، وكان لحسن نشأت وكيل الديوان الملكى القسطنط الاكبر فى تأسيس هذا الحزب وتوجيهه الى الخطط التى تتطلبها السراى بحيث يكون القصر مرجع الحكم ومصدره ، وان يحكم الشعب بواسطة حكومة

تفرض عليه فرضا وفيما يلى نعرض لموقف هذا الحزب من الاحزاب  
الآخري وموقفه من الملك .

### ١ - موقف الحزب من الاحزاب الآخري :

ضاق الوفد وقباداته وضاق حزب الاحرار الدستوريين وقباداته  
ايضا من قيام حزب الاتحاد ، ونظروا الى مؤسسيه نظرة ازدراء  
وسخرية وبدا ائتلاف بين الحزبين لمناهضة هذا الحزب والتصدي  
له مما جعل قيادات هذا الحزب تواجه هذه المواقف بزيادة الارتباء نسي  
احضان القصر وتحاول فرض نفسها ولكن يبدو من الظروف التى نشأ  
فيها هذا الحزب ومن اعضائه المؤسسين له ، ومن موقف الشعب منه  
أن هذا الحزب ولد ميتا وان كان القصر قد استطاع أن يستخدمه  
بنجاح فى دفع الاحزاب الآخري الى التسابق فى اعلان ولائها للملك .

### ب - موقف الحزب من القصر :

لم يكن لحزب الانقاذ مهمة غير مساندة القصر على حكم مصر  
بقوانين ملكية بدلا من حكمه عن طريق دستور وبرلمان خصوصا وانه  
حزب قام على أساس الولاء للعرش وان تكون السراى مرجع الحكم  
ومصدره . ونرى أن تأليف هذا الحزب على الصورة التى تم بها  
وولاء التام للعرش لم يكن من الحكمة السياسية ولا من الاخلاص  
للقضية الوطنية فى شئ . فالملك كان يجب أن يكون بعيدا عن الاحزاب  
خصوصا وان نزوله الى هذه الحلبة كان مخاطرة جسيمة من جانب  
عرض نفسه فيها لنقمة وغضب الاحزاب الآخري .

### رابعاً : حزب الشعب

فى محاولة لتعديل الدستور وتكوين وزارة برضى عنها القصر عهد  
الملك فؤاد الى اسماعيل صدقى فى التاسع عشر من يونيو ١٩٣٠ برئاسة  
الوزارة .

وفى اعتساب ذلك قاوت وزارة صدقى بالفناء دستور ١٩٢٣  
وقانون الانتخاب ، وخرج صدقى على البلاد بدستور جديد عرف



بدستور ١٩٣٠ ذكر أن الغرض منه هو أن يمكن العناصر الرشيدة من خدمة الأمة ، وأن يكفل صحة التمثيل مع ضمان الحريات العامة <sup>(٣٧)</sup> كما أنه خير علاج للحالة الحاضرة <sup>(٣٨)</sup> .

وكانت النتيجة الطبيعية لصدور الدستور الجديد تأنيف حزب يستند اليه في فرض النظام الذي وضعه حتى يدخل به الانتخابات فأنف حزب الشعب .

ونتيجة لذلك اتفق الوفد وحزب الاحرار الدستوريين على مقاطعة الانتخابات التي اعترزم صدقى اجراءها على اساس دستوره الذى وضع السلطة التشريعية في يد الملك بالاشتراك مع مجلسى النواب والشيوخ <sup>(٣٩)</sup> بينما قرر الحزب الوطنى وحزب الشعب ، وحزب الاتحاد خوض معركة الانتخابات <sup>(٤٠)</sup> .

وفي ٦ نوفمبر ١٩٣٠ اصدر الوفد قرارا بعدم الاعتراف بالدستور وقانون الانتخاب الجديد ، ومقاطعة الانتخابات العامة من اساسها ، كما اصدر حزب الاحرار الدستوريين قرارا بهذا المعنى ، واشتركا معا في تأليف لجنة اتصال بينهما لتنفيذ قرار مقاطعة الانتخابات التي اعترزم صدقى اجراءها ، وتعاهدا على الكفاح من أجل اعادة دستور ١٩٢٣ كما اوعز كل من الحزبين الى انصاره من العمد والمشايع بالاعراض عن الاشتراك في انتخابات صدقى وتقديم استقالاتهم احتجاجا عليها <sup>(٤١)</sup> كما طلب مصطفى النحاس من اعضاء الهيئة البرلمانية الوفدية السابقة ان يقرموا في دوائرهم بالحض على مقاطعة الانتخابات ثم قام انصار الحزبين برفع الشكاوى الى الملك فؤاد يطلبون فيها اقالة وزارة صدقى واعادة دستور ١٩٢٣ <sup>(٤٢)</sup> .

ولم تسكت حكومة صدقى على احزاب المعارضة وجرائدها فقد اتهمت حزب الوفد بأنه يتخذ من الرعب الذى ينشره بين الناخبين والنواب سببا للحكم وانتحكم <sup>(٤٣)</sup> . كما استخدم اسماعيل صدقى القوة في قهر الراى العام . وقد حدث أن قرر الوفد أن يخرج النحاس على رأس اعضاء مجلس النواب المنحل في مظاهرة كبيرة تقتحم ابواب البرلمان ،

ولما علم صدقى بذلك هدد بإطلاق النار على المظاهرة وقتل النحاس  
معدل الوند عن قراره ولما خرج النحاس على رأس رجال الأحزاب  
الى طنطا أمر صدقى بمنعهم من السفر ، وعندما اقتحموا المحطة  
وركبوا القطار أمر صدقى بفصل العربية التى يركبها النحاس عن سائر  
العربات وتحرك بها قطار خاص الى منطقة نائية فى الصحراء تركتهم  
هناك<sup>(٤٤)</sup> يضاف الى ذلك أن حكومة صدقى فصلت واضطهدت  
الموظفين الذين ينتون الى أحزاب المعارضة<sup>(٤٥)</sup> .

أما عن موقف حكومة صدقى من جرائد المعارضة فكان التعتيل  
والإغلاق ففي الخامس عشر من يوليو ١٩٣٠ أمرت بتعتيل جرائد البلاغ  
وكوكب الشرق واليوم تعطيلاً نهائياً كما أُنذرت جرائد الضياء ، وأغلام  
المصرى ، والمساء ، والريفي والجورنال دى كير بسبب نشرهم خطباً  
منسوبة لرئيس الوفد<sup>(٤٦)</sup> كما فصلت العمدة والشيخ الذين انتسبوا  
للمعارضة ، واضطهدت الأهالى الذين أعلنوا عن ولائهم للوند أو  
للاحرار الدستوريين .

وقد أجريت الانتخابات السورية فى مايو ويونيو ١٩٣١ فى جو  
خائف من الاكراه والتزوير وسفك الدماء ، وكانت على درجتين الأولى  
الانتخابات الخمسوية أى أن ينتخب كل خمسين ناخباً مندوباً عنهم ،  
ثم الانتخابات البرلمانية وفيها ينتخب المندوبون أعضاء مجلس النواب ثم  
أعضاء مجلس الشيوخ .

وعلى الرغم من اعلان الكثيرين من الناخبين رفضهم لعملية الانتخابات فمد  
اعلان اسماعيل صدقى أن نسبة عدد الناخبين الذين اشتركوا فيها  
كانت تفوق كل نسبة سبقتها<sup>(٤٧)</sup> .

وأوضح أن الحكومة قد عمدت الى تزوير عملية الانتخابات  
فاوعزت الى لجان الانتخابات أن تزور محاضرها بحيث تثبت فيها  
حضور الناخبين كذباً وزوراً<sup>(٤٨)</sup> وبذلك تمت المساة الانتخابية ، وكانت  
سابقة خطيرة اتبعتها الادارة فى العمليات الانتخابية كلها أرادت  
الحكومات التالية اصطناع برلمان صورى .

يضاف الى ذلك أن الجامعة لم تنجح من بطش حكومة صدقي فبعد انتخاب الدكتور طه حسين الذى كان ينتمى الى حزب الأحرار الدستوريين عميدا لكلية الآداب بيومين طلبت منه الحكومة أن يستقيل من الجامعة ليصبح رئيسا لتحرير جريدة الشعب لسان حال حزب صدقي فرفض وأثر البقاء فى الجامعة فأسرها صدقي فى نفسه وزاد من غضب صدقي على طه حسين أنه كان متمسكا بضرورة استقلال الجامعة فعارض منح القاب الشرف العلمية للسياسيين حتى لا يورط الجامعة فى السياسة ، فتحتت الحكومة الفرصة لابعاده عن الجامعة (٤٩) .

والغريب أن تلك الوزارة التى ظفرت بأكبر قسطن من سحق الناس كانت أطول الوزارات عمرا فى التاريخ البرلمانى فى ذلك الوقت ، ولكن عندما سقط صدقي تخلى عنه الجميع ، تخلى عنه حزبه ، وتخلت عنه جريدته ، وتلك نتيجة طبيعية فالبناء الذى يقام على السلطان يذهب بذهاب السلطان .

#### موقف الحزب من القصر :

كانت دعوة الملك لاسماعيل صدقي لتشكيل الوزارة إنما هى دعوة ليتولاها لحساب القصر وليس لحساب الأمة أو حساب طبقة بعينها لذلك غلبت من المستغرب أن ترتضى هذه الوزارة فى احضان الملك وتقوم بتنفيذ كل رغباته وأوامره .

#### موقف الحزب من الإنجليز :

كان صدقي يرى بعد ارساء نظامه الجديد الاتفاق مع بريطانيا حول القضية المصرية ، ولكن الحكومة البريطانية رأت ضرورة الاتفاق مع حكومة مصرية تتمتع بثقة الأغلبية فى برلمان منتخب انتخابا حرا وهو ما لا ينطبق على حزب الشعب كما أن السير لامبسون المندوب السامى البريطانى بعد أن درس عشرات الآلاف من الشكاوى التى وصلته من مختلف طبقات الأمة من اضطهاد حكومة صدقي رأى خطورة أن يتم الاتفاق مع حكومة على هذه الحال لأن ذلك يهدد سلامة الامبراطورية البريطانية فى مصر مما دفعه الى التقارب ناحية الوفد (٥٠) .

ومما سبق يتضح فشل حكومة صدقي في ارجام الامة على دستور من صنع السراى ، وعلى الرغم من تزوير الانتخابات والمواقف العدائية العنيفة التى استخدمها حزب الشعب ضد الأحزاب المعارضة فان الشعب اظهر صلابته فى مواجهة هذه الاحداث حتى اضطر الملك فى نهاية الامر الى اعادة دستور ١٩٢٣ .

وخلاصة القول فان مصر وان كان لها دستور ولها نظام يسمى بالديمقراطى فى معظم الفترة من ١٩٢٣ الى ١٩٥٢ فانها لم تحكم بمقتضى الاساليب الدستورية بالمعنى الوارد فى الدستور ، ولا بمقتضى المبادئ الديمقراطية الغربية المتمثلة فى حرية الراى ويرجع السبب فى ذلك الى المساك انذى سلكته الأحزاب فى سعيها الى تحقيق استقلال مصر فاقبلوا الاول الذى شكل برئاسة سعد زغلول كان يخضع لكلمة ذلك انزعيم الذى اكسبته معارضته الطويلة وتضحياته الكثيرة سلطة عظيمة فكانت الحكومة فى واقع امرها مطلقة وتحت تصرف سعد زغلول ، ثم تلت ذلك حكومة ادارية برئاسة احمد زيور باشا تكونت بعد مقتل السردار وانشاءها تعطل الدستور ، وكان المنتظر بعد اعادة البرلمان ان يتم تحقيق الاغراض التى روى اليها بناء الدستور ، ولكن وفاة سعد زغلول اعقبه فترة انتظار ، ووجدت البلاد نفسها مضطرة الى الاصلاح الداخلى ثم تكونت حكومة الائتلاف ، ولكن اتضح ان زعماء الاكثية فى الائتلاف من النواب والشيوخ لم يدركوا تماما الفرق بين التهبيج السياسى والعمل الوطنى بمعنى ان البلاد لم تتمتع بحكومة برلمانية بل كانت تتحكم فيها لجنة دكتاتورية ، وهى اللجنة التنفيذية البرلمانية للحزب الوفدى ، وكان النواب لا هم لهم سوى مضايقة الوزراء والتدخل فى أعمالهم حتى لو كان هذا العمل فى دور التنفيذ والتوسط لدى الوزراء ومرعوسيهيم يضاف الى ذلك ان آثار الانقسام بين الأحزاب انتقلت الى دوائر الحكومة مما ادى الى افساد نظام العمل وتعريض مصالح الجمهور للعسف والعبث ، ومن نشر القلق والاضطراب بين الموظفين لدرجة انه بوصول حزب المعارضة الى الحكم يتم تشتيت الموظفين من انصار الحكم السابق وتشريدهم وانتهى الامر بان اصبحت الحياة النيابية مصدر تطفيان غثة على اخرى<sup>(٥١)</sup>. واصبح النظام الحزبى فى مصر

نظام ضار لا يقوم على أسس سليمة خاصة وإن الهدف الأول لكل حزب من هذه الأحزاب أن يصل إلى كراسى الحكم وإن يكيد لأحزاب المعارضة دون اعتبار للصالح الوطنية ولا مراجعة لضمير . يضاف إلى ذلك أن معظم هذه الأحزاب كانت تعتمد على زعيم أكثر من اعتمادها على البرامج مبدأ كما كانت تعتمد على الشعارات أكثر من اعتمادها على البرامج المدروسة .

### ٥ - المرأة المصرية والتعليم الجامعي (٥٢)

بعد أن افتتحت الجامعة المصرية رسمياً في ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ رأى بعض القائلين على أهمها ضرورة الأخذ بيد المرأة المصرية والارتقاء بها ادبياً وعلمياً ، ومن أجل ذلك خصصت الجامعة ابتداء من العام الثاني من افتتاحها محاضرات خاصة بالسيدات تشمل تاريخ المرأة على مر العصور ، وبالرغم من الحذر الشديد في اتخاذ هذه الخطوة خشية غضب المحافظين على التقاليد ، ومفاجأة الرأي العام بشيء لم يستعد له فإن بعض الصحف المصرية باركت ذلك الاتجاه وهللت له وشجعت على دراسة العلوم النسائية للنساء موضحة أن النساء المصريات في حاجة كبيرة إلى من يصلح أفكارهن ويقوم اعوجاجهن ويرفع عنهن غشاوة الجهل فطالبت جريدة « الظاهر » بإنشاء جامعة للنساء حتى يتعامل ما لهن وما عليهن فقاللت « نريدهن متعلمات عارفات بكل ما يجب لهن وعليهن بارعات في تدبير المنزل والنظر في شئون أطفالهن ، فمن شاء إصلاح مصر وترقيتها حقيقة فليجهز معنا بضرورة لزوم جامعة للنساء يتعلمن فيها علم تدبير المنزل وتربية الأولاد (٥٣) رقد أيدت اللواء ذلك فطالبت بإنشاء جامعة للنساء موضحة أن إصلاح البلاد لا يتم بدون انشاء مثل هذه الجامعة (٥٤) .

ولا يعنى هذا أن اللواء في مناداتها بإنشاء جامعة للنساء قد تراجعت عما نادى به مصطفى كامل بضرورة فرض الحجاب على المرأة ورفضه لفكرة التحرر من قيودها فقد حددت في مناداتها بإنشاء هذه الجامعة أن يقتصر التعليم على ما يساعد المرأة في تدبير شئون منزلها وتربية أولادها وتهذيب أخلاقها ليتكون منها أمهات المستقبل .

ونتيجة لتشجيع بعض الصحف للجامعة الوليدة على السير في خطاها نحو تعليم المرأة قررت الجامعة انشاء قسم نسائي بها اقتصر التدريس فيه اول الامر على محاضرات في علم نفس المرأة والفلسفة والتربية واثار تاريخ وبعض الموضوعات العصرية هذا بالاضافة الى تدريس بعض الموضوعات الاساسية في علم الصحة والطب (٥٥) .

ولما كانت الدراسة بالجامعة للرجال في المساء فقد رأت الجامعة ان تكون الدراسة بها للنساء في الصباح حرصا على تجنب التلاقى بين الجنسين داخل أروقتها .

وعلى الرغم من تعنت التقاليد وشدتها في ذلك الوقت فانه يتضح من وثائق الجامعة الاهلية ان عدد النساء اللاتي خاطرن بدخول الجامعة في عام ١٩١٠ كان ستة وثمانين قيد جميعهن كطالبات مستدمات وكان عدد المصريات منهن خبسا وثلاثين أما الباقي فكان من جنسيات مختلفة ، واذا قسنا ذلك العدد بعدد الرجال فاننا نجد ان عدد الرجال المتدربين بالجامعة في نفس هذه السنة كان ثلثائة وسبعة عشر طالبا أي ان عدد الطالبات بالنسبة لعدد الطلبة كانت تزيد نسبته عن الربع وهذه نسبة ليست بالقليلة اذا نظرنا اليها في ضوء تقاليد ذلك العصر . وقد يدفعنا ذلك الى ان نتساءل عن نوعية النساء المصريات اللاتي حضرن الى الجامعة في ذلك الوقت للاستماع الى محاضراتها الواقع ان المواظبات منهن على حضور تلك المحاضرات كن من عقائل البيوتات المصرية ومنهن هدى شعراوي وصفية زغلول وفاطمة عمر شقيقة عبد العزيز باشا فهمي ، هذا بالاضافة الى عيالات وكريسات بعض الباشيرات امثال ارتين وقطاوى ورشدى وذو الفقار ولم تكن هؤلاء كل من التحقن بالجامعة مستدمات من بنات مصر بل كانت هناك معهن اميرات من الاسرة المالكة امثال فاطمة فاضل وعين الحياة (٥٦) .

وقد وصفت احدى النساء حضور المستدمات الى مبنى الجامعة « وقالت » تقاطرت العربات والسيارات مقلدة كرائم السيدات وعوائل البيوتات، وكانت وجهة هذا الجمع الرقيق من الجنس اللطيف سراى الجامعة المصرية فدخلن زرافات ووجدانا الى البهو العظيم المعد لمحاضرة السيدات (٥٧) .

هذا عن المستمعات من الطالبات أما عن المحاضرين فقد كان معظمهم من السيدات وذلك حتى لا تضطر المستمعات الى وضع الحجاب داخل قاعة الدرس وقد حاضروا في هذا القسم النسائي نبوية موسى ناظرة المعلمات بالمنصورة وتركزت محاضراتها في مجال تاريخ مصر الحديث وما يسود العالم من علوم عصرية ولبية هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق وقد تحدثت عن التربية والأخلاق واثريها في حياة الأمم وطالبت بايجاد الوسائل اللازمة لتحسين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد الآداب الصحيحة حتى اذا أصبحن أمهات ادركن ما عليهن من خطر الواجبات (٥٨) .

وحاضرت رحمة صرروف في شؤون التدبير المنزلى ، وحاضرت ملك حنفى ناصف ( باحثة البادية ) في حقوق المرأة وواجباتها وموقف الاسلام من ذلك ، كما حاضرت في موضوعات تدور حول « المقارنة بين المراتين المصرية والغربية وعاداتهما » وكانت تلقى على مستمعيها النصائح وتبين للحاضرات سوء العادات ومضار الخرافات ومن ذلك ما ذكرته من أن المرأة الغربية تقوم بتغذية طفلها غذاء حقيقيا سريع الهضم . وتحفظ عليه من موجات البرد والحر نجد المصرية تطعمه أثقل الغذاء وتبادر باعطائه اللحم وما يتعذر هضمه فيصاب بالإسهال والنزلات المعوية ، ولا تكثر لنظافة جسده لئلا يحسده أحد ، وإذا مرض تم علاجه بالتعاويذ والتهايم ، كما تحدثت عن الزار فقالت انه ابو الخرافات ومفسد البيوت ، وانها لا تدري لماذا اختارتنا العفاريت سكنا لها ، وتسبغت لماذا لم تلجأ الى ارسطو وابن رشد وفيثاغورث وغيرهم بدلا من أن تلجأ الى انشيخة رمانة وسعيفة ويوسف مرتع وغيرهم ممن لا يطلبون الا الخلاخيل والمصوغات وأوضحت كذلك أن كثيرات من المصريات ادعين ركوب العفاريت اياهن ، ولما ضربهن رجالهن بسبب ذلك لم تعد اليهن العفاريت ولم يطلبن الزار (٥٩) .

واشترك في القاء هذه المحاضرات أيضا بعض الاجنبيات مثل الأنسة كوفروور المدرسة بمدرسة راسين ببباريس واقتصرت نسي محاضراتها على علم النفس والأخلاق (٦٠) كما كان يلقى بعض الاطباء من المصريين والأوربيين محاضرات في حفظ الصحة والعناية بالأطفال (٦١) .

ولم يقتصر نظام الدراسة بالقسم النسائي على ذلك بل أخذ يتطور بتطور نظام الجامعة وبرامج التدريس فيها ففي عام ١٩١٢ أصبحت الدراسة بهذا القسم تشتمل على محاضرات في التربية وعادات المصريين وتأثير الإسلام فيها ودولة الممالك ، وحروب فرنسا ، وأشهر النساء في التاريخ ، وعلم التدبير المنزلى والتدابير الصحية واختيار المنزل وإثاقه والحياة الزوجية وسعادة الأسرة والآداب المنزلية والأخلاق (٦٣) .

وعند مقارنتنا لهذا البرنامج ببرنامج التدريس الذى سبقه يتضح أن كلا من البرنامجين ركز على الاهتمام بمواد تهتم حياة المرأة الزوجية والمنزلية والأسرية أكثر من غيرها ، وربما كان يرجع هذا الى أنه لم يكن يتطرق الى ذهن أحد في ذلك الوقت قيام المرأة المصرية بالعمل بالمصالح كالرجال بل يقتصر دورها على تدبير شؤون المنزل ، وتهذيب الأولاد .

وعلى الرغم من اقبال بعض السيدات والآنسات عن حضور هذه الدراسات في الجامعة فإن الرجال المتسكين بالتقاليد منعوا زوجاتهم وإقاربهم من حضور هذه المحاضرات ويتضح ذلك من مناقشة بعض النساء على صفحات الجرائد دون أن يذكرن أسماءهن الرجال إلا يمنعن زوجاتهم وأخواتهم ويناتهن من حضور المحاضرات بالجامعة (٦٣) .

والجدير بالذكر أن انشاء القسم النسائي بالجامعة قد أثار ثائرة بعض المحافظين فبالرغم من أن معظم المحاضرات كانت تلقىها نساء ، وكانت تتركز على التربية المنزلية والحياة الأسرية فقد تجمع بعض الرجال أمام الجامعة للتعرض للنساء ومنعهن من الدخول لأن ذلك سيؤدى من وجهة نظرهم الى خروجهن على الآداب ، ويرفع عنهن صفة العفاف التى تتحلى بها كل قابعة بالمنزل ، وعندما أرسل عبد العزيز فهمى سكرتير الجامعة خطابات الى نساء الطبقة الواعية يدعوهم للحضور اعتبر بعض الفيورين على الأخلاق العامة وجود أسماء نسائية على أطراف الخطابات ، فإرها رجل البريد بمهابة عار يلحق بسمعتهم ومن الفضائح الكبرى التى لا يحصوها إلا الدم ، فارسلوا



خطابات تهديد بالقتل الى عبد العزيز فهمى اذا لم يكف عن هذا العمل (٦٤) .

وعلى كل حال فانه نتيجة لحضور بعض النساء المحاضرات فى الجامعة حدثت مناظرات فكرية على صفحات الجرائد بين معارض تعليم المرأة ومؤيديه وتصارعت الافكار بينهما فذكر المعارضون أن البلاد فى حاجة الى امراة تحمل ولدها على كتفها لا أن تصدر الاوامر بقتلها وتدير الشؤون العامة فى الدواوين (٦٥) .

وانهما من يوم أن تولد الى يوم أن تموت تنقل من رعاية رجل الى رعاية آخر لان الرجال قوامون على النساء شرعا كما صور بعض هؤلاء للمرأة جمال خدرها وضرورة الاستقرار فيه (٦٦) ورأى بعضهم الآخر أن سبب شقاء الجنس البشرى حواء التى اغوت آدم (٦٧) ، ولم تقتصر معارضة تعليم المرأة على الكتاب بل عارضه ايضا امير الشعراء فقد شبه احمد شوقي المرأة المصرية بالطير من حيث ضعفها وتقيدها بمشيمة الرجل ، وانه يجب على النساء التمسك بالحجاب صونا لعفائهن وذلك فى قصيدته الموسومة بين الحجاب والسفور فأوضح لهن فى شخص عصفور الكناريا أنهن محجوبات منحبيسات لنفاستهن والخوف عليهن من عاديات الخارج وضرب لهن الأمثال للتحريض على الخضوع للرجل فقال (٦٨)

صداح يا ملك الكنار	ويا امير البلببل
حرصى عليك هوى	ومن يحرز ثميننا بيخل
شهد الحياة مثوبة	بالرق مثل الحنظل
ان طمرت عن كنفى	وقعت على النسر مثل الجهل (٦٩)

وقد ردت احدى النساء على هذه القصيدة معاتبة امير الشعراء فقالت حكمت على ايها الشاعر بالامر ونصحتنى بالصبر ولم تدبر انى فقدت كل صبر فى حبسك اياى بدون داع فلم يعد لى شعور ولا ادراك بعد أن اغتصب منى حقى الطبيعى الذى دونه قتل النفس وازهاق الارواح ايها الشاعر نسبت حالى الى هذه الطبيعة ، وما هى الا نتائج حبك لاسرى . اسرتنى لاهرك ، احزنتنى لامحرك . اناشدك الحق هل

سمعت نحيبى داخل القفص وهل راتك منظرى مكبلا بظلك السلاسل الحديدية (٧٠) .

وعلى كل حال فان أمر مهاجمة سفور المرأة لم يقتصر على الرجال بل أيد ذلك بعض النساء حتى اثنائى أصبح لهن بعد ذلك شأن فى مجال التعليم الجامعى ومن هؤلاء الدكتورة عائشة عبد الرحمن فقد ذكرت فى بداية عهدها بالكتابة عن انطباعاتها عن نساء القاهرة عندما راتهن لأول مرة فى مقال تخيلت فيه انها تخاطب صديقة لها فتقول « ستذهبن الى القاهرة وتدخلن فى دنيا جديدة وتشعرين بحال غريبة فتشور فى نفسك ثورات كامنة لا عهد لك بها اذ تجدن الفتيات عاريات الا ما يستر عوراتهن وستريهن فى حالة مهيجة قبيحة يمشين كاسيات عاريات ضاحكات ساخرات ، كانهن بين جدران مخادعهن أو من وراء ستار » (٧١) .

أما مؤيدو تعليم المرأة فقد ذكروا ان انحطاط المرأة المصرية يعتبر دايلا على انحطاط الرجل ، وان المرأة خلقت مساوية للرجل فى كل شئ وأنه يجب ان تنال من الحقوق ما يناله الرجال تماما (٧٢) .

وعلى كل حال فقد ادى احتجاج المعارضين لحركة التجديد وكانوا فى ذلك الوقت قوة لا يستهان بها ، الى ايقاف التدريس بالفرع النسائى بالجامعة خلال العام الدراسى ١٩١٢ — ١٩١٣ (٧٣) ظل الحال على هذا المنوال فترة طاللت الى ما بعد ان أصبحت الجامعة المصرية تابعة للحكومة فعلى الرغم من حصول بعض الفتيات على البكالوريا التى تؤهلهن للالتحاق بالجامعة فان الطريق كان شائكا وأبواب الجامعة كانت مغلقة فى وجوههن ولولا مساندة بعض قادة الفكر من الرجال فى ذلك الوقت لمثل أحمد لطفى السيد وطه حسين لما تحققت للمرأة فرصة التعليم الجامعى وتفاسيل ذلك ان بعض الفتيات لجأن الى لطفى السيد مدير الجامعة يطلبن مساواتهن بالرجال فى التعليم الجامعى ، وان بعض عمداء الكليات واساتذتها طلبوا ان تقبل الفتيات الحائزات على البكالوريا فى كلياتهم وكان طه حسين هو أول من عرض على لطفى السيد قبول الطالبات فى الجامعة ، وحين سأل لطفى السيد هل قانون الجامعة يمنع دخول البنات أجابه بأن القانون يقول ان الجامعة للمصريين ولم يحسد

النوع<sup>(٧٤)</sup> يضاف الى ذلك ان بعض الصحف طابعت بضرورة ان يشمل التعليم الجامعى الفتيات ولكن الموقف لم يكن سهلاً فقد كانت هذه المسألة شائكة خصوصاً وان انصار هذا الرأى بالنسبة للرأى العام ككل كانوا قلة وكان الأمر يستلزم التريث والقرار التكتم وعدم مناقشته او عرضه على الرأى العام حتى لا يثور المتزمتون ويتعقد الموقف ، وفي غفلة من هؤلاء وضعت الجامعة الرأى العام والحكومة أمام الأمر الواقع عندما فتحت كلية الآداب أبوابها للطالبات ودخلتها أربعة هن سهر القماوى وفاطمة سالم سيف ، وفاطمة فهمى خليل ، وزهيره عبد العزيز .

ويتضح ذلك فيما كتبه لطفى السيد في مذكراته اذ يقول لا أخفى أننا قبلنا الطالبات اعضاء فى الاسرة الجامعية فى غفلة من الذين من شأنهم ان ينكروا علينا اختلاط الشباب باخواتهن فى الدرس<sup>(٧٥)</sup>

وعلى كل حال فان هذا الاجراء كان بمثابة ثورة فكرية وتعليمية احدثت ضجة شديدة فى اوساط المحافظين ولكن سنة التطور الاجتماعى كانت فوق هذه الضجة التى كانت سحابة صيف لم تلبث ان ذهب بها الزمان واصبحت فى خبر كان .

فسارت كليات الحقوق والعلوم والطب — وكانت هى الكليات التى تضمها الجامعة فى ذلك الوقت — على منوال كلية الآداب فوافقت كل منها على قبول الطالبات فدخلت الحقوق الطالبة نعيمة الايوبى أما كلية العلوم فقد التحقت بها ثمانية طالبات منهن نفيسة سماعة وعائدة انطون والتحقت بكلية الطب أربع طالبات هن نفيسة محمد ، وفاطمة حسن ، وزينب ابراهيم ، وحكمت البدرى ومع ان التحاق الطالبات بهذه الكليات كان أمراً طبيعياً الا انه اثار الكثير من النقاش والجدل داخل الجامعة وخارجها وقد فقدت المرأة معضديها داخل الجامعة نتيجة لاقالة الدكتور طه حسين من عمادة كلية الآداب فى عهد وزارة صدقى<sup>(٧٦)</sup> ثم تقديم لطفى السيد استقالته من منصبه كمدير للجامعة عام ١٩٣٢ احتجاجاً على تدخل السلطات فى شئون الجامعة بنقلها طه حسين الى وظيفة خارج الجامعة على غير ارادتها وقد يعزى الى ذلك تأخر

دخول الفتيات للكليات الأخرى بعض الوقت فقد ظلت كلية الهندسة والزراعة ممتنعين عن قبول الفتيات فترة وسارت على هذا المنوال كلية التجارة ولكن لم تلبث البيظلة الزاحفة أن طفت على الأفكار القديمة غزت المرأة تلك الحصون التي كان يحتكرها الرجل ففتحت أبواب هذه الكليات للطالبات ، فدخلنها واستطعن أن يحصلن على نتائج تبعث على التساؤل وتدرجيا ضمت كليات الجامعة الفتيات ، ولم يتأخر نسي ذلك سوى كلية دار العلوم التي لم تفتح أبوابها للفتيات إلا في العمام الدراسي ١٩٥٣/١٩٥٤ أى بعد ضمها الى جامعة القاهرة .

والى جانب اتاحة التعليم العالى للفتاة بجميع صوره وتخصصاته رؤى ضرورة توافر نوعية معينة من التعليم الجامعى تفى باحتياجات الاسر المحافظة التي لا ترغب فى اختلاط بناتها مع الشبان ومن هذا انشئت كلية البنات عام ١٩٥٠ واصبحت احدى كليات جامعة عين شمس عام ١٩٥٦ وكانت قبلا معهد التربية للمعلمات وفى العمام الدراسي ١٩٦٢/٦٣ انشئت كلية البنات الاسلامية جامعة الازهر وبذلك دخلت المرأة مجالا جديدا من التعليم العالى والتعليم الدينى (٧٣) .

واخذ عدد الطالبات اللاتى يلتحقن بالجامعة فى التزايد فبعد ان كان عددهن فى عام ١٩٢٩ وهى السنة التى قدر لهن فيها السماح بدخول الجامعة سبعة عشر طالبة تجاوز الان ١٣٨ الف طالبة .

وبعد ان كان عدد الملتحقات بالجامعة فى عام ١٩٢٩ ثمانية بكلية العلوم واربعة بكلية الآداب ، واربعة بكلية الطب وطالبة واحدة بكلية الحقوق أصبح عددهن فى كليات الآداب فقط حتى عام ١٩٧٩ ٢٤ الف طالبة (٧٨) .

ومن اختلاط الطالبات بالطلبة داخل الجامعة فقد تحاشت الطالبات فى أول دخولهن الجامعة أى صلاة تربطهن بالطالبة ، ودخلن قاعات المحاضرات مغطيات الرؤوس وأمتنعن عن الاقتراب من الأماكن التى يتواجد فيها الطلاب وتجاهلن التحيات الموجهة اليهن ، ورفضن الاشتراك فى مناقشة الاساتذة خلال الدرس ، وقد حاول الدكتور طه حسين

أثناء عيادته لكلية الآداب تشجيع الاختلاط بين الطالبات والطلبة وفى الحفل الذى اقامته الكلية فى نادى الجامعة بمناسبة النجاح الذى احرزه مشروع القرش فى فبراير ١٩٣٢ نشرت جريدة الأهرام صورة تظهر طالبة انكلية حول عميدهم طه حسين وقد جلست كل طالبة بجانب طالب<sup>(٧٩)</sup> مما اثار الرأى العام وتوتر موقفه من الجامعة اكثر مما كان محفل أحد أعضاء مجلس النواب حملة شديدة فى البرلمان ضد د. طه حسين وموقفه من هذا الاختلاط وعلى كل حال فان رهبة الطالبات من الاختلاط بزملائهم الطلاب لم تستمر طويلا ففى اول محنة تعرض لها استقلال الجامعة بفصل الدكتور طه حسين على غير ارادته من الجامعة خرجت الطالبات من عزلتهن وثرن مع الثائرين ، وارتفعت أصواتهن لأول مرة تخطب وتحبس وتدعو الى النضال انتقاذا لاستقلال الجامعة من تلاعب الأهواء<sup>(٨٠)</sup> وكان اشتراكهن فى المظاهرات دافعا لزيادة حماس الطلاب ، كما ظهرت لدى بعض الطالبات القدرة على اقتناع زملائهن الطلبة للعدول عن بعض المواقف ويكفى للتدليل على ذلك انه فى أثناء الاضراب نادى عميد الحقوق الطالبة نعيمة الايوبى ودعاها الى اقتناع زملائها بوقف الاضراب والعمل على اعادة النظام فعادت الأمور الى نصابها .

وبدأت طالبات الجامعة يتطلعن الى المزيد من الحرية فمارسن الألعاب الرياضية خصوصا لعبة التنس وبدأ ذلك فى كلية الآداب عندما ظهرت طالبة فى ملعب التنس .

ورغم ثورة الرأى العام على هذه الحرية التى اتاحت لفتاة الجامعة ، ورغم الاحتجاجات الشديدة التى وصل مداها الى القصر الملكى<sup>(٨١)</sup> بخصوص ممارسة الطالبات للألعاب الرياضية فى الجامعة فقد استمرت المسيرة النسائية نحو المزيد من الحرية فاخذت ملاعب الجامعة تكثف بالطالبات من مختلف الكليات ، ولم يقتصر ذلك على التنس بل تطرق الى كرة السلة وغيرها من الألعاب .

ورغم كل ذلك فقد كانت بعض الطالبات يحسبن الف حسابا لمعارضى تحررهن داخل الجامعة ويتضح ذلك فى تأخر دخولهن اتحاد

الطلاب بالجامعة ، فبالرغم من أن هذا الانتصاد منح حق العضوية للطلّابات الا أنّهن لم يرشحن أنفسهن في عام ١٩٣١ رغم تشجيع البعض لهن ، وقد امرت إحدى الطالّابات عن سبب ذلك بقولها « انى أجد فى ذلك مجازفة كبرى لما تكنه قلوب المعارضين من تهكم وسخرية (٨٢) » .

ولكن هذه الرهبة لم تستمر طويلا فقد شاركت الطالّابات الطلاب فى انشطتهم الاجتماعية فعندما انشئت جماعة النهضة الاجتماعية فى كلية العلوم عام ١٩٣٧ بهدف جمع التبرعات من الطلاب الاغنياء وتوزيعها على زملائهم الفقراء واقامت سوق خيرية فى الجامعة من اجل هذا الغرض قيامت الطالّابات بعرض اشغال من صنعهن فى هذه السوق وساعمن فى جمع التبرعات من الآخرين .

يضاف الى ذلك قيام انفتيات بالاشتراك فى المناظرات والمحاضرات التى اقيمت داخل وخارج الجامعة .

وعلى كل حال فقد أدى دخول الفتاة المصرية الجامعة الى اثبات وجودها ، وبأنها لا تقل قدرة وكفاءة عن الفتاة الأوروبية ، كما أنّها لا تقل ذكاء ومقدرة عن الرجل .

وفى عام ١٩٣٣ تخرجت أول دفعة من طالبات الجامعة المصرية وكانت مكونة من نعيمة الايوبى من كلية الحقوق وسهير القلماوى ، وغاطمة سالم ، وغاطمة خليل من كلية الآداب ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن كلية الآداب ضمت ثلاثة منهن نواة لاءضاء هيئة التدريس بها وهن سهير القلماوى فى اللغة العربية ودرية فهيم للانجليزية وغاطمة سالم للدراسات القديمة (٨٣) .

وقد اثبتت خريجات الجامعة من الفتيات القدرة على منافسة الرجال فى الحصول على الدرجات العالية وتولى المناصب الأكاديمية فى الجامعة نفسها ، وإذا نظرنا الى المكانة التى تحتلها المرأة فى الجامعة حاليا يتضح أنّها تشغل جميع المناصب الأكاديمية فيها على اختلاف أنواعها ابتداء من وظيفة معيد الى رئيس قسم ومعيد .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل واكبه ايضاً الفتيات المصريات في بعثات إلى الخارج للتأهيل في التخصصات غير المتوافرة في الجامعات ، وكذلك التخصصات العالية التي تؤهلن للتدريس في الجامعات الى جانب التأهيل اللغوى في اللغات الانجليزية والفرنسية لاعداد مدرسات وبنيات يحلن محل الاجنبيات<sup>(٨٤)</sup> .

ويعد أن اثبتت الفتاة الجامعية مقدرتها على المساواة بالرجل كان عليها أن تواجه معركة أخرى وهى الحصول على وظيفة والخروج الى معترك الحياة العملية ولكن بعض العائلات استنكرت ذلك ورات أنه من الخير للفتاة الجامعية الا تزج بنفسها في ميدان العمل من غير تسليح ولا استعداد وأنه من الأفضل بعد تخرجها الاستفادة بها بتزويجها لتكون نواة صالحة للبيت المصرى الحديث<sup>(٨٥)</sup> خصوصاً وإن مشكلة المتعلمين المتعطلين ستزداد سوءاً اذا ما شاركت الفتاة الرجل فى الحياة العامة<sup>(٨٦)</sup> .

يضاف الى ذلك أن المعارضين لسفور المرأة وخروجها الى مجال العمل قاموا بحملة شديدة لوقف تيار حصول المرأة على وظيفة وأتبع بعضهم فى ذلك الأسلوب اللاذع الذى يستنهض همم الرجال ويدفعهم الى معارضة تشغيل النساء ونقططف فى هذا المقام بعض ما جاء فى مجلة كل شيء والدنيا فى يوليو ١٩٣٢ فاعلا توقيع فضولى ذكرت هذه الابيات

حلقت رجالكم اللص  
والآن ترتزق النساء  
لما علا أمر النساء  
وتأكلون بلا عناء  
فليحلق موسى الثوارب  
انها منكم براء<sup>(٨٧)</sup>

وبالرغم من كل ذلك فقد كان هناك رأى آخر يرى أنه لا مانع من اشتغال الفتاة بعد تخرجها لتجاهد بجانب الرجل فيستفيد منها المجتمع أكثر من ركونها الى الحياة المنزلية لأنه لا معنى أن تعد الفتاة للحياة ، ثم تحرم من العمل بعد هذا الاعداد<sup>(٨٩)</sup> .

وتحفظ البعض نحو هذا الموضوع من رأى توجيه الفتيات بعد تخرجهن الى الأعمال التى تتناسب مع قدراتهن والتي يختلفن فيها عن

الرجال<sup>(٩٠)</sup> وأخيرا رجحت كلمة المؤيدين لدخول المرأة مجال العمل فعندما رغبت نعيمة الايوبى اولى خريجات كلية الحقوق في العمل بالمحاماة ترددت لجنة قبول المحامين في الموافقة على قيد اسمها في أول الأمر ، ثم انتهى الخلاف بين اعضائها بانتصار جبهة المؤيدين لقبولها وعلى كل حال فالملاحظ أن الذى دافع عن المرأة المصرية وتعليمها الجامعى ثم خروجها الى مجال العمل ومساواتها بالرجل كان الرجال لا النساء أصحاب الشأن في هذا الموضوع ويبدو ذلك واضحا من الالتباسات التى قدمت الى القصر الملكى والتى يعرب فيها أصحابها عن استيائهم من المحاضرات التى يلقيها بعض الرجال مثل محمود عزمى افندى والدكتور ميخائيل غرج ومحمد توفيق دياب ، داخل انحرى الجامعى ، ودعوتهم فيها للسواوة بين المرأة والرجل وعلى كل حال فانه بمضى الوقت دخلت المرأة مجال العمل ، وعملت في جميع الوظائف العامة واصبحتنا نسمع عن اسماء مصريات برزن في كافة ميادين الحياة حتى وصلن الى منصب الوزارة .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل خروج المرأة الى مجال العمل يحكم حركة التطور والانتقال التى يمر بها المجتمع قد اثر على شخصيتها الاجتماعية ايجابا ام سلبا ؟

لقد اظهرت دراسة نفسية اجتماعية حديثة ان خروج المرأة الى مجال العمل برغم ما قد يترتب عليه من آثار سلبية على اداؤها كزوجة وكأم اى على ادوارها التقليدية كانتى فانه قد اضاف ادوارا جديدة الى ادوارها السابقة فادى الى انضاج شخصيتها ، وزاد من ثققتها في نفسها واكسبها قدرا من المرونة وحسن التصرف في المواقف الاجتماعية اتي تتعرض لها يضاف الى ذلك انه كلما زاد مستوى التعليم عند المرأة زادت قدرتها على التخلص من الآثار السلبية لخروجها الى العمل ومكنها من التخلص من آثار الصراع الذى ينشأ لديها نتيجة لادوارها المتعددة خاصة في ظل ظروف مجتمع يمر بمرحلة انتقالية كمجتمعنا<sup>(٩١)</sup> .

وهكذا اسهم التعليم الجامعى في اعداد المرأة المصرية اعدادا اتاح لها الخوض في كافة مناحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في



مصر والتجاوب مع حركة تجديد المجتمع والتفاعل معها ، ولكن يجب أن يعترف النساء بأن وراء ذلك كانت جهود بعض الرجال الذين وقفوا بجانب المرأة ودافعوا عن حقوقها .

وكذلك استطاعت الجامعة تحويل النصف الآخر من المجتمع إلى قوة مثقبة عاملة ومنتجة في كافة ميادين الحياة ، تساهم فيها يسبو انيه الوطن من مراقى التقدم بين الأمم الناهضة .

## ٦ - بين الأدب والتاريخ

### مجتمع القاهرة من خلال ثلاثة نجيب محفوظ (\*)

تعدد الجوانب في كتابات نجيب محفوظ دفعت بالعديد من المتخصصين خصوصاً الأدباء والفنانين والصحفيين إلى الانكباب على هذه الكتابات ودراستها ، وإبداء الرأي وجهات النظر حولها أما عن المؤرخين وباحثى التاريخ فإنهم لم يتركوا باب هذه الكتابات بالدراسة وأن كان معظمهم قد قرأها وربما كان ذلك لتشككهم في أن المادة الروائية تصلح أساساً لكتابة التاريخ .

والهدف من هذه الدراسة هو تلمس الخيط الذى حاكها نجيب محفوظ في وصفه لمجتمع القاهرة في فترة ما بين الحريين وتسجيله لواقع البيئة المصرية بشقيها الاجتماعى والسياسى ثم محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية :

هل الأدب الروائى يمكن أن يصلح مادة يعتمد عليها في كتابة التاريخ؟ وما هى الخيوط التى يمكن أن يتلمسها المؤرخ في وصف أديب لمجتمعه الذى يكتب عنه ، وهل اعتمد نجيب محفوظ في كتابه رواياته على الدراسات التاريخية الجادة ؟ وهل كان نجيب محفوظ أديباً لطيفة بعينها أم كان أديباً لكل طبقات المجتمع ، وهل قدم نجيب محفوظ في ثلاثيته حلولاً للمشكلات التى طرحها أم تعرض لها دون أن يقدم لها حلولاً .

وقبل أن نتعرض لأطار الثلاثية الاجتماعى والسياسى ينبغى لنا أن نتعرف على كاتبها .

(\*) القى هذا البحث في سمنار كلية البنات جامعة عين شمس في الثلاثاء ١١ ديسمبر ١٩٨٤ .

ولد نجيب محفوظ في حي الحسين أكثر أحياء القاهرة شعبية في عام ١٩١٢ من أسرة متوسطة لا تتمتع بشيء من الثراء ، ولم يكن لها سوى الدخل المحدود الذى يعبود على ربها من عمله وعائش هذه البيئة ، وعاصر مشاكلها ، واهتم بقراءة الروايات البوليسية في مراحل حياته الأولى ، ودرس الفلسفة في المرحلة الجامعية بكلية الآداب حتى تخرج منها في عام ١٩٣٤ ثم أخذ يحتطب بنفسه ثقافته الحرة فأكثر من الاطلاع على انتاج رواد الأدب في مصر ، وتأثر بشكل خاص بكتابات سلامة موسى ، ثم واصل قراءاته للاداب الأجنبية واطلع من خلالها على مناهج كتابة الرواية المختلفة <sup>(٩٤)</sup> مما كان له أكبر الأثر في ثقافته الفنية انتهى اعلمته على كتابة الرواية بالمستوى الرفيع الذى بلغته وشهد له به معظم نقاد الادب العربى الحديث وغيرهم يضاف الى ذلك انه ظل مفرما بقراءة التاريخ المصرى والاستعانة به في كتابة رواياته ، وقد يرجع ذلك الى تأثيره بالتيار القومى الذى اتجه المثقون المصريون الى احيائه كرد فعل لتفغل الثقافة الأوربية والاحتلال البريطانى ، وربما يرجع أيضا الى انه عاصر في فترة شبابه الاكتشافات الهامة للعديد من الآثار الفرعونية . والثلاثية باجزائها انتهى نجيب محفوظ من كتابتها قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو بثلاثة شهور ، وكانت حين دفع بها الى المطبعة في المرة الاولى عبارة عن رواية واحدة في مجلد واحد غير أن اعتراض الناشر على ضخمتها واقتراحه بتقسيمها جعل نجيب محفوظ يقسمها الى ثلاثة أجزاء .

وهكذا ظهرت الرواية ثلاثية مكونة من بين القصيرين ، وقصر الشوق ، والسكرية <sup>(٩٥)</sup> .

وعن الفترة الزمنية التي شملتها أجزاء الثلاثية يتضح انها شملت ثلاث فترات منفصلة فرواية بين القصيرين جرت حوادثها بين اكتوبر ١٩١٧ الى ابريل ١٩١٩ ، ورواية قصر الشوق وقعت أحداثها من يوليو ١٩٢٤ الى ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ أما عن رواية السكرية فقد جرت حوادثها ما بين يناير ١٩٣٥ الى صيف ١٩٤٤ .

وقد اعتمد نجيب محفوظ في كتابة ثلاثيته على ذاكرته التي اختزن

تلك الاحداث ابان طفولته ، وعلى اقبال شهود عيان هذه انفتحات ،  
هذا بالاضافة الى رجوعه الى بعض الصحف .

والثلاثية في مجموعها تنتمى الى ادب القضايا الفكرية الذى يبلور  
قضية او أزمة معينة ، يقوم بتجسيدها أكثر مما يستهدف تحليلها<sup>(٩٦)</sup>  
وتستند عبر السياق على ادلة اجتماعية وبراهين تاريخية تانى فى شأيا  
الرواية وتؤدى وظيبتها ، وتقحم نفسها على اهتمام القارئ دون أن  
تمنعه من مواصلة قراءته الادبية .

ومحور الثلاثية يدور حول أسرة مصرية من طبقة محدودة  
تتكون من ستة افراد عاشت فى أحد أحياء القاهرة القديمة المتاخمة  
لمسجد سيدنا الحسين فى شارعى بين القصرين ، وقصر الشوق وحارة  
السكرية عبر ثلاثة اجيال من الآباء والأبناء والاحفاد لكل منهم فكرة  
الخاص ورؤيته للمستقبل .

وللثلاثية وجهان أحدهما يحمل طابعا اجتماعيا تمثل فى تصوير  
الواقع الاجتماعى للقاهرة فى فترة ما بين الحربين من خلال شريحة  
معينة من طبقات المجتمع المصرى ممثلة فى أسرة أحد التجار التى يتوزع  
صراعها فى الحياة بين التمسك بالتقاليد من ناحية التمرد الخفى عليها  
والنطاع الى الحرية فى مختلف اشكالها من ناحية أخرى .

أما الوجه الآخر فيتمثل فى تصوير نجيب محفوظ للاحداث السياسية  
الكبرى فى مصر من جهة ، ولمسار الحركة الوطنية المتمثلة فى ثورة ١٩١٩  
وأهدافها من جهة أخرى .

وليس معنى ذلك أن وجهى الثلاثية الاجتماعى والسياسى منفصلان  
بل كثيرا ما تكون المشكلة السياسية متفرعة من مشكلة اجتماعية  
وبالعكس .

وعن القضايا الاجتماعية التى صورها نجيب محفوظ فى ثلاثيته  
فقد هدف منها الى رصد حركة المجتمع المصرى من خلال تتبعه لحياة  
أسرة التاجر أحمد عبد الجواد اليومية ، وتفاعلها مع مجتمعها الصغير

من ناحية ، ومع الأحداث السياسية التي مرت بها مصر بين العريين من ناحية أخرى كما صور القضايا التي كانت تشغل اهتمام الطبقة الوسطى ، وتتبع تطور مفاهيمها وقيمها .

فقد تتبع نجيب محفوظ هذه الأسرة من خلال واقع المجتمع المصرى الملىء بالمتناقضات ، ومن خلال التقاليد المتوارثة بمثلها ومشاربها ، ومحاولات الكبار والصغار التمرد عليها ، ولكن بطريق خفى فقدم القاهرة المعزية ، وكأنها عالم تراكمت فيه عادات وتقاليد تحاول فرض نفسها على ساكنيها وتحدد سلوكهم كما صور لنا نماذج من التفكير رسمت صورا للقديم والجديد ، والتقليد والتجديد ، والجمود والتحرر ، والتخلف والتقدم وكان الصراع بين هذه الأطراف هو احدى سمات الحياة والحركة فى الثلاثية .

وعن شخصيات الثلاثية فقد ربطها الكاتب بمحيطها الاجتماعى وبمنظور صور فيه الانسان المصرى تصويرا بارعا حل فى ثناياه ما يدور فى اعماق النفس البشرية من خير وشر ، ومن احساس ومشار متضاربة ، كما صور ما يدور فى واقع مجتمع القاهرة فى النصف الأول من القرن العشرين من عادات وتقاليد تتجاذبها عوامل التجديد من جهة ، وعوامل المحافظة على القديم من جهة أخرى ، قرب الأسرة سى السيد كان مثالا للرجل الشرقى الذى يدير بيته بطريقة استبدادية بينما فى خارج منزله يحيا حياة مختلفة سواء فى دكانه من خلال عالم التجارة او فى مجالس الانس والسهرة والخليلات والعوالم التى يحياها ليلا ، ورغم ذلك فهو يحرص على ان يمسك بزمام أسرته يحركها كما يشاء ويلقى الاحترام الكامل من زوجته واولاده ، ويحاول ان يظهر امامهم بمظهر الجسد والصرامة والاستقامة بالرغم من انه كان صورة للعبث والمجون خارج بيته لدرجة ان ابناءه لم يتعرفوا على وجهه الباسم الا بعد ان دخل احدهم عليه دكانه فجأة فراه يمازح أحد أصدقائه ، ويستمر الأمر على ذلك حتى يكشف أحد الأبناء النقاب عن الجانب الخفى من حياة أبيه حين رآه صدفة من ثقب الباب فى بيت زبيدة العالمة ، وهو يهرج ويضرب بالدف بين الخليلات والأصدقاء ، فتتغير نظرتة الى والده .

وأمانة الزوجة كانت مثالا للمرأة المحببة المطيعة لزوجها والتي تحبه ، وتعتبر نفسها خادمة له ، وتخشى غضبه ، وتحاول تجنب أى مخالفة لرايه ، ومع ذلك يتغلب عليها الجانب الدينى ، وتدفعها نوازع الايمان والشوق لرؤية مسجد الحسين الى القيام بمغامرة خطيرة وخدمة المواقب بزيارتها الحذرة له دون اوامر من زوجها مما كلفها الكثير (٩٧) حيث خرجت من بيت زوجها مطرودة وذهبت الى بيت امها بالخرنفس .

وهكذا صور نجيب محفوظ الصراع بين النوازع ادينية داخل نفس أمينة وبين تمسكها بالتقاليد التى تقضى باطاعة اوامر زوجها ، وتغلب النزعة الدينية على التمسك بالتقاليد .

وعن بنات الأسرة فقد صورهن نجيب محفوظ بالمحجبات المحافظات على التقاليد المتوارثة التى تقضى بالآ تخرج الابنة من بيت ابها الا الى بيت زوجها ، ولا من بيت زوجها الا الى القبر ، ومع ذلك كن يحاولن اختلاس النظر من حين الى آخر من المشربية لمشاهدة ما يحدث فى الشارع ومن يمر به من الشبان .

كما تعرض نجيب محفوظ من خلال هذه الأسرة الى احد التقاليد المتوارثة فى الأسرة المصرية وهى زواج البنات الكبرى قبل الصغرى مصور البنات الكبرى فى غير جمال أختها الصغرى الشقراء ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ان تقدم الخطاب لخطبة الصغرى ، بينما لم يتقدم للكبرى احد منهم مما ادى الى تعطيل امر زواج الصغرى وخيبة املها رغم حبها لضابط البوليس التى كانت تراه ويراه من المشربية ، كما ادى أيضا الى اصابة البنات الكبرى باضطراب فى سلوكها وتعاملها مع افراد أسرتهما مما اثر فى مجرى حياتها لعدم تقدم احد لخطبتها ولا احساسها بابتعاد راغبى الزواج عنها .

اما عن ابناء أسرة عبد الجواد فقد صورهم نجيب محفوظ شأنهم فى ذلك شأن ابناء معظم الأسر المصرية من حيث اختلاف التكوين والمشارب رغم ان الأرضية الاجتماعية التى انبثقتهم واحدة ، فكان منهم الكسبوسول الخامل المحب للهو الذى يقتنع بعمل كتابى فى احدى المدارس الابتدائية

يذهب اليه مكرها ، وفي طريق عودته يعيث ويتفكه اثناء وقوفه عند بائع البسبوسة ، ويشترك في كل شيء مشاركة سلبية بالقلب واللسان دون العمل ، ومنهم الجاد الذى درس الحقوق بشغف ، وتمنى أن يبلغ من التعليم احسنه ، واتخذ من السياسة والوطنية قبلة له تختفى ايامها كل مغريات الحياة ومع ذلك تلتهب عاطفته في حبه الشديد لروم بنت الجيران فيقابلها فوق السطوح ، ويفازلها خلال اللقاء الليلي بينهما ، ومنهم الصبي الصغير الذى يذهب الى المدرسة مكرها وتتناقض افكاره بين الاحاديث التى يسمعا في المدرسة وتلك التى تطرق اذنه من ابيه في المنزل ، ومنهم اليميني الذى يمثل فيه فكر الاخوان المسلمين ، ويجد فيه الطريق للاصلاح ، ومنهم اليسارى الذى يرى في الحل الماركسي السبيل الى الحياة الافضل .

ومن خلال ذلك يبرز نجيب محفوظ تأثير الوراثة على ابناء الأسرة ، فيصور ياسين وقد ورث عن ابيه ازدواجيته في الحياة ، وان كانت بصورة مختلفة ازدواجية الاب كانت مقسمة بين حياته الجادة نى البيت ، وحياة اللهو خارجه ، اما ازدواجية ياسين فبرزت في حرصه على مظهره واناقته رغم اهماله لثيابه الداخلية اهمالا ملحوظا<sup>(٩٨)</sup> بمعنى أن كل منهما كان يختلف في ظاهره عن باطنه كما صورده وقد ورث من امه هنية تلك المرأة اللعوب حبا للملذات ، وسرعة الملل من الزواج ، فبعد أن زوجه والده من زينب ابنة صديقه محمد رفعت سئما قبلها بنتى شهر العسل ، ورجع الى خليلاته مثل نور الجارية وغيرها ، وكانت الفضيحة الكبرى حين ضبطته زوجته متلبسا ، ورغم فداحة هذه الخيبة التى منى بها ياسين في حياته الزوجية ، ورغم نفوره من رتابة هذه الحياة فقد وضعه نجيب محفوظ داخل غلاف الرجل الشرقي الذى يجد في الزواج المستقر والملذ والرعاية ومن هنا فانه لم يفكر لحظة في قطع حياته بزوجه نهائيا .

ومن خلال هذه الأسرة أيضا يتطرق نجيب محفوظ الى عادة الحسد السائدة بين المصريين ، وبخاصة اذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الاولاد فصور اصطحاب احمد عبد الجواد لسنائه

الى مسجد الحسين لتأدية صلاة الجمعة لالتماس البركة ، وخشبة  
الأم من أن تصيب عين الحسود أحدا من ابنائها عند زيارتهم لمسجد  
الحسين بصحبة والدهم وحيرتها بين استحسان زيارة ابنائها للمسجد  
من ناحية ، وخشيتها من أن يحسدهم حاسد ، وتدعو الله أن يقيهم شر  
عين الحسود من ناحية أخرى .

وعن الحب بين الرجل والمرأة ، وعدم تأثيره القوى في هز الفوارق  
الطبقية بين أبناء المجتمع اشارت السكرية الى وقوع احد افراد  
أسرة سى السيد في حب فتاة ارستقراطية تفوقه مالا وجاها ، ولكنها رفضت  
الزواج منه لأن مرتبه يقل عن خمسين جنيتها ، رغم علاقة الحب الملتزمة  
من جانبها تجاهها ، وفضلت عليه ابن المستشار الذى يتفق وطبقتها  
مما جعله يعترف « بأن القلب في أهوائه لا يعرف المبادئ ، وهيهات أن  
تعارض المبادئ الشعبية مع الحب الارستقراطى » يضاف الى ذلك  
أن هذا الفارق كان له أثر بصورة معاكسة في علاقته بسوسن ابنة عامل  
الطباعة ورغم حبه الشديد لها فإن أسرته لم توافق على زواجه منها  
بسبب سهولة ، كما أنها رفضت زواج أخيه من ابنة زبونة العوادة لعدم أهلية  
هذا الزواج .

ورغم هذا التصوير في تأثير الفوارق بين الطبقات بحيث يكون  
لكل طبقة مكانتها في الزواج فإنه من غير المنطقى اطلاق هذا القول على  
علاقة ففوارق الطبقة وفوارق السن أيضا لم تكن وحدها هى التى  
تجعل من الزواج غاية مستحيلة خصوصا اذا تواجد حب متبادل بين  
رجل وامرأة .

فقد كانت التجربة العاطفية بين كمال وعائدة قائمة على طمرين  
متناقضين تماما ، فالجانب العاطفى عند كمال تمثل فى الوفاء والعطاء  
والعشق الرومى (٩٩) أما عائدة فقد كان المطلب الاول عندها هو شغفها  
بأن تكون فتاة احلام كل ما يتصل بها من الشباب ، وشتان ما بين فكر  
كل منهما (١٠٠) .

بهذا التناقض بين ما ترغبه النفس البشرية وما ترهبه صور نجيب  
محفوظ الانسان المصرى تصويرا قال الدكتور طه حسين عن صاحبه

أن نجيب محفوظ « أصبح فقيها بالنفس الانسانية بارعا في تعمقها وتحليلها قادرا على أن يطلع قارئه على أسرارها ودقائقها » (١٠١) .

وحين نرجع الى ما كتبه نجيب محفوظ عن الاسرة المصرية من حيث سيطرة الأب على أسرته ، وخضوع المرأة لزوجها خضوعا كاملا وخشيتها لمخالفة امره ، وارتدائها الحجاب يتضح أنه بالرغم مما نادى به قاسم أمين في كتابه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » حول ضرورة تآير وضع المرأة المصرية ، ودعوته الى السفور ، وبالرغم من الأفكار التى وردت الى مصر حول أن الحرية الشخصية أصبحت حقا لكل انسان ذكرا كان أو أنثى فان الطبقة المصرية الوسطى كانت بصفة خاصة هى المحافظة على التقاليد ، وهى التى ظلت فى معظمها متمسكة بتلابيب الماضى وتخشى الخروج عليه ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا من خلال المعركة بين القديم والجديد ، والصراع بين التراث والموروث ، والنقطة الحضارية التى حدثت فى مصر نجد أن أسرة احمد عبد الجواد فى السكرية تختلف عنها فى بين القصرين ، ففى بين القصرين كانت الشمس والاجرام السماوية ، وليست الساعة هى التى تمثل المواقيت بالنسبة لهذه الاسرة فانفجر يعنى استمرار دقات العجين المرتفعة معلنة يوما جديدا ، كما يعنى استعداد الزوجة لاعداد فطور للاسرة ، والصباح يعنى استعداد الاسرة لاستقبال يوم جديد ، ومغيب الشمس يعنى الخلود الى الراحة وجاوس الاسرة فى مجلس القهوة (١٠٢) .

اما فى السكرية فقد خطت هذه الاسرة خطوات واسعة نحو المدنية لتحديثة فدخلت الكهرباء منزلها ، وسمع المذياع من داخل جدرانها (١٠٣) وانشئت الجامعة ، والتحق بها احفاد أسرة عبد الجواد يضاف الى ذلك أن السيد نفسه افاد من اثر هذه المدنية اثناء مرضه رغم معارضته لها قبل ذلك .

هذا عن بعض ملامح الجانب الاجتماعى فى ثلاثية نجيب محفوظ التى رصدها بوعى وبتوضيح وحساسية شديدة عكست واقع مجتمعنا المتناقض ، وكانت احياء لدينا كاملة من الناس بافكارها وآرائها واحساساتها وتميزاتها ومغامراتها (١٠٤) .



وقد ظهر من ثنايا هذا كله مدى التفسير العميق الذى طرأ على حياة الأسرة المصرية منذ أن صورها نجيب محفوظ فى بين القصرين الى أن انتهى بها فى السسكرية ، كما ظهر مدى الصراع بين الأجيال من ناحية الحفاظ على القيم والتقاليد الموروثة من جهة ، وبين تيسار التجديد وعدم الانفلاق من جهة أخرى ، ولكن هل يعنى هذا أن ادب الثلاثية يمكن اعتباره صورة لتاريخ مصر الاجتماعى فى النصف الأول من القرن العشرين .

الواقع أن الأديب أو الروائى ليس مطالبا بعمق الدرس ولا بدقة التحليل العلمى شأنه فى ذلك شأن المؤرخ الاجتماعى بقدر ما هو مطالب بأن يكون أصيلا فى تعبيره عن العاطفة الاجتماعية ، فنجيب محفوظ اتخذ من الاحداث الاجتماعية مادة وصل عن طريقها الى عيوب ومشاكل المصريين الاجتماعية التى لم ترتفع بفترة روايته بل مازلنا نعانى من بعضها حتى الآن . كما يلاحظ أن نجيب محفوظ فى ثلاثيته لم يقدم حولا لعلاج ما يحيط بواقعنا الاجتماعى من مشاكل ، ولم يرسم طريقا للخلاص منها وإنما أشار بأسلوبه الروائى الى مواطن الضعف ، ومكن المفاسد وأبان العلة وشخص الداء دون أن يوضح ما هو الدواء بل كان هدفه هو ايقاظ الرأى والتفكير والحفز على تحريك الدوافع الانسانية لدى الافراد والهاب شعورهم واذكاء حماسهم نحو ايجاد الطرق الموصلة للإصلاح ، خصوصا وأن التنبيه الى الأحوال الاجتماعية غير المتوازنة يهدف الى واد الشلل الفكرى فى الأمة ، وقد يكون سببا لاستفزاز الشعور والعمل من أجل إعادة التوازن بعد نهم الناس لأخطائهم .

وعن الجانب السياسى فى الثلاثية فيتضح انه سار جنبا الى جنب مع الجانب الاجتماعى ، وإن تعارض معه أحيانا وتشابك معه أحيانا أخرى فمن خلال أسرة أحمد عبد الجواد يتتبع نجيب محفوظ الأحداث السياسية التى مرت بمصر ويربطها بحدوث تاريخية معروفة مثل اعلان الحماية ، و وفاة السلطان حسن كامل ، ونفى سعد زغلول ، وقيام الثورة ، و وفاة سعد ، وعيد الدستور ... الخ . فمن الاغلال الثقيلة التى كبلت الشعب المصرى باعلان الحماية على مصر ١٩١٤ وما آل اليه أمر الناس من ضيق ومعاناة خلال سنوات الحرب وما دار

في خلد هم صور نجيب محفوظ التاجر احمد عبد الجواد في صورة رب الأسرة المستياء من اختفاء السلع ، وارتفاع اسعارها خلال سنوات الحرب ، والذي يلعن جنود الاحتلال الذين يسلبون الأهالي مواردهم ، وفي نفس الوقت يذكرنا بما تردد من رغبة الأهالي على لسان أمينة في عودة الخديو عباس الى عرش مصر مؤيدا بجيوش عثمانية بعد أن عزله الانجليز حيث تقول ربنا قادر على أن يعيد لنا افندينا عباس ، كما يذكرنا بعاطفة الولاء الديني نحو الدولة العثمانية والتمسك بالخلافة على لسان الشيخ متولى عبد الصمد الذي يسأل الله أن يعيد الى البلاد افندينا عباس مؤيدا بجيش من جيوش الخيانة .

وعن رغبة بعض المصريين في انتصار الألمان على الانجليز يصور نجيب محفوظ هذا الموقف فيما يسوقه على لسان ياسين من أن ينتصر الألمان وحلفاؤهم الاتراك حتى تسترد الخلافة ما سلبه الانجليز منها ، ويعود الخديو عباس والزعيم محمد فريد الى مصر . وعن ثورة ١٩١٩ ونفى سعد زغلول واصحابه الى المطلة ، واستياء طبقات الشعب المصرى لذلك النفي ربط نجيب محفوظ بين هذا الحدث وبين نفى عرابي الى سيلان فأوضح ما أصاب الناس من جزع وتساؤلهم « أيجرى نفس المصير على سعد وصحبه وينقطع ما بينهم وبين الوطن الى الأبد فتموت هذه الآمال الكبار وهى لا تزال فى مهد الأزهار » ونتيجة لهذا الاستياء تقوم الثورة ويشارك فيها فهمي مما أثار ردود فعل متباينة في محيط الأسرة وتتطور المظاهرات الى معارك بين الشعب والانجليز لتشارك فيها جميع طبقات وطوائف الأمة هاتفة « يحيا الاستقلال ، وتموت ويحيا الوطن ، ويحيا سعد » .

ونتيجة لذلك يتصدى الانجليز لهذه المظاهرات بعنف ، ويسقط العديد من الشهداء ، ولم ينتصر الأمر على ذلك بل يتعرض الانجليز للمصريين بالإضايقات في شوارع القاهرة وحاراتها فيشمر نجيب محفوظ الى تعرض الانجليز لأحمد عبد الجواد بالقرب من بيته (١٠٥) وإلى ما أصاب ابنه ياسين في المسجد ، ويفرج عن سعد ويتصافح الجميع ، ويتبادلون التهاني ، وتقوم المظاهرات التي عمت البلاد ابتهاجا بعودة سعد ثم يموت فهمي خلال هذه المظاهرات برصاصة طائفة بما يشمر

يه الكاتب الى تطور الاحداث والايحاء بانتكاسة الثورة والنهاية المنتظرة لها والملاحظ على موقف الطبقة البرجوازية المصرية من هذه الثورة انه بالرغم من ان هذه الطبقة قد باركت الثورة فانها في نفس الوقت كانت تخشى ان يكون افرادها وقودا لها فالثورة عند أحمد عبد الجواد التاجر من الاشياء الجديرة بالاحترام مادامت بعيدة عن اولاده وعن بيته ، اما اذا اشترك فيها أبناؤه انقلب في نظره الى هوس ، وخروج على المؤلف مما نتج عنه انضمام ابنه فهمي طائب الحقوق الى حركة الجهاد الوطنى دون علم ابيه حتى لا يتعرض لثورته وغضبه .

كما يلاحظ أنه في وصف نجيب محفوظ لموقف الشعب المصرى من ثورة ١٩١٩ نجده يلتقط الحدث من كل زواياه فليس أبطاله كلهم متحمسين للقضية الوطنية ، كما انهم ليسوا بمنصرفين عنها ، فهمي ثائر على الانجليز يشارك في الثورة بفكره ودمه ، وزينب في الجانب الآخر تظهر غضبتها على سعد زغلول ، وبين الطرفين توجد درجات من الحماس .

وهكذا صور نجيب محفوظ البيئة المصرية خلال ثورة ١٩١٩ تصويرا قال عنه الدكتور طه حسين « لست اعرف قاصا صور الثورة المصرية في اعقاب الحرب الأولى كما صورها نجيب محفوظ ، صورها حية كاتوى ما تكون الحياة ، وصورها متغلغلة في اعماق الشعب على اختلاف طبقاته مؤثرة في حياة العابثين والجادين معا ، وفى حياة الشيوخ والشباب والصبيبة جميعا مفرقة وجه الحياة المصرية تغيرا تاما ، وصورها بكل ما فيها من جود الشباب بنفوسهم ودمائهم ، وجود الشيوخ بأموالهم ، وجود الامهات والاخوات بأمانيتهم ودعائهم ، وصورها بما فيها من قسوة الانجليز وبطشهم ، وغدرهم واستخفافهم بكل شيء ، وبكل انسان وبكل مكانة ، وانتهاكهم للحرمات وخروجهم عن طور المتحضرين »<sup>(١٠٦)</sup> وتستكمل قصر الشوق ما توقفت عنده بين القصرين فتسرد تاريخ مصر منذ تولية سعد الوزارة حتى وفاته فتظهر خديجة معبرة عن رأى غالبية الشعب المصرى في التمسك برعاية سعد زغلول والكرامية لعدلى وثروت فعندما ذكرها ياسين بعدلى وثروت استعازت بالله ولقبتها بالخونة الذين يهتف الناس بسقوطهم ليل نهار .

وبعد الضربة التي أصابت وزارة سعد زغلول بعد اغتيال السردار  
حسور نجيب محفوظ خيبة الأمل التي أعقبت استقالة سعد ، فرمز  
الى أن هذه الاستقالة قد أدت الى أزمة دستورية ، والى ضياع السودان ،  
كما اثار الى أن قتل السردار كان ضربة موجبة الى وزارة سعد  
بهدف التخلص منها .

وعن فجيرة الأمة المصرية في موت سعد زغلول ، عكس نجيب  
محفوظ صورة الشعب المصرى يوم الوفاة بتصوير كمال ، وهو  
يهتف من الاعماق لرجال الثورة والنفى والحرية .

وعن الروح الرجعية التي تمثلت في السلطة الحاكمة التي حاولت  
أن تعصف بمكاسب الشعب في جهاده بالقضاء دستور ١٩٢٣ واستبداله  
بدستور ١٩٣٠ في عهد وزارة صدقى ، وتصريح وزير خارجية بريطانيا  
صويل هور بعدم رغبته في عودة دستور ١٩٢٣ ولا دستور ١٩٣٠ لعدم  
صلاحية أولهما للعمل ، ورفض الأمة للثانى عبر نجيب محفوظ في  
السكرية عن احاديث ومثاعر الناس حول هذا التصريح بقول احدهم  
« يجب أن يرد على هور وتصريحه المشنوم » وقول آخر « ابن الكلب قال  
نصحت بأن لا يعاد دستور ١٩٢٣ ولا دستور ١٩٣٠ ما شأنه ودستورنا » .

ويقف نجيب محفوظ الى جانب حرية الشعب ، وتطلعه الى استكمال  
مقومات المجتمع الأمثل ، واحساسه بكيانه ، ويشاركة في قضائاه  
فينتقد الحكام الذين عبثوا بذلك الجيل الحائر المعذب في صورة كمال  
الذى وعى حاجة الأمة الى الثورة ضد طغيان هؤلاء الحكام واصفا  
محمد محمود ، واسماعيل صدقى وتوفيق نسيم بانهم سلسلة مشنومة  
من الطفافة الخونة غرتهم قوتهم فزعموا انهم اوصياء على شعب  
قباصر (١٠٧) .

وعن دور الاحزاب السياسية في مصر يقيم نجيب محفوظ دورهم على  
لسان عدلى كريم رئيس تحرير مجلة الانسان الجديد فيقول « الوفد  
حزب الشعب ، وهو خطوة تظورية خطيرة وطبيعية في آن واحد .  
كان الحزب الوطنى حزبا تركيا دينيا رجعيا أما الوفد فهو مبلور القومية

المصرية ، ومطهرها من الشوائب والخبائث الى انه مدرسة الوطنية والديمقراطية ، ولكن المسألة أن الوطن لا يقتنع وما ينبغي له أن يقتنع بهذه المدرسة الا أننا نريد مرحلة جديدة من التطور ، نريد مدرسة اجتماعية لأن الاستقلال ليس بالفاية الأخيرة ، ولكنه وسيلة انفسل حقوق الشعب الدستورية والاقتصادية والانسانية .. ولكن ينبغي أن يكون الزند نقطة البدء ، أما مصر الفتاة فهي حركة فاشستية رجعية مجرمة ، ليست دون الرجعية الدينية خطرا وهي ليست الا صدى للعسكرية الالمانية والايطالية اللتين تعبدان القوة ، وتقومان على الاستبداد ، وتزريان بالقيم الانسانية والكرامة البشرية . ان الرجعية داء مستوطن في الشرق كالكوليرا وانتيفويد فينبغى استئصاله » (١٠٨) .

وفي تقديرنا ان نجيب محفوظ رمز باسم عدلى كريم الى الكاتب التقدمى سلامة موسى خصوصا وأنه يمكننا ان نعثر على مثل هذه الآراء في كتابات سلامة موسى المتبعثرة ، كما رمز بالانسان الجديد الى المجلة التى أسسها سلامة موسى فى منزله بالفجالة عام ١٩٢٩ والموسومة « المجلة الجديدة » .

أما عن تقييم الأحزاب الذى طرحه نجيب محفوظ فانا نرى أنه كان لكل حزب دوره فى الحياة السياسية المصرية سواء أكان هذا اندور ايجابيا أم سلبيا ، وأنه اذا كان قد انحاز الى حزب الوفد فانه انحاز الى المبادئ التى نادى بها الوفد اثناء الثورة كالاستقلال والديمقراطية والقومية التى تجعل من مصر وطننا حرا للمصريين على اختلاف عناصرهم واديانهم (١٠٩) وبالرغم من اتهاماته للحزب الوطنى بأنه كان حزبا تركيا رجعيا ، فمن الصعب أن ننكر أن هذا الحزب نجح فى توجيه جماهير الشعب المصرى فكريا ونفسيا فى فترة من احواله الفترات التى مرت بها مصر قبيل الحرب العالمية الاولى ، وأنه هو الذى أضاء الطريق لقيادة ثورة ١٩١٩ .

وعن تزوير الانتخابات فى مصر وسقوط النحاس ومكرم يعبر نجيب محفوظ عما يجيش فى صدر الشعب فى صورة كمال الذى يغف عند

الديمقراطية والدستور فيقول « انتخابات مزورة » وكل شخص في البلد يعلم أنها مزورة ، ومع ذلك يعترف بها رسميا ، وتحكم بها البلاد ، ويعنى هذا ان يستقر في ضمير الشعب ان نوابه لصوص سرقوا كراسيهم ووزراءه لصوص سرقوا بالتالى مناصبهم وان سلطاته وحكومته مزيفة مزورة ، وان السرقة والتزيف والتضليل مشروعة رسميا ، افلا يعذر الرجل العادى الذى كثر بالمبادئ والخلق ، وآمن بالتزيف والانتهازية (١١٠) .

وفى نهاية الثلاثية يبرز نجيب محفوظ دور اليساريين وأفكارهم حول الثورة الأبدية ، ودخولهم السجن مما يعنى أن اليسار المصرى قد دخل مرحلة جديدة من مراحل أزمة الحرية .

وهكذا يتضح تطور المفهوم السياسى لدى شخصيات الثلاثية فبين القصرين مثلت حركة الانتفاء الى الحزب الوطنى ، وارهاسات تكوين الوفد وموقف فهمى البطولى إبان ثورة ١٩١٩ ، .

وقصر الشوق مثلت المرحلة بين الانتفاء الوفدى والانتفاء اليسارى بينما السكرية مثلت الانتفاء نحو اليسار بعد أن عجز حزب الوفد على أن يقدم حولاا للمشكلات الاجتماعية ، ولطبقات الشعبية التى آزرته فى كساحه الوطنى .

وهكذا رصدت ثلاثية نجيب محفوظ تاريخ مصر فيما بين الحربين فى صورة روائية أقرب الى الحقيقة منها الى الخيال ، ومما يلاحظ على هذه الكتابات أن الثوريين كانوا على هامش الحياة السياسية لا فى قلبها ، وانهم جميعا كانوا من صفار البرجوازيين الذين لم يتفقوا المبادئ الثورية عن طريق المعاناة التطبيقية ، ولكن عن طريق قراءتهم وثقافتهم العقلية ، كما يلاحظ أنه بالرغم من الاحداث التاريخية المعروفة التى نذرت بها الثلاثية فانها أولا وقبل كل شيء كانت عملا روائيا لا تاريخيا ، واذا اعتمدنا عليها فى دراساتنا للمجتمع انقاهرى فبى فترة ما بين الحربين فينبغى أن نتقبل ما بها بحرص وحذر شديدبن خصوصا وان العمل الروائى يعتمد على الخيال بجانب الواقع ، وقد

يستلزم ذلك كما يذكر نجيب محفوظ استخدام عمليات المكر والحيل<sup>(١١)</sup> ومن هنا فإن من المفارقة غير العملية الاعتماد عليها ، وإن كان يمكن الاستئناس بها في التعبير عن الجو النفسى السائد خلال هذه الفترة. فنجيب محفوظ حين كتب الثلاثية لم يؤرخ لمصر ، وإنما كان دافعه الرغبة الفنية الخالصة التى يظللها أحيانا الفنان ، وليست علاقة الفكر السياسى أو المؤرخ .

وبعد أن تعرضنا للثلاثية يطرح علينا سؤال نفسه وهو ما هى الطبقة التى يمكن أن تنسب إليها كتابات نجيب محفوظ الواقع أن الآراء اختلفت حول هذا الموضوع ، وخرج النقاد بمقالات تحلل أدب نجيب محفوظ تحليلا طبقيًا ، وانتهى بعضهم الى انه اديب البرجوازية الصغيرة. أو المتوسطة الصغيرة<sup>(١١٢)</sup> ومن أبرز هؤلاء النقاد كان الدكتور عبد العزيز انيس الذى رأى أن تعبير نجيب محفوظ عن البرجوازية الصغيرة كان صادقًا ورائعًا ، ومن هنا لقبه بروائى البرجوازية الصغيرة المصرية والمعبر بصورة رائعة عن مشاكلها<sup>(١١٣)</sup> .

وسماه البعض الآخر بأنه الكاتب التقدمى ، وأديب الطبقة العاملة مشيرين فى ذلك الى أن تصويره لواقع المجتمع المصرى من خلال الثلاثية. كاد يقترب من الواقعية الاشتراكية حيث أن واقعية الثلاثية قد حملت فى ثناياها بصيصا خافتا من الضوء لبشائر فجر جديد من التغير الذى يتكفل بمعالجة الفساد انقائم وهذا من أسس الايديولوجية الاشتراكية. التى ترى ضرورة فهم المستقبل والادراك الواعى بتطور المجتمع وبنائه ، والايان باهكائيات الانسان فى صنع مستقبله ، والوصول بنفسه وبمجتمعه الى واقع أفضل يكفل للانسان حريته وكرامته<sup>(١١٤)</sup> يضاف الى ذلك أن رؤية نجيب محفوظ لمشكلات المجتمع المصرى كانت رؤية يسارية اتضحت من تفهمه للبناء التركيبى للاحداث ودلل أصحاب هذا الرأى على صحة تسميتهم بما ادلى به نجيب محفوظ فى المحاكمة الأدبية التى أعدها له ضياء الدين الرئيس بأنه يؤمن بتحرير الانسان من الطبقية والاستغلال بكافة أنواعه ، وأن يتمتع الفرد بحرية الفكر والعقيدة ويتحقق الديمقراطية باشمـل معانيها كما دللوا بما اثار اليه نجيب محفوظ من تعاطفه الشديد مع الماركسيين حيث قال « لا أستطيع أن

اعتبر نفسى ماركسيا رغم التعاطف الشديد « (١١٥) يضاف الى ذلك انهم تمسكوا بما ذكرته أحد شخصيات الثلاثية عن الثورة الابدية والاضطهاد والآلام والعذاب وما شابه ذلك .

والواقع ان نجيب محفوظ لم ينفلق ضمن دائرة فكرية معينة بل كان حياديا في كتاباته ، ورفضاً لفكرة التفوق داخل رؤية معينة ، ودليلاً على ذلك ان فكره في الثلاثية لم يصدر عن واتمية اشتراكية حين قدم الحل الدينى ممثلاً في الفكر اليميني الذى يمثلّه الاخوان المسلمون والمتجسد في شخصية عبد المنعم ابراهيم شوكت كعلاج لتردى الاوضاع الاجتماعية والاخلاقية حيث يرفض لقاء الظلام على بسطة السلم او فوق السطوح مع بنت الجيران ويطلب ان يكون جزاء ذلك اترجم (١١٦) كما يعتبر الالحاد هروباً من واجبات الانسان حيال ربه ونفسه والناس (١١٧) .

وفى نفس الوقت يعطى للحل الماركسى ممثلاً في احمد ابراهيم السبيل لحل مشكلات المجتمع عن طريق الايمان بالعلم وبالنسانية وبالغد « وبما التزمه من واجبات ترمى في النهاية الى تهديد الارض لبناء جديد » هذا بالاضافة الى ان شخصياته من الاشتراكيين تكاد تكون باهتة وغير واضحة ، وتبلغ هذه الحيادية روعتها حين يجعل المؤلف من ممثلى الفكرين الاسلامى والماركسى شقيقتين مع اعطائهما خلاناً في العمر اشارة الى التتابع المرحلى للفكر الانسانى ، وهذا ما يرغب فيه نجيب محفوظ من ان يشير الى ان لكل عصر فكره الخاص به وان لم يميز أحد هذين الفكرين على الآخر (١١٨) .

واذا كان البعض قد سمى نجيب محفوظ بأنه أديب البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وسماه البعض الآخر بأنه الكاتب التقدمى وأديب الطبقة العاملة فلا ندرى هل الأديب لابد أن يكون كاتباً لطبقة معينة بذاتها أم أن أدبه ينبثق من كافة الطبقات ويعود إليها ، وهل سن الضرورى وجود طبقة معينة يعبر عنها الكاتب أم أن الأفضل هو وجود طبقة يعبر عنها الكاتب من خلالها لقد رفض نجيب محفوظ فكرة انه يرجع انتساجه لطبقة معينة بالذات عند كتابته ، وأوضح انه يصور



المناذج التى تعيش معه أكثر (١١٩). وأنه اذا كانت له ايدىولوجية فهي ليست فى عقله ، ولكنها فى قلبه لا يكتب عنها وإنما تعمل فى داخله (١٢٠) ومع كل ذلك فأننا نرى أن نجيب محفوظ بالرغم من حيادية كتاباته ، فإنه كان أقرب الى التعبير عن الطبقة الوسطى وأقرب تفهما لقضايا هذه الطبقة من غيره من الكتاب لدرجة أنه استطاع أن يعبر بصورة واقعية صادقة عن أدق ما تعرضت له هذه الطبقة من مشاكل ، وكأنه قد عايش هذه المشاكل وتعايش معها ، ويؤكد ذلك نفيه للحيدة التامة فى تصويره للثلاثية حيث يقول « وبالنسبة للثلاثية اعتقد أن فيها وجهة نظر مؤكدة » (١٢١) .

وهكذا ارتبطت الثلاثية بالانسان المصرى ، وعبرت عما يعن به من مشاعر واحاسيس ، كما انها سايّرت تاريخ مصر وتطوره فى شكل يتناسب مع مستوى القارىء المصرى حتى أصبحنا نرى فيها حياتنا ، ونقص كتاباتها وازمانتها بطريقة شملت الحياة المصرية بمثلها ومشاريها لدرجة أن أدبه أصبح ظاهرة قومية نعتز بها .

## ٧ — الفيوم بين ثورتى عربى وسعد زغلول

تفخر البلاد دائما بأبنائها البررة ، وتبهرى المدن وأقترى والنجوم فى الاعتزاز بالأسماء التى نبتت على أرضها ثم سطعت على مسرح الأحداث ، وكافحت من أجل وطنها ودافعت عن حريته واستقلاله وطالبت بحقوقه وعملت على رفعة ونيل آماله .

وفى الفيوم اسماء لامعة برزت فى تاريخ مصر الحديث واشتركت فى أحداثه ، وأهم هذه الأسماء اللواء على الروبى ابن قرية دفنو بمركز اطمسا محافظة الفيوم والذى لم يشارك فقط فى الثورة العربية بل كان صاحب اليد الطولى فى تشكيل جمعية الضباط السرية ١٨٧٩ التى كانت النواة ومركز التجمع للقادة الذين قاموا بهذه الثورة ، ومن هذه الاسماء اللامعة أيضا حمد باشا الباسل ابن الفيوم الذى شارك سعد زغلول فى كفاحه ونفى الى مالطة وتعرض للاضطهاد والتشريد كما سافر الى باريس لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن القضية المصرية .

ولم يقتصر دور الفيوم على تفريخ الزعامات القادرة على المشاركة في الأحداث بل تقدم أبناءها الصنف ، وشاركوا الوطن في كل محنة ألمت به ، وكان أبنائها دائما على مستوى الأحداث غنى أثناء الثورة العربية وبعد أن سرق المستر كولفن Colvin الانجليزى خزانة الحكومة المصرية ووضعها في الاسطول الانجليزى (١٣٣) قام أهالى الفيوم بجمع التبرعات للجيش من غلال وعتاد ومثونة وميرة وخيول ومواشى ، وجاءوا بكل ما فى وسعهم من أجل الوطن كما تطوع الكثيرون منهم في الجيش جنودا مقاتلين يجردون بأرواحهم في سبيل مصر ويؤكد ذلك الوثائق الرسمية ، غنى محافظ الثورة العربية نرى أن حسان فراج أحد عربان الفيوم قام بمساعدة العربيين بالمال والعتاد والرجال فقد توجه هو وجماعة من العربان يتقدمون بمائتى فرد ومعهم خيولهم وعتادهم الى معسكر عربى يطلب منه الاشتراك في القتال من أجل نصرة الوطن والدين (١٣٣) .

وتؤكد محفوظات الداخلية ووثائق الثورة العربية أن خليفة طنطاوى عدة سنورس وأخاه أبا زيد قد « تبرعا بسبعين فحل جاموس وسبعين رأس غنم » (١٣٤) كما قاموا بجمع التبرعات من الأهالى وارسالها الى عربى من أجل الدفاع عن الوطن (١٣٥) ومن الوثائق أيضا يتضح أن شيخ العرب السعداوى الجبالي وشيخ العرب عبد القوى الجبالي عدة قبيلة الحرابى بمديرية الفيوم حضرا طرف أحمد عربى واعريا عن رغبتهما في التطوع هما واتباعهما مع الجيش المحارب وتسليةهما أسلحة من الجهادية ، وقد وافق عربى على طلبهم ، وتم بعرفة مديرية الفيوم ارسالهم بخيلهم الى معسكرات العربيين بكفر الدوار في داور مخصوص ، وهناك تم ترتيبهم داخل التشكيلات العسكرية (١٣٦) .

هذه نماذج عن دور أبناء الفيوم في الكفاح من أجل الوطن اثناء الثورة العربية أما عن دور على الروبى ابن الفيوم في هذه الثورة فقد كان دورا هاما وخطيرا ومع ذلك لا ندرى لماذا لم يعطه المؤرخون حقه ؟

الواقع أن على الروبى هو المؤسس الاول للجمعية السرية لضباط

الجيش المصرى الوطنيين عام ١٨٧٩ أى فى أواخر عهد الخديو اسماعيل  
والتي كانت تهدف الى فتح باب الترقى امام المصريين وانقضاء على  
الخديو اسماعيل (١٢٧) ، وان احمد عرابى انضم الى هذه الجمعية  
بعد ان أسسها على الروبى (١٢٨) وان العلاقة بين على الروبى وعرابى  
توطدت اثناء حرب الحبشة وخاصة عندما عين على الروبى رئيسا  
لفرع المهمات ، وقد ساعد على توطيد العلاقة بينهما الاتجاه الوطنى  
المشترك لكل منهما (١٢٩) .

وتذكر الوثائق البريطانية ان الخديو اسماعيل بعد ان علم  
بالجمعية السرية اتى أسسها على الروبى اعتمد عليه وعلى عرابى فى  
العمل على اسقاط الوزارة الأوربية (١٣٠) التي كانت تحد من نفوذ  
الخديو .

وعند قيام الثورة العربية كانت ثقة عرابى فى على الروبى  
قوية لدرجة انه وضعه فى المناصب الحساسة والمؤثرة فى مسيرة  
الثورة ، فعندما عين عرابى وزيرا للحربية رقى على الروبى الى رتبة  
اللواء ، وعندما تأمر الضباط الجراكسة على الثورة العربية شكّل  
عرابى مجلسا عسكريا لمحاكمتهم من خمسة عشر عضوا كان من بينهم  
على الروبى (١٣١) . وعندما أسس عرابى المجلس العرفى للتشاور فى أمور  
انبلاد اختار على الروبى ضمن اعضائه ، وعندما تازمت علاقة العربابين  
بالخديو حتى وصل الأمر الى ان أمر الخديو بعزل عرابى ، قام على  
الروبى بين أعضاء المجلس العرفى يوضح دور عرابى فى الدفاع عن الوطن  
وشرف الدين منددا بالخديو الذى يريد تسليم البلاد للانجليز (١٣٢)  
وموضحا ضرورة الاستمرار فى الحرب (١٣٣) حتى لا يدخل الانجليز البلاد  
ويهتكوا الأعراض ويعتدوا على المقدسات (١٣٤) وبعد ان انتهى على  
الروبى من كلمته تعالت اصوات الحاضرين بحياة عرابى وبضرورة  
تواجده على رأس الجيش .

وعندما قامت الحرب بين العربابين والانجليز عين عرابى اللواء على  
الروبى قائدا لمنطقة مريوط العسكرية ، ونتيجة لاصابة راشد باشا  
حسنى وعلى باشا فهى فى معركة القصاصين استدعى عرابى اللواء

على الروبى لقيادة منطقة للتل الكبير لثقته فيه وفى قدرته على ادارة الحرب لانه كما يذكر « كان حائزا لاعظم الصفات المبدوحة التى لا يمكن القيام بحصرها » (١٣٥) .

وفى التل الكبير كانت المعركة الفاصلة بين العربيين والانجليز ، وقد حضر على الروبى عصر يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ الى التل الكبير وكانت المعركة فى فجر ١٣ سبتمبر ، وهنا نقرر انه ليس فى امكان اى قائد مسكرى ان ينظم قواته خلال ساعات معدودة ويترتب على ذلك انه لا يمكننا ان نرجع عدم القدرة على الصمود امام الانجليز الى اللواء على الروبى بقدر ما يمكننا ارجاعه الى عنصر المفاجأة والتفكير السريع فى القيادة ، كما يمكن ارجاعه الى انضمام بعض الخونة من اعوان الخديو الى الضباط الانجليز مثل على يوسف خنفس الذى ابلغ خلط وتحركات الجيش المصرى الى الاعداء .

وبعد انهزيمة اتجه كل من عربى وعلى الروبى الى القاهرة فى قطار (١٣٦) وذهبا الى مقر وزارة الحربية لمشاورة اهل الراى فى البلاد فيما حدث وانتهى الامر بالتسليم ، وقدم اللواء على السروبي الى المحاكمة (١٣٧) ، وحكم عليه بالنفى الى جهة مصوع بالسودان لمدة عشرين سنة ، وتجريده من رتبة ونياشينه (١٣٨) كما صدرت احكام اخرى ، منها احكام صدرت على ابناء الفيوم الذين ساعدوا الثورة ومن هؤلاء سعداوى الجبالى عمدة قبيلة الحرابى بالفيوم فقد حكم عليه بان يقيم فى بلده تحت الملاحظة مع دفع تامين مالى وتجريده من الرتب والامتيازات (١٣٩) ، وحسان فراج ومحمد المسرى من اعيان الفيوم وقد حكم عليهما بان يقيم كل منهما فى بلده تحت الملاحظة وتجريدهما من الرتب والمناصب (١٤٠) كما قضى بتجريد يعقوب بك صبرى مدير الفيوم وعبد النبى عبد الله البياضى عمدة عربان البرامصة بمديرية الفيوم من علامات الشرف والامتيازات والرتب (١٤١) .

اما عن ضباط الجيش من اهالى الفيوم الذين اتهموا بالاشتراك فى الثورة وجردوا من رتبهم وامتيازاتهم وحرموا من مرتب الاستيداع ومعاش القواعد فهم (١٤٢) :

اليوزباشى بياده احمد سيد احمد	من سنورس
واليوزباشى بياده السيد عبد الرحمن	بندر الفيوم
واليوزباشى بياده منجود محمود	ترسا فيوم
والملازم اول سوارى احمد حمدي	بندر الفيوم
والملازم اول بياده ابراهيم حسنين	ابجيج
والملازم اول بياده محمد رمضان	من هواره عدلان
والملازم اول بياده محمد على	الفيوم

هذا عن دور الفيوم وابنائها فى الثورة العربية التى قامت من أجل الدفاع عن حقوق الشعب المصرى وكرامته .

أما عن دور أبناء الفيوم فى ثورة ١٩١٩ فانه ما ان تأكد نبا القضا على سعد زغلول ، وصحبه حتى أخذت سمات الغضب ترسم على النفوس ، كما ازدادت روح السخط ضد الانجليز فاندفعت الأمة الى الثورة .

وفى الفيوم بدأت المظاهرات يوم ١٥ مارس ١٩١٩ احتجاجا على اعتقال زعماء الثورة ومنهم حمد باشا الباسل صاحب النفوذ الساحق واليد الطولى على بدو الفيوم واستمرت المظاهرات فى الأيام التالية ، وفى ١٩ منه بينما كانت مظاهرة تطوف فى المدينة اطلق بعض المتظاهرين عيارات نارية فى الهواء ، فانتهزت القوات البريطانية ذلك وتمسدت لجموع المتظاهرين ، واطلقت النار عليهم من البنادق والمدافع الرشاشة فقتل كثيرون ذكر الراحل منهم :

- ١ — محمد وهبه ترزى
- ٢ — محمد عبد الدايم
- ٣ — توفيق عبد الباسط
- ٤ — درويش ابراهيم
- ٥ — رياض على
- ٦ — عبد العال رزق
- ٧ — احمد احمد حسين
- ٨ — بدوى عبد النبى

- |                            |                       |
|----------------------------|-----------------------|
| ٩ — سيد محمود              | ١٠ — أحمد روبي        |
| ١١ — محمود محمد            | ١٢ — نعمان ابراهيم    |
| ١٣ — محمد مسعود            | ١٤ — عبد الباقي حسن   |
| ١٥ — غريب محمد             | ١٦ — عثمان عطيه       |
| ١٧ — أحمد حنفى             | ١٨ — السيد فتح الباب  |
| ١٩ — محمد عبد الله         | ٢٠ — خميس بدوى        |
| ٢١ — أحمد رمضان            | ٢٢ — عبد الجواد أحمد  |
| ٢٣ — حميدة سليمان          | ٢٤ — محمد عزازى       |
| ٢٥ — محمد فرحات            | ٢٦ — عبد العليم حافظ  |
| ٢٧ — عبد النبى على         | ٢٨ — محمد عطا الله    |
| ٢٩ — عبد الباسط عبد التواب | ٣٠ — نظير على         |
| ٣١ — محمد جبره             | ٣٢ — منصور أبو بكر    |
| ٣٣ — على محمد              | ٣٤ — حسن حسين         |
| ٣٥ — محمود محمد            | ٣٦ — فاطمة محمد       |
| ٣٧ — سيد على               | ٣٨ — نعمات محمد (١٤٣) |

ونتيجة لذلك قام بعض البدو بمهاجمة القوات البريطانية فقتلوا بعضهم كما سقط من البدو أكثر من ٤٠٠ شهيد وجريح ، وقد اعترفت قيادة القوات البريطانية بقتلها فذكر في بيان لها في صيغة انذار لأهالى الفيوم قالت فيه « في الأيام الأخيرة أطلق البدو النار على الجنود البريطانية وقتلوا بعضهم فاذا أطلق البدو النيران على الجنود البريطانية مرة أخرى ، اتخذت في الحال وسائل شديدة وقاهرة لآبد أن تفضى الى ضياع أرواح كثيرة من الأبرياء ، وهذا آخر انذار » (١٤٤) .

وعلى الرغم من هذا الانذار فقد قام البدو بمهاجمة القوات البريطانية

واحداث اضرار للسلطات انبريطانية ، كما هاجم بعض اهالى الفيوم الجنود البريطانيين واستولوا على اسلحتهم .

وفى مدينة الفيوم طالب زعماء البدو بالاستقلال وعزل المدير ، ولكن تنازل بعضهم عن هذا مطلب بعد مناقشات طويلة وبوسائل الاقتناع ، اما من اصروا على مطلبهم فقد غرقتهم السلطة بالمدايح الرشاشة (١٢٥) .

وفى مركز اطسا حاصر الاهالى مركز البوليس وحدثت معركة استولى البدو فى أثرها على مبنى مركز اطسا وحاصروا المدينة (١٢٦) ونتيجة لذلك التوتر لم يجد موظفو جميع مراكز الفيوم بدا من ان ينسحبوا الى عاصمة المديرية ليكون افرادها بأمن من هجمات البدو وكانت اتباء هذه المعارك تصل الى القاهرة عن طريق الهجانة لأن جميع المواصلات فى انحاء مديرية الفيوم كانت قد دمرت (١٢٧) ونتيجة للتلاحم القتالى بين ابناء الفيوم من البدو والفلاحين وبين القوات البريطانية وصل عدد الشهداء من ابناء الفيوم اربعمائة شخص ، والواقع ان دور الفلاحين فى المعارك كان بسيطا اذ كان المهاجمون كلهم من البدو تقريبا (١٢٨) وقد تزايدت اعمال العنف فى الفيوم ، وانتشرت الى المراكز والقرى المجاورة لها .

ونتيجة لتطور المعارك قام شقيق حمد باشا الباسل بارسال بعض رجاله الى السنوسيين فى ليبيا لحثهم على الحضور الى الفيوم ، كما قامت القوات البريطانية بالقاء منشورات عن طريق احدى الطائرات تقول ان جنودا بريطانيين قد قتلوا ، وتحذر السكان من أن تكرر ذلك سوف يؤدى الى الانتقام الجماعى من اهالى الفيوم (١٢٩) .

هذه نبذة عن كضاح ابناء انفيوم ضد القوات البريطانية فى ثورة ١٩١٩ أما عن دور حمد باشا الباسل ابن الفيوم فى هذه الثورة فقد كان ضمن المعتقلين الذين نفتهم السلطات البريطانية الى مالطة نظرا لدوره فى تحريك الثورة ضد الانجليز ذلك لانه جعل منزله منتديا للوفد يعقد فيه الاجتماعات العامة التى يحضرها ذو الراى من مختلف

الطبقات<sup>(١٥٠)</sup> ، وتلقى فيه الخطاب التى تثير النفوس ، وتنتشر فى الصحف<sup>(١٥١)</sup> .

ونتيجة للضغط الشعبى فى مصر اعلن الفيلد مارشال اللبى قراره بالافراج عن المعتقلين فى مالطة فى ٧ ابريل ١٩١٩ ، وقد جاء فى اعلانه هذا ما نصه « بالاتفاق مع حضرة صاحب العظمة السلطان اعلان انه لم يبق حجر على السفر ، وان جميع المصريين الذين يريدون بـارحة البلاد تكون لهم هذه الحرية ، وقد قررت علاوة على ذلك ان كلا من سعد زغلول واسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا يطلقون من الاعتقال ويكون لهم كذلك حق السفر »<sup>(١٥٢)</sup> .

وبعد اطلاق سراح حمد الباسل سافر مع الوفد المصرى الى باريس فى ١٩ ابريل ١٩١٩ لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن القضية المصرية والمطالبة بالجلاء ، وقد مكث الوفد بباريس دون التوصل الى نتائج ايجابية او اعتراف من بريطانيا بالغاء الحماية على مصر ومنحها استقلالها ، وهناك بدأت بوادر الانشقاق تظهر على زعماء حزب الوفد ، واختلف حمد الباسل مع سعد زغلول واحتدم النقاش بينهما ، ورغم ان حمد الباسل كان من المقربين الى سعد زغلول فكريا ووجدانيا ، ويؤيده فى كل رأى يدلى به فقد اختلف معه ، ففى حين رأى سعد مقاطعة لجنة ملتر ، رأى حمد الباسل بان من الأفضل لمصر تشكيل جبهة من الوفد تقبل التفاوض مع لجنة ملتر عسى أن تخرج بفائدة لصالح البلاد ، وعندما تصلب سعد زغلول فى رأيه ولم يتمكن حمد الباسل من اقناعه بوجهة نظره انفصل حمد الباسل عن سعد زغلول واستقال من الوفد ، وعلى الرغم من ذلك فان حمد الباسل لم يبتعد عن مزاولة الحياة السياسية او يعتزل العمل السياسى ، وعندما ناشده سعد زغلول العودة الى صفوف الوفد ، وان ينسى الخلاف بينهما وافق حمد الباسل على ذلك وقابل سعد زغلول قائلاً له انت زعيم الأمة واتا اضع نفسى تحت تصرفك ، وعاد حمد الباسل الى صفوف الوفد بصفته وكيلاً له ، وبجانب ذلك اختير وكيلًا للبرلمان فى سنة ١٩٢٤ فاصبح يجمع بين وكالة الوفد ووكالة مجلس النواب وقد ذكر حمد



الباسل في حديث له نشر في مجلة الهلال اننى كوئنى ووكيل الوفد  
« ليس لى مطمع فى الحياة غير استقلال مصر التام » فاذا حصلت على  
هذا المطمع فاننى اقول بعده كما قال القائل :

« لان تاتنى الدنيا بيوئى فانها تجدنى وقد قضيت منها ما رى » (١٥٣)

وهكذا كان دور الفيوم فى ثورة احمد عرابى وثورة ١٩١٩ التى  
قادها سعد زغلول فقد اتضح من ثنايا هذا البحث ان الفيوم لم تشترك  
فى هاتين الثورتين بالنفس والنفس فحسب بل ان بعض الزعامات والعقول  
المؤثرة فى هاتين الثورتين كانت من ابناء الفيوم .

## ٨ — سيناء فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر

ان كلمة سيناء لو جردناها من الذكريات لبقى لها التذكير بانها  
حامية مصر والمدافعة عن كرامتها على مر العصور نهى الافتتاح  
الشرقى لمصر الذى تحطمت امامه كل الغزوات وانصهرت ، وكانت منذ  
القدم مسار للجيوش فيما بين وادى النيل والشرق ، وان تاريخ يحدثنا  
عن حملات عديدة لجنود مصر عبر سيناء منها على سبيل المثال  
اخضاع الحيثيين ، وطرد الهكسوس يضاف الى ذلك ان طرد التتار  
تم عبر سيناء كذلك حملات صلاح الدين ضد الصليبيين تم بعضها عبر  
سيناء وتنقسم شبه جزيرة سيناء بحسب طبيعة ارضها الى ثلاثة  
اقسام بلاد الطور فى الجنوب ، وبلاد التيه فى الوسط ، والعريش فى  
الشمال والطور هو الجبل الموجود فى سيناء والذى ورد اسمه فى  
القرآن الكريم مرات متعددة منها ما ذكر فى سورة انتين « والتين  
والزيتون وطور سينين » (١٥٤) ، وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان  
فى احسن تقويم .

وفى سفح جبل موسى بمنطقة الطور يوجد اقدم الاديرة فسى  
العالم وهو دير طور سيناء ( دير القديسة كاترين ) وسيناء فيها  
الوادى المقدس الذى ذكر فى القرآن فى سورة طه عندما خاطب الله  
سبحانه وتعالى سيدنا موسى « انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى

المقدس طوى » وهذا أمر لموسى بأن يخلع نعليه تعظيما للمكان لانه الوادى المقدس « طوى » والذي نزل فيه الوحى على موسى فى سيناء .

كما وصف القرآن الكريم شجرة الزيتون التى نبتت فى سيناء بعد الطوفان بانها شجرة مباركة فقال تعالى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجه كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله بنوره من يشاء » .

وعندما تم الفتح الاسلامى لمصر فى عهد عمر بن الخطاب ، دخل عمرو بن العاص البلاد مارا برفح والعريش .

وعندما جاء العثمانيون الى مصر دخلوها عن طريق غزة والعريش ولما تولى محمد على حكم مصر كانت سيناء فى جملة ما دخل فى حوزته من املاك مصر ، وكان عرب سيناء فى جملة عباداتهم يحكمهم قضاة منهم بحسب عرفهم وعاداتهم ، وكانت مدينة الطور تابعة فى الادارة لمحافظة السويس ، ومنطقة العريش تابعة لاسسـا للداخلية ، وقد شهدت سيناء مسيرات حربية خلال حملة ابراهيم باشا على سوريا حيث اتخذ من اقليم العريش مسارا .

وبعد محمد على وتولى عباس الاول حكم مصر اهتم بسيناء فزارها وشرع فى بناء مصيف له هناك ، كما مهد الطريق من دبر سانت كاترين الى قمة جبل موسى ، وشرع فى بناء قصر فخم له على قمة هذا الجبل لكن الحياة لم تمهله طويلا فعاجلته المنية قبل ان يتم اعماله وخلفه سعيد باشا ، وفى عهده تم البدء فى حفر قناة السويس ١٨٥٦م وتأسيس محجر للحجاج بسيناء عام ١٨٥٨م .

اما فى عهد اسماعيل فقد ازداد النفوذ الاجنبى فى مصر ، وارسل الانجليز لجنة علمية برئاسة « هنرى بالمر » للتحقيق فى بلاد الطور غاتامت فيها حوالى ستة شهور ، وفى اثنائها رسمت خرائط

لسيناء ، وبدأت في التنقيب عن ثرواتها ، كما تم انشاء مدينة القنطرة شرق على الساحل الشرقى لقناة السويس .

ولما قامت الثورة العربية ، وتطاير خبر معاداة الانجليز للعربيين انقض اهالى سيناء على لجنة بالمر وقتكوا باعضائها .

وقد اهتم الانجليز بسيناء ، وعزلوها عن باقى اجزاء مصر مستغلين فى ذلك قناة السويس كمانع مائى يفصل بين السواذى وسيناء ، ومنعوا دخولها على اى مصرى الا بتصريح خاص واستمرت سيناء تابعة لمصر حتى تولى الخديو عباس الثانى اريكة الحكم وفى عهده حاول السلطان العثمانى عبد الحميد اخراج سيناء من حدود مصر خاصة بعد شق قناة السويس ، وظهور اهميتها الاستراتيجية لذلك فحين صدر فرمان تولية عباس الثانى خديويا على مصر عام ١٨٩٢ اخرج السلطان سيناء من مصر الا ان رد الفعل المصرى والبريطانى

كان شديدا ، فقد اعترض العديد من المصريين على ذلك ، كما احتج المعتمد البريطانى فى مصر كرومر ، واوقف قراءة فرمان رسميا حتى جاء التصحيح من الاستانة بترك سيناء الى مصر ، وبناء على ذلك اصبحت سيناء كما يحدها الخط الممتد من شرقى العريش الى رأس خليج العقبة تحت ادارة مصر (١٥٥) وقد اعتب هذه الازمة زيارة الخديو عباس انشائى لبعض المواقف فى سيناء تأكيدا للسيادة المصرية عليها فزار الطور عام ١٨٩٦ والعريش عام ١٨٩٨ ، ووصل الى الحدود الغربية عند رفح ، ونظرا للظروف الدولية التى تهيأت للدولة العثمانية فى عام ١٩٠٥ لكى تحاول استرداد نفوذها فى مصر خصوصا بعد ان اتخذ مصطفى كامل من فكرة الائتلاف حول الخلافة الاسلامية اساسا لجهاده حاولت الدولة العثمانية أن تقتطع سيناء من مصر فاعتزمت فى مايو ١٩٠٦ مد سكة حديدية من معان الى العقبة ، ولما كان ذلك يعنى وجود قوة جديدة لتركيا على حدود مصر بما يهدد مركز بريطانيا فى مصر فقد اهتم الانجليز بالامر وارسلوا ضابطا كبيرا عهدوا اليه بوضع نقط عسكرية على طول الخط من العريش الى العقبة باعتبار انها من املاك مصر ، ولكن الجنود التركية احتلت موقع طابة ، وهو

على بعد ثمانية أميال غربى العقبة <sup>(١٥٦)</sup> ونتيجة لذلك حدث خلاف شديد بين الدولة العثمانية وانجلترا ظهرت فيه انجلترا بمظهر الدولة الحامية لمصر اذ طالبت تركيا باسم مصر ان تجلو عن طابة ، وارسلت لها انذارا تطالبها بالجلء عن طابة فى ظرف عشرة ايام والا ستكون النتائج وخيمة ، ونتيجة لذلك ابرق السلطان الى الخديو يطلب منه التفاهم مع مختار باشا فى المسألة ، وكان رد عباس بانه شديد التمسك بحدود رفح - العقبة ، وبعد اسبوع من الانذار اخذت قوات بريطانيا البحرية تستعد للتحرك الى طابة مما جعل الدولة العثمانية تسلم بمطالب الانجليز فقررت الجلء عن طابة ، ولم يمض وقت طويل حتى تشكلت لجنة تركية مصرية اخذت فى تخطيط الحدود بين البلدين <sup>(١٥٧)</sup> وفيها تراجع الاتراك عن موقفهم .

وعلى كل حال فان الانجليز اثناء احتلالهم لمصر اوجدوا اطارا من العزلة بين سيناء وباقى مصر فتحكموا فى انتقال سكان مناطق سيناء الى داخل مصر ، وكذلك انتقال المصريين من غير موانيد سيناء الى تلك المناطق حتى استقر فى الازهان أن سكان سيناء يمكن اعتبارهم مصريين من الدرجة الثانية او حتى غير مصريين ، وكادت غالبية الناس تفهم ان مناطق الحدود يسكنها قوم غرباء لا يربطهم بأهل مصر نسب او وشيجة منذ اقدم العصور .

وقد دعم النورد كرومر سياسته هذه عمليا بانشاء ما سمي فى وقته « مصلحة الحدود » ووضع على رأسها ضباط انجليز استطلعوا ان يحتقوا ما يرمى اليه سياسة اللورد حتى أصبحت سيناء جزءا غربيا عن مصر فلا يدخلها المصرى الا بنصريح خاص ، ولا ينقل ساكنها تجارته منها واليها الا بقيود ونظم لا مثيل لها ، ومن يقرأ الحكايات او التقارير الانجليزية حول هذا الموضوع يلاحظ عبارات غريبة مثل « من سيناء الى مصر » او « من داخل القطر الى سيناء » كما لو كانت سيناء شيئا آخر تماما عن مصر ، كما عمل الانجليز على الا يقوم فى سيناء أى نوع من العمران الاستقرارى الذى يؤهل هذه الرقعة من مصر والتي تبلغ مساحتها اكثر من واحد وستين ألف كيلو متر مربع لكى تستوعب أى زيادات من السكان الذين تزدهم بهم بقية المحافظات

المصرية حتى لا يلتصق المصرى بهذه الأرض التصاقا عميقا ، كما عملوا على أن يتم النفور بين سكان شبه الجزيرة من البدو والحضر ، فكان الحاكم البريطانى يشجع البدو على عدم التعلم ولا يساعدهم على الاستقرار وينشر بينهم فكرة أن البداوة شئ وسكنى المدن شئ آخر ، وأنه من العار أن يتزوج البدوى امرأة من الحضر أو يزوج ابنته لسكان المدينة .

ولعل أهم ما يحرص الاستعمار عليه كثرة لعزلة سيناء هو ثروتها المعدنية والبترولية .

وقد أخذت المطامع الاستعمارية فى سيناء تتحرك بجانب المطامع الصهيونية حيث وضع اليهود فى خططهم أهمية سيناء بالنسبة لهم ، فبعد أن لوحوا للسلطان العثمانى ببريق الذهب إذا منحهم امتيازاً فى فلسطين ورفض السلطان طلبهم ، استقر رأيهم على توطين اليهود أما فى قبرص أو شبه جزيرة سيناء أو أوغندا ، ونتيجة لرفض اليهودى هرتزل أوغندا وصعوبة استغناء الانجليز عن قبرص لليهود أثر موضوع سيناء كوطن لليهود ، وأرسلت لجنة فنية لدراسة صلاحية منطقة سيناء لإنشاء مستعمرات سكانية لليهود ، ولكن هذا الموضوع كان مصره الاهمال نتيجة لرفض الحكومة المصرية التنازل عن أى جزء يتعلق بسيادتها ، ورفض اللورد كرومر لهذا المشروع .

وظلت سيناء مطمعا لليهود وفى خلال العدوان الثلاثى على مصر حدث الغزو الاسرائيلى لسيناء عام ١٩٥٦ حيث هاجمت قوات اسرئيل حدود مصر ودخلت الكونتلة ورأس النقب ولم يكذبوا الهجوم الاسرائيلى حتى ظهرت نيات بريطانيا وفرنسا الاستعمارية تجاه مصر ففى الساعة السادسة والنصف من مساء الثلاثاء ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦ وجهت بريطانيا وفرنسا انذارا الى مصر واسرائيل بايقاف جميع العمليات الحربية على أن تقبل مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس (١٥٨) وبهذا الانذار انكشفت الاؤامرة بين الحكومات الثلاث : بريطانيا وفرنسا واسرائيل « واتفقوا على العدوان على مصر .

وقد رفضت مصر الانذار ، وطلبت عقد مجلس الأمن فوراً للنظر في هذا العدوان ، كما استقر رأى القيادة المصرية على ضرورة الانسحاب السريع من سيناء الى منطقة القناة للدفاع عن القناة وعن مصر ، فانسحب الجيش المصرى من قطاع غزة ، ومن سيناء وكان هذا الانسحاب عملية ضخمة شاقة ، وخلال هذا العدوان صمدت بور سعيد ، وكسبت مصر عطف معظم الدول والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها ، وصدر قرار الأمم المتحدة بوقف القتال وجلاء الانذار الروسى ، وامتناع أمريكا عن مشاركة حلفائها في الحملة .

ونتيجة لذلك تم انسحاب القوات الانجليزية والفرنسية من بور سعيد وبور فؤاد خلال ديسمبر ١٩٥٦ ، كما اضطرت اسرائيل الى الانسحاب من سيناء وقطاع غزة .

وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ قامت اسرائيل بهجومها المفاجيء على مصر واستولت على سيناء بأكملها واقامت فيها العديد من المستعمرات الزراعية والسكنية بهدف توطين الاسرائيليين فيها مستغلة في ذلك كل الامكانيات المتاحة في شتى المجالات ، وكانت الأرض المزروعة في هذه المستعمرات تروى باستخدام مياه الأمطار ، ومياه الآبار والاستعانة بمياه بحيرة طبرية عن طريق مواسير ، وكان يتم دفع المياه من خلال خزانات المياه الى مواسير تنتهى بمواسير بلاستيك مثقوبة بثقوب صغيرة بعدد من الاشجار المزروعة المطلوب ريها لتسقط المياه قطرة قطرة على جذع الشجرة طول الليل والنهار ، وكانت الآبار يتم حفرها خصوصاً في المناطق القريبة من شاطئ البحر لتصل اعماقها الى حوالى ٤٠ متر، ويتم السحب منها بواسطة ماكينات لمدة ساعتين فقط يومياً (١٥٩) كما اهتمت اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ بتنشيط السياحة العالمية في سيناء خصوصاً في دير سانت كاترين الذى له منزلة خاصة لدى السياح في أمريكا وأوروبا .

وفي السادس من اكتوبر ١٩٧٣ عبرت القوات المصرية قناة السويس في اتجاه سيناء ، وحررت الساحل الشرقى لقناة السويس بأرض سيناء كاملاً ، وتبع ذلك الحاجة الى تسوية سلمية لازمة الشرق

الأوسط<sup>(١٦٠)</sup> وبعد محاورات ومشاورات ومناورات عقدت اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل في مارس ١٩٧٩ وقد نصت مادتها الاولى على أن تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، وتستأنف مصر ممارسة سيادتها على سيناء كما نص الملحق العسكرى المرفق بالمعاهدة في مادته الاولى على أن يتم الانسحاب الاسرائيلى على مرحلتين الاولى الانسحاب المرحلى الى الخط الممتد شرق العريش رأس محمد والثانية يتم فيها الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية كما نص الملحق العسكرى في مادته الاولى أيضا على أن يتم تشكيل لجنة مصرية اسرائيلية مشتركة للإشراف على عمليات الانسحاب وعقب معاهدة السلام قرر الجانب الاسرائيلى أن يوسع الاقاليم التى تحيط بميناء ايلات التى ليست لها شواطئ فتقرر بناء فندق سياحى في وادى طابا ، وقد سمحت اسرائيل للراسمالى الاسرائيلى « رافى نيلسون » باقامة هذا الفندق الكبير ، وفي الوقت ذاته انتهزت الفرصة لاقامة شاطئ خاص قرب الفندق يأتى اليه الاسرائيليون المقيمون في ايلات ، وقد تم ذلك بعد توقيع الاتفاقية ودون ابللاغ الحكومة المصرية مما يدل على سوء نية الجانب الاسرائيلى.

وفي أكتوبر ١٩٨١ وخلال احدى الاجتماعات المستمرة بين الجانبين المصرى والاسرائيلى لترتيب الانسحاب النهائى ، واستلام وتسليم المناطق والأراضى والمنشآت كانت اللجنة تحاول أن ترسم الخط الفاصل للحدود الدولية من رفح على البحر المتوسط الى خليج العقبة ثم الاتفاق على وضع كل العلامات على الحدود ما عدا العلامة رقم ٩١ الخاصة بطابا فوقع خلاف بين الجانبين .

وفي مارس ١٩٨٢ أعلن اللواء محسن حمدي رئيس الجانب المصرى في اللجنة العسكرية أن هناك خلافات بين مصر واسرائيل على بعض النقاط وأن هذه الخلافات يتم بحثها ، وأن الموقف المصرى محدد وواضح في مسألة نقاط وعلامات الحدود بحيث أن كل شيء يتم وفقاً للخرائط والوثائق التاريخية التى توضح بلا أدنى شك حدود مصر الدولية :

وقد اعترف كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى فى ذلك الوقت بعد لقائه فى ابريل مع ايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلى بأن هناك خلافا فى وجهات النظر حول طابا وان مصر لن تفرط فى سنتيمتر واحد من اراضيها ، ونظرا لذلك رأت مصر ان هذا الخلاف يجب ان يحل ونفعا للمادة السابعة من معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، والتي تنص على أن تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضات ، واذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضات تحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم وهكذا تحدد هذه المادة ثلاث وسائل لحل أى خلاف :

١ — مزيد من المفاوضات .

٢ — التوفيق عن طريق وسيط ثالث .

٣ — التحكيم الدولى .

وقد أبدت مصر رغبتها فى اللجوء الى التحكيم حيث أن الخلاف لم يتم حله عن طريق المفاوضات ، ورفض الجانب الاسرائيلى رغبة مصر فى اللجوء الى التحكيم بحجة أنه لم يتم بعد استنفاد وسيلة المفاوضات أو وسيلة التوفيق التى تنص عليها المادة السابعة ، وحسبها للخلاف ، وحتى لا تعرقل أزمة طابا عملية الانسحاب الاسرائيلى النهائى من سيناء عن موعده تقدمت مصر بالمقترحات التالية :

١ — أن تنسحب اسرائيل عن المناطق المتنازع عليها فى طابا الى خط الحدود الذى تراه مصر .

٢ — أن تتقدم السلطة المصرية الى خط الحدود الذى تراه اسرائيل فى هذه المناطق .

٣ — أن تجهد الحياة فى طابا ، وتدخلها قوات حفظ السلام حتى يتم التوصل الى اتفاق حولها .

ويرجع الاهتمام بطابا انها ليست موقع على الحدود الدولية فقط



ولكنها منعطف طبيعي على ساحل خليج العقبة ، ومنها يرى الانسان بوضوح ميناء العقبة الاردنى ، كذلك يمكن منها رؤية اضواء ميناء ايلات الاسرائيلى فى الليل .

وبينما يرى الجانب المصرى ادخال الجانب الأمريكى كطرف شريك فى الازمة سعى الجانب الاسرائيلى الى عدم اشراك الجانب الأمريكى حتى لا يأخذ النزاع على طابا طابعا دوليا يبعده عن الطابع الثنائى . وانتهى الأمر بعرض القضية على محكمة العدل الدولية فى لاهساى التى قررت اعادة منطقة طابا الى مصر .

هذا عن تاريخ سيناء السياسى أما عن ثرواتها وأهميتها الاقتصادية بالنسبة لمصر ، فهى أرض بكر بها ثروات كثيرة ومتعددة تحتاج الى العديد من المشروعات على سبيل المثال انه يمكن الاستفادة من شواطئها الطويلة التى تبلغ ٧٠٠ كيلو متر بإنشاء قرى سياحية على طول هذا الساحل ، كذلك يمكن استغلال سيناء صناعيا لأن بها كميات كبيرة من خام الاسمنت يمكن استخراجه بسهولة ، ويكفى مستلزمات مصر ، ويزيد عن حاجتها وهذا لا يتطلب سوى إنشاء ميناء بحرى على شاطئ العريش لأغراض النقل البحرى كما أن خام المنجنيز يتوافر فى سيناء بكثرة وهناك اشجار الخروع التى تغل ربحا كبيرا من زراعتها ، كما يمكن تصنيع بلح سيناء المشهور وتحويل غنمها الذى يزرع فى شمال شرق سيناء الى زبيب ، وفى سيناء النحاس والفيروز والرمال البيضاء والزلط وخام الكبريت كما أن البترول يعتبر أهم معادن سيناء وتتركز حقوله على الساحل الشرقى لخليج السويس فيما بين منطقة سدر شمالا ومنطقة الطور جنوبا أى على امتداد الخليج كله .

وتعتبر سيناء سياحية ذات وضع ممتاز فى كل فروع السياحة خاصة الدينية منها فمعبط طريقها الشمالى دخل الاسلام مصر ، وفى جنوبها سار المسيح عليه السلام ومعه السيدة العذراء قاصدا منها ، وفيها أرض التيه حيث قضى اليهود أربعين عاما ، وفيها عيون موسى وكذلك دير سانت كاترين هذا بالاضافة الى انه يمكن تحقيق

أهداف السياحة العلاجية لوجود حمامات فرعون بها والتي ثبت  
بالفحص الطبى أن مياهها تفوق كثيرا مياه حمامات حلوان المعدنية من  
الناحية العلاجية أما من الناحية الترفيهية فتمتاز سيناء بشواطئها النظيفة،  
ومياهها النقية وشواطئ النخيل وكل هذا حقق لها مركزا سياحيا  
ممتازا (١٦١) .

وهكذا يتضح أن سيناء تعتبر جزءا من مستقبل مصر  
الاقتصادى ، ومصدرا من مصادر رفاهيتها المستقبلية اذا وجدت التخطيط  
السليم والعمل انابع من الايمان الوطنى نحو حياة افضل لمصر  
المستقبل .

## مراجع الفصل العاشر

- (١) مجلس النواب : مجموعة مضابط دور الانعقاد الأول مضبطة الجلسة الامتتحية للبرلمان في ١٥ مارس ١٩٢٤ ص ٣ .
- (٢) مارسيل كولومب : تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ — ترجمة زهير الشايب — القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ ص ٤٤ .
- (٣) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ، من سنة ١٩١٢ الى ١٩١٧ القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١ ص ١٨٣ — ١٨٤ .
- (٤) دار الوثائق : ديوان جلالة الملك ، تلغراف في ٢٥ يونية ١٩٢٤ يشكو فيه اهالى شنوان منوغة من عزل عمدتهم وتعيين عمدة غير مرغوب فيه .
- (٥) هيكل : المرجع السابق ص ١٤٥ .
- (٦) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٧٣ .
- (7) Youssef, A. Independent Egypt London, 1940 p. 291 .
- (٨) رجاء النقاش : عباس العقاد ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ١٠٤ .
- (٩) عبد المنعم الجميى : طه حسين والجامعة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى: ١٩٨١ ص ٤٨ .
- (١٠) دار الوثائق : ديوان جلالة الملك ، ملف رقم ٦٩٤ التماسات محالة الى الداخلية عام ١٩٤٢ .
- (١١) الاحرار الدستوريون : اليد القوية — خطب واحاديث محمود محمود باشا منذ أن اسندت اليه رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية ص ٣ .
- (١٢) الرافعى : في اعتاب الثورة ج ٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥١ ص ١٣ .
- (١٣) مجلس النواب : مجموعة مضابط دور الانعقاد الاول ١٥ مارس ١٠ يوليو ١٩٢٤ .
- (١٤) على شلبى : الانقلابات الدستورية في مصر ٢٣ — ١٩٣٦ - (مخلوط) .

- (١٥) انبلاغ في ٨ ديسمبر ١٩٣٧ .
- (١٦) عبد العظيم رمضان : الصراع بين الوفد والعرش ص ٢٣ .
- (١٧) مضابط مجلس النواب : مضبطة الجلسة السبعين لمجلس النواب في ٢ يونية ١٩٢٧ ص ١١٩٢ .
- (١٨) مضابط مجلس النواب : مضبطة الجلسة السادسة والأربعين في ١٤ ابريل ١٩٢٧ ص ٧٦٩ . الاستجواب المقدم من عبد الحميد افندي سعيد لرئيس مجلس الوزراء .
- (١٩) على شلبي : مرجع سابق .
- (٢٠) عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ص ١٧ — ٢١ .
- (٢١) كولومب : مرجع سابق ص ١٣٨ .
- (٢٢) لتفاصيل ذلك انظر أحمد زكريا : حزب الاحرار الدستوريين ٢٢ — ١٩٥٣ القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٣ .
- (٢٣) كولومب : المرجع السابق ص ٥٦ .
- (٢٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ١٨٨٢ — ١٩٣٦ ، ج ١ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥٢ ، ص ١٦٢ .
- (25) Marlowe, J : Anglo Egyptian Relations 1800 - 1953, London 1954 p. 271 .
- (٢٦) ديوان جلالة الملك : تلغرافات ، تلغراف بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٢٥ .
- (٢٧) حزب الاحرار الدستوريين : اليد القوية ، المذكرة الوزارية بشأن حل مجلس النواب والشيوخ ص ٣٦ .
- (٢٨) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ص ٧٤٢ .
- (٢٩) الرافعي : في اعقاب الثورة ج ٢ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٤٩ ص ٥٠ — ٥٣ .
- (٣٠) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، الحولية السابعة ص ١٤٢١ .
- (٣١) الرافعي : المرجع السابق ج ٣ ص ٦٠ — ٦١ .
- (٣٢) رمضان : المرجع السابق ص ٥٧٦ .

- (٣٣) كولومب : المرجع السابق ص ٦٢ .
- (٣٤) رمضان : المرجع السابق ص ٥٨٦ .
- (٣٥) الراعى : المرجع السابق ج ١ ص ٦٩ .
- (٣٦) خلت هذه الوزارة من الوفدين ، يضاف الى ذلك انها لم تضم احدا من اعضاء البرلمان ، لذلك فهى وزارة غير دستورية لانها الفت ضد ارادة الاغلبية كما ان جميع وزرائها كانوا من غير اعضاء البرلمان .
- احمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، الحولية السابعة ١٩٣٠ ص ٧١٠ .
- (٣٧) الفلاح المصرى : العدد الاول من السنة الرابعة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٣٠ .
- (٣٨) دار الوثائق : محاضر جلسات لجنة الدستور ، الدستور المصرى وقانون الانتخاب فى ٢٢ اكتوبر ١٩٣٠ .
- (٣٩) امر ملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية . المادة ٢٤ ص ٤٩ .
- (٤٠) دار الوثائق : محافظ عابدين محفظة رقم ( ٢ ) احزاب سياسية .
- (٤١) الاتحاد : العدد ١٩٤١ فى ١١ يناير ١٩٣١ تحت عنوان « مهزلة استقالة » .
- (٤٢) ديوان جلالة الملك : التماسات جماعية والواقع ان انضمام حزب الاحرار الدستوريين الى جانب الوفد فى معارضة حكومة صدقى رغم الصداقة والصلة التى تربط بينهم وبين صدقى انما يرجع الى رغبتهم فى انتقال الوزارة اليهم .
- (٤٣) دار الوثائق : محاضر جلسات لجنة الدستور ، الدستور المصرى وقانون الانتخاب ص ١٢ .
- (٤٤) غاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٥٥ .
- (٤٥) مضابط مجلس النواب : محضر الجلسة الثالثة لدور الانعقاد غير العادى فى ٨ نوفمبر ١٩٣٧ ص ٤٦ .
- (٤٦) الوقائع المصرية فى ١٧ يوليو ١٩٣٠ ، ٥ فبراير ١٩٣١ .
- (٤٧) الشعب : العدد ٩٩ فى الاول من ابريل ١٩٣١ .

(٤٨) مضابط مجلس النواب : مجموعة مضابط دور الانعقاد غير العادى ١٩٣٧ ص ١٥٧ . الاستجواب الموجه الى وزير الحقانية من النائب السيد سليم بشأن التزويرات التى حدثت فى انتخابات ١٩٣١ .  
(٤٩) البلاغ فى ٤ ابريل ١٩٣٢ تحت عنوان الدكتور طه حسين وقضيته ضد الحكومة .

(٥٠) دار الوثائق : محافظ عابدين — احزاب سياسية ، محفوظات رقم ( ٣ ) تقارير أمن عن الاحزاب المختلفة — ملف حزب الشعب .

(٥١) اليد القوية ص ٦ — ٧ .

(٥٢) التى هذا البحث فى سمنار كاية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٨٣ ونشر بالمعدد الثانى من حولية كلية التربية بالفيوم ١٩٨٥ .

(٥٣) الظاهر العدد ١١٤٩ فى ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ تحت عنوان « جامعة النساء » .

(٥٤) اللواء : العدد ٣٣٧٤ فى سبتمبر ١٩١٠ تحت عنوان « جامعة النساء الشرقيات » .

(٥٥) الظاهر : العدد ١١٤٩ فى ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ تحت عنوان « جامعة النساء » .

(٥٦) للتفاصيل انظر تقويم جامعة القاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ .

(٥٧) الجريدة : فى ١٧ ابريل ١٩١٠ تحت عنوان « فى الجامعة المصرية » .

(٥٨) مجلة فتاة الشرق : القاهرة ١٩١٠ — ١٩١١ ص ١٦٩ ،  
المحاضرة الاولى التى ألقاها صاحبة المجلة فى الجامعة المصرية فى ٣١ يناير ١٩١١ .

(٥٩) الجريدة : العدد ٩٤٤ فى ١٨ ابريل ١٩١٠ ، مقال : للكاتبة  
الببية هاشم تحت عنوان « الجامعة المصرية والمحاضرات النسائية » .

(٦٠) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة فى ١٥ مارس ١٩١١ ص ١٢ .

(٦١) تقرير عن المالية والحالة العمومية فى مصر والسودان ١٩١٠ من جورست الى جراى ص ١٠١ .

(٦٢) وزارة التعليم العالى . المرأة المصرية فى التعليم العالى ١٩٧٥ ص ٦٩ .

- (٦٣) الجريدة : العدد ٩٤٨ في ٢٣ ابريل ١٩١٠ تحت عنوان « في الجامعة المصرية . محاضرات للسيدات » .
- (٦٤) د. اجلال خليفة : الحركة النسائية الحديثة قصة المرأة العربية على ارض مصر ، القاهرة ١٩٧٣ ص ٨٤ .
- (٦٥) الجريدة : العدد ٩٧٤ في ٢٤ مايو ١٩١٠ تحت عنوان « خطاب مفتوح الى باحثة البادية »
- (٦٦) صحيفة العفاف . اول ابريل ١٩٢١ .
- (٦٧) العفاف : ٢ ديسمبر ١٩٢٢ مقال تحت عنوان « مكانكم يا غربان السفور » .
- (٦٨) الجريدة : العدد ٩٧٥ في ٢٥ مايو ١٩١٠ تحت عنوان « باحثة البادية لم تجد منصفا يذكي آراءها » .
- (٦٩) احمد شوقي : الشوقيات ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٥٠ ص ٢١٤ — ٢١٦ .
- (٧٠) الجريدة : العدد ٩٨٥ في ٦ يونيو ١٩١٠ تحت عنوان حديث الكنار الى احمد بك شوقي .
- (٧١) د. اجلال خليفة : المرجع السابق ص ٨٨ ، جريدة العفاف : ١٩٣٠ .
- (٧٢) الجريدة : العدد ٩٨٥ في ٦ يونية ١٩١٠ مقال للكاتبة لبيبة هاشم تحت عنوان « الى باحث في الخيال ردا على باحثة البادية » .
- (٧٣) الجامعة المصرية : تقرير مجلس الادارة المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة في ٢٩ ابريل ١٩١٣ ص ١٣ .
- (٧٤) د. عبد المنعم الجيمى : طه حسين والجامعة المصرية . القاهرة دار الكتاب الجامعى ١٩٨١ ص ٥٠ .
- (٧٥) احمد لطفى السيد : قصة حياتى . القاهرة — كتاب الهلال العدد ٣٧٧ مايو ١٩٨٢ ص ١٨٣ .
- (٧٦) للتفاصيل انظر كتابنا طه حسين والجامعة المصرية .
- (٧٧) وزارة التعليم العالى : المرأة المصرية في التعليم العالى ص ٤٤ .
- (٧٨) المركز القومى للبحوث التربوية : المرأة والتعليم في جمهورية مصر العربية . مايو ١٩٨٠ ص ٤٩ .

(٧٩) الاهرام : العدد ١٦٦٥٩ فى ٢٣ فبراير ١٩٣٢ تحت عنوان « حفلة الشاى التى اقامتها طالبات وطلبة كلية الآداب وخرىجوها فى دار نادى الجامعة برئاسة عميدهم د. طه حسين » .

(٨٠) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الثانى — الجلسة التاسعة عشرة فى ٧ مارس ١٩٣٢ ص ٢٥٨ .

(٨١) دار الوثائق : ديوان جلالة الملك — تلغراف بتاريخ ١٧ يناير ١٩٤٧ ، وفيه يحتج شباب محمد على ادارة الجامعة لما سجلته الجرائد والمجلات من صور فاضحة للطالبات فى لعبة الهوكى مما يبرأ منه الاسلام وتنفطر له قلوب المسلمين .

(٨٢) صحيفة الجامعة المصرية . السنة الثانية — العدد اربع ابريل ١٩٣١ ص ٥٦ — ٥٨ .

(٨٣) المقتطف : الجزء الاول من المجلد التسعين عدد اول يناير ١٩٣٧ ص ٢٤ تحت عنوان حديث للدكتور طه حسين عميد كلية الآداب .

(٨٤) وزارة التعليم العالى : المرأة المصرية فى التعليم العالى القاهرة ١٩٧٥ ص ٤٩ .

(٨٥) الدستور : العدد ٣٨٨ فى ٩ ابريل ١٩٣٩ مقال لهاشم ابراهيم تحت عنوان « الفتاة مكانها البيت » .

(٨٦) الدستور : العدد ٣٩٣ فى ١٦ ابريل ١٩٣٩ مقال لمحمد مصطفى حسن تحت عنوان « الفتاة فى ميدان العمل » .

(٨٧) كل شىء والدنيا عدد ٩ يوليو ١٩٣٢ .

(٨٨) الدستور : العدد ٤٠٥ فى ٣٠ ابريل ١٩٣٩ ، رأى للدكتور محمود سامى جنيبة استاذ القانون الدولى تحت عنوان « الفتاة فى ميدان العمل » .

(٨٩) الدستور : العدد السابق تحت عنوان رأى الدكتور السيد صبرى استاذ القانون الإدارى .

(٩٠) الدستور : العدد ٣٨٨ فى ٩ ابريل ١٩٣٩ مقال لنظمى بطرس تحت عنوان « الفتاة مكانها فى الجامعة » .

(٩١) دار الوثائق : ديوان جلالة الملك . محفظة رقم ٦ التباسات . ٢٦ فبراير ١٩٣٠ .



- (٩٢) د. محمد سلامة آدم : المرأة بين البيت والعمل . القاهرة — دار المعارف . الطبعة الأولى ١٩٨٢ ص ٨٥ ، ١٨٧ .
- (\*) القى هذا البحث في سمنار بنات عين شمس في الثلاثاء ١١ ديسمبر ١٩٨٤ .
- (٩٤) محمد صالح الشنطى : الرواية العربية في مصر من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٦ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ص ٢٣ ، والشعب في ٥ مايو ١٩٥٩ مقال للاستاذ أحمد عباس صالح تحت عنوان « في الرواية العربية » .
- (٩٥) جهاد عبد الجبار : ثلاثة نجيب محفوظ . رسالة ماجستير غير منشورة ص ٦ — ٨ .
- (٩٦) غالى شكرى : المنتهى . دراسة في أدب نجيب محفوظ . القاهرة — دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٩ ص ٦٤ .
- (٩٧) نجيب محفوظ : بين القصرين . القاهرة — مكتبة مصر . د.د. ص ١٢٨ — ١٢٩ .
- (٩٨) نجيب محفوظ : بين القصرين . ص ٤٠ .
- (٩٩) نجيب محفوظ : قصر الشوق ص ٢٩٩ .
- (١٠٠) نفسه ص ٢٥٥ .
- (١٠١) الجمهورية في ٦ فبراير ١٩٥٧ تحت عنوان « بين القصرين » لطله حسين .
- (١٠٢) سيزا أحمد قاسم : الواقعية الفرنسية والرواية العربية في مصر ١٩٤٥ — ١٩٦٠ دراسة مقارنة تطبيقاً على ثلاثة نجيب محفوظ ، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بآداب القاهرة عام ١٩٧٨ .
- (١٠٣) نجيب محفوظ : السكرية ص ٨٣ .
- (١٠٤) على الراعى : دراسات في الرواية المصرية . القاهرة — المؤسسة المصرية العامة للتأليف ص ٢٥٠ .
- (١٠٥) نجيب محفوظ : بين القصرين ، ص ٣٩٨ — ٤٠٠ .
- (١٠٦) الجمهورية : العدد ١١٣٤ في ٦ فبراير ١٩٥٧ تحت عنوان « بين القصرين » لطله حسين .

- (١٠٧) نجيب محفوظ : السكرية ص ٧٨ .
- (١٠٨) نجيب محفوظ : السكرية ص ٨٧ .
- (١٠٩) نجيب محفوظ : السكرية ص ١٤١ .
- (١١٠) نفسه : ص ١٤٩ .

(١١١) الآداب . يونيو ١٩٦٠ حديث لنجيب محفوظ مع فاروق شوشة  
(١١٢) الكاتب : العدد الثاني والعشرون في يناير ١٩٦٣ مقال للدكتور  
غنيمة جلال تحت عنوان « أزمة الوعي السياسي في قصة السمان  
والخريف » .

(١١٣) الرسالة الجديدة : العدد التاسع والعشرون في أغسطس  
١٩٥٦ ص ٤٤ تحت عنوان حول كتاب في الثقافة المصرية للدكتور عبد العظيم  
أنيس .

(١١٤) جهاد عبد الجبار : ثلاثية نجيب محفوظ : رسالة ماجستير  
غير منشورة ص ١٩ .

(١١٥) الهلال : محاكمة نجيب محفوظ ص ٤١ .

(١١٦) نجيب محفوظ : السكرية ص ١٢٦ .

(١١٧) نفسه ص ١٢٩ .

(١١٨) جهاد عبد الجبار : المرجع السابق ص ٢٢ .

(١١٩) روزاليوسف : العدد ١٥٣١ في ١٤ أكتوبر ١٩٥٧ تحت عنوان  
« الكاتب والطبقة التي يعبر عنها » .

(١٢٠) نجيب محفوظ : اتحدث اليكم . بيروت . د.د. ص ٣٢ .

(١٢١) الكاتب : في يناير ١٩٦٣ ص ١٨ لقاء لنجيب محفوظ مع عواد  
دواره تحت عنوان « رحلة الخمسين مع نجيب محفوظ » .

(١٢٢) انظر : أحمد عرابي : كشف الستار عن سر الأسرار . مخطوط  
بدار الكتب المصرية ص ٣٣٤ .

(١٢٣) دار الوثائق : محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ١٠ ب-ج  
دوسيه ١٠١ الثورة العربية وقضايا المتهمين . استجواب حسان فراج  
من عربان الفيوم .

- (١٢٤) محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ٧ دوسيه ١٧ .
- (١٢٥) دار المحفوظات العمومية : محافظ الداخلية عربى — محفظة رقم ٤٤ عين ٧٩ مخزن ٥٠ ملف ١٠١ سجل رقم ٢ مكتبة من ناظر الداخلية الى مدير الفيوم .
- (١٢٦) محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ٣١ دوسيه رقم ٥ .
- (١٢٧) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان — تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ص ١٨٠ .
- (١٢٨) الياس زاخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم اكابر الرجال بمصر ج ١ القاهرة . المطبعة العمومية ١٨٩٧ ص ١٠٣ .
- (129) Public Record office. F. O. 407/21 in Closure in No 931  
Extract from the « observer » of July 23, 1882 .
- (١٣٠) والجدير بالذكر أن الوزارة الاوربية هى التى فيها نوبار باشا عام ١٨٧٨ واشترك فيها وزيران اوريان انجليزى للمالية وفرنسى للشغال وكان من نتيجة مظاهرة الضباط فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ اسقاط هذه الوزارة .
- للتفاصيل انظر : دكتور عبد المنعم الدسوقي الجيمى : عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ص ٢٩ .
- (١٣١) الرافعى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى ص ٢٦٧ .
- (١٣٢) محافظ الثورة العربية . محفظة رقم ١٨ ملف ٤٠ تقرير اسماعيل باشا ايوب عن الاجتماعات التى كانت تعقد بوزارتى الداخلية والجهادية .
- (١٣٣) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ١٠ ملف ١٢٥ محضر استجواب حسين باشا الدرملى وكيل نظارة الداخلية .
- (١٣٤) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ١٩ دوسيه ٨٣ تقرير مقدم من رستم بك وسيم وكيل الدائرة البلدية بمصر .
- (١٣٥) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ٢٠ ملف ٣٤ تلغراف من احمد عرابى الى وكيل الجهادية بتاريخ ١١ اغسطس ١٨٨٢ .
- (136) Broadley : How We Defended Arabi and his friends  
Astory of Egypt and Egyptians. London 1884 p. 137.

- (١٣٧) عن استجواب على الروبى انظر : محافظ الثورة العربية —  
محفظة رقم ١٣ قضايا المتهمين دوسيه ٢٤٩ .
- (١٣٨) محافظ الثورة العربية : محفظة رقم ١٣ ملف ٢٤٩ .
- (١٣٩) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٧٥ .
- (١٤٠) الوقائع المصرية عدد ٢٦ ديسمبر ١٨٨٢ .
- (١٤١) الوقائع المصرية فى اول يناير ١٨٨٣ .
- (١٤٢) الوقائع المصرية فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٢ .
- (١٤٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ج ١ . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٥٥ ص ٢٢٧ .
- (١٤٤) محمد صبيح : « اليقظة » مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٦ .
- (١٤٥) مؤسسة الاهرام : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
- (١٤٦) د. عاصم دسوقى : ثورة ١٩١٩ فى الاقاليم من الوثائق البريطانية القاهرة — دار الكتاب الجامعى ١٩٨١ ص ٦٥ .
- (١٤٧) محمد صبيح : المرجع السابق ص ٥٩٦ — ٥٩٧ .
- (١٤٨) عاصم دسوقى : المرجع السابق ص ٧٠ .
- (١٤٩) د. عاصم دسوقى : المرجع السابق ص ٦٩ — ٧٠ .
- (١٥٠) الرافعى : المرجع السابق ص ١٤٥ .
- (١٥١) دار الوثائق : مذكرات محمد على علوبة ص ٦٩ .
- (١٥٢) محمد كامل سليم : ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها . القاهرة كتاب اليوم . العدد ٢٦٥ مايو ١٩٧٥ ص ١٢٣ .
- (١٥٣) الهلال : الجزء السابع من السنة الثامنة والثلاثين عدد اول مايو ١٩٣٠ ص ٧٩٠ حديث لحمد باشا الباسل تحت عنوان « أهم حادث لفر فى مجرى حياتى » .
- وقد ظل حمد الباسل يحمل لواء الكفاح حتى اختاره الله الى جواره يوم الاثنين ٩ فبراير ١٩٤٤ .

- (١٥٤) جبل الطور بسيناء .
- (١٥٥) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٣٠٦ .
- (١٥٦) د. عبد المنعم الجميى : الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى ص ١٩٤ .
- (١٥٧) الأهرام فى ١٩٧٩/٧/٢٠ مقال للدكتور يونان لبيب تحت عنوان «قراءة تاريخية فى حادثة تعيين حدود مصر الشرقية » .
- (١٥٨) الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ ص ٢٤٣ .
- (١٥٩) جمهورية مصر العربية . الهيئة العامة للاستعلامات . سيناء فى ظل الاحتلال ٦٧ — ١٩٧٩ ص ٩ — ١٠ .
- (١٦٠) جمهورية مصر العربية : المجلس الأعلى للشباب والرياضة .
- (١٦١) المجلس الأعلى للشباب والرياضة . مصر سيناء .

## الفصل الحادى عشر

### من رجالات النهضة المصرية

#### فى العصر الحديث

- ١ — على باشا مبارك
- ٢ — عبد الله النديم
- ٣ — الشيخ محمد عبده
- ٤ — مصطفى كامل
- ٥ — الخديو عباس حلمى الثانى



## من رجالات النهضة العلمية والتعليمية في مصر

### ١ - على باشا مبارك (١)

١٨٢٤ - ١٨٩٣

في تاريخنا القومي شخصيات فذة تعتبر أركاناً للنهضة القومية ،  
لما لها من الأثر البالغ في توجيهها وتطورها .

وعلى مبارك ولد في برنبال الجديدة مركز دكرنس دقيلية عام ١٨٢٤  
وبعد أن تلقى تعليمه الأولي دخل مدرسة المهندسخانة وهو في  
السادسة عشرة من عمره ومكث بها خمس سنوات أظهر فيها تفوقاً  
وبعدها التحق بالبعثة المصرية التي أرسلت إلى فرنسا في عام ١٨٤٤  
لتلقى الفنون الحربية .

وكان أول مركز شغله على مبارك بعد عودته إلى مصر هو تعيينه  
مدرساً بمدرسة طرة الحربية ثم تدرج بعد ذلك في وظائف عديدة منها  
نظارته لمدرسة المهندسخانة . وفي عهد سعيد باشا كلف على مبارك  
بالاشتراك في حرب القرم ١٨٥٤ ، وبعد عودته إلى مصر عين معاوناً  
بوزارة الحربية ، ثم عهدت إليه وكالة المحكمة التجارية ثم عين مفتشاً  
لمهندسة نصف الوجه القبلي ، ولما تولى اسماعيل الحكم الحق على  
مبارك بمعيته ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية وفي عام ١٨٦٧  
عين وكيلاً لديوان المدارس ( وزارة المعارف ) ثم أسند إليه إدارة  
مصلحة السكك الحديدية ، ووزارة المعارف والاشغال وبعدها ضمت  
إليه نظارة ديوان الأوقاف وهنا يبدأ العصر الذي حفل بالأعمال  
الهامة التي مازال صداها يتردد في النهضة العلمية بمصر حيث وجه على  
مبارك معظم جهوده لترقية شئون التعليم في البلاد ، فوجه عنايته  
إلى اصلاح التعليم في المكاتب وتحويل ما يمكن تحويله من الكتاتيب إلى  
مدارس ابتدائية نظامية فوضع لذلك لائحته المشهورة بلائحة ١٠ رجب



التي نظمت المدارس وانشئ في عهده كثير من المدارس الابتدائية النظامية في القاهرة وعواصم الاقاليم

ولما كان وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكافى من الاساتذة الاكفاء فقد انشأ على مبارك دار العلوم لتخريج اساتذة اللغة العربية والآداب ، واختار تلاميذها من طلبة الأزهر واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التى لا تدرس فى الأزهر كالحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والطبيعة والخط مع اتقان العلوم الأزهرية . واختار على مبارك للتدريس فى دار العلوم جماعة من خيرة الاكفاء من العلماء ، وجعل التعليم فيها بالمجان وقد اثرت هذه المدرسة ، وتخرج منها اساتذة اللغة والآداب العربية الذين سدوا فراغا كبيرا بالمدارس المصرية .

### دار الكتب المصرية :

اسست ١٨٧٠ وترجع فكرة تأسيس دار الكتب الى الخديو اسماعيل الذى رأى انشاء مكتبة عامة تجمع شمل الكتب المتفرقة فى مخازن الحكومة والمساجد ومكاتب الأوقاف ، ومن هنا طلب من على مبارك تحقيق فكرته واخراجها الى حيز النور ، فحقق الفكرة ، وانشأ دار الكتب فى سراى درب الجمائز .

وقد فتحت هذه الدار ابوابها لطلاب المعارف والعلوم وسهلت لهم الاطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات نادت ولا تزال تؤدي اجل الخدمات للعلماء والمثقفين .

### مجلة روضة المدارس

رأى على مبارك الذى كان جل مرغوبة تعميم العلوم وتنميتها المعارف وانتشار الفنون ، والذي كان يعتبر التعليم وسيلة من وسائل التوجيه ، وتكوين الراى العام المستنير ضرورة انشاء مجلة تربوية تعليمية تبنيها وزارة المعارف فأسس مجلة عنوانت باسم « روضة المدارس » اسند رئاستها الى رفاعة الطهطاوى ناظر الترجمة بديوان المعارف (٢) كما اسند تحريرها الى على بك فهمى رفاعة وكان يعمل مخرسا للانشاء بمدرسة الادارة والالسن .

وقد صدر العدد الاول من روضة المدارس في ١٧ ابريل ١٨٧٠  
كمجلة أدبية علمية تصدر مرتين في الشهر (٣) . .

ولما كانت المهمة الأساسية لهذه المجلة هي نشر العلم والعرفان فقد  
جعل شعارها :

تعلم العلم واقرا تحز فحار النبوة  
فالبه قال ليحي خذ الكتاب بقوة

وقد توقفت روضة المدارس بعد أن صدر العدد السادس عشر  
من سببها الثامنة دون أن تذكر السبب الذي دفعها الى هذا التوقف .

ومع أن شهرة على مبارك تقوم في الغائب على خدماته الجليلة  
للتعليم فان له مآثر أخرى في أعمال العمران التي تمت في عهد اسماعيل  
منها ما يختص بالرى ، ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى  
ولما تولى توفيق باشا الحكم عهد الى على مبارك وزارة الأشغال  
فبذل فيها جهودا كبيرة ، ولما قامت الثورة العربية لم يكن على مبارك  
من انصارها بل كان يميل الى الاعتدال (٤) .

### مؤلفات على باشا مبارك

لعلى مبارك مؤلفات عديدة أهمها « الخطط انتوفيقية لمصر القاهرة  
ومدنها وبلادها القديمة والشهرة » وهي دائرة معارف لخطط مصر  
وآثارها وجغرافيتها وتاريخها في عصورها القديمة والحديثة وتقع الخطط  
التوفيقية في عشرين مجلدا ألفها المؤلف الاجزاء الستة الأولى للقاهرة ،  
والجزء السابع للاسكندرية والاجزاء الأخرى لبقية القطر المصري مدنه  
وقراه ، وخصص الجزء الثامن عشر لقياس النيل ، والتاسع عشر  
لترع مصر ومنشآت الرى فيها ، أما عن الجزء العشرين فمقد خصص  
للتقود المصرية القديمة والحديثة .

هذه هي أهم أعمال على مبارك ، وهذا هو عطاؤه وفي ١٤ نوفمبر  
١٨٩٣ نطقا المصباح المضيء الذى انعش الحركة العلمية والثقافية فى  
مصر ما يقرب من أربعين عاما .

## ٢ — عبد الله النديم

١٨٤٣ — ١٨٩٦

ولد عبد الله النديم — وحقيقة اسمه عبد الله بن مصباح بن ابراهيم الحسنى — فى عام ١٨٤٣ فى احدى حارات حى الجبرك بالاسكندرية فى أسرة فقيرة ، فكان والده يعمل خبازا ويحصل من ذلك على الكفاف من العيش . وتعلم النديم فى كتاب الحى مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ التاسعة من عمره ، كما درس الفقه والأصول والتوحيد والمنطق والعلوم اللسانية والنحو الصرف فى الجامع الأنور فى الاسكندرية ، ولكنه لم يصبر طويلا على هذه الدراسة اذ وجد فى نفسه ميلا واستعدادا للادب فارتاد المقامى والمنتديات والمجالس الأدبية وسمع الحكايات والأمثال من شعراء الرابة ونوادر الظرفاء ، وقد ساعد ذلك على تكوين النديم الأدبى ، فبرزت قدراته الخطابية والكتابية حتى سار معروفا بين ادباء الاسكندرية أما لقب النديم ف يرجع الى منادته للامراء والكبراء .

وفى بدء حياة النديم تعلم صناعة التلغراف لكى يكتب رزقه ، وعمل بمكتب التلغراف بينها ، ولما ظهرت كفايته فى عمله نقل الى مكتب القصر العالى بالقاهرة الذى كانت تقيم فيه الأميرة « خوشيار خانم » والدة الخديو اسماعيل ، فعرف هناك حياة القصور وما بها من بذخ وقارن بينها وبين حياة الشعب الفقير مما اثر على تكوينه السياسى فوقف نصيرا للطبقات الكادحة فيما بعد .

أخذ النديم يتردد على المجالس وحلقات العلم بالأزهر ولما سمع عن جمال الدين الانفسانى حضر مجالسه ، واستهوت النديم افكار جمال الدين الجريئة ، فانخرط فى سلك تلامذته ، الا أن ذلك أدى الى فصل النديم من عمله بالقصر العالى فأخذ يجوب القرى والمدن مبتغيا كسب عيشه حتى تعرف على شاهين باشا كتيج مفتش الوجبة البحرى الذى قرببه اليه ، ومن خلاله تعرف النديم على أحد رجال الحاشية الخديوية وهو تتونجى بك الذى عينه وكيلا لدارثته بما اتاح للنديم فرصة التردد على القاهرة ، فعاود مجالس استاذة جمال الدين

لكن النديم وجد أن لهجته في الحديث قد تغيرت ، فأصبح يتحدث عن ضرورة التخلص من الظلم الاجتماعى والحكم الفردى والتدخل الأجنبى ، والاستبداد الواقع على أعتاق المصريين ، وقد مست هذه الكلمات قلب النديم وساهمت في اكتمال نضجه السياسى ، ومن هنا بدأت حياته السياسية . وبدأت أولى الخطوات العملية في حياة النديم السياسية بانضمامه الى الجمعيات ذات الصفة السرية ، فدخل الحركة الماسونية ، كما دخل جمعية مصر الفتاة السرية ، ولما أحس أن هذا العمل لا يتفق مع طبيعته الشعبية لجأ الى العمل الوطنى العلنى ، واستخدم في ذلك وسائل ثلاث : الصحافة حيث كتب في صحف مصر والتجارة والمحروسة والعصر الجديد ثم أسس صحيفة التكتيك والتكتيك الذى صدر العدد الأول منها في السادس من يونيو ١٨٨١ ثم استبدل اسمها بالطائف بعد انضمامه الى العربيين في محاولة منه لتكوين رأى عام ونجح في ذلك الى حد كبير لدرجة أن لقبه البعض بصحنى القرن التاسع عشر بلا منازع ولقبه البعض الآخر بأنه أذكى ناقد لأوروبا في مصر وقد نالت مقالاته أعجاب الناس لأنها كانت جديدة عليهم من ناحية الأفكار والجرأة في التعبير كما كانت جديدة عليهم من ناحية الأسلوب الذى تناول فيه النديم الاحوال السياسية التى مرت بها مصر بأسلوب رمزى اتخذ فيه من بعض الكائنات غير الانسانية متبارا لبث أفكاره ومبادئه حيث لم تتح له ظروف مصر السياسية ما يريد أن يقوله بطريق مباشر .

واستخدم النديم المسرح في توعية مواطنيه فكتب روايتين مثلهما مع تلاميذه وهما « الوطن وطالع التوفيق » و « النعمان » كما استخدم الخطابة في توصيل أفكاره الى مواطنيه . وبينما كان النديم يقوم بدوره في تعبئة الشعوب الوطنى اتصل به الزعماء العسكريين ودارت بينهم وبينه مشاورات سرية من أجل أن ينضم اليهم ، ويكون لسان حالهم ، وقد تردد النديم في ذلك أول الأمر ولكنه بعد أن أحس أن هدفهم هو العمل من أجل حرية الوطن وقف بجانبهم فانتعشت حركة الضباط بانضمامه اليها ، واختاره عرابى مستشارا له ، وفي أعقاب حادث قصر النيل أشار النديم على عرابى بطبع منشور يطالب فيه من

الشعب أن يفوضه في المطالبة بحقوقه ، وقد وافق عرابى وكلف النديم بتوزيع المنشور ، فقام بتوزيعه ثم أخذ في جمع التوقيعات من الاهالى مما كان له اكبر الأثر في تقوية العزائم ، كما جاءت الوفود لمبايعة عرابى ، وبهذا تحولت الحركة العربية من ثورة عسكرية الى ثورة شعبية بفضل ارشادات وتوجيهات النديم .

وفي اثناء مظاهرة عابدين ( ٩ سبتمبر ١٨٨١ ) طلب عرابى من النديم رفع مغنويات مؤخرة قواته حتى لا يصيبها الضعف والخذلان ، فأخذ النديم يلهم مشاعر الجند بخطاباته الوطنية والحماسية ، وبعد استجابة الخديو توفيق لمطالب العرابيين قام النديم بتأسيس جمعية الشبان بالاسكندرية حتى تكون ركيزة شعبية للثورة .

ولقد وقف النديم بجانب الثورة ، وهاجم الخديو توفيق واتهمه بالخيانة والخداع ، وعندما ارسلت انجلترا وفرنسا المذكرة المشتركة الى الخديو وجاء الوفد العثماني لتقصي الحقائق في مصر سافر النديم الى الاسكندرية لكي يهيبء الناس لاستقبال الوفد العثماني والاحتجاج على المذكرة المشتركة .

وفي اثناء المعارك بين العرابيين والانجليز نظم النديم اسلوب الدعاية للمعركة فكان له تأثير كبير على عقول المواطنين ، وبعد الهزيمة اعد النديم خطته للاختفاء عن اعين السلطة ، وقد نجح فى ذلك واستمر مختفيا حوالى تسع سنوات حتى قبض عليه فى الثالث من اكتوبر ١٨٩١ ، فنفى الى يافا وعندما اعطى عباس الثانى اريكة الخديوية اصدر عفوه عن النديم واباح له العودة الى مصر ، فوصلها فى التاسع من مايو ١٨٩٢ واستأنف جهاده الوطنى باصدار مجلة الاستاذ فى ٢٣ من اغسطس ١٨٩٢ وكانت مقالاته على صفحاتها تحدد المعارضة القوية ضد الاحتلال ، كما تحمل النديم مهمة ايقاظ الشعور الوطنى فوضع امله فى الجيل الجديد وخصوصا مصطلحى كامل الذى تتلمذ عليه ونشأ فى مدرسته ، واقتبس بعض اساليبه ، فكان النديم استاذاً مباشراً له فى مجال الصحافة والخطابة وفى ميادين السياسة ، كما كانت نصائحه وتوجيهاته خير هاد له ، فأصبح

النديم بذلك حركة الوصل بين جيل الثورة العربية وجيل الشباب الجديد بزعامة مصطفى كامل .

ولما أحس كرومر بخطورة النديم طلب من الخديو نفيه خارج مصر ، وتحت الحاح كرومر نفى النديم الى يافا للمرة الثانية ، ولكنه لم يستقر بها طويلا فرحل الى الاسكندرية ، وهناك التقى باستاذة جمال الدين الأفغانى ، كما حدث بينه وبين أبى الهدى الصيادى مبارزة فكرية ، فهجاه النديم فى كتابه المسامر ، ورد عليه الصيادى بكتاب « صوت الهزار وزيق العذار » ومرة اثناء تواجد النديم فى الاسكندرية ايضا طلب منه الخديو عباس الثانى الوساطة فى امر مصاهرته من احدى بنات الخلافة ، غير أن وساطته لم تنجح .

— أما عن اثر النديم السياسى ، فان افكاره سبقت افكار ابنىاء وطنه ، فكانت جديدة عليهم ، اذ نبه عقولهم الى موضوعات جديدة ، فتحدث عن مفهوم القومية ومبدأ مصر للمصريين وأهمية الوحدة الوطنية وفكرة الجامعة الشرقية وأهمية الديمقراطية كأساس للحكم فى مصر والدستور كنظام له وتكلم عن الاحزاب والاهتمام بالرأى العام وفكرة الجمهورية ، كما ان دعوة النديم للإصلاح الاجتماعى قد سبقت انشغاله باحداث البلاد السياسية ، ثم مزج بينهما وسارا جنبا الى جنب فانشغل بما اصاب قومه من جهل وانحلال وانكباب على الرزائل والموبقات وحاول أن ينبههم الى مضارها ، ويزيل الخرافات والجهل المطبق عليهم وتحدث عن أهمية العدالة الاجتماعية ، وعن ضرورة انشاء الجمعيات الخيرية كوسيلة لتعليم ابناء الشعب فقيره وغنيه ، كما طالب باصلاح المهن والحرف المصرية .

وفى مجال الثقافة والتعليم طالب النديم باصلاح نظم التعليم فى الأزهر وحث الاغنياء على انشاء مدارس أهلية ليتعلم فيها ابناء الشعب كما دافع عن اللغة العربية ، وجدد الدعوة الى انشاء مجمع اللغة العربية حتى يحول دون ضياع اللغة الفصحى .

أما عن مؤلفات النديم التى تشقت عنها تريحته فقد ألف « كان ويكون » اثناء الاختفاء داخل قرى مصر ونجوعها حوالى عشر سنوات والى ألف

« تاريخ مصر فى هذا العصر » كما الف المسامير فى هجاء « أبو الهدى الصيادى » أثناء وجوده فى منفاه بالإسكندرية هذا بالإضافة الى ما قىام شقيقه عبد الفتاح نديم بجمعه تحت عنوان « سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله النديم » .

وقد توفى النديم بالإسكندرية فى الثالث عشر من أكتوبر ١٨٩٦ دون ان يترك اولادا حيث ماتوا جميعا فى طفولتهم .

### ٣ — الشيخ محمد عبده من واقع ملف خدمته (هـ)

تعتبر ملفات وربط المعاش الموجودة فى دار المحفوظات العمومية بالقاهرة ، من المصادر الأصلية والهامة فى دراسة تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، فبعضها يعرض للرواد الذين لعبوا ادوارا بارزة فى التاريخ المصرى ، وتبرز أهلية هذه الملفات فى معرفة التسلسل الوظيفى للشخصيات التاريخية ، اذ تصور حياة كل منهم الوظيفية كما تعرفنا بمؤهلاتهم العلمية وظروفهم الاجتماعية التى مروا بها قبل الوصول الى منصب الزعامة أو الريادة .

والملف الذى نعرض له فى هذا الصدد هو ملف خدمة وربط معاش الشيخ محمد عبده ، أحد اعلام الثورة العربية الذى تدرج فى عدة وظائف هامة أبرزها وظيفة مفتى الديار المصرية .

\* ولد الشيخ محمد عبده فى أواخر عام ١٢٦٦ هـ ( ١٨٤٩ م ) فى قرية محلة نصر بمركز شبراخيت بحيرة طبقا لقراره الشخصى بذلك<sup>(١)</sup> .

\* وكانت أول وظيفة التحق بها فى أواخر عام ١٢٩٥ هـ ( ١٨٧٨ م ) هى وظيفة مدرس بمدرسة الألسن ومدرسة دار العلوم ، واستمر بها حوالى ثمانية شهور ثم رقت بالاستغناء عنه فى رمضان ١٢٩٦ هـ .

\* وفى جمادى الأولى ١٢٩٧ هـ ( ١٨٨٠ م ) عين ( محررا ثالثا فى الجريدة الرسمية بمرتب الف وثلثمائة قرش شهريا ، وفى ذى القعدة ١٢٩٧ هـ رقى رئيسا بقلم ادارة المطبوعات العربية والتركية بمرتب

الفين قرش ) ثم زيد الى ثلاثة آلاف قرش في ربيع الثانى من السنة المذكورة (٧) .

✽ ونتيجة لانضمام الشيخ محمد عبده الى رجال الثورة العربية وتزويده جريدة الوقائع المصرية بالافكار الثورية حتى اصبح كاتباً ومثلاً ومقرئاً للعربيين في المحافل والمجامع ومحرراً للمحاضر المنتقة مع اغراض الثوار ، نتيجة لذلك كله فصل من وظيفته وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالتجريد من « الرتب والنياشين والعنوانات وعلامات الشرف والامتيازات » (٨) وتقرر نفيه الى خارج القطر المصرى وملحقاته لمدة ثلاث سنوات قضاها في بيروت . ارتحل بعدها الى باريس حيث دعاه استاذة جمال الدين الافغانى واصدرا سويا جريدة العروة الوثقى من هناك ، ثم عاد الى بيروت حيث تزوج للمرة الثانية رحل بعدها الى مصر .

✽ وعين الشيخ محمد عبده عقب عودته الى مصر في وظيفة نائب قاضى محكمة بنها حسب الامر العالى الصادر في ٢٨ يوليو ١٨٨٩م ، ثم نقل الى محكمة المنصورة الابتدائية الاهلية في اول يناير ١٨٩١م في وظيفة قاضى ومنها نقل الى محكمة مصر الابتدائية الاهلية (٩) .

✽ ظل الشيخ محمد عبده يعمل في القضاء حتى سنة ١٨٩٩م ثم صدر امر عالى في ٣ يونية بتعيينه مفتيا للديار المصرية بمرتب سبعين جنيها في الشهر وضمنت له الحكومة « الرجوع الى وظيفة قاضى بمحكمة الاستئناف الاهلية في حالة استقالته او اقالته من وظيفة افتاء الديار المصرية » (١٠) .

✽ والتمس الشيخ محمد عبده من الخديو ضم المدة التى قضاها بالمنفى الى مدة خدمة حتى تحتسب له في المعاش ، وقد اجابه الخديو الى طلبه ففى ١٨ يونيه ١٩٠٥ صدر امر عالى رقم ٣ باحتساب فترة النفى التى قضاها الشيخ محمد عبده ضمن مدة خدمته (١١) .

✽ واشتدت وطأة المرض على الشيخ محمد عبده منذ اكتوبر ١٩٠٥



نمزم على السفر الى خارج البلاد للعلاج<sup>(١٢)</sup> بعد ان اختلف الاطباء المصريون في تشخيص مرضه ، ولكن حالته الصحية حالت دون ذلك .

✽ وتوفى الشيخ محمد عبده بالاسكندرية في ١١ يولية ١٩٠٥ عن عمر يناهز السادسة والخمسين ودفن بالقاهرة تاركا وراءه زوجة ، واربع بنات ، كانت الصغرى من الزوجة الثانية .

✽ ومع ان الشيخ محمد عبده قدم اقاربا في نوفمبر ١٨٩٦م بأنه يمتلك منزلا يقع بالشارع الاسماعيلي بالسيدة زينب ، واربعاً وعشرين فدانا وثلاثة عشر قيراطا بالاضافة الى سبعة فدادين اخرى بطريق الرهن وتقع كلها في مركز شبراخيت بحيرة<sup>(١٣)</sup> فان زوجته طلبت من وزارة المالية زيادة معاشها هي وبناته نظرا لأنه لم يتجاوز سبعة جنيهات لا تكفي لقضاء حاجات معيشتهم الضرورية ، وان زوجها قد شغل نفسه طيلة حياته بتفضيل منافع الناس العمومية على شئونه الخاصة مما جعله لا يترك لهم شيئا يغيثون منه<sup>(١٤)</sup> .

#### ٤ — مصطفى كامل

١٨٧٤م — ١٩٠٨م

ولد مصطفى كامل بحارة درب المبيضة بشارع شيخون بالمصلية بحى الخليفة بمدينة القاهرة في ١٤ — ٨ — ١٨٧٤م وشاهدت طفولته السنوات الأخيرة من عصر الخديو اسماعيل حيث كانت الأزمة المالية والتدخل الأوربي ثم سقوط اسماعيل وتولية توفيق ودوى صوت جمال الدين الأنفاني ومحمد عبده وعبد الله النديم ثم ثورة عرابي وانحياز الخديو للانجليز والاحتلال ، ونتيجة لما انتهت اليه الثورة العرابية من اخفاق وهزيمة شنب مصطفى كامل بين شعب تملكه اليأس والقنوط والقلق .

حصل مصطفى كامل على الشهادة الابتدائية عام ١٨٨٧ من مدرسة القريبة بالقاهرة وتلقى دراسته الثانوية في مدرسة الخديوية ، ونال الشهادة الثانوية في صيف ١٨٩١ ثم تلقى دراسته العالية في مدرسة

الحقوق الخديوية ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية في أكتوبر ١٨٩٢م حيث حصل على شهادة الحقوق من تولوز عام ١٨٩٤م .

وقد كان لاتصال مصطفى كامل بعلى باشا مبارك وعبد الله النديم اكبر الاثر في تكوين شخصيته وفي تشكيل وضعه السياسى ، فقد وجد مصطفى كامل من على باشا مبارك تشجيعا اذ افسح له المجال في مجالسه كما شجعه على قراءة الصحف على مسمع من الناس ولما وجد فيه الفصاحة والشجاعة وقوة العارضة تنبا له بمستقبل عظيم ، ولقبه « امرؤ القيس » كما وجد مصطفى كامل في عبد الله النديم المدرسة الثورية التى تلقن فيها دروس الوطنية ، فكان لاتصاله به اكبر الاثر في تكوينه الثورى حيث تتلمذ عليه ونشأ في مدرسته واقتبس بعض أساليبه ، واطلع منه على أسباب فشل الثورة العربية والقواعد التى يتبعها حتى يكون وطنيا ناجحا وكانت نصائح وتوجيهات النديم لمصطفى كامل خير هاد له فقد شرح له أهمية الصحافة ودورها في تنوير الراى العام ، وكانت جريدته «الاستاذ» هى الاستاذ الصحفى لمصطفى كامل ، كما اخص النديم مصطفى كامل بالرعاية لما وجد فيه من الاستعداد الثورى ، وتبينت له قدراته الخطابية ، وامارات الزعامة ، فشحن عواطفه بها في نفسه من الأفكار المكبوتة في صدره والتي لم يستطع هو الانصاح عنها بعد عودته من المنفى وقد ظهر ذلك واضحا في خطب مصطفى كامل واسلوبه ، فقد اقتبس من النديم بعض عباراته البلاغية وقلد طرق مخاطبته الجماهير .

وليس من شك في أن النديم قد غرس في مصطفى كامل آراءه وكان همزة الوصل بين جيل الثورة العربية والجيل الجديد الذى تسلم الراية بعده .

وعندما تولى الخديو عباس الثانى واطهر ميلا الى جانب المصريين ، توثقت روابط الود والتعاون بينه وبين مصطفى كامل فى السنوات الأولى من حكمه وعلى وجه خاص بعد الأزمة الوزارية ١٨٩٣ ، فقاد مصطفى كامل مظاهرة وطنية تأييدا للخديو ضد الاحتلال كما هاجم جريدة المقطم لموقفها العدائى منه .

لقد حمل مصطفى كامل علم الجهاد منذ أن كان طالبا ، فقد  
راسل الصحف وانشأ مجلة المدرسة التي ظهر العدد الاول منها في  
١٨ - ٢ - ١٨٩٣ م .

ولما عزم مصطفى كامل على اتمام دراسة الحقوق في اوربا  
سافر الى تولوز بتعزيد من الخديو ونال درجة الليسانس في القانون  
عام ١٨٩٤ م ، ومع ذلك لم يتجه للعمل في المصالح الحكومية او ممارسة  
مهنة المحاماة لكنه نذر نفسه لقضية مصر ، فعاش حياته يدافع عنها .

وقد استلهم مصطفى كامل خطوط كفاحه من دراسة واقع مصر  
السياسي ، فقد رأى ان الاحتلال لا يستند على أساس شرعي فطرق  
كل باب يوصله للمطالبة باستقلال مصر ، ورأى أن اليأس قد استحوذ  
على نفوس أبناء وطنه ، فنفع في الأمة روحا جديدة ، وبعث في الناس  
املا بعد اليأس .

واعتمد مصطفى كامل في كفاحه على كل القوى الخارجية  
والداخلية المعارضة للاحتلال وهى الخديو والسلطان وفرنسا ، كما  
اتجه الى الشباب المثقف من الشعب المصرى ، ووضع مصطفى كامل  
في اعتباره هدفا واحدا وهو الجلاء ، اذ لم ير لمصر عدوا واحدا  
آنذاك سوى الاحتلال .

لقد تعاون مصطفى كامل مع الخديوى طالما وجد فيه تأييدا للحركة  
الوطنية ، وتعاون مع الدولة العثمانية بهدف توثيق الروابط بينها  
وبين مصر ، حتى يتخذ من ذلك وسيلة لمقاومة الاحتلال الانجليزى ،  
فقد احس مصطفى كامل أن مصر بمفردها لا تستطيع بوسائلها المحدودة  
أن تجبر الانجليز على الخروج منها ، فاستغل مصطفى كامل مركز مصر  
الدولى وحركة الجامعة الاسلامية آنذاك في المطالبة باستقلال مصر  
استقلالاً ذاتياً طبقاً لما جاء بمعاهدة لندن ١٨٤٠ - ١٨٤١ ، وكان  
مصطفى كامل يدرك أن مصر اذا استطاعت أن تتخلص من الاحتلال  
الانجليزى أصبح من السهل عليها التخلص من التبعية للدولة العثمانية .

وعن تقرب مصطفى كامل الى فرنسا ، فيرجع ذلك ، الى تلاقى اهداف سياسة فرنسا في ذلك الوقت مع اهداف الحركة الوطنية المصرية ، فتعاون في اثناء وجوده في فرنسا مع الصحفي الفرنسى « دلونكل » ، ولكنه سرعان ما تبين له ان دلونكل لا يرضى عن وجود شباب مصرى يعمل من اجل قضية بلاده ويسحب منه الاضواء مما دفع مصطفى كامل الى الاتصال بدمام جوليت آدم الصحفية والاديبية الفرنسية ، فتعاطفت معه وفتحت صفحات مجلته

الفرنسية ، فتعاطفت معه وفتحت صفحات مجلتها La Nouvelle Revue « لا نوفل ريفو » لكى ينشر ما شاء من مقالات . ولم يقتصر نشاط مصطفى كامل في أوروبا على فرنسا فحسب ، بل واصل نشاطه في ألمانيا والنمسا وفي داخل إنجلترا نفسها .

ورأى مصطفى كامل ان يمد جذور نشاطه الى الطبقات الكادحة في المجتمع المصرى ، فلم يكتف بكتابة المقالات والخطب الحاسية ، بل طالب أيضا بانشاء المدارس ليتعلم فيها أبناء الفقراء والاغنياء على السواء ، وادار مدرسة باسمه لتثقيف الناشئين ، كما انشأ جريدة اللواء لتكون مدرسة يتعلم فيها المصريون حقوقهم وواجباتهم ، وبوقا ينادى بجلاء الانجليز ، وقد ظهر العدد الأول منها في الثانى من يناير ١٩٠٠ ، وظل مصطفى كامل يواصل نشاطه السياسى معتمدا على كافة القوى حتى جاء ابريل سنة ١٩٠٤ فصدمت الحركة الوطنية في مصر بابرارم الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا ، اذ بمقتضاه اقرت فرنسا الاحتلال الانجليزى على مصر ، ورغم ذلك فقد واصل مصطفى كامل كفاحه ، ولم يفت في عضده موقف فرنسا واخذ يعتمد على الراى العام ، وعندما انحاز الخديو الى الاحتلال علانية بعد الاتفاق الودى قطع مصطفى كامل علاقته به ، واعلن في اللواء عن عزمه الابتعاد عنه ، ثم ارسل له خطابا عقب عودته من أوروبا يعلن فيه تحمله وحده مسئولية مقاومة الاحتلال والمحتلين .

نادى مصطفى كامل بتأسيس نادى للمدارس العليا ، وتأثير دعوته افتتح هذا النادى في ٥ ابريل ١٩٠٦ فكان نتمة لجهده في التثقيب الطلابى ، وكان هذا النادى بمثابة معبد وطنى علمى اخلايى تكون فيه جيل من خير الشباب المصرى ونبه ظهرت حركة فكرية قومية ،

غالتى اعلام الفكر والعلم المحاضرات فى مختلف العلوم والفنون ، وبذلك اتصل الطلبة بالخرجين ، وعن طريق هذا النادى ايضا تكونت الجمعيات السرية المناهضة للاحتلال .

وعندما وقع حادث دنشواى فى يونية ١٩٠٦ استغل مصطفى كامل ذلك الحادث فى التشهير بالسياسة الانجليزية واثارة الراى العام الاوروبى ضد كرومر ، فكتب فى جريدة الفيجارو « مقالا تحت عنوان « الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن » هاجم فيه الحكومة المخصوصة وما اصدرته من احكام ، كما استنكر الطريقة التى نفذت بها الاحكام مما اثار دويا قويا ، وهز الضمير العالمى ، ونقل مصطفى كامل المعركة الى قلب لندن ، واستطاع ان يهز الضمير البريطانى حتى بدت الارض تميد من تحت كرومر »

ولكى تظل قضية مصر فى اذهان اوريا اسس مصطفى كامل فى عام ١٩٠٧ جريدتين يوميتين احدهما بالفرنسية وهى (ليتندار اجبسيان) L'Etendard Egyptien والاخرى بالانجليزية (ذى اجبسيان استاندارد) The Egyptian Standard ( اللواء المصرى ) .

وبعد استقالة كرومر فى ابريل ١٩٠٧ وتولية جورست ازداد انحياز الخديو تجاه الانجليز وظهر موقفه مكشوفاً عندما اعلن فى حديثه مع المستر « ديسى » والذى نشرته جريدة الديلى تلجراف فى مايو ١٩٠٧ انه مستعد للتعاون مع المعتد البريطانى الجديد ، وعندئذ يبادر مصطفى كامل بنقد ذلك الحديث نقداً حازماً اظهر فيه تراجع الخديو وتخليه عن القضية المصرية وبعد تأسيس حزبى الامة والاصلاح على المبادئ الدستورية اضطر مصطفى كامل الى اعلان تأسيس الحزب الوطنى فى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٧ برغم انه كان لا يود انشاء احزاب لا اعتقاده بانها تؤدى الى انقسام الامة .

وعلى الرغم من الاحداث العديدة الضخمة التى عايشها مصطفى كامل واشترك فيها لم يزد عمره عن اربعة وثلاثين عاماً عندما توفى فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ بعد ان قدم لمصر من الاعمال الجليلة التى خلدها

فى سجل تاريخه الطويل وبموته تأثرت الحركة الوطنية فى مصر تأثرا بالغا حتى حمل لواءها بن جديد محمد فريد اما عن أهم مؤلفات مصطفى كامل فهى حسب تواريخ ظهورها :

- الجواهر السنوية فى نظام الهيئة الاجتماعية (١٨٩٣) .
- اعجب ما كان فى الرق عند الرومان (١٨٩٣) .
- رواية فتح الاندلس (١٨٩٤) .
- اخطار الاحتلال الانجليزى لمصر (١٨٩٤) .
- رسالة الى الجمعية الوطنية الفرنسية (١٨٩٥) .
- المسألة الشرقية (١٨٩٨) .
- الشمس المشرقة (١٩٠٤) .
- المصريون والانجليز (١٩٠٥) .

## ٥ — الخديو عباس الثانى

١٨٧٤م — ١٩٤٤م

اكبر الأبناء الذكور للخديو توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على ، وهو سابع من تولى حكم مصر من أسرة محمد على .

ولد عام ١٨٧٤ بمدينة الاسكندرية ، ولما شب دخل مدرسة عابدين ثم سافر الى النمسا والتحق بكلية الترزيانوم ، ولما بلغه نبأ وفاة والده وهو بفيينا بادر بالعودة الى مصر فوصل الى الاسكندرية فى ١٦ يناير ١٨٩٢ .

وفى بداية حكمه — حاولت مختلف القوى المؤثرة على الوضع السياسى فى مصر الضغط عليه حتى تضمنه الى صفها ، فانتخبت انجلترا من حداثة سنه ذريعة لتسويغ بقاء الاحتلال ، كما اتخذت تركيا من ذلك غرصة للسيطرة على الخديو الصغير فحاول السلطان احتواءه وطلب منه زيارته ، ولكن عباس تجنبنا للضغط عليه مسافرا

الى مصر مباشرة مما أغضب السلطان وجعله يلجأ الى تأخير فرمان ولايته واقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر .

وحين بدأت اجراءات تولية عباس حلمى اريكة الخديوية ، ظهرت مشكلة عويصة ، فمن الأمير ينبغي أن يكون ثمانية عشر عاما حتى يمكنه اعتلاء الخديوية ، وبما أن عباس الثانى ولد فى ١٤ يولية ١٨٧٤ فإنه لم يبلغ سن الرشد الا فى ١٤ يولية ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة فى السابع من يناير ١٨٩٢ ، وظهر شبح تشكيل مجلس وصاية وتناديا لذلك اتفق على حساب سن الأمير بالحساب الهجرى الذى يقل عن الحساب الميلادى فاتضح انه بلغ سن الرشد فى ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ .

اضطلع عباس الثانى بمهام الخديوية ، وتملكه فى الفترة الاولى من حكمه شعور وطنى ، فاستبدل رجال المعية التى كانت على أيام والده بأخرين كما اتجه الى الامة فاصدر أوامره بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى احداث الثورة العربية ومنهم عبد الله النديم ، ثم صار يستقبل طوائف الناس مرتين فى كل شهر ، وساءه أن يرى الانجليز قد وضعوا ايديهم على وزارات الحكومة ومصالحها فاعتزم وضع حد لهذا التدخل غير المشروع ورسم لنفسه فى اول عهده بالحكم سياسة مقاومة التدخل البريطانى ، ولما رأى فى رئيس نظاره مصطفى فهمى خضوعا كاملا للانجليز طلب منه أن يقدم استقالته بحجة مرضه . ولكن مصطفى فهمى نصحه بأخذ رأى اللورد كرومر قبل الاقدام على هذا العمل ، مما ضايق الخديو فاصدر أمرا بإقالته ، وكلف حسين فخري بتأليف الوزارة الجديدة فشكلها فى ١٥ يناير ١٨٩٣ وكان لهذا التغيير صدى قويا فى كافة الاوساط المحلية والعالمية ، فذهب اللورد كرومر لمقابلة الخديو وإبلاغه بأن الحكومة الانجليزية لها الحق فى اختيار الوزراء وفقا لمنشور جرانفيل فى الثالث من يناير ١٨٨٣ فرد عليه الخديو بأن الاممانات السلطانية تمنحه حق اختيار وزرائه بنفسه . مهدده كرومر بأنه اذا قاوم انجلترا فمعنى ذلك الاطاحة بعرشه ، وتمكر الجو وحدثت الازمة التى يطلق عليها فى التاريخ « بالازمة الوزارية » وقد سويت هذه الازمة على أساس الايمان بمصر على عودة مصطفى

غهمى ولا يتمسك الخديو بوزارة حسين فخري ، ويعين مصطفى رياض باشا كحل وسط يرضى الطرفين لما عن اثر هذه الازمة في نفسية الشعب المصرى فقد التفت الامة المصرية حول الخديو وشجعتة على موقفه ، كما هاجم مصطفى كامل وزملائه جريدة المقطم لموقفها العدائى من الخديو ، واعلى مصطفى كامل منصة الخطابة في ٢٠ من يناير ١٨٩٣ بين جموع الطلبة الذين احتشدوا للتعبير عن سخطهم على المحتل ، ووجه مصطفى كامل نداءه الى المصريين بالكتل والوقوف بجانب الخديو والاستعداد للكناح .

وقد وجد الخديو عباس الثانى في مصطفى كامل الشاب الذى يستطيع حمل راية الكناح برغم حداثة سنه ، فاعجب بشخصيته ووافقت اتجاهاته ميوله في بداية حكمه فامده الخديو بالمال والتأييد ، وتوثقت اواصر الود والتعاون بينهما .

وشكلت وزارة رياض في ١٩ يناير ١٨٩٤ ، وفي عهدها حدثت ازمة الحدود سنة ١٨٩٤ فعندما سافر الخديو الى الصعيد لتتقد احوال الجيش المصرى هناك بعد ان اشتكى له الضباط المصريين من سوء معاملة رئيسهم الانجليزى لهم ، فقام الخديو باستعراض قوات الجيش في وادى حلفا ومعه ماهر باشا وكيل وزارة الحربية وعند مروره على الاورطيين انائية والحادية عشر ابدى بعض الملاحظات والانتقادات التى تمس كفاية الضباط الانجليز ، كما القى خطبة على مسامع الانجليز انتقد فيها طريقة التعليم التى ينتهجونها في تدريب الفرق المصرية ، مما كان له وقع سيء على الاوساط الانجليزية فقدم كتشنر استقالته معلنا ان الكرامة الانجليزية قد امتهنت ولما سمع اللورد كرومر بالحادث حالته خطورته ورأى فيه الفرصة التى يمكنه بها تلقين الخديو درسا قاسيا ، فطلب منه نقل ماهر باشا من نظارة الحربية واصدار امر عسكرى يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز ويعتذر عما بدر منه ، ولما وجد الخديو ان الموقف في غير صالحه اذعن لطالب كرومر وبذلك اصيب نفوذه من جراء هذه الازمة بضربة شديدة وتصدعت هيئته امام انجيش والشعب .



وقد تميزت الفترة التي تلت حادث الحدود وحتى نهاية فتح السودان ١٨٩٨ بالحذر الشديد من جانب الخديو في تصرفاته تجاه الاحتلال ، فسلك طريق المقاومة السرية كما شجع العناصر المناوئة للاحتلال وازداد تقربه من الأمة فأخذ يدعو المثقفين اليه من أبناء البلاد والعلماء أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ حسونة النواوى وادار الخديو من داخل قصره اللجنة الفرنسية السرية التي قامت بالدعاية لقضية استقلال مصر في أوروبا ثم انضم اليها بعد ذلك جمعية احياء اوطان السرية .

أخذ الخديو يساير الحركة الوطنية حيناً ويتراجع عنها حيناً آخر حينما تعارض مصالحه معها ، وكان شديد الحذر في تعامله مع الاحتلال ، يظهر الوفاق ويبطن المقاومة ومع ذلك فان الظروف اضطرته الى المقاومة الصريحة للاحتلال وبوجه خاص في الفترة التي عاصرت وزارة مصطفى فهمى والتي تغطى فتح السودان ، فقد اعترض الخديو على قرار انجلترا اعادة فتح السودان عام ١٨٩٦ ثم اضطر الى التزام الصمت نظرا لتهديدات كرومر له .

ومن المعتقد ان الخديو عباس لم يكن على استعداد للسير في صرامة ضد المعتد البريطاني كرومر الى حد التفكير في تصفية الاحتلال نهائيا بل كانت معارضته المترددة لسياسة كرومر تستهدف المشاركة في السلطة حتى في ظل الاحتلال ، كما ان موقف الخديو عباس الثانى من الاحتلال كان ينصب في الهجوم على السياسة الكرومرية وليس على الاحتلال من أساسه وكان تعاطفه نحو الحركة الوطنية اسلوباً من أساليب الضغط على سياسة كرومر ، وقد نجحت محاولات كرومر فى تجريد الخديو من سلطاته شيئاً فشيئاً نظرا لانه كان يعتبره شابا صغير السن قليل الخبرة عديم الادراك بشئون البلاد السياسية والادارية كما اعتبره مسئولا عن كل الحركات المعادية للانجليز ، ونتيجة لضغوط كرومر فقد الخديو الكثير من سلطاته مما دفعه الى البحث عن مصدر يعوضه ما فقدته فبدأ فى جمع الأموال من كل مورد مفتوح بين يديه ، وكان أهم هذه الموارد خزائن الأوقاف والتركات .

ولما حاول الخديو تخفيف وطأة كرومر عليه سافر الى لندن عدة مرات وكانت زيارته موضع الترحيب والحفاوة ، وفيها سعى لدى الحكومة البريطانية للحصول على وعد منها بأن يكون الدون جورست خلفا لكرومر في مصر .

وعندما وقع حادث دنشواى فى يونية ١٩٠٦ وحدث الاجماع الوطنى الرائع الذى تزعمه مصطفى كامل ضد استبداد الانجليز على دنشواى عاد الخديو عباس الثانى الى صف الحركة الوطنية وخصوصا وانه لم يتحقق له فى اثناء تقربه من الاحتلال ما كان يوده من المشاركة فى الحكم .

ولما استقال كرومر وخلفه جورست وحدثت سياسة الوفاق والمسالمة مع الخديوى تولى الخديو عن الحركة الوطنية تماما بل اعتبرها خطرا عليه وشجع على اضطهادها .

وبعد ان حل كتشنر محل جورست واستعمل سياسة اشددة مع الخديو اراد الاخير العودة الى الحركة الوطنية ولكن محمد فريد رفض طلبه .

وفى ١٢ يونية ١٩١٤ سافر الخديو الى الاستانة فلاحقه شاب مصرى يدعى محمود مصطفى باطلاق الرصاص عليه فى ٢٥ يوليه ١٩١٤ فاصابه فى ذراعه وفكه ونقل الخديو الى المستشفى حتى قامت الحرب العالمية الاولى .

وفى ١٩ من ديسمبر ١٩١٤ اعلنت الحكومة البريطانية خلع الخديو عباس الثانى عن منصب الخديوية وارتقاء حسين كامل عرش السلطنة المصرية . وقد ظل عباس الثانى متمسكا بحقوقه الشرعية فى مصر حتى عام ١٩٣١ حتى تنازل عنها للملك فؤاد عام ١٩٣١ مقابل مبلغ من المال وفى عام ١٩٤٤ توفى الخديو عباس الثانى بجنيف عن عمر يناهز الحادية والسبعين شهد خلاله حربين عالميتين ، ونقلت جثته الى مصر ، وقد دون مذكرات مطولة نشرتها جريدة المصرى عام ١٩٥١ وقد تناول فيها حياته وسنوات حكمه كما تناول الحديث عن زعماء الحركة الوطنية وعلاقته بهم .

## مراجع الفصل الحادى عشر

- (١) اعتدنا فى بيان سيرة على مبارك وأعماله على ما استخلصناه من عبد الرحمن الرافعى فى كتاب : عصر اسماعيل .
- (٢) د. عبد المنعم الجيمى : على مبارك وروضة المدارس ، دراسة غير منشورة .
- (٣) روضة المدارس : العدد الاول من السنة الأولى بقاريخ السبت ١٥ محرم ١٢٨٧ .
- (٤) الرافعى : المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٢ .
- (٥) دار المحفوظات العمومية : ملف خدمة ومعايش الشيخ محمد عبده ، دولاب ٤٢ عين ٤ محفظة ٨٧٣ دوسيه ٢٢٦٧٩ .
- (٦) نفس الملف : مذكرة بقلم المستخدمين ، ويتضح من المذكرة ايضا ان هذه السنة لم يكن بها دفتر مواليد .
- (٧) نفس الملف : تعريفه باسم الشيخ محمد عبده المستخدم بوظيفة نائب قاضى بمحكمة بنها الاهلية وردت من الحكمة الى الحقانية بتاريخ ١٨ مارس ١٨٩٠ تحت رقم ٤٥ .
- (٨) ملف الخدمة السابق الذكر . قضية رقم ٦٣ باسم الشيخ محمد عبده .
- (٩) نفس الملف : صورة افادة من نظارة الحقانية لمحكمة مصر الابتدائية الاهلية بمقتضى الذكريتو الصادر فى ٢ يناير ١٨٩٢ .
- (١٠) نفسه : صورة ما ورد من رئاسة مجلس النظر بضمانة الحكومة للشيخ محمد عبده بالعودة الى وظيفة قاضى بمحكمة الاستئناف الاهلية فى حالة استقالته او اقالته .
- (١١) نفسه : افادة بخصوص احتساب مدة الشيخ محمد عبده المفتى .
- (١٢) نفسه : توكيل الشيخ محمد عبده للشيخ حسن البنا فى القيام بالراى فى الاحكام الجنائية فى حالة سفره الى اوربا .
- (١٣) الملف السابق : اقرار ذمة مالية مقدم من الشيخ محمد عبده .
- (١٤) نفس الملف : التماس مقدم من حرم المرحوم الشيخ محمد عبده وابنتاه القاصرة والعاجزة الى نظارة المالية .

## الفصل الثاني عشر

### أبرز المتاحف في جمهورية مصر العربية

- ١ — المتحف المصرى .
- ٢ — متحف الفن الإسلامى .
- ٣ — المتحف اليونانى والرومانى .
- ٤ — المتحف القبطى .
- ٥ — متحف التعليم .
- ٦ — المتحف الحربى .
- ٧ — متحف المئال محمود مختار .
- ٨ — متحف دار الكتب المصرية .



## ابرز المتاحف في جمهورية مصر العربية

ظلت الآثار المصرية مشتتة في بقاع عدة لم يهتم بها أحد من انسلطين او الحكام حتى اواخر عصر محمد علي . ونتيجة لمحاولات شيمبليون الفرنسي ، وبورنج الأمريكى في اقتناع محمد عابى بانشاء مصلحة خاصة للمحافظة على الآثار انتهى الامر بانشاء هذه المصلحة ، ثم تطورت الأمور في عهد خلفاء محمد على الى انشاء المتحف المصرى ، ودار الآثار العربية ، والمتحف اليونانى والرومانى ، والمتحف القبطى ، والعديد من المتاحف الأخرى في محافظات مصر وذلك ما سنعرض له في هذا الفصل .

اولا : المتحف المصرى — ميدان التحرير بالقاهرة انشئ المتحف المصرى في بداية الامر في عام ١٨٥٧<sup>(١)</sup> بمنطقة بولاق على تساطع النيل بالقاهرة<sup>(٢)</sup> بفضل جهود العالم الفرنسى اوجست مارييت Meiette الذى مهد سبل البحث عن الآثار ، ونجح في منع العبث بها وجمع ما تفرق منها هنا وهناك في هذه الدار ، حتى كون في بولاق متحفا لا مثيل له في العالم ادخر فيه — كما ذكر البعض — من «التمائيل والكتوبات البردية والنقوش ، وموميات كبار الفراغة ، ما لا يعرف له قيمة ، ولا يمكن لكتوز الدنيا باسرها مشتراء » .

وقد اقدم الخديو اسماعيل على دعوة ذوى المنزلة الرفيعة من زائريه لزيارة هذا المتحف<sup>(٣)</sup> .

وكان من الطبيعى ان يكون اول مدير للمتحف هو « مارييت » وكان من الطبيعى ايضا ان يكون ضمن رجال هذا المتحف بعض المصريين وقد نبغ من هؤلاء اكثر من واحد في مقدمتهم احمد كمال باشا .

وفي عام ١٨٩٠ نقلت محتويات هذا المتحف الى سراى الخديوى لاسماعيل بالجيزة على الضفة الغربية للنيل في مواجهة جزيرة الروضة

وكانت هذه السراى ذات طابقتين ارضى وعلوى ، وكل طابق مكون من تسعين صالة تقريبا مما يوضح أن مقتنيات هذا المتحف كانت كثيرة ، يضاف الى ذلك انه تم تقسيم مقتنيات المتحف من التحف تقسيما علميا بحسب العصور من اقدم الأزمنة الى العصر القبطى (٤) .

وقد وصف المولى ما شاهده فى هذا المتحف بقوله « واقننا هناك فننقل بين الأصنام والتماثيل ، ونتأمل فى التصاوير والتماويل . ونفكر فى هذه العظام المنشرة والرفات المنظرة بما عليها من انحلى والزينة ، وتلك الأحجار الثمينة . كيف كانت ملوكا للام ، ثم بقيت على بلى الرمم ، وتوالى القدم ، فى حال الوجود مع العدم » (٥) .

كما وصف تهافت الأوربيين على مشاهدة هذه التحف بقوله « كنت أرى تهافت الغربيين عليها ... لعل شأنها عندهم وعلو قيمتها لديهم هو لأجل توغلها فى البلى والتقدم وبحلها من التاريخ ، وما تحمله منقوشا عليها من أساطير الأولين .. زد على تلك حبهم للاقتناء وولوعهم بالاختصاص بالنادر ولذلك علت قيمتها عندهم وارتفع قدرها بينهم » (٦) .

ثم قارن بين اهتمام الأوربيين بالآثار المصرية ، وعدم اهتمام المصريين بها فقال « ولو أنك عرضت أهل مصر على هذه الآثار واحدا واحدا لما استفادوا منها شيئا ، ولا أنادوك عنها شيئا ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى النذر اليسير من المقلدين للغربيين » (٧) .

وقد ظل هذا المتحف فى سراى الخديو بالجيزة حتى التاسع من مارس ١٩٠٢ ، وفى ١٣ يوليو من نفس العام نقل المتحف الى مبناه الحالى بميدان التحرير بالقاهرة فى بناء فخم وفتح أبوابه للجمهور فى الخامس عشر من نوفمبر (٨) . وقد حضر الخديو عباس حلمى الثانى حفل الافتتاح وأعرب عن رغبته فى متابعة آثار أجداده ، وأثنى على العماء الذين قاموا بتنظيمه وجمع آثاره .

ويضم المتحف آثار مصر منذ أقدم عصورها الى نهاية عصر الوثنية ويحوى أكبر مجموعة للآثار الفرعونية فى العالم . ويتكون من

ملابطين : الطابق الأرضى يحوى الآثار الثقيلة كالتوابيت والتمائمات واللوحات الحجرية وهو مرتب ترتيبا زمنيا حسب العصور (٩) .

أما الطابق الثانى فيشمل مقبرة توت عنخ آمون ، والآثار الخفيفة الوزن كالآلات والجهاز الجنازى والتمائم الصغيرة والحلى والتوابيت الخفيفة هذا بالإضافة الى أوراق البردى (١٠) ومن أهم أوراق البردى أنتى يقتنيها المتحف وثيقة على جانب كبير من الأهمية، مكتوبة بالهيراظيقية من عصر رمسيس الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، والكتابة واضحة فى مجموعها باللونين الأسود والأحمر فى صفحات تشبه أعمدة الجرائد يبلغ عددها أربع وخمسين صفحة . والبردية تعد من أطول البرديات فى العالم فطولها حوالى سبعة أمتار وعرضها حوالى عشرين سنتيمترا . وهى تتناول موضوعات مختلفة : دنيوية ودينية وفلكية وسحرية كلها مرتبطة بالطاليع السعيد أو النحس فى أيام السنة . وتحتوى البردية على تعاويذ سرية لحماية الفرد وما يعمل من تهايم (١١) .

وقد سجلت هذه البردية فى المتحف تحت رقم ٨٦٦٣٧ والى جانب ذلك فقد أضيف المتحف الى مقتنياته البردية مجموعة فى بابها وهى « أوراق طره البردية » (١٢) .

ومما ينفرد به المتحف مجموعة آثار توت عنخ آمون (١٣) آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة — وهى المقبرة الفرعونية الوحيدة التى عثر عليها سليمة وبالحالة التى وضعها عليها قدماء المصريين (١٤) ويستأنف النظر منها التابوت الذهبى الذى كانت بداخله مومياء توت عنخ آمون ، ومجموعة الاوانى المرمية والخزفية ، والعصى والأقواس ، وكبرى العرش ، وتمائم الآلهة التى تتولى حراسة الملوك فى العالم السفلى ، وتمائم الملك ..

ويكفى أن يكون هذا المتحف هو المكان الوحيد الذى يستطيع الزائر أن يتتبع فيه حضارة نبقت وتطورت خلال ما يزيد على ستة آلاف عام (١٥) كما يستطيع أن يقف بين بقايا آلاف السنين فىرى أممته



مومياء الفراغة « امنتحتب الاول » و « تحوتمس الرابع » ، و « رمسيس الثانى » ، و « مفتاح » و « سبتي » و « زمسيس الثالث » وغيرهم ويقف أمام التماثيل المطوءة بالأسرار ، ويشاهد عادات وأعمال وفنون وصناعات هؤلاء المصريين العظام مما يشهد على أن مصر كانت أما نامدية والحضارة القديمة .

وعلى الرغم من كل ذلك فالسؤال المطروح ، هل تمكن هذا المتحف من استيعاب عرض كل التحف الاثرية الموجودة به والتي تـرد اليه احيانا بعد الحفريات ، وهل هو مجهز بأجهزة التقنية المتقدمة التي يمكن عن طريقها صيانة الآثار المحفوظة وحفظها أم لا ؟

الواقع ان المتحف فى مكانه الحالى بميدان التحرير بالقاهرة وبظروفه الحالية فى حاجة الى اعادة نظر وذلك للأسباب الآتية :

١ — ان تواجد المتحف فى منطقة اصـبحت مزدحمة بالسكان وشديدة التلوث من عادم السيارات وغيره اصبح خطرا على الآثار المعروضة داخل المتحف ومن هنا يجب نقله الى منطقة هادئة نـسى احدى ضواحي العاصمة ، وفى تصورى أن ذلك هو ما تفكر فيه مصلحة الآثار ووزارة الثقافة جديا الان .

٢ — ان المتحف لم يعد به متسعا لعرض الآثار المصرية المكسدة فى مخازنه والتي لم تر النور بعد لضيق المكان به ، لذلك فان انشاء متحف جديد يكون أكثر اتساعا وتجهيزا افضل للمحافظة على آثارنا الخالدة .

٣ — ان عدم تجهيز المتحف بوسائل التقنية الحديثة والمتقدمة يجعلنا دائما فى قلق دائم على آثارنا خشية عليها من التلف والتآكل .

ونتيجة لكل ذلك فقد فكرت وزارة الثقافة المصرية فى الآونة الأخيرة فى بناء متحف آخر بالقرب من منطقة الأهرام بالجيزة يقام على مساحة ٧٧ فـدانا مما يجعله أكبر متحف للآثار فى العالم .

وقد عرضت العديد من الدول وأبرزها اليابان وإيطاليا المشاركة في هذا المشروع الحضارى حيث تقوم اليابان ببناء المتحف وتقوم إيطاليا بترميم مجموعة اللوحات النادرة بمتحف الجزيرة ، ٧٤٥ لوحة أخرى ترجع الى القرن التاسع عشر لكبار فناني المدرسة التأثيرية (١٦) .

وفي النهاية يمكن القول ان المتحف المصرى ذلك الحراب الفنى الزاخر بمختلف الكنوز ، لهو أمانة فى اعناق احفاد الفراغة العظام .

وانى لأرجو ان يهتم المصريون بتراث جدادهم اهتمام العالم الاجنبى به حتى يصبحوا جديرين بالانتساب اليهم .

## ثانياً — متحف الفن الاسلامى

### دار الآثار العربية سابقا

فى عام ١٨٦٩ امر انخدير اسماعيل بانشاء دار للآثار العربية ، وعهد بانفاذ المشروع الى « المسيو فرانس » كبير مهندسى الاوقاف وكلفه باختيار بناء حكومى لهذا الغرض ليجمع فيه ما كان مبعثرا فى المساجد من الآثار العربية والاسلامية فاختار الدبوان الشرقى فى جامع الحاكم بالجمالية بجوار باب الفتوح .

وعلى الرغم مما بذل من أجل اقامة هذا المشروع فى عهد اسماعيل فان دار الآثار لم تتسع اتساعا حقيقيا الا فى عهد الخديو توفيق وخاصة بعد أن استصدر شريف باشا مرسومها فى الثامن عشر من ديسمبر ١٨٨١ بتأليف لجنة عهد اليها العناية بالآثار العربية وكانت برئاسة محمد زكى باشا مدير الاوقاف العام وقتئذ ، ومن أعضائها محمود رسامى باشا ومحمود الفلكى باشا (١٧) وقد جاء فى مراد الأمر العالى :  
الى :

١ — اجراء اللازم لجرد وحصر الآثار العربية القديمة التى تكون فيها فائدة صناعية .

٢ — ملاحظة وصيانة تلك الآثار ، ورعاية حفظها من التآكل واجبار نظارة الاوقاف بالتصاحات والترميمات المقتضى اجراؤها فيها مع ايضاح المزم منها .

ولما ضاق الديوان الشرقي في جامع الحاكم رأت اللجنة ضرورة البحث عن مكان آخر أكثر اتساعا لحفظ ما كان يرد على الدار من آثار وتحف<sup>(١٨)</sup> وانتهى الأمر بتخصيص مبنى آخر في صحن جامع الحاكم في عام ١٨٨٣<sup>(١٩)</sup> .

ولما زادت مجموعات الآثار الواردة على الدار زيادة مضطردة رأى الخديو أن يهيئ لها مكانا يليق بمكانتها فبُنيت دار جديدة للآثار العربية ، واحتفل بافتتاحها في الثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٠٤ في حفل كبير حضره الخديو عباس الثاني ، واللورد كرومر المعتقد البريطاني في مصر ونقل إليها التحف الفنية الإسلامية .

ويضم المتحف مجموعة من أنفس المجموعات الأثرية الإسلامية في العالم والتي يختلف تاريخ صنعها منذ بداية العصر الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد تمت هذه المجموعات بفضل الحفائر التي قام بها المتحف في المناطق الأثرية حدا بلغت محتويات المتحف نحواً من ٧٥ ألف تحفة .

وقد عرضت التحف الأثرية بالمتحف في ٢٤ قاعة بطريقة تمتاز باتصال حقائق الفن والعمارة فيها فبعضها مخصص للطراز الفني كالطراز الأموي والعباسي والفاطمي والأيوبي والملوكي والإيراني والتركي ، وبعضها مخصص لمادة التحف كقاعة الخشب المعادن والخزف وفنون الكتابة التي تنسب إلى مختلف العصور الإسلامية ، كما يمتلك هذا المتحف أعظم مجموعة من المنسوجات ، والسجاد الإسلامي التي تثبت براعة الفنانين المصريين في نسج الأقمشة ، وعمل السجاد<sup>(٢٠)</sup> .

وقد تغير اسم دار الآثار العربية إلى متحف الفن الإسلامي منذ عام ١٩٥٢ .

وهكذا كان تأسيس هذه الدار خدعة كبرى للحفاظ على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ومن الإنصاف أن نشيد بجهود العلماء الذين ساهموا بجهودهم في إبراز التراث الإسلامي في هذا المتحف ، ومن

هؤلاء العالم الفرنسى « جاستون فيت » فبعد أن عين فيت مديرا للمتحف فى عام ١٩٢٦ أنكب حوالى ربع قرن من الزمان على دراسة الكثير من الكنوز النفيسة التى يحتويها المتحف فى كافة المجالات الفنية ، وقد ساعده على ذلك قدرته على قراءة الكتابة العربية التى استخدمت كعنصر من عناصر الزخرفة فى الفن الإسلامى ، هذا بالإضافة الى الماهه بالتاريخ الإسلامى .

وقد تميز عمله بالتعمق فى دراسة الفنون الإسلاميه فى مجالاتها المختلفة ، ودراسة المجموعات الفنية التى يضمها المتحف من منسوجات وحراير وسجاجيد وخزف وتحف معدنية نحاسية وبرونزية وتصاوير وأوانى زجاجية ، مشكاوات موهة . كان نتاج ذلك عمل دليل فى عام ١٩٣٠ للتعريف بمحتويات المتحف ، وأخراج العديد من الدراسات والمقالات عنه ومن أهمها :

- ١ — المشكاوات والأوانى الزجاجية .
- ٢ — التحف النحاسية والبرونزية ذات النقوش التاريخية .
- ٣ — التصاوير الفارسية والهندسية والتركية .
- ٤ — حراير فارسية .
- ٥ — النقوش العربية فى مصر ، ج ٢ .
- ٦ — مجموعة شواهد القبور الموجودة بمتحف الفن الإسلامى .
- ٧ — النقوش العربية فى مكة والمدينة<sup>(٢١)</sup> .

والى جانب ذلك فإن هذا المتحف يكتنى عددا قيما من أوراق البردى العربية التى جلبت من حثائر الفسطاط .

والحق أن الفن العربى فى عهده الوضاعة غنى بالأنواع والأشكال ، مترع بالاحساسات والمعانى ولا سبيل الى كشف هذا الا من طريق أنصمح والتأمل . ونتيجة لذلك هيات الدار المعارض المتعددة لعرض نفائسها على الجمهور .

### ثالثا : المتحف اليونانى والرومانى بالاسكندرية

انشئ هذا المتحف فى عام ١٨٩٠ - ١٨٩١ ، ويشمل مجموعات اثرية رائعة يرجع تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادى وهى منسقة تنسيقا يمتشى مع تتابع العصور ومعروضة على الوجه التالى :

نقوش يونانية ولاتينية ثم شواهد جنائزية اما محفورة او ملونة ثم مجموعة من ورق البردى ، ثم بعض الآثار الفرعونية التى عثر عليها بالاسكندرية ثم قلة من المومياة اليونانية والرومانية ، وبعض تماثيل تبين فن النحت اليونانى الرومانى ، كما تعرض بعض نواحى فن المعمار يلى ذلك تماثيل رومانية ، وقطع كاملة من الفسيفساء كما توجد بعض التحف الزجاجية الملونة ، والتحف العاجية كذا هناك مجموعة من التوابيت ، ومجموعة ضخمة من التماثيل الفخارية الصغيرة والمسارج ، ومجموعة من الاوانى الجنزية لحفظ رماد الجثث المحروقة ، ومجموعة من العملة البطلمية والرومانية ، وبعض الحلى ، كما توجد بعض الآثار التى ترجع الى العصر المسيحى هذا بالإضافة الى أنه يوجد بحديقة المتحف معبد التمساح المقدس الذى عثر عليه باقليم الفيوم ونقل الى المتحف فى عام ١٩١٣ .

وبما يستوعب الانتباه مجموعة التماثيل الفخارية الصغيرة والملونة التى يرجع تاريخها الى اوائل العصر الهلينستى حوالى عام ٣٥٠ ق م .  
والتي تعد احدى المجموعات الاثرية النادرة (٣٣) .

### رابعا : المتحف القبطى

#### القاهرة - مصر القديمة

اسس هذا المتحف فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى فى عام ١٩٠٨ حيث قام مرقس باشا سميكة بوضع نواته بمساعدة نخبة من محبى الفنون والآثار القبطية من مصريين واجانب وذلك بتخصيص غرفة بجوار الكنيسة المعلقة (٣٣) بمصر القديمة لعرض الآثار القبطية بها ، ثم شرع فى جمع شتات هذه الآثار التى عثر عليها فى الكنائس والاديرة بالوجهين القبلى والبحرى وذلك بموافقة بطريرك الاقباط الارثوذكس وقتئذ (٣٤) .

وفي عهد الملك مؤاد ، وبعد زيارته للمتحف في ٣١ ديسمبر ١٩٣١  
تقرر ضم هذا المتحف الى املاك الدولة واعتباره متحفا قوميا .

وفي عهد الملك فاروق تمكن المتحف من زيادة مجموعاته الاثرية عن  
طريق شراء نخبة من الآثار المختلفة مما عرض بمعرض جمعية الآثار  
القبطية في ديسمبر ١٩٤٤ . وايضا عن طريق ما نقل اليه من المتحف المصرى .

ويرجع الفضل في تكوين النواة الأولى لمقتنيات المتحف القبطى الى  
العالم الاثرى « جاستون ماسبرو » الذى يعد بحق أول من شمل الفن  
والعاديات القبطية بعناية واهتمام جديرين بالذكر فانه لم يكن يعين في وظيفة  
مدير عام الآثار المصرية في عام ١٨٨١ حتى عقد العزم على ان يضم الى  
منهجا عمله الاماكن والآثار القبطية .

كما بدا بتخصيص احدى قاعات المتحف المصرى لآثار العصر القبطى ،  
وكون بذلك نواة تلك المجموعة النفيسة الفادرة التى تزدان بها الآن قاعات  
كثيرة من قاعات المتحف القبطى مما جعل منه مركزا رئيسيا لدراسة آثار  
مصر التاريخية في العصر المسيحى (٢٥) .

ويعد هذا المتحف نسيج وحده بين المتاحف في فنون العهد القبطى حيث  
يضم في قاعاته المختلفة مجموعة تعتبر من اندر واعظم المجموعات العالمية  
فيحتوى على العديد من المجموعات الاثرية التى تربط بين العصرين اليونانى  
والرومانى والعصر العربى ومن أهم هذه المجموعات نذكر :

١ — مجموعة من الآثار الحجرية والرخامية والجرانيتية وبقايا توابيت  
الموتى .

٢ — مجموعة من الفخار المنقوش والخزف المصقول والزجاج المدهون .

٣ — مجموعة من المصنوعات الخشبية تتألف من مذابح قديمة وأحباب  
وابواب للهياكل وصناديق ومقاعد وغيرها يرجع تاريخ بعضها للجيل الرابع  
للمسيح عليه السلام من الواح منقوشة نقوشا بارزة تمثل حياة السيد  
المسيح وصور القديسين والحياة المنزلية ومسور طيور وحيوانات  
وبعض هذه النقوش مطعم بالسن \* وبعضها قد أنزل فيه الصدف ، وآيات  
محمسة بالقبطية والعربية .

٤ — مجموعة من الأدوات المعدنية كالصناديق الفضية المنقوشة بالنقش البارز لحفظ الكتاب المقدس والمزخرفة بالكتابات الجميلة البارزة أيضا ، وبعضها مرصع بالحجارة الكريمة ، وفي هذه المجموعة عدد من آنية الخدمة الدينية وعكاكيز البطارقة والصلبان الكبيرة والصغيرة ذهبية وفضية ونحاسية .

٥ — مجموعة من الملابس الكهنوتية الحريرية المطرزة بخيوط الذهب والحرير الملون ، وقد وشيت برسوم الشهداء والصلبان فضلا عن أستار الهياكل والاعلام الخاصة بالاحتفالات .

٦ — مجموعة من الايقونات التى تمثل حياة السيد المسيح وصور القديسين ايضا .

٧ — مجموعة من المؤلفات الدينية المكتوبة بخط اليد على ورق قديم جدا وبعضها رسمت عليه بماء الذهب والالوان المختلفة اشكال هندسية وصور الشهداء (٢٦) .

وقد نسقت معروضات المتحف تنسيقا روعى فيه الترتيب الزمنى وفقا لانواعه المختلفة .

كما يضم المتحف مكتبة تشمل معظم ما كتب عن الأقباط وتاريخهم ولغتهم بلسائر اللغات .

والى جانب هذه المتاحف توجد متاحف محلية فى عواصم المحافظات المصرى تحوى آثار مكتشفة بها ، كما تحوى ايضا بعض الآثار المكتشفة فى جهات أخرى والتي تزيد عن حاجة المتحف المصرى .

ولا يخفى ما فى وجود هذه المتاحف من فوائد ، اذ انها توجه انظار سكان كل محافظة الى تاريخها القديم ، وتبعث نشاطا وتنافسا فى الاقبال على الحفائر والمحافظة على الآثار .

هذا بالإضافة الى المتحف الحربى ، والمتحف الزراعى ومتحف النيل وغيره .

وهكذا يتضح ان تأسيس المتاحف فى مصر كان ثمرة من ثمرات الوعى القومى ، وهظها من مظاهر الرغبة فى المحافظة على تراث الأجداد ودراسته بطريقة علمية سليمة .

## ٥ - متحف التعليم

**مقره :** ٢ شارع اسماعيل اباطلة . ديوان وزارة التربية والتعليم .

**تاريخ الانشاء :** انشئ في عام ١٩٢٧ بمناسبة مرور مائة عام على انشاء ديوان المدارس ليكون تجسيدا لحركة التعليم في مصر وتطورها على مر الايام .

### رسالته :

( ١ ) العرض التاريخي لتطور التعليم في مصر بدءا من العصر الفرعوني وحتى اليوم .

(ب) ابراز نوعيات التطعيم في مصر ومدى ما حقته من نمو ، وذلك من خلال عرض صور ونماذج ولوحات وبيانات وافية .

( ج ) توثيق تاريخ التعليم في مصر وانواعه المختلفة بوثائق ومخطوطات نادرة .

### اقسام المتحف :

**المدخل :** يعطى صورة شاملة عن رسالة المتحف ويضم لوحات ملونة ومجسمة تمثل مراحل التعليم المختلفة .

**الوزراء وكبار رجال التعليم :** يعرض صورا نادرة لوزراء التعليم طوال تاريخ مصر الحديث منذ عصر محمد علي حتى اليوم ولحة عن أهم منجزات كل منهم .

**قدماء المصريين :** يبرز حضارة مصر العريقة ، فيعرض لأول جامعة في تاريخ البشرية « جامعة أونو » كما يعرض لأول مبادئ اللغة المصرية القديمة ، والتطور الذى سجله الفراعنة في كافة العلوم .

**التعليم عند العرب :** يعرض لمصر الاسلامية وما انجزه العرب من اختراعات وتطوير لجوانب كثيرة من حياة مصر ، مع صور ملونة لاعلام العرب البارزين الذين اسهموا في اثراء العلوم والفنون في مصر والعالم .

**القرن التاسع عشر :** به احصاء للمدارس التجهيزية العليا وبيان بالبعثات التعليمية الاولى التى توجهت الى أوروبا وصور نادرة لأصحابها .



**التعليم العام والتعليم الفتاة :** يعرض بالصور والأرقام لمراحل التعليم العام من التحضيرى حتى الثانوى ، ويتعرض قسم تعليم الفتاة لتاريخ وتطور مراحل تعليمها .

**الوثائق والبحوث والمكتبة :** يعاون الباحثين وأساتذة الجامعات بما يوفره من وثائق ومخطوطات ومراجع نادرة عن التعليم فى مصر .

**التعليم الفنى :** يضم نماذج من انتاج التعليم الفنى بأنواعه الصناعى والتجارى والزراعى كما يعرض مراحل تطوره .

**الجامعات والمعاهد العليا :** تسجيل لتاريخ الجامعات المصرية بالاحصاءات النماذج والجسمة والبيانات الخاصة بكل جامعة .

**الخط العربى :** يعرض نماذج عديدة للخطوط العربية ، والزخرفة ، والتذهيب وتطورها منذ أقدم العصور .

**الأزهر الشريف :** يضم كثيرا من المعلومات عن نشأته منذ عام ٩٧٢ والتوانين الخاصة بتنظيمه كما يعرض نموذجا مجسما للجامع الأزهر ، وصورا لأبرز علمائه .

**الوسائل التعليمية :** تضم مجموعة نماذج مجسمة ، ومصورة ليعتق الوسائل التعليمية التى تستخدم فى المدارس المصرية .

**الصحافة المدرسية :** يعرض نماذج لمقالات كتبت بأقلام شابة من طلاب وطلبات المدارس فى مناسبات مختلفة .

**التربية الخاصة :** يعرض بعض وسائل تعليم الطلاب المعاقين ( مكفوفين — سم وبكم ) ( ٣٢ ) .

## ٦ - المتحف الحربى

**مقره :** قلعة صلاح الدين بالقاهرة .

**تاريخ الانشاء :** انشىء فى عام ١٩٣٧ م وتم افتتاحه عام ١٩٤٩  
واعيد تجديده وافتتاحه فى عام ١٩٨٢ .

**رسالته :** العرض التاريخى لتطور تاريخ مصر العسكرى ، وارتباط ذلك بالتاريخ السياسى .

### اقسام المتحف :

١ - **قاعة المجد :** وهى القاعة الرئيسية للمتحف ، وبها صور وتمثيل لعظماء التاريخ المصرى والاسلامى والعربى .

٢ **قسم الملابس العسكرية :** ويضم تماثيل بالحجم الطبيعى لبعض الجنود وضباط الجيش وطلبة المدارس والكليات الحربية بملابس الميدان والتشريفه .

٣ - **قاعة ملابس كبار القادة :** وتضم نماذج للملابس كبار القادة والملابس العسكرية المختلفة للملك السابق فاروق ورؤساء الجمهورية .

٤ - **قاعة المدفعية :** وتحتوى هذه القاعة على نماذج ولوحات وبدافع مختلفة الاعيرة والصنع فى العصر الحديث .

٥ - **قاعة المدرعات :** وتحكى تطور سلاح المدرعات .

٦ - **قاعة الذخيرة :** وتمثل نماذج للذخائر المتنوعة عبر العصور المختلفة وتطور هذه الذخائر ونوعياتها .

٧ - **قاعة محمد على :** وهى قاعة نادرة النقوش والرسوم تتوسطها نافورة مياه ، وبها ديوراما بالحجم الطبيعى لحمد على فى مجلس عمل يشمل كبار ضباطه وهيئة العلماء من مستشاريه وحرصه الخاص .

٨ - **قسم الاسلحة البيضاء :** ويشمل مختلف انواع هذه الاسلحة من سيوف وخناجر مختلفة العصور والمناطق والصنع .

٩ — **قسم الأسلحة النارية** : وبه مسدسات وطبقات وبنادق قصيرة وبنادق من مختلف العصور منها بندقية خاصة للخيوة اسماعيل .

١٠ — **الجناح الفرعوى** : وبه نماذج من الحصون المصرية وتشكيلات من الجيش المصرى وتنظيمه ولوحات جصية منقولة عن المعابد عليها كتابات هروغليفية سجلت انتصارات الجيش المصرى كما أن به نماذج للعجلات الحربية المستخدمة آنذاك .

١١ — **الجناح الإسلامى** : ويحتوى على نماذج القلاع والحصون وأبواب القاهرة وأسوارها ، وخريطة توضح أشهر الآثار الإسلامية فى القاهرة .

١٢ — **قاعة الأندلس** : تبرز الحملات العربية على الأندلس ، وانتشار الحضارة العربية هناك .

١٣ — **القاعة الإسلامية** : وتحتوى على خرائط تبين الفتوحات الإسلامية وتوسعاتها عبر القرون من الدولة الأموية حتى نهاية الحكم العثمانى .

١٤ — **صالة إسلامية** : وتبدأ بصلاح الدين الأيووبى ، وإيقافه للمد الصليبيى كما يرجد بها حجرة تمثل قصة أسر لويس التاسع بدار ابن لقمان بالمنصورة ، وحجرة أخرى بها نماذج للملابس الجيوش الأيوبية ونموذج لبئر صلاح الدين وصور زيتية أخرى .

١٥ — **القرن التاسع عشر** : ويبدأ بالحلة الفرنسية ، ويوجد بها صور تمثل الاسكندرية والقاهرة وصور وخرائط تبين المعارك التى دارت بين المماليك والفرنسيين .

١٦ — **محمد على وخلفاؤه** : ويبدأ بتمثال محمد على وتمثيل القادة فى عصره ، وحجرة خاصة بالبحرية فى عصره ، وقاعة بها خرائط بالمعارك التى قادها إبراهيم باشا ، كما أن بها تمثيل لسليمان باشا الفرنساوى وغيره ، وصور تمثل حكم مصر من محمد على الى فاروق .

١٧ — **قسم اسماعيل باشا** : ويمثل الامبراطورية المصرية فى عصر اسماعيل وقصة حفر قناة السويس وغيرها .

١٨ — **جناح السودان** : ويحتوى على معارك الجيش المصرى بالسودان منذ عهد محمد على ونماذج للأسلحة السودانية وغيرها .

١٩ — **جناح الثورة المرابية** : ويعرض لتمثيل أحمد عرابى وزملائه الذين قاموا بالثورة وصورا زيتية لهم لمظاهرة عابدين للمعارك الحربية التى خاضها الجيش المصرى ضد الانجليز .

٢٠ — **جناح حرب فلسطين** : ويضم صورا فوتوغرافية تمثل سير المعارك الحربية والوثائق التى صدرت من مجلس الوزراء بشأن الحرب ، وتمثال للنبل أحمد عبد العزيز وأبطال الفالوجا .

٢١ — **جناح ثورة ١٩٥٢** : ويشتمل على تمثيل لرجال الثورة والبيانات التى اذيعت خلال هذه الفترة ، وصور لوثيقة تنازل الملك عن العرش وصور فوتوغرافية تمثل رحيل الملك ، وماكيت حصار لقصر عابدين وديوراما تمثل توقيع اتفاقية الجلاء وغيرها .

٢٢ — **قسم حرب ١٩٥٦** : ويمثل صورة العدوان الثلاثى على مصر وبيان تأميم قناة السويس ، والمقاومة الشعبية فى بورسعيد .

٢٣ — **قسم اليمن** : ويصور تطور ثورة اليمن ، ونماذج للأسلحة والملابس الشيوخ اليمنيين ، ويوضح اعمال القوات المصرية هناك .

٢٤ — **جناح ٦ أكتوبر** : ويشمل هذا الجناح تمثيل قادة حرب أكتوبر ، وديوراما تمثل عبور القوات المصرية للقناة وتحطيم خط بارليف ولوحات ونماذج لسيناء للطائرات المشتركة فى حرب أكتوبر ونماذج للأسلحة المصرية التى شاركت فى المعركة وبعض الأسلحة والمعدات التى غنمها الجيش المصرى (٢٨) .

## ٧ - متحف المثال محمود مختار

مقره :

تاريخ الانشاء : ٢٤ يوليو ١٩٦٢ .

رسالته : ابراز دور الفنان المصرى محمود مختار فى ارساء قواعد من النحت فى مصر واتخاذ من حضارة بلاده اللبس الفنية التى واكبت روح العصر واستوعبت الثقافة الحديثة .

— تشجيع حركة من النحت فى مصر ، فبعد موت المثال مختار فى عام ١٩٣٤ تحركت مشاعر اصديقاء فنه وتكونت جمعية اصديقاء مختار التى نقلت جائزة باسم المثال مختار تمنح سنويا للمثاليين من اجل استمرارية النهضة التى بدأها ، وقد اهتمت الحكومة بهذا المتحف بعد ان تنازل ورثة مختار عن آثاره للامة فاقامت له جناح مؤقت بمتحف الفن الحديث عام ١٩٥٢ حيث عرضت فيه اعماله الى ان قامت وزارة الثقافة والارشاد القومى باعداد متحف مختار فى بقعة من اجل بقاع مصر .

اهم مقتنيات المتحف :

١ — تمثال نهضة مصر :

وهو تعبير عن اليقظة الوطنية ، وتعددت فيه عناصر التعبير عن المعنى .

٢ — تمثال رياح الخماسين :

وهو تمثال من الحجر يعتمد على عنف المقاومة وعصف الرياح .

## ٨ - متحف دار الكتب المصرية ( الوثائق والمخطوطات )

**مقره :** كورنيش النيل بالقاهرة . الدور الاول بمبنى الهيئة العامة للكتاب .

**اهم مقتنياته :** يضم هذا المتحف العديد من المصاحف التى يبدأ تاريخ كتابتها من القرن الاول وحتى القرن الثالث عشر الهجرى ، ويتضح منها مراحل تطور الخطوط العربية ، ومن اهم هذه المصاحف مصحف شريف مكتوب بالخط الكوفى على ورق غزال وفى آخره كتابات تفيد ان هذا المصحف كتب بخط الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الامام الحسين .

ومصحف شريف آخر مكتوبا على طريقة « ابى الاسود الدؤلى » وقد اهتم كاتبه بوضع حركات النطق خوفا من اللحن ومصحف شريف آخر كتب بقلم مغربى مضبوط الحركات رسم المولى الشريف على نجل أمير المؤمنين ، وجميع اوراق هذا المصحف محلاه بالذهب والياقوت بطريقة اندلسية رائعة .

وفى هذا المتحف ايضا مخطوطات فى الطب والفلك وفى مجالات عديدة .

واللافت للنظر وجود مجموعة من حبوب القمح موضوعة تحت عدسة صغيرة على كل حبة قمح كتابات مختلفة فهناك حبة قمح مكتوب عليها سورتان من القرآن الكريم ( الاخلاص وقريش ) وحبة قمح اخرى مكتوب عليها اسماء من تولوا حكم مصر منذ عهد عمرو بن العاص وحتى الملك فاروق الى جانب ذلك فهناك بيضة مفرغة من الداخل مكتوب عليها كل الاعمال التى تمت فى مصر فى عهد الخديو اسماعيل .

## مراجع الفصل الثانى عشر

- (١) تذكر بعض المراجع أن المتحف انشىء فى عام ١٨٥٨ م .  
انظر : المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة — المعالم الأثرية فى  
أنبلاد العربية ج ٣ ص ٢٥١ .
- (٢) كانت مبانى هذا المتحف فى حالة سيئة ، فقد كانت مسجدا  
مهجورا ، مبانيه نصف عارية وبجانبه بعض حظائر قذرة ومسكنا موبوءا  
بالحشرات ، وقد تسبب ارتفاع النيل فى عام ١٨٧٨ فى أغراق صالات هذا  
المتحف .
- للتفاصيل انظر جيمس بيكى : الآثار المصرية فى وادى النيل ج ١ ،  
ترجمة لبيب حبشى وشفيق غريد — القاهرة ، الألف كتاب ، العدد ٤٩٥ ،  
ص ٩٠ — ٩١ .
- (٣) الياس الأيوبى : المرجع السابق ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .  
والجدير بالذكر انه كان يسمح للسائحين الأوربيين بشراء بعض الآثار  
بأثمان باهظة .
- ومما يذكر حول ذلك الموضوع أن أحد عربى باشا بعد أن آلت  
اليه الأمور فى مصر أثناء ثورته فى عام ١٨٨١ قد رغب فى بيع ذلك المتحف  
دفعة واحدة ، ليسدد به ديون مصر الرسمية .  
انظر الياس الأيوبى : المرجع السابق ص ٢٣٥ .
- (٤) المتقطف : الجزء الخامس من المجلد السابع والثمانين فى أول  
ديسمبر ١٩٣٥ ، مقال الدكتور حسن كمال السابق الذكر ، ص ٦٠٠ .
- (٥) محمد المولىحى : حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن ،  
القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٢٣ ، ص ٤٣٦ .
- (٦) ، (٧) نفسه ، ص ٤٤٠ .
- (٨) انظر مقدمة دليل متحف القاهرة لعام ١٩٠٣ م .
- (٩) ينقسم التاريخ المصرى الى الدولة القديمة ، والوسطى ، والحديثة  
والعصر المتأخر ثم العصر الاغريقى الرومانى وآثار بلاد النوبة .
- (١٠) من أهمها أوراق الفيوم والبهنسا .  
لتفاصيل ذلك انظر عبد العزيز الدالى : البرديات العربية ، القاهرة ،  
مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣ ص ٧٣ — ٧٤ .

- (١١) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الاول ، مايو وأكتوبر ١٩٤٨ ، دراسة للدكتور عبد المحسن بكر تحت عنوان أهم المكتنيات الحديثة في المتحف المصرى ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .
- (١٢) عن تفاصيل ذلك انظر : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابق ، ص ٢٠١ — ٢٠٩ .
- (١٣) توت معناها صورة ، وعنخ معناها حية ، وهذا يعنى أن اسم الملك هو « صورة آمون الحية » .
- (١٤) اكتشفها عالم الآثار الانجليزى هوارد كارتر فى نوفمبر ١٩٢٢ بمساعدة اللورد كارنارفون .
- (١٥) المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة : المرجع السابق ، ج ٣ .
- (١٦) الاهرام فى ١٥/٨/١٩٩١ .
- (١٧) عبد الرحمن الراغى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ ، ص ١٦١ .
- (١٨) المتحف : الجزء الثالث من المجلد الثامن والسبعين فى مارس ١٩٣١ تحت عنوان : « دار الآثار العربية — انفس ما فيها من الآثار والتحف » ص ٣١٩ .
- (١٩) شغل هذا المكان فيما بعد مدرسة السلحدار الابتدائية .
- (٢٠) المعالم الأثرية ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ .
- (٢١) للتفاصيل انظر : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ ، دراسة للدكتور احمد دراج تحت عنوان جاستون فيت واعماله العلمية ، ص ١٠٥ — ١٠٧ .
- (٢٢) المعالم الأثرية ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .
- (٢٣) عرفت هذه الكنيسة بالمعلقة لبنائها فوق الحصن الرومانى الشهير الذى شيده الامبراطور تراجان ، ولم يزل جزءا منها وقد بنيت على الارجح فى أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الميلادى .
- للتفاصيل انظر : المعالم الأثرية فى البلاد العربية ، ج ٣ ، ص ١٣٣ — ١٣٧ .



(٢٤) دار الوثائق القومية بالقلمة : محافظ أبحاث ، حفظة رقم ١٣٣ ، بحث تحت عنوان مذكرة تاريخية موجزة عن المتحف القبطى منذ نشأته الى الآن .

(٢٥) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الاول ، مايو واكتوبر ١٩٤٨ ، دراسة للاستاذ طوجو مينا تحت عنوان : « المقتنيات الجديدة بالمتحف القبطى » .

(٢٦) مركز الاهرام للترجمة والنشر : شهود العصر ، مقال لمرقس سمكة باشا تحت عنوان متحف الآثار القبطية ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٢٧) وزارة التربية والتعليم : الادارة العامة للانشطة التربوية . دليل متحف التعليم .

(٢٨) دليل المتحف الحربى بالقلمة . الطبعة الاولى ١٩٨٢ .

## الخاتمة

ومما سبق يتضح ان لمصر سحرا خاصا وهو ليس فقط سحر تاريخها وحضارتها العريقة وآثارها الخلابة ، ولكنه أيضا سحر شعبها الطيب الذى اقام مجتمعا متجانسا ومتألفا وهو مجتمع تسوده المودة والتعاطف ، انصهر عبر تاريخها الطويل فى شخصية واحدة ذات عمق روحى واحد وفلسفة تافؤلية، وهى شخصية ودودة وسحاء لا تعرف العنف أو التعصب أو العنصرية ومع ذلك فانها قابلة للانفعال ومع ان الشعب المصرى عاش منذ زمن طويل على مفترق الطرق الدولية ، وكانت بلاده مسرحا لأعظم أحداث التاريخ فقد ظل صابدا لا يقبل الاستكانة وان صبر عليها فترة من الزمن ، فقد أثبتت الوطنية المصرية تواجدها على مر العصور التاريخية التى عاشتها مصر ، واستطاعت اثبات حق الانسان المصرى فى الحياة كريبا على أرضه واجبار المعتدين على التخلّى عن أطماعهم ونواياهم العدوانية .

# فهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة . . . . .	٧ — ٥
الفصل الأول	
الحملة الفرنسية على مصر والشام . . . . .	٣٨ — ٩
الفصل الثانى	
عصر محمد على . . . . .	٨٢ — ٣٩
الفصل الثالث	
عصر خلفاء محمد على . . . . .	١١١ — ٨٣
١ — عباس الاول وعصره . . . . .	٨٧ — ٨٥
٢ — سعيد باشا وعصره . . . . .	٩١ — ٨٨
٣ — عصر اسماعيل . . . . .	١٠٦ — ٩١
الفصل الرابع	
الثورة العربية والاحتلال الانجليزى لمصر . . . . .	١٥٩ — ١١٣
الفصل الخامس	
حركة البعث الوطنى بعد الاحتلال ( مصطفى كامل ومحمد فريد ) . . . . .	— ٢٣٢ — ١٦١
الفصل السادس	
مصر من ثورة ١٩١٩ حتى مجاهدة ١٩٣٦ . . . . .	٢٥٨ — ٢٢٣
الفصل السابع	
مصر من الحرب العالمية الثانية حتى ارمصاصات ثورة ١٩٥٢ . . . . .	٢٧٢ — ٢٥٩

## الفصل الثامن

- ثورة ٢٣ يوليو وأبرز التطورات السياسية في مصر حتى  
انتصار أكتوبر ١٩٧٣ . . . . . ٢٧٣ — ٣٢٠

## الفصل التاسع

- من إنجازات مصر الحضارية . . . . . ٣٢١ — ٣٥٦
- ١- القناطر الخيرية . . . . . ٣٢٢ — ٣٢٦
  - ٢- قناة السويس . . . . . ٣٢٦ — ٣٢٧
  - ٣- بنك مصر . . . . . ٣٢٨ — ٣٢٩
  - ٤- مديرية التحرير . . . . . ٣٣٩ — ٣٤٠
  - ٥- الوادي الجديد . . . . . ٣٤١ —
  - ٦- السد العالي . . . . . ٣٤٢ — ٣٤٨
  - ٧- المطبعة الأميرية . . . . . ٣٤٨ — ٣٤٩
  - ٨- مجمع اللغة العربية . . . . . ٣٥٠ — ٣٥١

## الفصل العاشر

- بحوث ودراسات في تاريخ مصر قبيل ثورة ١٩٥٢ . . . . . ٣٥٧ — ٤٣٢
- ١- الأحزاب والممارسة الديمقراطية . . . . . ٣٥٩ — ٣٧٦
  - ٢- المرأة المصرية والتعليم الجامعي . . . . . ٣٧٦ — ٣٨٨
  - ٣- مجتمع القاهرة من خلال ثلاثة نجيب محفوظ . . . . . ٣٨٨ — ٤٠٤
  - ٤- الفيوم بين ثورتى عرابى وسعد زغلول . . . . . ٤٠٤ — ٤١٢
  - ٥- سيناء في التاريخ الحديث والمعاصر . . . . . ٤١٢ — ٤٢١

## الفصل الحادى عشر

- من رجالات النهضة المصرية في العصر الحديث . . . . . ٤٣٣ — ٤٥٤
- ١- على باشا مبارك . . . . . ٤٣٥ — ٤٣٧
  - ٢- عبد الله النديم . . . . . ٤٣٨ — ٤٤٢
  - ٣- الشيخ محمد عبده . . . . . ٤٤٢ — ٤٤٤
  - ٤- مصطفى كمال . . . . . ٤٤٤ — ٤٤٩
  - ٥- الخديو عباس الثانى . . . . . ٤٤٩ — ٤٥٣

### الفصل الثانى عشر

٤٧٦ — ٤٥٥	. . . . .	أبرز المتاحف فى جمهورية مصر العربية
٤٦١ — ٤٥٧	. . . . .	١ — المتحف المصرى
٤٦٣ — ٤٦١	. . . . .	٢ — متحف الفن الاسلامى
٤٦٤	. . . . .	٣ — المتحف اليونانى والرومانى
٤٦٦ — ٤٦٤	. . . . .	٤ — المتحف القبطى
٤٦٨ — ٤٦٧	. . . . .	٥ — متحف التعليم
٤٧١ — ٤٦٩	. . . . .	٦ — المتحف الحربى
٤٧٢	. . . . .	٧ — متحف المثال مختار
٤٧٣	. . . . .	٨ — متحف دار الكتب المصرية
٤٧٧	. . . . .	خاتمة

مطبعة الجبىلاوى  
٢٠٠٠ شارع النهضة بالبرازيل